المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
كلية الدعوة وأصول الدين
الجمعية العلمية السعودية
لعلوم العقيدة والأديان والفرق والمذاهب

مجلّةٌ عِلْميّةٌ محكَّمَة مُتخَصِّصَة

العدد ١٧ – السَّنة الثامنة – رجب ١٤٣٧هـ

جميع حقوق الطبع محفوظة

لمجلة الدراسات العقدية

ردمد: ١٦٥٨-٥١٦X

رقم الإيداع: ٧٦١٧ / ١٤٣٠

بسم الله الرحمن الرحيم

عنوان المراسلات:

تكون المراسلات باسم مدير التحرير

جوال: ٠٥٥٢٥٣٤٢٨٢

هاتف: ٠١٤٨٤٧١١٥٥

فاكس: ٠١٤٨٤٧٣٠٧٦

البريد الالكتروني

aqeedaamm@gmail.com

تعريف بالمجلّة

مجلة الدراسات العقدية: مجلّة علمية محكّمة تصدر عن الجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة والأديان والفرق والمذاهب، بإشراف الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، تختصّ بنشر البحوث والدراسات العلمية المتخصِّصة في حقل علوم العقيدة والأديان والفرق والمذاهب الفكرية؛ يتولّى تحريرها هيئة علميّة مختصّة مكونةٌ من عددٍ من أساتذةٍ جامعيّين، تجيز نشر البحث بموافقة اثنين من المختصّين، صدر أوّل عدد من المجلة في محرّم ١٤٣٠هـ، وتصدر دوريًّا بواقع عددين سنويًّا.

قواعد النشر في مجلة الدراسات العقدية

تلتزم المجلة في نشر المواد العلمية بالقواعد الآتية:

١ ـ أن لا تكون منشورة ولا مقدمة للنشر في جهة أخرى.

٢ ـ أن تكون خاصة بالمجلة.

٣ـ أن تكون أصيلة من حيث الجدّة والابتكار والإضافة للمعرفة.

٤ ـ أن تراعى فيها قواعد البحث العلمي الأصيل ومنهجيته.

٥ ـ أن تكون في مجال تخصص الجمعية.

٦ـ أن لا تكون أجزاء من بحوث مستفيضة قد تمّ نشرها للباحث، ولا أجزاء من رسالته العلمية في (الدكتوراه) أو (الماجستير).

٧ ـ أن تكون مطبوعة على قرص حاسب آلي.

٨ ـ أن لا يزيد عدد صفحاتها عن مائة صفحة للإصدار الواحد، ولا يقل عن عشر صفحات، ولهيئة تحرير المجلة الاستثناء عند الضرورة.

٩ ـ أن تصدّر بنبذة مختصرة ـ لا تزيد عن نصف صفحة ـ للتعريف بها.

١٠ـ أن يُرافقها نبذة مختصرة عن صاحبها تبيّن عمله وعنوانه وأهم أعماله العلمية.

١١ـ أن يُقدّم صاحبها خمس نسخ منها.

١٢- تقدم المادة العلمية مطبوعة وفق المواصفات الفنية التالية:

أ- البرنامج: الوورد *xp* أو ما يماثله.

ب- نوع الحرف: *Lotus Linotype* .

جـ- نوع حرف الآيات القرآنية على النحو التالي: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣].

د- مقاس الصفحة الكلي: ١٢سم × ٢٠سم = (إعداد الصفحة: ٥أعلى، ٤,٧٥ أسفل، ٤,٥ أيسر وأيمن).

هـ- حرف المتن: ١٦ غير مسود.

و- حرف الحواشي السفلى: ١٢غير مسود.

ز- رأس الصفحة: ١٢أسود.

ح- العنوان الرئيسي: ١٨ أسود.

ط- العنوان الجانبي: ١٦ أسود.

١٣- أن يقدم البحث في صورته النهائية في ثلاث نسخ، منها نسختان قرصان مستقلان، ونسخة على ورق.

١٤- لا تلتزم المجلة بإعادة البحوث إلى أصحابها، نشرت أم لم تنشر.

١٥- يعطى الباحث ثلاث نسخ من العدد المنشور فيه بحثه +١٥مستلّةً منه.

مجلة الدراسات العقدية

هيئة التحرير

رئيس التحرير:

أ.د. صالح بن محمد العقيل

مدير التحرير:

د. بدر بن مقبل الظفيري

الأعضاء:

أ.د. يوسف بن محمد السعيد

أ.د. عبد القادر بن محمد عطا صوفي

أ.د. سامي بن علي القليطي

د. محمد با كريم محمد با عبد الله

أمين المجلة:

غَزْمَنْد عُمَر مَهْمَتِي

المواد المنشورة

في المجلة

تعبّر عن آراء أصحابها

محتويات العدد

الموضوع	الصفحة

۞ **مسألة حلول الحوادث في ضوء منهج السلف**

د. خالد بن عبد العزيز السيف ١١

۞ **ما جاز من السؤال في أمور الاعتقاد**

د. أبو بكر بن سالم شهال ٥١

۞ **المسائل العقدية المتعلقة بالحجر الأسود**

د. فهد بن موسى الفايز ١٥٧

۞ **منهج أهل السنة والجماعة في الإمامة الكبرى**

د. عايد بن عبيد بن سحلان العنزي ٢٢٣

۞ **القحطاني وخروجه آخر الزمان**

د. سعد بن عبد الله الماجد ٣٢٧

۞ **عقائد الموحدين من النصارى، دراسة تحليلية لمذهب التوحيد في المسيحية حتى مجمع نيقية المسكوني عام ٣٢٥م**

د. عبد البديع محمد عبد الله محمد سالم ٣٨٥

۞ **علل الإبادة في الشرائع والمعتقدات اليهودية وموقف الإسلام منها**

د. محمد عبد الدايم علي سليمان الجندي ٤٧٥

مسألة حلول الحوادث
في ضوء منهج السلف

د. خالد بن عبد العزيز السيف

أكاديمي سعودي، أستاذ مشارك في كلية الشريعة
والدراسات الإسلامية، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة -
جامعة القصيم

ملخص البحث

هذا البحث يناقش مقدمة من المقدمات الأساسية في أصول علم الكلام، وهي مسألة حلول الحوادث التي ترتب عليها نتائج مؤثرة في معتقد كثير من الطوائف، بعيداً عما جاءت به الشريعة، مبيناً جذور هذا الدليل الممتدة في الزمان الماضي إلى جانب امتدادات هذا الدليل على كثير من المسائل، ليس على مسائل الصفات فحسب، بل امتد على مسائل كثيرة كمسائل القدر والنبوات وغيرها. ومبيناً أهمية هذا الدليل بكونه مقدمة أساسية في دليل إثبات وجود الله عند المتكلمين، ومبيناً حرص أهل الكلام على المدافعة عن هذا الدليل حتى يسلم لهم الأصل الذي هو إثبات وجود الله، وسيتناول هذا البحث مناقشة لهذا الدليل الذي لم يسلم من المعارضة، ليس على الصعيد السلفي فحسب بل حتى على الصعيد الفلسفي.

د. خالد بن عبد العزيز السيف

kasaif@gmail.com

The Issue of Hulul al-Hawadith (Changes Taking Place in God's Essence) in the Light of Salafs Methodology

Dr. Khalid bin Abdul-Aziz Muhammad al-Saif

Saudi Academic, Assistant professor, Department of Theology and Contemporary Sects, Faculty of Sharia and Islamic Studies, Qassim University, Kingdom of Saudi Arabia

Abstract

This essay discusses one of the fundamental introductions to the principles of ʿilm al-kalam (speculative theology). It's the issue of hulul al-hawadith (changes taking place in God's essence) which resulted in an influencing ramifications in the creed of many sects, far from what the Sharia came with. Hulul al-hawadith is a proof that these sects use to affirm the existence of God. The essay clarifies the roots of this proof in the past. It also explains the extensions of the proof on many other issues. It doesn't only effect that which relates to God's attributes, but it extends to many other issues such as the belief in predestination, prophethood, etc. The essay also clarified the importance of this evidence according to these sects. As well as clarifying the attention paid by ahl al-kalam (kalamists) in defending this proof in order to keep their foundation, which is proving the existence of God, flawless for them. This essay will discuss this proof, which has not been spared of opposition, not only on the Salafi field but even on the philosophical field.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد، فإن النورين -الكتاب والسنة- عصمة من الضلال، وحماية من الانحراف، وشرطهما التمسك بهما كما أنزلا، وفهمها كما فهمهما المخاطبون بهما، والتقيد بأوامرهما وفهم حدودهما، ولذلك سلمت الأمة من الانحراف والتفرق إبان عهد التمسك بالمناهج الاستدلالية الشرعية، وصفا لها ما تعتقد بوضوح وجلاء.

ولما أعرض فئام من أمة محمد ﷺ عن المناهج الاستدلالية الشرعية، واستحدثوا مناهج بشرية حصل الاختلاف والتفرق، ومن أبرز ذلك ما استحدثته طوائف من المنتحلين للكلام من الأدلة والأصول غير الشرعية التي بنوا عليها كثيراً من المعتقدات ورتبوا عليها الكثير من النتائج التي أبعدتهم في النهاية عن المعتقد الصحيح.

وهذا البحث سيناقش بإذن الله مقدمة من المقدمات الأساسية في أصول علم الكلام، وهي مسألة حلول الحوادث التي ترتب عليها نتائج في معتقد كثير من الطوائف، بعيدة عما جاءت به الشريعة، ولمناقشة هذه المسألة فقد رتبت البحث على ثلاثة مباحث بعد التمهيد لها، وهي كالتالي:

المبحث الأول: تصوير المسألة في ضوء منهج السلف.

المطلب الأول: تصوير المسألة وتأصيل القول في المضافات إلى الله سبحانه.

المطلب الثاني: منهج السلف في التعامل مع الألفاظ التي لم ترد على لسان الشارع.

المبحث الثاني: تشكّل دليل الحوادث وامتداداته

المطلب الأول: جذور دليل الحوادث.

المطلب الثاني: مقدمات مترابطة أدت إلى القول بدليل الحوادث.

المطلب الثالث: امتداد القول بحلول الحوادث على بعض المسائل.

المبحث الثالث: نقد دليل حلول الحوادث.

المطلب الأول: مناقشة المتكلمين في مسألة حلول الحوادث.

المطلب الثاني: موقف السلف والفلاسفة من دليل الحدوث في إثبات وجود الله.

وقد أعرضت عن مناقشة بعض المسائل المتعلقة بحلول الحوادث، كالجواهر والأعراض وحوادث لا أول لها وغيرها من دقيق الكلام؛ خشية الإطالة التي قد يكون فيها من الكلام المذموم كما وصفه شيخ الإسلام، وحاولت تصوير المسألة تصويراً واضحاً؛ حتى لا تختلط بغيرها، وأرجو أن أكون قد وفقت إلى ذلك.

والله من وراء القصد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تمهيد

شغلت مسألة حلول الحوادث كثيراً ممن تكلم فيما يجب لله تعالى ويمتنع من الصفات، سواء كانت منازعهم كلامية بحتة، أو كانت منازعهم سلفية بحتة، أو ممن خلط بين هذا وذاك، ولذلك ابتعدت نتائج المخالفين عن المعتقد الصحيح؛ بسبب الاعتماد على المصطلحات المركبة والمحدثة التي لم تكن دقيقة، إضافة إلى منازعتها لحقائق شرعية وعقلية كثيرة، وقبل الدخول في معالجة مسألة حلول الحوادث ومتعلقاتها يحسن الوقوف على تمهيدٍ لها يبين مما يتركب منه هذا المصطلح.

فمصطلح حلول الحوادث مصطلح ممزوج من مصطلحين أولهما: (الحلول)، وثانيهما: (الحوادث)، وإيضاح ذلك كما يلي:

الحلول في اللغة:

قال ابن الأعرابي: حلّ إذا سكن، وقيل أيضاً حللت بالرجل: نزلت به، وكل من نازلك وجاورك فهو حليلك[1]. وهذا معنى من معاني الجذر (حَلّ) يدور على معنى التغير في الحال، وإن كان للجذر معانٍ أخرى لا يستدعي المقام بسطها.

وأما الحلول في الاصطلاح:

---

(١) انظر: لسان العرب ١١/ ١٧٠، ١٦٤، ١٦٣، معجم مقاييس اللغة ٣/ ٢٧٩، ٢٨٠، تهذيب اللغة ٢/ ٢٠، ٢١.

فهو عبارة عن كون أحد الشيئين ظرفاً للآخر(١).

وأما الحوادث في اللغة:

فهي جمع (حادث)، وهو نقيض القديم، والحدوث كون الشيء لم يكن، وأحدثه الله فهو محدث(٢).

الحوادث في الاصطلاح: عرّف الإيجي الحادث بقوله: هو الموجود بعد العدم(٣).

ومن خلال ما سبق من التعريف اللغوي والاصطلاحي؛ فإن المتكلمين يصنفون الصفات الفعلية على أنها من الحوادث، وهذه الحوادث توجب التغير على الله سبحانه وتعالى، وهي بهذا المعنى محالة من وجهة النظر الكلامية، ولذلك نفوا قيام الصفات الفعلية بالله سبحانه وتعالى، كالرضا والغضب والرحمة وغيرها مما هو متعلق بمشيئته واختياره، وبيان منزعهم في ذلك هو محور هذا البحث كما سيأتي.

وحيث إن مصطلح (الأعراض) في لغة المتكلمين يعني: الصفات(٤)، ولوجود تداخل أيضاً بين شبهة حلول الأعراض وشبهة حلول الحوادث،

---

(١) انظر: التعريفات للرجاني ص ١٢٥، جامع العلوم في اصطلاحات الفنون ٢/ ٣٨.

(٢) انظر: لسان العرب ٢/ ١٣١، معجم مقاييس اللغة ٢/ ٣٦.

(٣) انظر: المواقف في علم الكلام ص ٢٧٥، التعريفات للجرجاني ٨٥.

(٤) انظر: على سبيل المثال المواقف في علم الكلام: «الموقف الثالث: في الأعراض وفيه مقدمة ومراصد» ص٩٦ وتكلم في هذا السياق عن الصفات.

وأحياناً يشكّلان دليلاً واحداً ويستخدمها كثيراً من العلماء في سياق واحد في تصوير المسألة ومناقشتها = كان لا بد من التعريف بمصطلح (الأعراض) على النحو التالي:

العَرَض في اللغة:

العَرَض: من أحداث الدهر من الموت والمرض ونحو ذلك، وما يعرض للرجل يبتلى به، والعرَض: ما يعرض للإنسان من الهموم والأشغال، وجمع العرَض: أعراض[١].

العَرَض في الاصطلاح:

الموجود الذي يحتاج في وجوده إلى موضع يقوم به، كاللون المحتاج في وجوده إلى جسم يحلّه ويقوم هو به[٢].

---

(١) انظر: لسان العرب ٧/ ١٦٩.

(٢) انظر: التعريفات ص١٥٣.

المبحث الأول

تصوير المسألة في ضوء منهج السلف

المطلب الأول

تأصيل القول في المضافات إلى الله سبحانه وتعالى

المضافات إلى الله سبحانه وتعالى إما أعيان أو أوصاف أو أفعال، فأما الأوصاف: كالوجه واليد والقدم والعلم والحياة وغيرها، فهذه من باب إضافة الصفة إلى الموصوف.

وأما الأعيان: كرسول الله أو عبد الله، فهذه من باب إضافة المخلوق لخالقه، وتأتي للتشريف أو لغيره من المقاصد.

أما الأفعال: كالكلام والرضا والرحمة فهذه فيها معنى الصفة من وجه، ومعنى الفعل المتعلق بالمشيئة والإرادة من وجه آخر، وهذا النوع هو الذي حصل فيه النزاع بين السلف والمتكلمين[١]، وهذه المسألة تسمى بالصفات الاختيارية، أو مسألة حلول الحوادث عند المتكلمين التي هي مدار البحث، والمقصود بالحوادث جمع: حادث، وهو كما عرفه الإيجي -وهو من القائلين بمنع حلول الحوادث- فقال: الحادث الموجود بعد العدم[٢].

أما السلف فقد ذهبوا إلى إثبات ما يتعلق بمشيئة الله واختياره من صفاته،

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى ٦/ ١٤٤

(٢) انظر: المواقف في الكلام ص٢٧٥.

كصفة الكلام والنزول والرضا والغضب[١] وغيرها، وأن هذه الصفات ثابتة بدون تحريف أو تفويض أو تعطيل أو تمثيل، وأن الله سبحانه يفعلها متى شاء، كيفما شاء، لا يشابهها صفات المخلوقين.

وأما المدارس الكلامية من معتزله وماتريدية وأشاعرة فذهبوا إلى نفي صفات الأفعال؛ لأنها تستلزم عندهم حلول الحوادث بالله تعالى، والله منزه عن حلول الحوادث به، لذلك اضطروا إلى تأويل ما جاء في النصوص من هذه الصفات.

فعلى سبيل المثال: نفوا صفة الاستواء وأولوها بالملك أو الاستيلاء[٢]، بناءً على أن الله لو أحدث استواءً على العرش لكان محلًّا للحوادث، والله منزه عن أن تحل به الحوادث، وعلى هذا الأصل فسروا القول في جميع صفات الأفعال كالنزول والمجيء والرحمة والضحك وغيرها على هذا النحو.

ونفي الحوادث اضطر المتكلمين إلى أن يقولوا بأن الخلق هو المخلوق، وذلك أنه لما احتُج عليهم بأن الله لما خلق العالم بعد أن لم يكن حلت به الحوادث، فاضطروا إلى القول بأن صفة الخلق لم تحل به وإنما الخلق هو المخلوق[٣]. وهذه المسألة ظاهرة البطلان، وليس هنا مكان بحثها، ولكن

(١) انظر على سبيل المثال: التوحيد وإثبات صفات الرب ﷻ لابن خزيمة ١/ ٣٢٨، المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة ١/ ٣٤٨، نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد الدارمي على المريسي ١/ ٤٩٤.

(٢) انظر: شرح الأصول الخمسة ص٢٦، أصول الدين للبغدادي ص ١١٣، إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل ص ١٠١.

(٣) انظر: منهاج السنة ١/ ٤٥٧، مجموع الفتاوى ٥/ ٣٧٨، ٦/ ١٤٨.

للإشارة إلى أن الأخذ بنتائج مسألة حلول الحوادث -كما عليه المتكلمون- اضطرهم إلى أقوال والتزام نتائج لا تصمد أمام النقد العلمي.

المطلب الثاني

منهج السلف في التعامل مع الألفاظ التي لم ترد على لسان الشارع

لما استحدثت مصطلحات لم تكن معروفة في لسان الشارع، وكثر استخدامها للوصول إلى الدلالات الشرعية؛ كان للسلف موقف متميز في التعامل مع هذه المصطلحات والألفاظ التي لم ترد على لسان الشارع، وتفصيل ذلك كما سيأتي:

- **استعمال الألفاظ الشرعية:**

الألفاظ: إما ألفاظ أتى بها الشارع كالصلاة والإيمان والتحريف، أو ألفاظ لم ترد على لسان الشارع كالمجاز أو العَرَض أو الجهة أو حلول الحوادث وغيرها.

فأما ما أتى به الشارع فهو ملزم، ويؤخذ به على ما فهمه المخاطبون به في أثناء التنزيل، وأما ما اصطلح عليه البشر فليس لأحد أن يلزم الناس بما يصطلح عليه، وعلى هذا دأب السلف في تقريرهم للعقيدة في استعمال ما جاء به الشرع من الألفاظ والمصطلحات، وقد قال الإمام أحمد في صفات الله: «لا يُتعدَّى القرآن والحديث، فنقول كما قال ونصفه بما وصف به نفسه ولا يُتعدَّى ذلك»[1]. وقد حاول الجهمية -الذين ناظروا الإمام

(١) الرسائل والمسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة ١/ ٢٧٧.

أحمد أيام الفتنة- جره إلى مصطلحاتهم، لكنه امتنع عن التحدث إلا بالألفاظ الشرعية، وكان يقول: لا أقول إلا ما في القرآن أو الحديث[١]. وهناك نماذج كثيرة من سلف الأمة على هذه الطريقة[٢].

وعلى هذا درج من أتى بعدهم من المتأخرين، فقد قال الإمام ابن أبي العز الحنفي مقرراً ومبيناً سبب الاقتصار على الألفاظ الشرعية: «والألفاظ الشرعية صحيحة المعاني سالمة من الاحتمالات الفاسدة، فلذلك يجب ألا يعدل عن الألفاظ الشرعية نفياً ولا إثباتاً؛ لئلا يثبت معنى فاسد، أو ينفى معنى صحيح، وكل هذه الألفاظ المجملة عرضة للمُحقّ والمبطل»[٣].

هذا بالنسبة لتقرير العقيدة -أي استخدام الألفاظ الشرعية-، لكن في الحوار والمناظرة كان منهج السلف المعمول به يتميز في الركيزة التالية.

- **الاستفصال عن الألفاظ المجملة المشتركة:**

يقرر السلف رحمهم الله عدم قبول اللفظ المجمل إلا بعد الاستفصال عن معناه، فإن كان باطلاً ردّ المعنى واللفظ، وإن كان المعنى حقاً قبل المعنى وعُبر عنه باللفظ الشرعي، ويعبر ابن أبي العز الحنفي عن ذلك بقوله: «الألفاظ التي لم يرد نفيها ولا إثباتها لا تطلق حتى ينظر في مقصود قائلها، فإن كان معنى صحيحاً قبل، لكن ينبغي التعبير عنه بألفاظ النصوص دون الألفاظ المجملة، إلا عند الحاجة مع قرائن تبين المراد والحاجة، مثل أن يكون

(١) انظر: سير أعلام النبلاء ١١/ ٢٤٨.

(٢) انظر على سبيل المثال: اجتماع الجيوش الإسلامية ص١٧٥ وغيرها من الكتاب.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ١/ ٢٦٦.

الخطاب مع من لا يتم المقصود معه إن لم يخاطب بها ونحو ذلك»[١].

وهناك أمثلة تطبيقية كثيرة لمنهج السلف في التعامل مع الألفاظ التي لم ترد على لسان الشارع، أكتفي منها بمثال واحد، بيانه في ما يلي:

ينفي المتكلمون العلو بناء على قولهم في الجهة، وأن الله لو كان في العلو لكان هناك جهة تحيط به، والله منزه عن أن تحيط به جهة.

وعند التعامل مع لفظ **الجهة** يقال:

لفظ الجهة لم يرد في الكتاب والسنة؛ لا إثباتاً ولا نفياً، وهو لفظ مجمل محتمل عدة معانٍ، منها الصحيح ومنها الباطل، ولذلك لا بد من الاستفصال عنه، فإما أن يراد به جهة سُفل، أو جهة علو تحيط بالله تعالى، أو جهة علو لا تحيط بالله تعالى.

أما المعنى الأول: فهو باطل؛ لمنافاته الثابت بالكتاب والسنة والإجماع.

وأما المعنى الثاني: فباطل أيضاً؛ لأن الله أعظم من أن يحيط به شيء من خلقه.

وأما المعنى الثالث: فحق يجب قبوله؛ لأن الله هو العلي الأعلى ولا يحيط به شيء من مخلوقاته.

وأما بالنسبة لاستخدام هذا اللفظ -و هو لفظ الجهة- فيُغني عنه ما ثبت في الكتاب والسنة من أن الله في السماء، وأمثال ذلك مما ورد[٢].

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ١/ ٢٦١، وانظر أيضاً: ١/ ٧٠ من نفس الكتاب، درء تعارض العقل والنقل ١/ ٢٣٨، مجموع الفتاوى ١٧/ ٣٠٦، الصواعق المرسلة ٤/ ١٤٣٩.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى ٧/ ٦٦٣، ٦٦٤، شرح العقيدة الطحاوية ١/ ٢٦٦.

المبحث الثاني

تشكّل دليل الحدوث وامتداداته

المطلب الأول

جذور دليل الحدوث

يقوم دليل حدوث الأجسام الذي يُثبت به كثير من المتكلمين وجود الله سبحانه وتعالى على فكرة إثبات الجزء الذي لا يتجزأ من المادة، وأول من فلسف فكرة الجزء الذي لا يتجزأ الفيلسوف اليوناني ديمقريطس (٤٧٠-٣٦١ ق.م)، حيث أثبت أن المادة تتكون من أجزاء لا تتجزأ، وهذه الذرات مختلفة في الشكل والمقدار، وهي قديمة من حيث إن الوجود عنده لا يخرج من اللاوجود، والذرات بافتراقها واختلافها وتراكيبها تُكوّن ما يعرف بالكون والفساد، ويطرد ديمقريطس مذهبه الذري إلى أبعد مدى، حيث يعتقد أن الآلهة مركبون من جواهر كالبشر إلا أن تركيبهم أدق، فهم أحكم وأقدر وأطول عمراً، وهم مع ذلك لا يخلدون ومعرضون للقانون العام في الكون والفساد[1].

وينزع ديمقريطس في مذهبه في الجزء الذي لا يتجزأ نزعةً مادية بحته، ولذلك لم يتعرض للمحرك لهذه الذرات ولا للقوة التي تقف حول كونها وفسادها.

---

(١) انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٣٨، تاريخ الفلسفة، أميل برهييه ١/ ١٠٢، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام ص ١٤٣.

وإذا كان ديمقريطس لم يتعرض لمحرك هذه الأجزاء؛ فإن أرسطو (٣٨٤-٣٢٢ ق.م) حاول وصف علة الحركة التي يحرك بها المحرك الأول عالم الكون والفساد، فوصف المحرك الأول بأنه لا يمكن أن يكون متحركًا بذاته وإلا وجب أن ينقسم إلى جزء محرك وجزء متحرك؛ لأن شيئًا واحداً بعينه لا يمكن أن يتحرك بنفس الحركة التي يحرك بها، كما أن الذي يُعلِّم الهندسة لا يتعلمها في نفس الوقت، والمحرك الأول غير متحرك لا بالذات ولا بالعرض، أما المحركون الآخرون[١] فمنهم متحركون بالعرض مع أفلاكهم، والمحرك الأول يحرك دون أن يتحرك شأن المعشوق والمعقول؛ أي: شأن العلة الغائية[٢].

وقد امتد القول بإثبات الجزء الذي لا يتجزأ إلى المتكلمين وتنوعت تعبيراتهم في إثباته تمهيداً لإثبات حدوث الأعراض التي تلحق به، فمثلاً؛ قال الشهرستاني: «الجسم ينتهي بالتجزئة إلى حد لا يقبل الوصف بالتجزيء، ويسميه المتكلمون جوهراً فرداً»[٣]. ولذلك فهناك وجه اتفاق واضح بين المتكلمين وديمقريطس في إثبات الجزء الذي لا يتجزأ، إلا أن

---

(١) عند أرسطو خمسة وخمسون محركًا غير المحرك الأول، انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية ص١٧٩.

(٢) انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية ص١٧٩، ١٨٠، موسوعة الفلسفة، عبد الرحمن بدوي ١/ ١٠٤.

(٣) نهاية الإقدام في علم الكلام ص٥٠٥، وانظر: أصول الدين للبغدادي ص٣٥، المواقف في علم الكلام ص١٨٥، ١٨٦.

ديمقريطس ينزع النزعة المادية كما سبق.

ومن ناحية أخرى يرى المتكلمون أن حلول الحوادث بالله تعالى أفول، والخليل قد قال: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦]، والآفل هو المتحرك الذي تقوم به الحوادث، والله لا يأفل؛ أي: لا يتغير ولا يزول فيتحرك من مكان إلى مكان[١]، وهذا ما قرره أرسطو في **الجملة** وإن كان هناك اختلاف في التفاصيل.

والحاصل مما سبق أن نفي المتكلمين لحلول الحوادث تمتد جذوره إلى ما قبل أرسطو ومروراً به، وهذه سمه بارزة في كثير من المقالات المخالفة للملة.

المطلب الثاني
مقدمات مترابطة أدت إلى القول بدليل الحدوث

تفتتح الكتب الكلامية مقدماتها بالكلام حول النظر والاستدلال، والقصد منها بيان طرق العلم في الوصول إلى المعتقد الصحيح[٢]، سواء بالتفكر أو النظر أو ببيان جملة من الأمور الضرورية أو البدهية التي تكوّن قاعدة أو مقدمة يمكن ترتيب نتائج عليها، وقد يكون النظر واجباً كما يذهب إليه القاضي عبد الجبار بقوله: «إن سأل سائل فقال: ما أول ما

---

(١) سيأتي بيان دليلهم هذا إن شاء الله.

(٢) انظر على سبيل المثال: الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ص ٢٤، المواقف في علم الكلام ص٢١، شرح الأصول الخمسة ص ٣٩.

أوجب الله عليك؟ فقل: النظر المؤدي إلى معرفة الله تعالى؛ لأنه تعالى لا يُعرَف ضرورة، ولا بالمشاهدة، فيجب أن نعرفه بالتفكر والنظر»[١].

وبالنظر سيستدل المتكلمون لوجود الله؛ لأن الكلام فيما بعده فرع عنه، وأهم دليل تتناقله كتب الكلام لإثبات وجود الله هو ما يسمى بدليل حدوث الأجسام، وصورته: إثبات الجزء الذي لا يتجزأ، وهو الجوهر، وأن هذه الجواهر تتنازعها الأعراض من الحركة والسكون والألوان وغيرها لا تنفك عنها، وما لم ينفك عن الأعراض فهو حادث -أي أن هذه الجواهر حادثة-، وإذا ثبت حدوثها كان لابد لها من محدِث، وهو الله سبحانه وتعالى[٢].

وهذا الدليل غير مسلّم بجزئياته، وقد طعن فيه غير واحد من أهل العلم، وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله، لكن المقدمة المعتبرة في هذا الدليل وهي أن (ما لا يخلو من الحوادث فهو حادث) انسحبت على صفات الأفعال المتعلقة بالله تعالى، مثل النزول والمجيء وغيرها على أنها حوادث لا يمكن أن تحل بالله تعالى؛ طرداً لهذا القانون الذي إذا خرم يكون طعناً في دليل إثبات وجود الله الذي هو أصل الأصول، وعلى هذا فدليل نفي الصفات الاختيارية إنما هو حلقة مترابطة ضمن دليل إثبات وجود الله، كما أن من المقدمات الضرورية أيضاً التي يبنى عليها دليل الحدوث ما ذكروه

(١) شرح الأصول الخمسة ص٣٩.

(٢) انظر: الاقتصاد في الاعتقاد ص ١٩، أصول الدين للبغدادي ص ٣٣، الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ص٢٨.

في إثبات الجزء الذي لا يتجزأ[١]، وأن الجواهر لا تنفك عن الأعراض، وليس هذا مجال بحثها وغالبها مُنازع فيها، وقد رأيت في بعض كتب الكلام من يدرج في نهاية الكلام في الصفات الرد على النصارى وقولهم بحلول صفة العلم -أقنوم الكلمة (المسيح)- في بدن عيسى[٢] وكأن المناسبة -والله أعلم- أنه كما أن صفاته لا تحل بالحوادث؛ أيضاً فإن الحوادث لا تحل به.

المطلب الثالث

امتداد القول بحلول الحوادث على بعض المسائل

لما كانت مسألة حلول الحوادث من الأصول التي انبنى عليها مذهب المتكلمين، امتدت إلى كثير من المسائل العقدية، وكونت بذلك عقائد مخالفة، وسأضرب هنا بعض الأمثلة بشيء من الاختصار:

- **القدَر:**

من الأصول المقررة في المذهب الأشعري إنكار تعليل أفعال الله تعالى، وقد ساعدهم في ذلك قولهم بحلول الحوادث، بحيث لا يحل بالله شيء من

(١) ذكر الإمام ابن تيمية أن الجزء من المادة يمكن أن يتجزأ إلى أن يستحيل إلى جسم آخر، كما يوجد في أجزاء الماء إذا تصغرت فإنها تستحيل هواء، انظر: منهاج السنة ١/ ٢١٢ وكلام الإمام ابن تيمية يشهد له العلم الحديث من أن الذرة -أصغر جزء من المادة- عندما تنقسم تتحول إلى طاقة.

(٢) انظر: شرح الأصول الخمسة ص٢٩١، المسائل الخمسون في أصول الدين ص٤٠، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ص٦٤.

حكمة أو علة، وقد أرجع الرازي ذلك إلى شبهته التي يعتمدها في نفي الحوادث وهي الكمال والنقصان، فقال: «إن كان كل من فعل فعلاً لغرض كان بحيث إذا فعل ذلك الفعل كان كاملاً عند حصول الغاية وناقصاً عند عدمها، وكل من كان كذلك كان كاملاً بالغير لا بالذات وهو على الله محال»(١).

وأما المعتزلة فعلى الضد من ذلك، فيقولون بتعليل أفعال الله، لكن هذه العلة مخلوقة لا يرجع إلى الله منها شيء، بناءً على أصلهم في نفي حلول الحوادث، فيقول القاضي عبد الجبار: إن الله خلق المخلوقات وأمر بالمأمورات؛ لحكمة محمودة، وهذه الحكمة مخلوقة منفصلة عنه لا ترجع إليه(٢).

وإن كان الكل نفى حلول الحوادث هنا -أي العلة والغرض- إلا أنهم افترقوا في النتيجة؛ فنفى الأشاعرة التعليل حتى يسلموا من الاعتراض بسؤال مفاده: كيف يجبر الله العباد على -قولهم في الجب- ثم يعذبهم؟ فيقال: إن أفعال الله لا تعلل. أما المعتزلة فزعمهم أن الحكمة مخلوقة، وهذه الحكمة لا تتحقق إلا بكون العبد هو الخالق لأفعاله، حتى يسلموا من الاعتراض على أصلهم الثاني وهو العدل.

---

(١) المسائل الخمسون في أصول الدين ص ٦٢، وانظر: المواقف في علم الكلام ص ٣٣١، نهاية الإقدام في علم الكلام ص٣٩٩، ٤٠٢.

(٢) انظر: المغني في أبواب التوحيد والعدل ٦/ ٤٨، ١١/ ٩٢ نقلاً من كتاب موقف ابن تيمية من الأشاعرة ٣/ ١٣١١.

- **فناء الجنة والنار:**

النتيجة التي انتهى إليها دليل الحدوث هي أن (ما لا يخلو من الحوادث فهو حادث)، أضاف إليها بعض المتكلمين احترازاً بالقول بإبطال حوادث لا أول لها، حيث إن أول من عرف عنه الاستدلال بدليل الحدوث هو الجهم بن صفوان[١]، وقد التزم منع تسلل حوادث لا أول لها كما ينص عليه دليل الحدوث، وطرد المسألة فمنع تسلسل الحوادث في المستقبل، ولذلك اضطر إلى القول: بأن حركات أهل الجنة والنار تنقطع، والجنة والنار تفنيان بعد دخول أهلهما فيهما؛ إذ لا يتصور حركات لا تتناهى[٢]، ومثله أبو الهذيل العلاف من المعتزلة، ذكر أن أهل الجنة والنار يصيرون إلى سكون دائم، وأن الحوادث التي لا أول لها كالحوادث التي لا آخر لها[٣].

وسبب الحديث عن الحوادث المستقبلة؛ هو الحديث عن منع الحوادث التي لا أول لها، ومن هذا نشأ -كما يقول ابن تيمية- البحث في الحوادث المستقبلة، حيث يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «نشأ عن هذا البحث كلامهم في الحوادث المستقبلة، فطرد إماما هذا الطريق: الجهم بن صفوان إمام الجهمية الجبرية، وأبو الهذيل العلاف إمام المعتزلة القدرية، فنفيا ثبوت ما لا يتناهى في المستقبل، فقال الجهم بفناء الجنة والنار، وأبو الهذيل اقتصر

---

(١) انظر: النبوات ١/ ٥٨٥.

(٢) انظر: الملل والنحل ١/ ٨٧.

(٣) انظر: الملل والنحل ١/ ٥١، مذاهب الإسلاميين ص١٧٠.

على القول بفناء حركات أهل الجنة والنار»[١].

- **القول بخلق القرآن:**

القول بخلق القرآن من المسائل المشهورة، ولكن يكفي القول بأن دليل الحدوث اضطر المعتزلة إلى أن ينفوا أن تقوم بالله صفة الكلام، وعلى هذا زعموا أن القرآن مخلوق[٢]، وأما الأشاعرة والماتريدية فنفوا تجدّد صفة الكلام لله تعالى، وقالوا بأن الكلام نفسي، وأما القرآن فما هو إلا عبارة عن كلام الله أو حكاية عن كلام الله[٣].

- **النبوات:**

أما في موضوع النبوة فلدليل الحدوث علاقة، وإن كانت من طرف بعيد، وقد ربط ذلك أبو الحسين البصري -وهو أحد المعتزلة- ذلك، فقال: «وليس أحد يثق بصحة ما جاءت به الرسل إلا بعد المعرفة بصدقهم، ولا تحصل المعرفة بصدقهم إلا بالمعجزات التي تميزهم عن غيرهم، وليس تدل المعجزات على صدقهم إلا إذا صدرت ممن لا يفعل القبيح؛ لكي يؤمن أن نصدق الكذابين، وليس يؤمن أنه لا يفعل القبيح إلا إذا عرف أنه عالم بقبحه، عالم باستغنائه عنه، ولا يعرف القبيح إلا بعد أن يعلم أنه غير

(١) درء تعارض العقل والنقل ١/ ٣٠٥.

(٢) انظر: شرح الأصول الخمسة ٥٢٨.

(٣) انظر: لمع الأدلة ص١٠٣، المواقف في علم الكلام ص ٢٩٤، الماتريدية دراسة وتقويماً ص ٣٦٢.

جسم...»[١].

ومعلوم أن المتكلمين ينفون عنه الجسمية؛ لأنه لو كان جسماً لحلت به الحوادث والأعراض، وهذا ما يسعون لتنزيه الرب عنه.

والأمثلة كثيرة التي تبين الحلقات المترابطة التي تفصح بوضوح أن القواعد التي قعدها المتكلمون في مذاهبهم إنما هي تعمل عملها في سائر مسائل المذاهب، والتي هي ليست جزراً منفصلة بعضها عن بعض كما قد يتصور البعض، بل هي لحمة واحدة، وعلى هذا يتحتم على الدارس لمثل هذه المذاهب دراسة الآلية الاستدلالية التي تعمل عملها في المذهب قبل دراسة المذهب نفسه.

(١) غرر الأدلة -بدون رقم الصفحة- نقلاً عن درء تعارض العقل والنقل ٩/ ١٣٣.

المبحث الثالث

نقد دليل حلول الحوادث

المطلب الأول

مناقشة المتكلمين في مسألة حلول الحوادث

احتج المتكلمون ببعض الأدلة على القول بمنع حلول الحوادث؛ من أجل نفي الصفات الاختيارية، وسأورد أهمها من مصادرها، مبيناً مناقشتها في ضوء منهج السلف.

- **الحجة الأولى:**

قالوا إن القابل للشيء لا يخلو منه أو من ضده، وعلى هذا لو جاز اتصاف الرب بالحوادث لم يخل منها أو من أضدادها، وما لم يخل من الحوادث فهو حادث[1].

يقول الإيجي: «لو قام الحادث بذاته لم يخل عنه وعن ضده، وضد الحادث حادث، وما لم يخل من الحوادث فهو حادث، وهذا ينبني على أربع مقدمات:

الأولى: أن لكل صفة حادثةٍ ضداً.

الثانية: ضد الحادث حادث.

---

(١) انظر: المطالب العالية ٢/ ١٠٨، أبكار الأفكار ١/ ٤٧٨.

الثالثة: الذات لا تخلو عن الشيء وضده.

الرابعة: ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث»[١].

وهذه الحجة حكم عليها الرازي والآمدي بالضعف[٢].

يقول شيخ الإسلام: «إن كان القابل للشيء لا يخلو عنه وعن ضده؛ فالقادر على الشيء لا يخلو عنه وعن ضده، لأن القادر قابل لفعل المقدور، وإن كان قبول القابل للحوادث سيستلزم إمكان وجودها في الأزل فقدرة القادر أزلية على فعل الحوادث، يستلزم إمكان وجودها في الأزل، وإن أمكن أن يكون قادراً مع امتناع المقدور أمكن أن يكون قابلاً مع امتناع المقبول، وإن قيل قبوله لها من لوازم ذاته، قيل قدرته عليها من لوازم ذاته»[٣].

وشيخ الإسلام يريد أن يلزمهم بأن يقولوا فيما نفوه كقولهم فيما ما أثبتوه، ولا فرق؛ لأن المقام واحد، فالقول في المقدور الذي نفوه كالقول في المقبول الذي أثبتوه.

فإن قيل: قبوله للحوادث من لوازم ذاته، قيل: قدرته على الحوادث من لوازم ذاته، فما الفرق؟

---

(١) المواقف في علم الكلام ص ٢٧٧.

(٢) انظر: المطالب العالية ٢/ ١١٠،١٠٨، أبكار الأفكار ١/ ٤٧٨.

(٣) مجموع الفتاوى ٦/ ٢٨٢، وانظر: أيضاً منهاج السنة ٢/ ٣٨٢-٣٨٣، شرح العقيدة الطحاوية ١/ ١٠٤.

- **الحجة الثانية:**

قالوا لو قامت به الحوادث للزم تغيّره، والتغير على الله محال[١].

يقول الشهرستاني: «لو قامت الحوادث بذات الباري سبحانه وتعالى لاتّصف بها بعد أن لم يتّصف، ولو اتّصف لتغيّر، والتغيّر دليل الحدوث؛ إذ لابد من مُغيِّر»[٢].

الجواب: يقال: ماذا يريدون بلفظ (التغير)؛ فهو من الكلام المجمل المشترك؟ هل تريدون بالتغير نفس قيام الحوادث به؟ وعلى هذا فيكون تقدير الحجة: لو قامت به الحوادث لقامت به الحوادث، وهذا لا فائدة منه، وإذا أرادوا بالتغير معنى آخر غير تقدير حلول الحوادث فهذا لا يسلّم لهم ابتداءً، ولا يستطيعون إقامة الدليل عليه. وهذا ملخص رد الآمدي على أصحابه[٣].

وقد سلك ابن تيمية في الرد على هذه الجزئية طريقاً أجود من طريقة الأمدي والرازي، ومضمونها: أن التغير لفظ مجمل، ولا يراد به مجرد كون المحل قامت به الحوادث، فالناس مثلاً لا يقولون إذا غاب القمر: تغير، ولا يقولون للرجل إذا تكلم أو قام: إنه تغير، ولكن يطلقون لفظ التغير على الاستحالة؛ أي: إذا استحال من شيء إلى شيء آخر أو استحالت الصفة إلى

(١) انظر: المطالب العالية ٢/ ١١، أفكار الأفكار ١/ ٤٨٣.

(٢) نهاية الأقدام ١١٥.

(٣) انظر: أبكار الأفكار ١/ ٤٨٣.

صفة أخرى، كما يقولون في الشمس إذا اصفرت: تغيرت، وكذلك الإنسان إذا مرض: تغير، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرعد: ١١]. فإذا كان التغير ما تقدم تفسيره وهو الاستحالة من صفة إلى صفة فهذا المعنى لا يقال في حق الله؛ لأن الله لا يزول عنه شيء من صفاته، وهذا معنى كلام السلف أنه لم يزل متكلماً إذا شاء، ولم يزل قادراً، ولم يزل موصوفاً بصفات الكمال.

أما إذا قالوا: المراد بالتغير أن يتكلم بمشيئته وقدرته ويتصف بالصفات الاختيارية، قيل: هذا المعنى غير ممتنع، وإن سميتموه تغيراً؛ فالعبرة بالحقائق لا بالأسماء والمصطلحات(١).

- **الحجة الثالثة:**

قالوا: حلول الحوادث به أفول، والخليل قد قال: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٰٔفِلِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦]، والآفل هو المتحرك الذي تقوم به الحوادث، فلا يكون إلهاً(٢).

والجواب على ذلك من عدة أوجه:

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل ٤/ ٧٥.

(٢) ذكر هذه الشبهة الرازي في تفسيره مفاتيح الغيب انظر: ١٣/ ٤٥، وانظر: أيضاً مجموع الفتاوى ٦/ ٢٥٢.

١. إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال: «لا أحب الآفلين»، فنفى محبته ولم يتعرض لما ذكروه، فلم يقل لا أحب المتحركين، أو لا أحب المتحولين، أو من تقوم بهم الحوادث، ولم يقل شيئًا مما تقوله النفاة.

٢. أن الأفول باتفاق أهل اللغة والتفسير: الغياب والاحتجاب، وهذا معلوم من لغة العرب(١)، أي: ليس معناه التحرك والحدوث ونحو ذلك، فالشمس لا يقال لها إذا تغير لونها: إنها أفلت، بل لا يقال لها: أفلت، إلا إذا غابت.

٣. من المعلوم أن الحركة في الشمس كانت منذ بزوغها، فلو كان استدلال إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بالحركة على الحدوث لكان بزوغها وظهورها كافيًا في استدلاله، ولم يحتج أن ينتظر حتى تغيب، فهذا يدل على أن الحركة ليست مقصود إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

٤. أن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لو كان يقصد بقوله: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ أي: هذا رب العالمين؛ لكانت قصة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حجة عليهم لا لهم؛ لأن الحركة التي بدأت مع الشمس منذ بزوغها وظهورها لم تمنع إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من قوله: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾(٢)، ولكنّ إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ استدل بالأفول على منع كونه

---

(١) انظر: لسان العرب ١١/ ١٨.

(٢) في قول إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ أقوال، أقربها -والله أعلم- أن إبراهيم قالها مستفهمًا، وتقديره: أهذا ربي؟ كقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤]؛ أي: أفهم الخالدون. انظر الأقوال في: الجامع لأحكام القرآن =

ربَّ العالمين لا الحركة[١].

٥. ومن الأوجه المهمة أن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يرد إثبات الوجودية وإثبات الصانع، وإنما أراد إثبات الألوهية وذم الشرك، بدليل ختام السياق القرآني بقوله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام:٧٩][٢].

واستدلال المتكلمين بقصة إبراهيم غريب جداً؛ فكيف يستدل لوجود الله بهذه الحادثة بعد نبوته وإتيانه الوحي من السماء، فهو قد عرف ربه مسبقاً.

- **الحجة الرابعة:**

قالوا هذه الصفات إن كانت صفات كمال فقد كان فاقداً لها قبل حدوثها، وعدم الكمال نقص، وتنزيه الله تعالى عن النقص واجب، وإن كانت تلك الصفات نقصاً وجب تنزيه الرب عنها[٣]. وهذه الحجة هي التي اعتمدها الرازي بعد أن ضعف بقية الحجج.

=

٧/ ٢٥، زاد المسير ٣/ ٧٤.

(١) انظر على سبيل المثال: مجموع الفتاوى ٦/ ٢٥٣، منهاج السنة ٢/ ١٩٥ درء تعارض العقل والنقل ٢/ ١٦ بغية المرتاد ص ١١٨.

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل ٩/ ٨٣.

(٣) انظر: المطالب العالية ٢/ ١١٠. وينبغي التنبيه هنا على أن أساس هذه الشبهة تجريدهم الذات عن الصفات، وهذا يعلم بالعقل امتناعه. انظر: مجموع الفتاوى ٦/ ٩٥.

والجواب على ذلك من عدة أوجه:

١. لا نسلم أن عدم هذه الأمور قبل وجودها نقص، بل لو وجدت قبل وجودها لكان نقصاً، فإن وجودها في الوقت الذي اقتضته مشيئته سبحانه وحكمته هو الكمال، ومثال ذلك تكليم الله لموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وندائه له، فتكليمه وندائه له حين ناداه وكلمه صفة كمال، ولو ناداه قبل أن يجيء لكان نقصاً.

٢. يقال أيضاً: لا يسلم أن عدم ذلك يكون نقصاً، وما كان ممتنعاً لم يكن عدمه نقصاً.

٣. ويرد أيضاً عليهم بأنه لو فُرضت ذاتان، إحداهما تتكلم بمشيئتها وقدرتها والأخرى بعكس الأولى؛ لكانت الأولى بصريح العقل أكمل من الثانية.

وبعد هذا النقض لمسألة حلول الحوادث أختم ذلك ببعض أهم ما يلزم من اعتمد هذا الدليل، فقد ذكر الإمام ابن القيم أن اعتماد هذا الدليل ونفي الصفات الاختيارية يلزم منه أن يكون ما أثبتوه بمنزلة الجمادات التي لا تفعل شيئاً، فإنهم جعلوا المفعول عين الفعل، وعلى هذا لا يقوم به فعل، فلا يشكر على فعل يقوم به، وإن شكروه فإنما يشكرونه على مفعولاته وهي منفصلة عنه، فلم يشكر على أمر يقوم به عندهم[1].

---

(١) انظر: الصواعق المرسلة ٤/ ١٤٢٨، ١٤٩٠.

المطلب الثاني

موقف السلف والفلاسفة من دليل الحدوث في إثبات وجود الله

إذا كان دليل حدوث الأجسام عمدة المتكلمين في إثبات وجود الله وعليه ينسحب كثير من المسائل التي قررها المتكلمين، سواء تعلقت بصفات الله تعالى أو غيرها من المسائل = فإن خصوم المتكلمين -سواء كانوا من السلف أو من الفلاسفة- لم يُسلّموا للمتكلمين بهذا الدليل، ومن باب أولى ألا يسلّموا لما يتمخّض عنه من نتائج، ولذلك انتُقد هذا الدليل من أكثر من جبهة، سواء من منطلق سلفي أو من منطلق فلسفي، ويكفي هنا في هذا المبحث -مع ما سبق من نقض لبنية الدليل- الإشارة إلى أن الدليل نفسه لم يحظَ بالقبول بوجه عام، حتى وإن كان هو الأصل المعتبر في الاستدلال على وجود الله الذي يعد ثبوته أصلاً تقوم عليه كثير من المسائل العقدية عند المتكلمين، فإن زعزعة هذا الدليل ينعكس سلبًا على ما بني عليه من أصول تحتاج هي أيضًا إلى نظر واستدلال من جديد، ولذلك حكم أهل السنة على أن دليل الحدوث طريقة مبتدعة لإثبات وجود الله لم ترد عن خير القرون، فقد قال ابن عبد البر: «إنه من نظر إلى إسلام أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وسعد وعبد الرحمن وسائر المهاجرين والأنصار وجميع الوفود الذين دخلوا في دين الله أفواجًا علم أن الله عز وجل لم يعرفه واحد منهم إلا بتصديق النبيين بأعلام النبوة ودلائل الرسالة، لا من قِبَل حركة ولا من باب الكل والبعض ولا من باب كان ويكون، ولو كان النظر في الحركة والسكون عليهم واجبًا، وفي الجسم ونفيه، والتشبيه

ونفيه ما أضاعوه، ولو أضاعوا الواجب ما نطق القرآن بتزكيتهم»[١].

ومع أن هذا الدليل لم يستدل به أحد من القرون الأولى إلا أن في الطرق الشرعية لإثبات وجوده تعالى غنية عن طرق أهل الكلام، إضافة أن الله معروف بالعقل والفطرة التي لا تحتاج إلى طرق استدلال كما قال تعالى: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [إبراهيم:١٠]. وأما إذا احتيج إلى العقل في إثبات وجود الله فالأفضل استخدام الأدلة العقلية النقلية فهي أسلم كما في هذا الدليل العقلي النقلي في قوله تعالى: ﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ٣٥ أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ [الطور:٣٥، ٣٦]، وقد روى البخاري عن جبير بن مطعم أنه لما سمع هذه الآية قال: «كاد قلبي يطير»[٢].

ولم ينتقد السلف هذه الطريقة وحدهم؛ بل حتى الفلاسفة الخصوم التقليديون لأهل الكلام، فقد اتهم ابن رشد هذه الطريقة بالصعوبات، وأنها طريقة معتاصة تذهب على كثير من أهل الرياضة في صناعة الجدل فضلاً عن الجمهور، ومع ذلك فهي طريقة غير برهانية ولا مفضية إلى يقين في وجود الباري، وبين ابن رشد أيضاً أن في هذه الطريقة ما لا يتخلص منه العلماء المهرة بعلم الكلام والحكمة فضلاً عن العامة، ولو كُلف الجمهور العلم بهذه الطرق لكان من باب تكليف ما لا يطاق[٣].

---

(١) التمهيد ٧/ ١٥٢.

(٢) أخرجه البخاري في التفسير باب تفسير سورة والطور ح (٤٥٧٣).

(٣) انظر: الكشف عن مناهج الأدلة ص ٤٣، ٤٦.

الخاتمة

وبعد هذه الجولة السريعة في الكلام على مسألة حلول الحوادث لعلي أرجع على بعض النقاط لتأكيدها ولتكون خاتمة البحث، وهي في ما يلي:

- المضاف إلى الله سبحانه وتعالى إما أن يكون عينًا فيكون من باب إضافة المخلوق إلى خالقه، أو وصفًا -سواءً كان فيه معنى الفعل أو لم يكن- فهذا من باب إضافة الصفة إلى الموصوف.

- أهل السنة والجماعة يثبتون الصفات الاختيارية، وأن الله سبحانه وتعالى متصف بها متى شاء، وأما مصطلح حلول الحوادث فلا يلزمهم؛ لأنهم لا يقبلون المصطلحات غير الشريعة إلا بالاستفصال عنها، فيأخذون المعنى المقبول ويردون المعنى الباطل، خلافًا لأهل الكلام الذين نفوا الصفات الاختيارية بحجة حلول الحوادث.

- لم تكن مقدمات دليل الحدوث من بنيّات أفكار المتكلمين بصورة محضة، ولكن بعض تلك المقدمات ممتد في الزمان الماضي إلى ما قبل الميلاد، متشربة أفكار ديمقريطس وأرسطو.

- نفي حلول الحوادث مقدمة أساسية في دليل إثبات وجود الله عند المتكلمين، وعلى هذا حرصوا على المدافعة عنه حتى يسلم لهم الأصل الذي هو إثبات وجود الله.

- لم تقتصر مسألة نفي حلول الحوادث على مسائل الصفات فحسب، بل انسحبت على مسائل كثيرة كمسائل القدر والنبوات وغيرها.

- دليل حلول الحوادث والاستدلال على وجود الله لم يلق تسليمًا؛ ليس على الصعيد السلفي فحسب، بل حتى على الصعيد الفلسفي.

فهرس المراجع

- أبكار الأفكار في أصول الدين، سيف الدين الآمدي، تحقيق: أحمد محمد المهدي، مطبعة دار الكتب والآثار القومية، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ، القاهرة.
- اجتماع الجيوش الإسلامية، ابن قيم الجوزية، تحقيق: د. عواد عبد الله المعتق، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.
- الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله الجويني، تحقيق أسعد تميم، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.
- أصول الدين، عبد القاهر بن طاهر البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.
- الاقتصاد في الاعتقاد، أبو حامد الغزالي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، بيروت، لبنان
- الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، أبو بكر الباقلاني، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
- إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة، تحقيق: وهبي سليمان الألباني، دار السلام، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.
- بغية المرتاد، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: سعيد لحام، دار الفكر العربي، بيروت، الطباعة الأولى، ١٩٩٠م.

- تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، محمد علي أبو ريان، دار النهضة العربية، الطبعة الثانية، ١٩٧٣م بيروت، لبنان.
- تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم، دار القلم، بيروت، لبنان، بدون رقم الطبعة ولا تاريخها.
- تاريخ الفلسفة، إميل برهييه، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م.
- التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٥م، بدون رقم الطبعة.
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر ابن البر، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٣٨٧هـ، المغرب، بدون رقم الطبعة.
- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.
- التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، أبو بكر بن خزيمة، تحقيق: عبد العزيز الشهوان، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة السادسة، ١٤١٨هـ.
- جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ،١٩٩٣م، بدون رقم الطبعة.

- درء تعارض العقل والنقل، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق، د. محمد رشاد سالم، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض، بدون رقم الطبعة وتاريخها.
- زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج ابن الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون رقم الطبعة ولا تاريخها.
- سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.
- شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار بن أحمد، تحقيق: د. عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.
- شرح العقيدة الطحاوية، علي بن أبي العز الحنفي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي وشعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة،١٤١٢هـ، ١٩٩١م.
- صحيح البخاري، محمد إسماعيل البخاري، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م، بدون رقم الطبعة.
- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.
- الكشف عن مناهج الأدلة (ضمن فلسفة ابن رشد) محمد بن أحمد بن رشد الحفيد، دار العلم للجميع، الطبعة الثانية، ١٣٥٣هـ،١٩٣٥م.
- لسان العرب، ابن منظور الأفريقي، دار صادر، بيروت، بدون رقم

طبعة وتاريخها.

- لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة، إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله الجويني، تحقيق: د.فوقية حسين، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ،١٩٨٧م.
- الماتريدية دراسة وتقويمًا، أحمد بن عوض الحربي، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
- مجموع الفتاوى، ابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن ابن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، المدينة المنورة،١٤١٦هـ،١٩٩٥م، بدون رقم الطبعة.
- مذاهب الإسلامين، عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م،
- المسائل الخمسون في أصول الدين، فخر الدين الرازي، تحقيق: محمد حجازي السقا، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ،١٩٩٠م.
- المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة، جمع وتحقيق: عبد الإله الأحمدي، دار طيبة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ،
- المطالب العالية من العلم الإلهي، فخر الدين الرازي، تحقيق: أحمد حجازي السقا، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

- مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.
- الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م، بدون رقم الطبعة.
- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د.محمد رشاد سالم، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.
- المواقف في علم الكلام، عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، عالم الكتب، بيروت، بدون رقم الطبعة وتاريخها.
- موسوعة الفلسفة، عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت الطبعة الأولى، ١٩٨٤م.
- موقف ابن تيمية من الأشاعرة، عبد الرحمن بن صالح المحمود، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.
- النبوات، ابن تيمية، تحقيق: عبد العزيز الطويان، أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
- نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد، تحقيق: عبد العزيز الراجحي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- نهاية الإقدام في علم الكلام، عبد الكريم الشهرستاني، حرره وصححه: الفرد جيوم بدون ذكر الدار أو البلد أو الطبعة وتاريخها.

فهرس الموضوعات

ملخص البحث ١٣
المقدمة ١٥
تمهيد ١٧
المبحث الأول: تصوير المسألة في ضوء منهج السلف ٢٠
المطلب الأول: تأصيل القول في المضافات إلى الله سبحانه ٢٠
المطلب الثاني: منهج السلف في التعامل مع الألفاظ التي لم ترد
على لسان الشارع ٢٢
المبحث الثاني: تشكّل دليل الحدوث وامتداداته ٢٥
المطلب الأول: جذور دليل الحدوث ٢٥
المطلب الثاني: مقدمات مترابطة أدت إلى القول بدليل الحدوث ٢٧
المطلب الثالث: امتداد القول بحلول الحوادث على بعض المسائل ٢٩
المبحث الثالث: نقد دليل حلول الحوادث ٣٤
المطلب الأول: مناقشة المتكلمين في مسألة حلول الحوادث ٣٤
المطلب الثاني: موقف السلف والفلاسفة من دليل الحدوث في
إثبات وجود الله ٤١
الخاتمة ٤٣
فهرس المراجع ٤٤
فهرس الموضوعات ٤٩

ما جاز من السؤال في أمور الاعتقاد

د. أبو بكر بن سالم شهال

أكاديمي لبناني، أستاذ مساعد بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد، فهذا بحث فيما يجوز من الأسئلة العقدية، وتصنيفها على أنواعٍ بحسب الدافع والباعث لها، واستخراج أنواع أساسية تندرج تحتها، وقد اقتصرت فيه على التمثيل لكل نوعٍ من أنواع الأسئلة الجائزة دون استقصاء في التمثيل والاستدلال.

وقد توصلت إلى ذكر خمسة أنواع أساسية من الأسئلة العقدية؛ هي:

السؤال التعليمي الإرشادي، وهو كما حصل للنبي ﷺ مع جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكما حصل من النبي ﷺ في طرح بعض الأسئلة على أصحابه رضوان الله عليهم؛ لأجل تعليمهم.

وسؤال الاستعلام، وهو طلب العلم وهو كثير في الصحابة، وقدمت في التمهيد عن حكم هذا النوع من الأسئلة، وهل مُنع الصحابةُ مِنهُ أم أنّهُ مأذونٌ لهم فيه، وبينت أن هناك بعض المحاذير إذا خلت من السؤال فإنه يكون جائزاً ساعتئذ.

وكذلك هناك سؤال ناشئ عن نصّين ظاهرهما التعارض، فيأتي الجواب ليزيل ذاك الإشكال، ويزيح ما اعترى الذهن من الخيال.

وهناك نوع رابع من الأسئلة، وهو سؤال الاختبار؛ ليعلم السائل مدى علم المسؤول في هذه الأمور، وقد حصل الأمر من النبي ﷺ في عدة مناسبات، ومنها ما يتعلق بأمور العقيدة.

وهناك سؤال آخر يشبه ذاك السؤال وهو سؤال الامتحان؛ ليعلم ما يعتقده الإنسان وليعلم مدى إيمانه، وقد حصل هذا أيضاً في عدة حوادث، أشهرها امتحان ﷺ النساء المؤمنات المهاجرات.

وامتحان النبي ﷺ الجارية، بسؤالها: «أين الله؟».

وبهذه الأنواع من الأسئلة، أكون قد ذكرت أصول أنواع الأسئلة الجائزة والمشروعة، سائلاً الله تعالى أن يجعل هذا العمل مباركاً خالصاً لوجهه الكريم، إنه سميع الدعاء.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

كتبه: أبو بكر بن سالم شهال

dr.ab.shahal@gmail.com

In The Name of ALLAH, The Most Gracious, The Most Merciful

Permissible Questions in Issues related to the Creed

Prepared by: ***Dr. Abu Baker Salem El Chahal***

Lebanese Academic, assistant professor in the Department of Creed and Contemporary Schools of Thought, Faculty of Theology in Imam Muhammed bin Saud Islamic University.

Abstract

All praise is due to Allah, The Lord of the worlds, and may Allah exalt the mention and send peace to the trustworthy Prophet Muhammed, all his family and companions.

Having said so:

This is an essay that discusses the permissible questions about issues regarding to the creed. It classifies the questions according to the motivation and incentive behind them and it also extracts the basic categories for these questions. I submitted a brief example for each type of these permitted questions.

I concluded that there are five main types of questions regarding the creed and they are as follows:

The question when seeking knowledge and guidance*: an example of that is when the Prophet Muhammed (may Allah exalt his mention and send peace to him) asked the angel Gabriel (peace be upon him) questions. It also include when the Prophet (may Allah exalt his mention and send peace to him) questioned his companions (may Allah be pleased with them) in order to teach them.*

The question when seeking information*: which is seeking knowledge. We find this type inquired by the companions*

many times. I presented the religious rule regarding this type of questions and whether the companions were allowed to ask such questions or not. I declared that if the question doesn't include any forbidden things it will be permissible.

***The question about two seemingly conflicting texts**: the answer comes to remove this confliction and to dislodge any imagination gripping in the head.*

***The testing question:** is the fourth type. This type of question is asked by the questioner to know how much knowledge the one asked have about a certain topic. The Prophet (may Allah exalt his mention and send peace to him) did this in many occasions, including issues related to the creed.*

***The exam question:** this kind of question is quite similar to the former one. The intention behind this question is to know about the person's belief and to see how great his faith is. We could find this kind of questions in many situations and the most famous of them happened when the Prophet Muhammed (may Allah exalt his mention and send peace to him) tested the believing women that had migrated. And with the Prophet (may Allah exalt his mention and send peace to him) testing the maid when he asked her: "Where's Allah?"*

By these types of questions, I would have mentioned the basic kinds of permissible and the religiously legislated questions. I ask Allah the Almighty to bless this work for the sake of His perfect Face. He's the one responding to prayers.

May Allah exalt the mention and send peace to the trustworthy prophet Muhammed, all his family and companions.

Written by: Abu Baker Salem El Chahal
Translated by: Abida El Chahal

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلن تجد له وليًا مرشداً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

وقال عز من قائل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد: فإن خيرَ الحديثِ كلامُ الله، وخيرَ الهدي هدي نبيِّنا محمدٍ رسول الله ﷺ، وشرّ الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالة في النار.

ألا وإن الهدى لا يكون إلا وفق ما جاء في الكتاب والسنة، في أصول الدين وفروعه، لا فرق بين أصل وفرع، ولا فرق بين أصل وأصل، ولا بين فرع وآخر.

ولقد بُنيت الشريعة الإسلامية على التسليمِ والانقيادِ؛ لأنها جاءت موافقة للفِطَر السليمةِ والعقولِ الجيادِ، فمن حادَ عنها فبهوىً مُتَّبع، أو بِفَهم مُبتدَع، ولما كانت الأفهام متفاوتةً، والعقولُ متباينةً؛ شُرع السؤال عن الشرع لغاية مهمة غالية، سواء كان السؤال من الأدنى للأعلى أو من الأعلى للأدنى؛ وذلك ليكمل مفهوم الحقِّ لدَى السائلِ أو المخاطَب أو السامع، فهناك علوم لا تعرف إلا بالسؤال، فامرؤٌ يسأل عن أمر يتعلمه، وآخر يسأل لحاجة ملحّةٍ لعلّه يجد جوابها، أو عن مسألة مشكلة عصي عليه حَلُّها.

وقد يكون السؤال لغاية نبيلة من السائل؛ ليعلّم أو ينبِّه المسؤول أو السامع أو المحاور، أو يرشده لأمر قد غفل عنه، أو يوقظه من غفلة رانَتْ على قلبِهِ، وغطت فهمه فحجبت عنه الهدى، فلم يستطع السلوك في دربِه.

كما أنه قد يكون السؤال عن أمر لا يجوز السؤال عنه، أو تكون الغاية من السؤال والمقصد منه سيئةً، كالتنطع، أو الشك والتشكيك، وما أشبه ذلك.

وقد وجدت أن أمر الأسئلة في باب العقائد مهمّ جداً؛ لأنه تعتريه عدة أغراض وأحكام، وهو في الوقت نفسه واسع ومتشعب، وليس هو كباب الفتاوى في العقيدة، فإن هذا جزء يسير من باب الأسئلة التي أنا بصدد الكتابة عنها، وقد رأيت أن أهم ما يُبدأ به في باب الأسئلة معرفة أنواع الأسئلة التي يجوز أن تُسأَلَ أو يُسأَلَ عنها في أمور العقيدة، وأردفه ببحث آخر فيما لا يجوز منه، ثم يأتي بعد ذلك إن شاء الله بحوث متفرقة في أمور تفصيلية متعلقة بالأسئلة.

وقد وقع الاختيار على العنوان التالي: (**ما جاز من السؤال في أمور**

الاعتقاد) سائلاً الله تعالى التوفيق والرشاد، والإخلاص والسداد، إن ربي سميع الدعاء.

۞ أهمية الموضوع:

١- كثرة الأسئلةِ العقدية في الكتاب والسنة وتنوعها، وفي هذا البحث تبويب وترتيب لما جاز من السؤال العقدي.

٢- أن كثيراً من الأسئلة تبنى عليها المعرفة وتزداد، ويتطور به المخزون العلمي للإنسان، لذلك كان لا بدّ من إفرادها بالدراسة حتى يكتمل عقد المعرفة.

٣- أن للسؤال تأثيراً نفسيًا ووجدانيًا في المسؤول، حيث إنه يشحذ ذهنه، ويثير عاطفته، ويحرك تفكيره، وفي هذا البحث بيان ذلك في الأمور العقدية من خلال ضرب الأمثلة على ذلك.

٤- الحاجة إلى بيان الأسئلة الجائزة في العقيدة.

٥- الحاجة إلى بيان أهمية المسؤول عنه، ومنزلته من الاعتقاد.

۞ أهداف البحث:

١- الوقوف على أنواع الأسئلة الجائزة في الكتاب والسنة.

٢- بيان السؤال الجائز منها، ودراسته وبيان الأمثلة على ذلك.

٣- بيان أهمية طريقة الأسئلة في تبليغ العقيدة، سواء أكان سؤالاً مفرداً، أم سؤالاً حواريًا.

٤- بيان الغرض من الأسئلة العقدية الجائزة.

۞ الدراسات السابقة:

لم أقف على بحث متعلق بما يجوز من السؤال العقدي، وما وجد من الدراسات أكثره يتركز على الناحية التربوية والأداء التعليمي، وهذه بعض الدراسات المتعلقة بذاك الجانب.

١- منهج السلف في السؤال عن العلم وفي تعلُّمِ ما يقعُ وما لم يقعْ، للشيخ عبد الفتاح أبو غدة. نشر دار البشائر في بيروت.

٢- السؤال في القرآن الكريم وأثره في التربية والتعليم، إعداد: د. أحمد بن عبد الفتاح ضليمي، وهو بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية (عدد١١١).

٣- أسئلة الرسول ﷺ في الصحيحين، وتطبيقاتها التربوية، (دراسة حديثية موضوعية) وهو رسالة لاستكمال متطلبات درجة الماجستير، قسم الثقافة الإسلامية في جامعة الملك سعود، للباحثة نعمات محمد جعفري، نشر مكتبة الرشد.

٤- السؤال في ضوء القرآن الكريم (دراسة موضوعية)، إعداد الباحثة: وردة مصطفى كحيل، قسم التفسير، وهو عبارة عن رسالة مقدمة لاستكمال درجة الماجستير، في الجامعة الإسلامية بغزة، تعرضت فيه صاحبته لصيغة (سأل) ومشتقاتها في القرآن الكريم، وهو أشبه بجمع الآيات المتعلقة بالسؤال، مع التعليق على بعضها.

٥- دور السؤال التعليمي الإرشادي في تعلم ونشر علم العقيدة، لمحمود محمد عراقي، منشور على الشبكة في موقع الألوكة.

۞ خطة البحث:

بعد الشروع في البحث واستقراء مادته العلمية، تبيّن لي أنه يمكن حصر ما جاز من السؤال عنه في أمورالاعتقاد في خمسة أنواع، ولذا أفردت مبحثاً خاصاً لكل نوع.

فتكونت خطة البحث من: مقدمة، وتمهيد، وخمسة مباحث.

التمهيد: وفيه الكلام حول التعريف بالسؤال والاستفهام والاستخبار، وحكم السؤال، وأهمية السؤال للعالم والمتعلم.

المبحث الأول: السؤال التعليمي والإرشادي.

المبحث الثاني: سؤال التعلم.

المبحث الثالث: سؤال رفع الإشكال.

المبحث الرابع: سؤال الاختبار.

المبحث الخامس: سؤال الامتحان.

۞ منهج البحث:

جريت في بحثي هذا على استقراء الآيات وكثير من الأحاديث النبوية المتعلقة بالأسئلة؛ حتى أتمكن من تكوين فكرة أساسية أنطلق منها في هذا البحث، فصنفت الأسئلة الجائزة في أمر العقيدة على الغرض من السؤال، ومثّلت لكل صنف بعدة أمثلة يتبيّن منها المراد، ولم أقصد استيعاب

الأسئلة، فذاك أمر تنقطع دونه أعناق الإبل، ويصاب متكبدها بالفاقرة.

كما أنني لم أصنف البحث بحسب الأمر المسؤول عنه، فلذلك موطن آخر إن شاء الله، ولكن صنفته بحسب الغرض من السؤال - كما تقدم -.

واعتمدت على أقوال المفسرين والشراح وأهل العلم الآخرين لبيان الغرض من السؤال، والفوائد المستنبطة منه، وأضفت ما تيسر مما فتحه الله تعالى عليّ، مما لم أقف عليه في مظانّه عند العلماء.

وأما بالنسبة للأحاديث النبوية الشريفة العالية الرتبة المنيفة، فإني لم أعتمد إلا على الصحيح منها، وربما نزلت لما فيه نوع ضعف مع بيان ذلك إما بنقل التضعيف، أو بتصديره بصيغة التمريض (يُروى، وروي)، سائلاً الله تعالى أن يتقبل منّا ما عملنا، إن ربي سميع الدعاء.

وصلِّ ربِّ كلّما طرْفٌ طَرَفْ على النَّبِيْ وآلِهِ ومنْ سَلَفْ

التمهيد

اقتضت طبيعة البحث أن يكون له تمهيد مكّون من ثلاثة مطالب:

- **الأول**: الكلام على تعريف السؤال وما يشابهه ويقاربه من ألفاظ.
- **الثاني**: حكم السؤال.
- **الثالث**: الفائدة من استخدام طريقة السؤال من الناحية البلاغية والتعليمية.

المطلب الأول
معنى السؤال والألفاظ ذات الصلة

أما تعريف السؤال وما يشابهه؛ فإن العلماء قسموا السؤال إلى قسمين: سؤال بمعنى الاستفهام عن الشيء، وسؤال بمعنى طلب الشيء[١].

قال الراغب[٢] في المفردات: «السُّؤَالُ: استدعاء معرفة، أو ما يؤدّي إلى المعرفة، واستدعاء مال، أو ما يؤدّي إلى المال، فاستدعاء المعرفة جوابه

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن (٣/ ١٤٩)، ويدل على ذلك ما سيأتي من نقول عن الشراح وأهل اللغة.

(٢) أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصبهاني، الملقب بالراغب، صاحب التصانيف، له مفردات القرآن، وأفانين البلاغة، والمحاضرات، كان من أذكياء المتكلمين، كان في أوائل المائة الخامسة، وصفه الذهبي بقوله: «قال العلامة الماهر، المحقق الباهر»، اختلف في تاريخ وفاته، قال: «لم أظفر له بوفاة ولا بترجمة»أ.هـ.
انظر ترجمته: سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٢٠-١٢١) وبغية الوعاة (٢/ ٢٩٧) طبقات المفسرين للداوودي (٢/ ٣٢٩).

على اللّسانِ، واليدُ خليفةٌ له بالكتابة، أو الإشارة.

واستدعاء المال جوابه على اليدِ، واللّسانُ خليفة لها إمّا بوعد، أو بردّ»[١].

وقال: «والسؤال على ضربين:

- طلب مقال، وجوابه المقال.
- وطلب نوال، وجوابه النّوال.

فعلى الأول: ﴿أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ﴾ [الأحقاف: ٣١]، وقال: ﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ﴾ [الأحقاف: ٣٢].

وعلى الثاني قوله: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا﴾ [يونس: ٨٩]، أي: أعطيتما ما سألتما»[٢].

وقال أبو هلال العسكري[٣]: «وَالسُّؤَال هُوَ طلب الإخبار بأداته فِي الإفهام، فَإِن قَالَ: مَا مذهبك فِي حُدُوث الْعَالم؟ فَهُوَ سُؤال؛ لِأَنَّهُ قد أَتَى

---

(١) المفردات (ص ٤٣٧)

(٢) المرجع نفسه (ص٢١٠)

(٣) الْحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهْرَان، أَبُو هِلَال العسكري، كَانَ مَوْصوفًا بِالْعلمِ وَالْفِقْه، وَالْغَالِب عليْهِ الْأَدب وَالشعر، وَله من التصانيف: كتاب صناعتي النّظم والنثر، التَّلْخِيص فِي اللُّغَة، جمهرة الْأَمْثَال، شرح الحماسة، ديوَان شعره،... وَغير ذَلِك. مات بعد الأربعمائة. انظر: معجم الأدباء (٢/ ٩١٨-٩١٩) بغية الواعاة (١/ ٥٠٦-٥٠٧).

بِصِيغَة السُّؤَال، وإن قال: أخبرني عن مذهبك في حدوث العالم، فمعناه معنى السؤال وَلَفظه لفظ الْأَمر»[١]. انتهى.

قلت: ولعل هذا الثاني ما عبر عنه الراغب بـ«طلب نوال، وجوابه النوال»، فهنا طلب منه أن يعطيه مقالته ومذهبه في حدوث العالم.

وقال ابن فورك[٢]: «السؤال: طلب البيان عن المعنى من المجيب»[٣]، وقال الماتريدي[٤]: «والسؤال، وهو الاستخبار عما يسرّ ويضمر؛ ليظهر ذلك»[٥].

فـ«إن قيل: كيف يصحّ أن يقال: السّؤال يكون للمعرفة، ومعلوم أنّ الله تعالى: يَسْأَلُ عباده نحو: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾

---

(١) الفروق اللغوية (ص٣٧)

(٢) أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني، بلغت مصنفاته قريبًا من مائة مصنف، ودعي إلى مدينة غزنة، وجرت له بها مناظرات، قال الذهبي: «كان أشعريًا، رأسًا في فن الكلام» إ.هـ. وقعت له مناظرة مع السلطان محمود بن سبكتكين، فبُهت، فمات على إثرها، وقيل سمّ في الطريق. توفي سنة ٤٠٦هـ. انظر: السير للذهبي ١٧/ ٢١٤، طبقات المفسرين للداوودي (٢/ ١٣٢-١٣٣).

(٣) تفسير ابن فورك (١/ ٤٠٨).

(٤) مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مَحْمُود أَبُو مَنْصُور الماتريدي الحنفي، إليه تنسب (الماتريدية)، تخرج بِأبي نصر العياضي، لَهُ كتاب التَّوْحِيد وَكتاب المقالات، وَكتاب رد أهل الْأَدِلَّة للكعبي، وَكتاب بَيَان أَوْهَام الْمُعْتَزلَة، وَكتاب تأويلات الْقُرْآن، وَله كتب شَتَّى، مَاتَ سنة ٣٣٣هـ. انظر ترجمته في: الجواهر المضية في طبقات الحنفية: (٢/ ١٣٠-١٣١).

(٥) تفسير الماتريدي (٤/ ٣٦٠).

[المائدة: ١١٦]؟

قيل: إنّ ذلك سُؤَالٌ لتعريف القوم، وتبكيتهم لا لتعريف الله تعالى، فإنه علّام الغيوب، فليس يخرج عن كونه سؤالاً عن المعرفة، والسُّؤَالُ للمعرفة يكون تارة للاستعلام، وتارة للتّبكيت، وتارة لتعريف المسؤول وتنبيهه لا ليُخبِر ويُعلِم، وهذا ظاهر»(١).

تعريف الألفاظ المتقاربة ذات الصلة بالموضوع:

وأما الألفاظ المتقاربة فهي: الطلب، والاستخبار، والاستفهام، والاستعلام.

- الْفرق بَين السُّؤَال والاستخبار:

قال العسكري: «الاستخبار طلب الْخَبَر فَقَط، وَالسُّؤَال يكون طلب الْخَبَر، وطلب الْأَمر وَالنَّهْي، وَهُوَ أَن يسأل السَّائِل غَيره؛ أَن يَأْمُرهُ بالشيء أَو ينهاه عَنهُ، وَالسُّؤَال وَالْأَمر سَوَاء فِي الصِّيغَة، وَإِنَّمَا يَخْتَلِفَانِ فِي الرُّتْبَة، فالسؤال من الْأَدْنَى فِي الرُّتْبَة، وَالْأَمر من الأرفع فِيهَا»(٢).

قلت: طلب الأمر والنهي ههنا هو من نوع ما عُبّر عنه بطلب النوال أو طلب الاستعطاء.

وقال عن الْفرق بَين السُّؤَال والاستفهام: «إِن الِاسْتِفْهَام لَا يكون إِلَّا لما

(١) المفردات (ص٤٣٧).

(٢) الفروق اللغوية (ص٣٧).

يجهله المستفهم أَو يشك فِيهِ، وَذَلِكَ أَن المستفهم طَالب لِأَن يفهم، وَيجوز أَن يكون السَّائِل يسْأَل عَمَّا يعلم [مَن] لَا يعلم، فَالْفرق بَينهمَا ظَاهر...وَالسُّؤَال هُوَ طلب الإخبار بأداته فِي الإفهام...» انتهى[١].

قال الزركشي[٢] في البرهان عن الِاسْتِخْبَار: «هُوَ طَلَبُ خَبَرِ مَا لَيْسَ عندك، وهو بمعنى الاستفهام؛ أَيْ: طَلَبُ الْفَهْمِ، وَمِنْهُمْ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَهُمَا بِأَنَّ الِاسْتِخْبَارَ مَا سُبِقَ أَوَّلاً وَلَمْ يُفْهَمْ حَقَّ الْفَهْمِ، فَإِذَا سَأَلَتْ عَنْهُ ثَانِيًا كَانَ اسْتِفْهَامًا. حَكَاهُ ابْنُ فَارِسٍ فِي فِقْهِ الْعَرَبِيَّةِ»[٣].

وقال الراغب -في تفسيره- عن الفروقات بين هذه الألفاظ المتقاربة: «والطلب والسؤال والاستخبار والاستفهام والاستعلام متقاربة، ومترتب بعضها على بعض، فالطلب أعمها؛ لأنه قد يقال فيما تسأله من غيرك، وفيما تطلبه بنفسك.

والسؤال لا يقال إلا فيما تطلبه من غيرك، فكل سؤال طلب، وليس كل طلب سؤالاً، والسؤال يقال في الاستعطاف[٤]، فيقال سألت فلانًا كذا،

---

(١) المصدر نفسه (ص٣٧).

(٢) الفقيه بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله التركي الأصل ثم المصري الزركشي الشافعي، ولد سنة ٧٤٥هـ، رحل إلى دمشق فسمع من ابن كثير علوم الحديث، من كتبه: تكملة شرح المنهاج للأسنوي، والبحر في أصول الفقه، والبرهان في علوم القرآن، توفي سنة ٧٩٤هـ انظر: الدرر الكامنة (٥/ ١٣٥) والشذرات (٨/ ٥٧٣).

(٣) البرهان في علوم القرآن للزركشي: (٢/ ٢٣٦).

(٤) كذا، ولعل الصواب: «الاستعطاء» هو ما أشار إليه بطلب النوال. والله أعلم.

ويقال في الاستخبار، فيقال سألته عن كذا.

وأما الاستخبار فاستدعاء الخبر، وذلك أخص من السؤال، وكل استخبار سؤال، وليس كل سؤال استخباراً.

والاستفهام طلب الإفهام وهو أخص من الاستخبار، فإن قول الله تعالى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ [المائدة:١١٦]، استخبار، وليس استفهاماً، وكل استفهام استخبار، وليس كل استخبار استفهاماً.

والاستعلام: طلب العلم، فهو أخص من الاستفهام، إذ ليس كل ما يفهم يعلم بل قد يظن، ويحتمل أن كل استعلام استفهام وليس كل استفهام استعلاماً»(١).

وقال: «والاستخبار أعمّ من الاستفهام، وكل استفهام استخبار، وليس كل استخبار استفهاماً»(٢).

وقال: «والمستخبِر قد يقصد إلى أخذ إقرار المستخبَر أو إلى إلجائه إلى الإقرار بما ينكره»(٣).

وبما أن (السؤال) يُعدّ أعم هذه الأنواع التي استخدمت فيها أدوات الاستفهام، فقد يكون للاستفهام والاستعلام، والتقرير والإنكار، وقد يكون ممن يعلم لمن لا يعلم = فقد اخترت أن يكون البحث تحت هذا الاسم

(١) تفسير الراغب الأصبهاني (٥/ ٤٦٦).

(٢) المصدر نفسه (٢/ ٧٨٧).

(٣) المصدر نفسه (٢/ ٧٨٧)

دون غيره من الألفاظ المتقاربة.

ولا أُدخل في هذا البحث السؤال بمعنى طلب الشيء، كقول إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٠]، وقول موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، بل أكتفي بما جاء بصيغة الاستفهام.

المطلب الثاني
حكم السؤال

لا بد للإنسان في هذه الحياة أن تواجهه تساؤلات وإشكالات، تجعله حائراً في جوابها، فيحتاج إلى عالم ليعرض عليه ذلك، وهذا ما أرشد الله إليه بقوله: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣] ولقد ذم النبي ﷺ من أقدم على الفتيا من غير سؤال أهل العلم، وقد ورد في حديث الذي شُجّ رأسُه أنه احتلم من الليل فسأل عن حكم الاغتسال، فقيل له لا نجد لك رخصة، فاغتسل فمات، فلما أُخبر النبي ﷺ بذلك، قال: «قتلوه قتلهم الله، ألا سألوا إذ لم يعلموا، فإنما شفاء العيّ السؤال[1]».

وعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، قالت: «رحم الله نساء الأنصار، لم يمنعهن الحياء أن يسألن عن أمر دينهنّ[2]»، وعن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «زيادة العلم

---

(١) رواه أبوداود (٣٣٦) وابن ماجه (٥٧٢) صححه الألباني في صحيح الجامع (٤٣٦٣).

(٢) رواه البخاري (العلم - باب (٥٠) الحياء في العلم) معلقاً، ورواه مسلم موصولاً (ح: ٣٣٢).

الابتغاء، ودرك العلم السؤال[١]»، وقيل لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنى أصبت هذا العلم؟ قال: «بلسان سؤول، وقلب عقول[٢]».

وعن ابن شهاب الزُّهْرِيِّ[٣]، قَالَ: قَالَ الْمُهَاجِرُونَ لِعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَلَا تَدْعُو أَبْنَاءَنَا كَمَا تَدْعُو ابْنَ عَبَّاسٍ؟، قَالَ: «ذَاكُمْ فَتَى الْكُهُولِ؛ إِنَّ لَهُ لِسَانًا سَئُولاً وَقَلْبًا عَقُولاً»[٤].

وعن ابن شهاب أيضًا، قال: «العلم خزائن، ومفاتيحها السؤال»[٥].

وقال بعض المتقدمين[٦]:

إذا كنتَ في بلدٍ جاهلاً ... وللعلمِ ملْتمِسًا فاسألِ

فإنَّ السُّؤال شفاء العمى ... كما قيل في المثل الأوّلِ

---

(١) جامع بيان العلم (١/ ٣٧٤).

(٢) المدخل للسنن الكبرى للبيهقي (١/ ٢٩١).

(٣) ابن شهاب، محمد بن مسلم بن عبيد الله أبو بكر القرشي الزهري المدني، إمام الحفاظ وعالمهم، حدث عن ابن عمر وأنس ومحمود بن الربيع وصغار الصحابة، وكبار التابعين، قال الليث: ما رأيت عالمًا قط أجمع من الزهري، ت١٢٤ ه، على الصحيح، انظر: تذكرة الحفاظ (١/ ١٠٨) وتقريب التهذيب (ص٥٠٦).

(٤) رواه البيهقي في المدخل (ص٢٩٠).

(٥) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١/ ٣٧٤) والمدخل للسنن الكبرى (ص٢٩١).

(٦) هكذا نسبه ابن عبد البرّ في جامع بيان العلم وفضله (١/ ٣٧٥)، وقال: «أُنشدْتُ عن بعض المتقدمين»، وذكره الفيروزآبادي (٣/ ١٦٨) مع بعض الاختلاف، ولم ينسبه لأحد.

وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ[١]:

أَلَا خَبِّرُونِي أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا ... سَأَلْتُ وَمَنْ يَسْأَلْ عَنِ الْعِلْمِ يَعْلَمِ

سُؤَالَ امْرِئٍ لَمْ يَعْقِلِ الْعِلْمَ صدْرُهُ ... وَمَا السَّائِلُ الْوَاعِي الْأَحَادِيثَ كالْعَمِ[٢]

والمتتبع للكتاب والسنة يجد أن صيغة الأسئلة في الكتاب والسنّة قد كثرت، وتعددت أغراضها، فجاء في القرآن الكريم عدة أسئلة من الصحابة للنبي ﷺ، فجاء جوابها في الوحي القرآني، كما كانت هناك أسئلة كثيرة كان جوابها من النبي مباشرة، كما أن القرآن والسنة ورد فيهما عدة أسئلة من غير المسلمين للنبي ﷺ، سواء على سبيل الإنكار والاستهزاء أو على سبيل الامتحان والاختبار، أو غير ذلك، كما وردت أسئلة كثيرة كان السائل فيها النبي ﷺ.

فمما ورد في الكتاب قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١٨٩].

---

(١) ديوان الفرزدق (ص٥٢٩) مع خلاف يسير. والفرزدق هو: شاعر عصره، أبو فراس همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية التميمي البصري. يروي عن أبي هريرة وغيره، نظمه في الذروة، توفي سنة ١١٠هـ انظر: السير (٤/ ٥٩٠)

(٢) انظر: جامع بيان العلم وفضله (١/ ٣٧٤-٣٧٥)، وآداب طالب العلم للدكتور أنس الكرزون (ص٦٩-٧٠)

وقوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢١٥] وغيرها من الآيات.

وعن ابن عباس قال: «ما رأيت قوماً كانوا خيراً من أصحاب رسول الله ﷺ، ما سألوه إلا عن ثلاث عشرة مسألة حتى قبض، كلهن في القرآن، منهن: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ﴾ [البقرة: ٢١٧]، ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ﴾ [البقرة: ٢٢٢] وشبهه، ما كانوا يسألون إلا عما ينفعهم»(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «ومراد ابن عباس بقوله: «ما سألوه إلا عن ثلاث عشر مسألة»: المسائل التي حكاها الله في القرآن عنهم، وإلا فالمسائل التي سألوه عنها وبين لهم أحكامها بالسنة لا تكاد تحصى، ولكن إنما كانوا يسألونه عما ينفعهم من الواقعات ولم يكونوا يسألونه عن المقدرات والأغلوطات وعضل المسائل، ولم يكونوا يشتغلون بتفريع المسائل

(١) رواه الدارمي (١/ ٢٤٤ ح١٢٧) والبزار (١١/ ٢٧٤ح٥٠٦٥) والطبراني في الكبير (١١/ ٤٥٤) وأورده ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١٠٦٢، ح٢٠٥٣) ولفظ البزار: «ثنتي عشرة».

(٢) هو الإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، شمس الدين ابن القيم، ولد سنة ٦٩١هـ، وسمع الحديث واشتغل بالعلم، وبرع في علوم متعددة، لا سيما علم التفسير والحديث والأصلين، لازم ابن تيمية حتى صار من خواصه، له مؤلفات كثيرة، من أشهرها: زاد المعاد، والصواعق المرسلة، توفي سنة ٧٥١هـ وله ستون سنة، انظر: البداية والنهاية (١٨/ ٥٢٣)، وذيل طبقات الحنابلة (٥/ ١٧٠)، بغية الوعاة (١/ ٦٢)، وشذرات الذهب (٦/ ١٦٨).

وتوليدها، بل كانت هممهم مقصورة على تنفيذ ما أمرهم به، فإذا وقع بهم أمر سألوا عنه فأجابهم»[١].

وقد ورد ما يفيد المنع من السؤال في قوله تعالى: ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُـِٔلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [البقرة:١٠٨]، وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا۟ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [المائدة:١٠١-١٠٢]، ولكن المتأمل في هذه الآية يتبين له أن النهي عن نوع مخصوص من الأسئلة، وهو السؤال عن أشياء لو ظهرت ساءت السائل، وليس كل سؤال كذلك، ويتبين ذلك من بعض الروايات التي ذكرت في سبب نزول هذه الآية؛ فعن أنس بن مالك قال: «خطب النبي ﷺ خطبة ما سمعت مثلها قط، قال «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً» قال: فغطّى أصحابُ رسول الله ﷺ وجوهَهم لهم خَنين. فقال رجل: من أبي؟ قال: «فلان»، فنزلت هذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ ﴾»[٢].

وعن أبي هريرة قال: «خرج رسول الله ﷺ وهو غضبان محمارّ وجهه حتى جلس على المنبر، فقام إليه رجل فقال: أين أبي؟ فقال: «في النار» فقام آخر فقال: من أبي؟ فقال: «أبوك حذافة»، فقام عمر بن الخطاب فقال:

---

(١) إعلام الموقعين (١/ ٥٦-٥٧).

(٢) صحيح البخاري (ح ٤٦٢١، ٦٣٦٢، ٧٠٨٩، وغيرها) وصحيح مسلم (ح ٢٣٥٩).

«رضينا بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًا، وبالقرآن إمامًا، إنّا يا رسولَ الله حديثو عهدٍ بجاهلية وشرك، والله أعلم من آباؤنا».

قال: فسكن غضبه، ونزلت هذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ ﴾»[1].

وقد ورد في الصحيحين من حديث أنس بن مالك من غير ذكر سبب النزول أن من الذين سألوه رجلاً قال: أين مدخلي يا رسول الله؟ قال: «النار» فقام عبد الله بن حذافة، فقال: من أبي يا رسول الله؟ قال: «أبوك حذافة».

قال: «ثم أكثر أن يقول: «سلوني سلوني»، فبرك عمر على ركبتيه..» الحديث[2].

قال ابن القيم: «وقد اختلف في هذه الأشياء المسؤول عنها؛ هل هي أحكام قدرية أو أحكام شرعية؟ على قولين:

فقيل: إنها أحكام شرعية عفا الله عنها، أي سكت عن تحريمها فيكون سؤالهم عنها سبب تحريمها، ولو لم يسألوا لكانت عفواً، ومنه قوله ﷺ: «وقد سئل عن الحج أفي كل عام؟ فقال: «لو قلت نعم لوجبت، ذروني ما

---

(١) رواه ابن جرير (٩/ ١٧/ هجر) والطحاوي في شرح المشكل (١٤٧٥) وقال ابن كثير في تفسيره (٣/ ١٩٩ـ الشعب): «إسناده جيّد، وقد ذكر هذه القصة مرسلة غير واحد من السلف».

(٢) رواه البخاري (٧٢٩٤) ومسلم (٢٣٥٩).

تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم»[١]؛ ويدل على هذا التأويل حديث أبي ثعلبة المذكور: «إن أعظم المسلمين في المسلمين جرمًا..» الحديث[٢].

ومنه الحديث الآخر: «إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها، وحدّ حدودا فلا تعتدوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة من غير نسيان فلا تبحثوا عنها»[٣].

وفسرت بسؤالهم عن أشياء من الأحكام القدرية؛ كقول عبد الله بن حذافة: «من أبي يا رسول الله؟»، وقول آخر: «أين أبي يا رسول الله؟ قال: في النار».

---

(١) رواه مسلم (ح:١٣٣٧) وإسحاق بن راهويه في مسنده (ح٦٠) والبزار (٩٥٨٨) وقال: وهذا الكلام قد رُوِيَ عن عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (الترمذي ٨١٤، وابن ماجه ٢٨٨٤)، وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (رواه أحمد ٢٣٠٤)، وغيرهم وأصح إسناد يروى في ذلك حديث مُحَمَّد بن زياد، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
قلت: وورد أيضًا مثله عن أبي أمامة الباهلي (الطبراني في الكبير ح٧٦٧١، ومسند الشاميين ٩٥٥).

(٢) سيأتي تخريجه بعد قليل، ولم أجده من حديث أبي ثعلبة، وإنما حديث أبي ثعلبة هو الآتي.

(٣) رواه الطبراني في الكبير (٢٢/ح٥٨٩) وفي مسند الشاميين (٣٤٨٤) والدراقطني في سننه (٥/ ٣٢٥)، وحسنه الحافظ النووي في الأربعين (ص٨٤ ح٣٠)، وتعقبه الحافظ ابن رجب بأن فيه انقطاعًا، واختلافًا في رفع ووقفه. وانظر مزيداً من الكلام عليه في حاشية شيخنا الفاضل حمدي السلفي على معجم الطبراني الكبير.

والتحقيق: أن الآية تعم النهي عن النوعين»[١].

وقال ابن كثير[٢]: «وقيل المراد...: لا تسألوا عن أشياء تستأنفون السؤال عنها، فلعله قد ينزل بسبب سؤالكم تشديد أو تضييق، وقد ورد في الحديث: «أعظم المسلمين جُرماً من سأل عن شيء لم يحرم فحرم من أجل مسألته»[٣]، ولكن إذا نزل القرآن بها مجملة فسألتم عن بيانها حينئذ، تبينت لكم لاحتياجكم إليها»[٤].

وقد ورد في السنة النهي عن كثرة السؤال، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سمع النبي ﷺ يقول: «ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم، فإنما أهلك الذين مِنْ قبلِكُم كثرة مسائلهم، واختلافُهم على أنبيائهم»[٥].

وقد ورد أن رسول الله ﷺ كان نهى الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عن السؤال، قال

---

(١) إعلام الموقعين (١/ ٥٧).

(٢) الإمام العالم العلامة الحافظ عماد الدين إسماعيل بن عمر البصروي الدمشقي الشافعي، صاهر الحافظ المزي فأكثر عنه، برع في الفقه والتفسير والنحو، وأمعن النظر في الرجال والعلل، من أشهر كتبه: تفسير القرآن العظيم، والبداية والنهاية، توفي سنة ٧٧٤ه انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (١/ ٤٤٥) وشذرات الذهب (٨/ ٣٩٧)

(٣) رواه البخاري في صحيحه (ح ٧٢٨٩) ومسلم (ح٢٣٥٨) من حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٠٦، تحقيق سلامة).

(٥) صحيح مسلم (ح: ١٣٣٧)

أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: «نُهِينَا أَنْ نَسْأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ شَيْءٍ، فَكَانَ يُعْجِبُنَا أَنْ يَجِيءَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ الْعَاقِلُ، فَيَسْأَلَهُ، وَنَحْنُ نَسْمَعُ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَتَانَا رَسُولُكَ فَزَعَمَ لَنَا أَنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّ اللهَ أَرْسَلَكَ!

قَالَ: «صَدَقَ».

قَالَ: فَمَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ؟

قَالَ: «اللهُ».

قَالَ: فَمَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ؟ قَالَ: «اللهُ»..الحديث[1][2].

ومما سبق يتبيّن أن للعلماء تعليلات في سبب النهي وعلام يتوجه، فمجمل ذلك أنه إن كان السؤال مما لا فائدة فيه، أو مما يسوء جوابه السائل، أو مما يسبب الضيق والحرج على الأمة في التشريع، أو كان السؤال من باب التنطع أو الاستهزاء فإن ذلك من المنهي عنه[3]، داخل فاعله تحت التعنيف أو التأديب أو الوعيد، وعلى ذلك لا تعارض بين النهي عن السؤال والإذن به بحسب المغزى والغرض منه والدافع إليه، أو بحسب أهميته من حيث العمل به أو عدم ذلك.

---

(١) صحيح مسلم (ح١٢).

(٢) انظر: جمعًا من الآثار في جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (٢/ ١٠٥٤، وما بعدها).

(٣) انظر: مشكل الآثار للطحاوي (٤/ ١١٣) و(جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١٠٥٤، وما بعدها)، وتفسير ابن كثير (١/ ٣٨٠) و(٣/ ٢٠٣ فما بعدها/ تحقيق سلامة) وفتح الباري (٤/ ٥٢٦١-٥٢٦٦بيت الأفكار).

المطلب الثالث
فوائد السؤال

هناك فوائد عديدة لإيراد صيغة السؤال من حيث المعنى البلاغي، وفوائد أخرى لإيراد صيغة السؤال من حيث المغزى التربوي، وسأتكلم ههنا عما يتعلق بالمغزى التربوي.

فأسلوب السؤال له أهمية وفوائد وأثر عند كل من السائل والمسؤول أو المستمع للسؤال.

وقد ذكر المصنفون في طرق التدريس والتعليم طرفًا من ذلك.

وأهم ما يتعلق بالمعلمين هو قوة النفس عند السؤال، وعدم الانشغال بما يقطع الخاطر في أثناء السؤال(١).

وكذلك: حسن صياغة السؤال؛ فصياغة السؤال -ليكون مقبولاً نافعًا ومؤثراً- ليس بالأمر السهل، بل لا بد له من عناية تامة ومهارة فائقة يراعى فيها: أهمية السؤال، وتدرجه، ومستوى المتعلمين، ويراعى فيها: إثارتهم وتشويقهم وتجديد نشاطهم، ومن مقاييس مهارة المعلم اعتبار جودة سؤاله، ووضوح منهجه في التدريس، فرُبَّ سؤالٍ يريد منه سائلُه أمراً ما فيسأل سؤالاً يكون فيه إلغاز، أو إيهام فبدل أن يفكر المتعلمون تفكيراً سليمًا تراهم يفكرون فيما لا علاقة له به(٢).

---

(١) انظر: المفهم لما أشكل من كتاب تلخيص مسلم للقرطبي (١/ ١٣٩).

(٢) انظر السؤال في القرآن وأثره في التربية والتعليم للدكتور أحمد بن عبد الفتاح الضليمي

وكذلك يجب مراعاة الوقت الملائم لطرح السؤال، كما في حديث معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أتدري ما حق الله على العباد؟»[1]، حيث استغل قربه الجسدي منه مع خلوه من الانشغال، فاجتمع قربه الروحي مع قربه الجسدي، فوصول العلم في هذه الحال أرجى من أن يكون في حال أخرى.

وأما فيما يخص المتعلم فهناك فوائد عدة أيضًا، منها:

١ – يعد طرح السؤال من قبل المعلم على المتعلم أسهل تناولاً وفهمًا من ذكر الكلام سرداً.

٢- يدفع السؤال والمناقشة المتعلمَ إلى إعمال العقل، وإيقاظ الهمّة، ويدعوه إلى التفكير وتقليب النظر؛ لمعرفة ما يتصل بموضوع النقاش مما يدفعه للموازنة والاستنتاج والتحليل.

٣ – يؤدي السؤال إلى تركيز انتباه المتعلمين وإثارة اهتمامهم نحو الحقائق التي يراد الوصول إليها، ولا سيما إذا كان الموضوع مما يتصل بأهم أمر من أمور الدين ألا وهو الاعتقاد.

٤ – يؤدي السؤال إلى إثارة نشاط المستمعين ويجعلهم متفاعلين، فربما سأل بعضهم بعضًا، وربما حملوا سؤالهم إلى عالم يسألونه، أو كتاب يقرؤونه، فتنمو بذلك مداركهم ويزيد اطلاعهم.

=

(ص٢٥٥، ٢٥٦) ضمن مجلة الجامعة الإسلامية (عدد١١١)، والموجه الفني (ص٤٢٨)، ودور السؤال التعليمي الإرشادي في تعلم ونشر العقيدة (موقع الألوكة).

(١) سيأتي تخريجه إن شاء الله.

٥ – يؤدي السؤال إلى تقدير درجة المعرفة عند الطلاب، كما كان النبي ﷺ يختبر أصحابه ببعض الأسئلة؛ ليرى مقدار ما عندهم من علم، كما في الحديث: «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم! حدثوني، ما هي؟»(١).

٦ – تؤدي طريقة الأسئلة والمناقشة إلى ثبات المعلومات واستمرارها لدى المتعلمين(٢).

وهناك فوائد أخرى كثيرة، ويكفي في هذه العجالة تلك الإشارات اليسيرة، وليس في سردها كلّها فائدة كبيرة، لكونها خارجة عن موضوع البحث، وتحقيقها وسردها على النفس يشقّ، وكما قيل: يكفي من القلادة ما أحاط بالعُنُق.

(١) سيأتي تخريجه إن شاء الله تعالى.

(٢) انظر السؤال في القرآن الكريم وأثره في التربية والتعليم للضليمي (ص٢٥٣، وما بعدها)، والموجه الفني لعبد العليم إبراهيم (ص٤٢٧-٤٢٨) والتربية في السنة النبوية، أبو لبابة حسين (ص٧٤-٧٥) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبد الرحمن النحلاوي (ص٢٠٥-٢٠٦، ٢٠٨-٢١٠)

المبحث الأول

السؤال التعليمي الإرشادي

يقصد بهذا النوع من الأسئلة أن يقع السؤال من عالم لعالم وليس من جاهلٍ لعالم؛ بقصد تعليم المخاطَبين أو الحاضرين، وقد جاءت الأسئلة التعليمية على صورتين:

الأولى: أن يسأل السائل وهو يعلم أن المسؤول يعلم الجواب، وتكون الغاية من السؤال هي تعليم الحاضرين من جواب المسؤول.

الثانية: أن يسأل العالم مَن هو دونه ليعلِّمه، أو ليلفت نظره إلى أهمية المسؤول عنه -وإن كان يعلمه-؛ وذلك ليرسخ في ذهنه الجواب[1].

وسأتكلم عن هاتين الصورتين بأمثلة توضح المقام.

الصورة الأولى:

سؤال عالم عالمًا آخر ليُعلِّم الحاضرين:

وتتجلى في أوضح صورها في حديث جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ حينما سأل النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان واليوم الآخر، وفي كل ذلك يسأله ويصدقه، ثم قال في آخره: «هذا جبريل جاء يعلمكم دينكم»، فدل على أن هذه الأسئلة جاءت للتعليم وليس للتعلّم والاستفسار.

---

(١) انظر: الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية لعبد العليم إبراهيم (ص٤٢٩).

وقد بوب عليه البخاري[١]: «باب سؤال جبريل النبيَّ ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعِلمِ الساعة، وبيان النبيّ ﷺ له، ثم قال: «جاء جبريلُ يعلمكُم دينكُم، فجعل ذلك كلَّه دينًا، وما بيَّن النبي ﷺ لوفد عبد القيس من الإيمان»[٢]، ثم ذكر الحديث من رواية أبي هريرة، وأما مسلم[٣] فقد أخرجه من حديث عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قَالَ:

---

(١) الإمام جبل الحفاظ أمير المؤمنين في الحديث محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي مولاهم البخاري، أبو عبد الله، مصنف الصحيح شهرته تغني عن الثناء عليه. توفي سنة ٢٥٦هـ، انظر: السير (١٢/ ٣٩١) شذرات الذهب (١/ ٢٤).

(٢) صحيح البخاري (كتاب الإيمان: باب (٣٧)).

(٣) الإمام الحافظ مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، أبو الحسين من كبار تلاميذ الإمام البخاري، ولد ٢٠٤هـ، رحل للحجاز ومصر والشام، صاحب الجامع الصحيح، ومؤلف الكنى والأسماء توفي سنة ٢٦١هـ، انظر: السير (١٢/ ٥٥٧) وطبقات الحنابلة (١/ ٣٣٧) والشذرات (٣/ ٢٧٠).

صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ» قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا، قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ»، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»[١].

فهذه أسئلة شملت مراتب الدين وأصوله كلَّها، قال ابن رجب[٢]: «هذا حديث عظيم الشأن جداً يشتمل على شرح الدين كلّه، ولهذا قال في آخره: «هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم»[٣]، ولا شك أن النبي ﷺ كان قد علّمَ قبلُ الصحابةَ أصولَ دينِهم، ولكنه ههنا جمع هذِهِ المراتب والأصول في مجلس واحد، ولا شك أن الحاضرين والمسلمين بحاجة إلى جمع هذه المسائل في مكان واحد بأسئلة يسيرة مختصرة، وأجوبة محكمة مقررة، وهو سؤالٌ من عالمٍ لعالمٍ آخر لأجل تعليم الناس، «لأنه أمْكَنُ في النفس وأقوى في التأثير»[٤]، وهذا أسلوب تعليمي فريد جميل، له فوائد عظيمة.

---

(١) (مسلم (٨)) من حديث عمر بن الخطاب، وقد رواه البخاري (٥٠) ومسلم (٩) عن أبي هريرة.

(٢) هو الإمام الحافظ الإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن (رجب) عبد الرحمن، ورجب لقب جده، البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي الزاهد القدوة الثقة الحجة، صنف في شرح البخاري لم يكمل، والقواعد الفقهية، وذيل طبقات الحنابلة، وجامع العلوم والحكم، وغيرها الكثير توفي سنة ٧٩٥هـ، انظر: الشذرات (٨/ ٥٧٩).

(٣) جامع العلوم والحكم (ص٣٥/ إحياء التراث).

(٤) شرح الأربعين النووية للعلامة ابن عثيمين (ص ٥٦).

و«إن أول توجيه من رسول الله ﷺ للسائل وهو جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الذي جاءه على صورة بشر: هو الدخول في التوحيد وولوج الإسلام من بابه لما يحدثه هذا الأساس من قوة في التمسك بما يصدر عن الله من أوامر ونواهٍ»[١].

وقد جرت العادة أنّ السائل يكون جاهلاً[٢] فيسأل العالم ليرفع الجهل عن نفسه فيتعلم ويزداد علماً، وحينما تتغير الطريقة المعهودة من الأسئلة فيسأل العالم ليُعلِّم لا ليتعلَّم يكون للجواب وقع في القلوب، وصدى في النفوس؛ إذ يقصد من وراء ذلك لفت نظر السامعين والمسؤولين إلى أهمية هذا السؤال وما يترتب عليه من جواب، وهذا من هدي النبي ﷺ في تبليغ رسالة الإسلام وخاصة في أمور الاعتقاد، قال الحافظ ابن حجر[٣]: «ويستنبط منه جواز سؤال العالم ما لا يجهلُه لسائلٍ لِيعلِّمَه السامع»[٤].

---

(١) وقفات في معالم التربية المحمدية من خلال حديث جبريل للأستاذ محمد مصطفى النابلسي(ص١٩).

(٢) انظر: مرقاة المفاتيح ١/ ٥٦).

(٣) الإمام الحافظ أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، ولد سنة ٧٧٣هـ، ظهر نبوغه مبكراً، لقي الشيوخ الكبار كالحافظ العراقي وانتفع بهم، له مصنفات، أشهرها: فتح الباري، والإصابة، وتهذيب التهذيب، وغيرها الكثير، توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة ٨٥٢هـ. انظر: الجواهر والدرر في ترجمة ابن حجر للسخاوي، ولحظ الألحاظ لابن فهد المكي (ص٣٢٦)، وحسن المحاضرة (١/ ٣٦٣).

(٤) فتح الباري (١/ ٤٥٩ - الأفكار)

وقال ملا علي القاري الهروي[١] في مرقاة المفاتيح: «قِيلَ: هُوَ مِنْ صَنِيعِ الشَّيْخِ إِذَا امْتَحَنَ الْمُعِيدَ عِنْدَ حُضُورِ الطَّلَبَةِ لِيَزِيدُوا فِي طُمَأْنِينَةٍ وَثِقَةٍ فِي أَنَّهُ يُعِيدُ الدَّرْسَ، وَيُلْقِي الْمَسْأَلَةَ مِنَ الشَّيْخِ بِلَا زِيَادَةٍ وَنُقْصَانٍ»[٢].

ويلاحظ في هذا النوع من الأسئلة: سلامة السؤال ووضوحه، وتسلسله وتدرجه، ووضوح الجواب وشموله، وهذه أعلى المعايير العالمية في صياغة السؤال التعليمي[٣].

فاستخدام هذا الأسلوب من الأسئلة يجعل السامع في تلهف للجواب، وهذا ما حصل فعلاً من الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، حيث قال الراوي مخبراً عنهم: «فعجبنا له يسأله ويصدقه».

وإذا اقترن بحال السائل قرائن أخرى فإنها تزيد من تشويق السامع، وتشد انتباهه أكثر! فمن ذلك:

١ـ كون السائل غريباً غير معروف.

٢ـ كونه حسن المنظر.

---

(١) الشَّيْخ الفقيه ملا علي قاري بن سُلْطَان الهروي الحنفي، ولد بهراة ورحل إلى مَكَّة وَاسْتقر بهَا وَأخذ عَن جمَاعَة من الْمُحَقِّقين، وَله مصنفات عدة، مِنْهَا: شرح الْمشكاة، وَشرح الشمائل، وَشرح الجزرية، وَشرح النخبة، وَشرح الشِّفَاء، وَله غير ذَلِك، توفي سنة ١٠١٤هـ. انظر: البدر الطالع (١/ ٤٤٦).

(٢) مرقاة المفاتيح ملا علي القاري (١/ ٥٦).

(٣) انظر: دور السؤال التعليمي الإرشادي في تعلم ونشر علم العقيدة، لمحمود محمد عراقي، رابط الموضوع: *http://www.alukah.net/social/0/35162* .

٣ـ كونه حسن الجِلسة والتأدب.

٤ـ كونه حسن السؤال والحوار؛ (ما الإسلام؟..قال: صدقت، فعجبنا له يسأله ويصدقه).

٥ـ كونه يسأل عن أهم الأمور التي تهم الحاضرين، كالاعتقادات وأصولها.

لذا يحسن في استخدام هذا الأسلوب أن تراعى فيه هذه الأمور السابقة حتى يكون أوقع بالنفس.

ومن هذا الباب سؤال أهل العلم الكبار من سائل حصيف في المواسم أو في الفضائيات سؤالاً يفيد عامة الناس، وينقذهم مما هم فيه من جهالة أو بدعة، فإذا كان السؤال متقناً والإجابة مسددة كان لها أثرها في اعتقادات الناس.

وأما إن كان السؤال فيه خللٌ مّا، كأن يأتي السائل بصورة المعلِّم، فربما يؤثر سلباً على المستمع، ولا يكون له قبول عند المخالفين، فيصدهم ذلك عن قبول لمجرد من الهوى، أما جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فقد سأل هذه الأسئلة وهو بصورة وهيئة المتعلم، وليس المعلِّم، ولكنه حينما ولّى أخبرهم النبي ﷺ أنه «جاء يعلمكم دينكم».

ومما ينبه عليه ههنا فيما يتعلق بالجواب، أنه لا بأس بالزيادة في الجواب على السؤال إذا عُرف حال الناس أنهم بحاجة إلى هذا الكلام، وقد ذكر هذه الفائدة الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقال في أثناء كلامه على الساعة: «تنبيه:

تضمن الجواب زيادة على السؤال للاهتمام بذلك؛ إرشاداً للأُمةِ لما يترتب على معرفة ذلك من المصلحة»[١].

الصورة الثانية من السؤال التعليمي:

وهي أن يكون السؤال موجهًا للتلاميذ، بصرف النظر عن معرفة مدى علمهم، فقد يكون منهم الجاهل وقد يكون منهم العالم، وقد يكون منهم من يعلم بعضًا ويجهل بعضًا.

وأذكر في ذلك مثالين:

١/ حديث مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «بَيْنَا أَنَا رَدِيفُ النَّبِيِّ ﷺ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَّا أَخِرَةُ الرَّحْلِ، فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ الله وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ: «يَا مُعَاذُ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ الله وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ: «يَا مُعَاذُ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ الله وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: «هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الله عَلَى عِبَادِهِ» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «حَقُّ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ أَنْ يَعْبُدُوهُ، وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا» ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ، فَقَالَ: «هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ العِبَادِ عَلَى اللهِ إِذَا فَعَلُوهُ» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «حَقُّ العِبَادِ عَلَى اللهِ أَنْ لاَ يُعَذِّبَهُمْ»[٢]، ففي هذا الحديث أهم مسألة وهي حق الله تعالى على العباد، التي لأجلها خلق الله الخلق وأرسل الرسل وأنزل الكتب، ولأجلها جاهد المجاهدون

---

(١) فتح الباري (١/ ٤٦٢ - الأفكار).

(٢) رواه البخاري (ح٥٩٦٧، ٢٨٥٦، ٦٥٠٠، ٦٢٦٧،، ٧٣٧٣،) ومسلم (٣٠)

وصابر المصابرون، و«لعظم شأن هذه المسألة»[١] استحق هذا الأمر أن يكون بهذه الطريقة من مناداة معاذ باسمه، وتكرار النداء، في فترات متباعدة نوعاً ما، إلى غير ذلك من المثيرات[٢]، ثم سؤاله عن الأمر العظيم بعدما شدّ انتباهه واستحضر ذهنه ليكون مهيئاً لقبول العلم[٣].

ففي طرح الأسئلة على معاذ ﷺ بهذه الطريقة «ليكون أوقع في النفس، وأبلغ في الفهم»[٤] و«لتأكيد الاهتمام بما يخبره به ويبالغ في تفهمه وضبطه»[٥]، «واستفسار الشيخ تلميذه عن الحكم ليخبر ما عنده، ويبين له ما يشكل عليه»[٦].

٢/ وعن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ القَيْسِ لَمَّا أَتَوُا النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنِ القَوْمُ؟ - أَوْ مَنِ الوَفْدُ؟ -» قَالُوا: رَبِيعَةُ. قَالَ: «مَرْحَبًا بِالقَوْمِ، أَوْ بِالوَفْدِ، غَيْرَ خَزَايَا وَلاَ نَدَامَى»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا لاَ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَأْتِيكَ إِلَّا فِي الشَّهْرِ الحَرَامِ، وَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ هَذَا الحَيُّ مِنْ كُفَّارِ مُضَرَ، فَمُرْنَا بِأَمْرٍ فَصْلٍ، نُخْبِرْ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا، وَنَدْخُلْ بِهِ الجَنَّةَ، وَسَأَلُوهُ عَنِ الأَشْرِبَةِ: فَأَمَرَهُمْ

(١) انظر: كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص١٧ - مع إبطال التنديد لابن عتيق).

(٢) انظر أسئلة الرسول في الصحيحين وتطبيقاتها التربوية (ص٢٠٢-٢٠٥).

(٣) انظر: المفهم (١/ ٢٠٣) وشرح النووي على مسلم (١/ ٢٣١).

(٤) فتح المجيد (ص١٠٧) تحقيق الفريان.

(٥) (الفتح ٤/ ٤٦٠٣، وانظر: ٤/ ٤٦٠٤ـ الأفكار).

(٦) (الفتح: ٤/ ٤٦٠٤ـ الأفكار) (وانظر: أربعون حديثاً من أصح الصحيح في حق الله سبحانه وتعالى، ص: ٢٩).

بِأَرْبَعٍ، وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ، أَمَرَهُمْ: بِالإِيمَانِ بِالله وَحْدَهُ، قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِالله وَحْدَهُ» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ المَغْنَمِ الخُمُسَ»، وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنِ الحَنْتَمِ وَالدُّبَّاءِ وَالنَّقِيرِ وَالمُزَفَّتِ، وَرُبَّمَا قَالَ: «المُقَيَّرِ» وَقَالَ: «احْفَظُوهُنَّ وَأَخْبِرُوا بِهِنَّ مَنْ وَرَاءَكُمْ»(١).

وفي هذا الحديث أيضاً سؤال من النبي ﷺ موجه لأصحابه «أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟» ثم بيان ذلك لهم، مع علمه بأنهم مؤمنون.

وفيه دلالة على جواز السؤال عن الإيمان - وإن كانوا مؤمنين، وليس لنا أن نقول: فلان يسأل عن الإيمان أناساً مؤمنين؛ لاحتمال أن البعض لم تتضح له معالم الإيمان كاملة أو أن البعض حديث عهدٍ بإيمان أو يكون ذلك لتأكيد ما في نفوسهم من علم وإيمان.

وكان جواب هؤلاء الوفد: «الله ورسوله أعلم»؛ لاحتمالات ثلاث:

الأول: من باب الأدب وعدم التقدم بين يدي الله ورسوله.

الثاني: لاحتمال أنه يضيف أمراً لم يكن معلوماً عندهم.

الثالث: أنهم يجهلون الجواب.

---

(١) رواه البخاري (ح: ٥٣، ٨٧، ٥٢٣، وغيرها) ورواه مسلم(ح ١٧).

وقال الخطابي[١] عن هذا الحديث: «كان هذا جواباً عن مسألة صدرت عن جهالة بالإيمان وشرائطه، فأخبرهم عما سألوه وعلمهم ما جهلوه، وجعل هذه الأمور من الإيمان»[٢].

وفي هذا الحديث نوع من الأسئلة يختلف عن السؤال الوارد في حديث معاذ: «أتدري ما حق الله على العباد»؟، وهو أن حديث معاذ أتى بالسؤال ابتداءً، وأما في هذا الحديث فجاء السؤال في أثناء تلقينهم العلم وأخذهم الأمر، فبعد أن أمرهم بالإيمان بالله وحده، قال لهم: أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ وكان يستطيع أن لا يسأل ويستمر بأوامره، أو يستمر في الشرح من غير سؤال ويفسر الإيمان بالله وحده فيقول: وهو شهادة أن لا إله إلا الله...إلخ، فدل على أنه إذا كان العالم في تلقين علمه ربما يحتاج إلى توضيح بعض المسائل المهمة في التوحيد بطريقة السؤال الذي يبعث على الاهتمام والإثارة.

(١) الإمام، العلامة، الحافظ، اللغوي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي، الخطابي، اشتغل بعلم الحديث وبرز فيه، صاحب التصانيف المفيدة، منها معالم السنن،وغريب الحديث، وأعلام الحديث، وشأن الدعاء، توفي سنة ٣٨٨هـ. السير (١٧/ ٢٣)، والشذرات (٤/ ٤٧١).

(٢) معالم السنن (٤/ ٣١٣).

المبحث الثاني

سؤال التعلّم (الاستعلام)

إذا تكلم البلاغيون عن الاستفهام قالوا: إن الأصل في الاستفهام الاستعلام، وهذا ما يُعبَّر عنه بقولهم: الاستفهام على بابه، ثم قد يأتي لأغراض؛ منها: التقرير، ومنها الإنكار والتوبيخ وغير ذلك، وذلك نظراً للمقصود من السؤال وغرض السائل[١].

وإذا نظرنا في أسئلة الصحابة للنبي ﷺ، وجدنا أن أكثرها أسئلة استعلام؛ أي: طلب العلم، وهو التعلّم، وهو سؤال من الأدنى للأعلى، أو من الجاهل للعالم، أو من المفضول للفاضل، والسؤال «يُحمد إذا كان للعمل لا للمراء والجدل»[٢]، وهذه نماذج من بعض أسئلة الصحابة للنبي ﷺ عن بعض مسائل الاعتقاد:

سؤال الحارث بن هشام المخزومي عن كيفية الوحي:

سأل الحارث بن هشام المخزومي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٣] النبي ﷺ عن كيفية نزول الوحي عليه، وأجابه النبي ﷺ على ذلك من غير نكير، فدلّ ذلك على جواز

---

(١) انظر: البلاغة الواضحة (ص١٧٧-١٨٨).

(٢) جامع العلوم والحكم (ص: ١٢١).

(٣) الحارث بْن هِشَام بْن المغيرة بْن عَبْد الله بن عمر بن مخزوم، أَبُو عبد الرحمن القرشي، المخزومي، أسلم يَوْم الفتح، وكان استجار يومئذ بأم هانئ بنت أَبِي طالب، خرج إِلَى الشام مجاهداً أيام عمر بْن الخطاب بأهله وماله، فلم يزل يجاهد حتى استشهد يَوْم اليرموك في رجب من سنة خمس عشرة، وقيل: بل مات فِي طاعون عمواس سنة سبع عشرة.
انظر ترجمته: معرفة الصحابة لأبي نعيم (١/ ٧٦٢)، وأسد الغابة (١/ ٤٢١)، والإصابة (١/ ٦٩٧).

السؤال عن هذا الأمر، كما رواه البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن عائشة أم المؤمنين. فعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ الحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ ﷺ سَأَلَ رَسُولَ الله ﷺ فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ يَأْتِيكَ الوَحْيُ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ، فَيُفْصَمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِيَ المَلَكُ رَجُلاً فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ» قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الوَحْيُ فِي اليَوْمِ الشَّدِيدِ البَرْدِ، فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا»(١).

إجابة النبي ﷺ عن هذا الأمر الغَيْبِيِّ دلَّ على جوازِ السؤالِ والجوابِ عن أمر غيبي يمكن أن يدرك بالوصف أو القياس، وأما إن كان مما لا يمكن إدراكه، بكونه فوق ما يتخيل أو يوصف أو يقاس، فلا يشرع السؤال عنه، كالسؤال عن كيفية صفات الله تعالى، فلا يستعمل في حقه تعالى قياس التمثيل ولا قياس الشمول الذي «تستوي أفراده، ولكن يستعمل في حقه المثل الأعلى؛ وهو أن كل ما اتصف به المخلوق من كمالٍ فالخالق أولى به، وكل ما تنزه عنه المخلوق من نقص فالخالق أولى بالتنزه عنه»(٢).

---

(١) رواه البخاري (ح٢، ٣٢١٥).

(٢) انظر: الرسالة التدمرية (ص٥٠) وقياس الشمول: «هو ما كان مركبًا من مقدمتين فأكثر ونتيجة بحيث يستوي الأفراد في كلّي يشملها» كقول المعتزلة: كلُّ متصف بالصفات فهو جسم، والله متصف بالصفات، فالنتيجة أن الله جسم، ولذلك نفى المعتزلة الصفات حتى لا يقعوا في التجسيم.
وأما قياس التمثيل: «فهو إلحاق فرع بأصل في حكمٍ لعلة جامعة بينهما» انظر: شرح الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك على التدمرية (ص: ٢٠٠)، وشرح الرسالة التدمرية للأستاذ الدكتور محمد بن عبد الرحمن الخميس (ص١٩٢-١٩٣)، وشرح الكوكب المنير (٤/ ٦).

وقد جاز السؤال عن بعض صفات الله تعالى، سؤال استعلام واستخبار عن وجود الصفة لا عن كيفيتها؛ لأن معرفة اسم الصفة يدرك بالخبر، وكذا العلم بمعناها يدرك بالتعلم، بخلاف الكيفية فلا تدرك إلا بالخبر أو الرؤية أو القياس، وكلّ ذلك غير متحقق في حق الله تعالى، فلم يخبرنا الله سبحانه عن كيفية صفاته، ولم نرَه حتى نصفَهُ، وليس لله مثيل ولا كفُؤٌ حتى يقاس عليه، حتى رؤية الله تعالى نفسها في الآخرة لا تكون رؤية إدراك، حتى يستطيع الرائي وصف الكيفية.

والأصل في جواز السؤال عن الله وعن صفاته سؤال تعلّم قَوْله تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦] وبصرف النظر عن سبب نزول هذه الآية؛ ففيها عدم النكير على من سأل عن الله تعالى، بل فيها تعريف الله تعالى بنفسه؛ بأوصافه التي يتفرد بها دون خلقه، وهي أحب الأوصاف للعباد التي توحي بالأنس والمحبة، وتدعوهم للتقرب إليه، والاستجابة له.

ومما جاء السؤال به عن صفات الله تعالى: السؤال عن رؤية الله سبحانه، وذلك في ثلاثة مواضع:

الأول منها: هل رأيت ربك؟

روى مسلم عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ»[1] وفي رواية عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَقِيقٍ، قَالَ: قُلْتَ لِأَبِي ذرٍّ:

(١) رواه مسلم ٢٩١- (١٧٨).

لَوْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَسَأَلْتُهُ فَقَالَ: عَنْ أيِّ شيْءٍ كُنْتَ تَسْأَلُهُ؟ قَالَ: كُنْتُ أَسْأَلُهُ هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ أَبُو ذَرٍّ: قَدْ سَأَلْتُ، فَقَالَ: «رَأَيْتُ نُوراً»(١).

والسؤال **الثاني** عن الرؤية: هل نرى ربنا؟

فعن أَبَي هُرَيْرَةَ: «أَنَّ النَّاسَ قَالُوا: يَا رَسُولَ الله هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ: «هَلْ تُمَارُونَ فِي القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ» قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «فَهَلْ تُمَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ» قَالُوا: لاَ، قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ».. الحديث بطوله»(٢).

وورد مثله عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٣).

والسؤال **الثالث** عن الرؤية: هل رأى رسول الله ﷺ ربَّه؟

سأل مسروق(٤) أمَّ المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا السؤال نفسه: «يَا أُمَّتَاهْ هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ ﷺ رَبَّهُ؟» فَقَالَتْ: «لَقَدْ قَفَّ شَعَرِي مِمَّا قُلْتَ، أَيْنَ أَنْتَ مِنْ ثَلاَثٍ، مَنْ حَدَّثَكَهُنَّ فَقَدْ كَذَبَ؛ مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّداً ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأَتْ: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ

---

(١) رواه مسلم ٢٩٢ - (١٧٨).

(٢) رواه البخاري (٨٠٦) ومسلم (١٨٢).

(٣) رواه البخاري (٤٥٨١) ومسلم (١٨٣).

(٤) مسروق بن الأجدع بن مالك بن أمية الهمداني الوادعي الكوفي العابد، أبو عائشة الفقيه، روى عن الخلفاء الأربعة وغيرهم، الإمام الثقة، مناقبه كثيرة، شلت يده يوم القادسية في سبيل الله، توفي سنة ٦٢ أو ٦٣هـ روى له الجماعة. انظر: السير (٤/ ٦٣) وتهذيب التهذيب (٦/ ٢٣٨).

﴿ حِجَابٍ ﴾ [الشورى: ٥١]، وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ فَقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأَتْ: ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ﴾ [لقمان: ٣٤]. وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ كَتَمَ فَقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأَتْ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ [المائدة: ٦٧] الآيَةَ، وَلَكِنَّهُ رَأَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فِي صُورَتِهِ مَرَّتَيْنِ»[(١)] وتقدمت الرواية عن عبد الله بن شقيق في الرواية الثانية من حديث أبي ذرّ المتقدم، قالَ: «قُلْتَ لِأَبِي ذرٍّ، لَوْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَسَأَلْتُهُ فَقَالَ: عَنْ أيِّ شيْءٍ كُنْتَ تَسْأَلُهُ؟ قَالَ: كُنْتُ أَسْأَلُهُ هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟».

وأما إنكار عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا فهو ليس إنكاراً للسؤال، بل لظن السائل أنه رأى ربَّه، يدل على ذلك الرواية الأخرى: عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: «كُنْتُ مُتَّكِئًا عِنْدَ عَائِشَةَ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا عَائِشَةَ، ثَلَاثٌ مَنْ تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ، قُلْتُ: مَا هُنَّ؟ قَالَتْ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّداً ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ، قَالَ: وَكُنْتُ مُتَّكِئًا فَجَلَسْتُ، فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْظِرِينِي، وَلَا تُعْجِلِينِي، أَلَمْ يَقُلِ اللهُ ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴾ [التكوير: ٢٣]، ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾ [النجم: ١٣]» ألخ[(٢)].

والملاحظ أن هذه الأسئلة كانت بالأداة (هل)، وليس بالأداة (كيف)، فإنه يمكن أن يسأل هل الله يتصف بكذا وكذا، بخلاف السؤال عن كيفية هذه الصفة.

ومن الأسئلة الواردة في صفات الله تعالى؛ سؤال: «أين الله»؟ وسوف يأتي تحت المبحث المتعلق بسؤال الامتحان إن شاء الله، وهناك أسئلة كثيرة في الصفات[(٣)].

---

(١) رواه البخاري (٤٨٥٥) ومسلم ٢٨٩ - (١٧٧).

(٢) رواه مسلم ٢٨٧ - (١٧٧).

(٣) وقد أفردت بحثاً في ذلك هو قيد الإعداد، يسر الله إتمامه.

المبحث الثالث

سؤال رفع الإشكال

طالب العلم لا يهنأ له بال حتى يعرف المسائل على حقيقتها، فيعرف الصواب من الخطأ والمشكل من المحكم، فإذا عرضت له مسائل فوجدها متعارضة أو مشكلة[1] سأل عنها من هو أعلم منه؛ لئلا تبقى حبيسة نفسه، فتنجلي له الأمور، وتتضح له المعالم، فيمشي على بينة وبصيرة من أمره.

فهذا معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يصف هؤلاء القوم: «وَرَجُلٌ يَقْرَؤُهُ -أي القرآن- لَيْسَ فِيهِ هَوًى وَلَا نِيَّةٌ يُفَلِّيهِ فَلْيَ الرَّأْسِ فَمَا تَبَيَّنَ لَهُ مِنْهُ عُمِلَ بِهِ؟ وَمَا اشْتَبَهَ عَلَيْهِ وَكَلَهُ إِلَى الله، لِيَتَفَقَّهُنَّ فِيهِ فِقْهًا مَا فَقِهَهُ قَوْمٌ قَطُّ، حَتَّى لَوْ أَنَّ

(١) تعريف المشكل: هو كلّ نصٍّ شرعيٍّ استغلق وخفي معناه، أو أوهمَ معارضة نصٍّ شرعي آخر، أو أوهم معانيَ مستحيلة شرعًا، أو عقلاً، أو شرعًا وعقلاً. (هذا التعريف المختار لدى الدكتور أحمد بن عبد العزيز القصيّر، في كتابه الأحاديث المشكلة الواردة في تفسير القرآن الكريم، ص٢٦) وربما أطلق المشكل على ما أشكل مع غيره من النصوص دون ما كان خفيًا بذاته. انظر: تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (ص١٠٢/ صقر) وبحث: موهم التناقض في القرآن الكريم، دراسة نظرية ونماذج تطبيقية للدكتور عماد طه أحمد الراعوش، (مجلة العلوم الشرعية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (ص ٤٧٧، عدد٢٧ سنة ١٤٣هـ ٢٠١٣م».

وقد صنف في الآيات والأحاديث المشكلة كثير من العلماء، منهم: الإمام الشافعي في كتابه: (اختلاف الحديث)، وابن قتيبة في كتابيه: (مشكل القرآن) و(تأويل مختلف الحديث)، و(الطحاوي في مشكل الآثار)، والطبري في: (تهذيب الآثار)، وابن الجوزي في: (كشف المشكل من حديث الصحيحين)، وغيرهم.

أَحَدَهُمْ مَكَثَ عِشْرِينَ سَنَةً فَلَيَبْعَثَنَّ الله لَهُ مَنْ يُبَيِّنُ لَهُ الْآيَةَ الَّتِي أَشْكَلَتْ عَلَيْهِ أَوْ يُفَهِّمُهُ إِيَّاهَا مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ[١].

وقد حصل لدى بعض الصحابة بعض الإشكالات فسألوا النبي ﷺ عن ذلك، قال الإمام ابن تيمية[٢] واصفاً الصحابة الكرام بأنهم «كانوا يسألونه عن أدنى شبهة تقع في القرآن، حتى نساؤه، فراجعته عائشة في قوله: «من نوقش الحساب عُذِّب» وذكرت قوله تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ [الانشقاق:٨]، حتى قال لها: ذلكِ العرض، وراجعته حفصة في قوله: «لن يدخل النار أحدٌ بايع تحت الشجرة» وذكرت قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم:٧١]، حتى أجابها بقوله: «ألم تسمعي قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ﴾ [مريم:٧٢]، وراجعه عمر بقوله: ﴿ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ [الفتح:٢٧]، عام الحديبية لما صالح المشركين على الرجوع ذلك العام، حتى قال له أبو بكر كما قال له النبي ﷺ أقال لك: «أن تدخله هذا العام»؟

---

(١) مجموع الفتاوى (١٧/ ٣٩٤) ولم أقف على تخريجه، وعزاه العلامة رشيد رضا في تفسيره (٣/ ١٤٧) للجوزجاني.

(٢) هو الإمام العالم الحافظ المناظر بحر العلوم أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحرّاني الحنبلي، ولد بحرّان سنة ٦٦١ه ثم قدم مع والده إلى دمشق بعد استيلاء التتار على مناطقهم، برز بين أقرانه ونبغ في صغره، وتأهل للفتوى والتدريس وهو دون العشرين، صنف في الفقه والتفسير والعقائد والفلسفة والمنطق ورد عليهم وناظرهم، توفي ابن تيمية سنة ٧٢٨هـ، انظر: العقود الدرية في مناقب ابن تيمية لابن عبد الهادي، والعبر للذهبي (٤/ ٨٤).

قال: لا.

قال: «فإنك داخله ومطَّوِّف به»[١].

وأمثال ذلك كثيرة[٢].

وسأذكر ههنا بعض هذه الأمور التي أشكلت على الصحابة مما أشار إليه ابن تيمية؛ ليتبين لنا جواز هذا النوع من الأسئلة، بسبب حُسن الدافع وسلامة المقصد، بل ليتبين أهمية هذا النوع من الأسئلة التي تزيح الإشكال، وتزيل الإلباس، فتحصل فائدة العلم والرسوخ فيه بدفع المعارض.

الحديث الأول:

عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: «قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ حُوسِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، عُذِّبَ» فَقُلْتُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق:٨]؟ فَقَالَ: «لَيْسَ ذَاكِ الْحِسَابُ، إِنَّمَا ذَاكِ الْعَرْضُ، مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُذِّبَ»[٣].

ففي هذا الحديث يظهر أن عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أشكل عليها قول النبي ﷺ: «من حوسب يوم القيامة عذب»، ومن المعلوم ضرورة أن هناك يوم حساب وأن كل الناس ستحاسب، ولكن المؤمن يحاسب حسابًا

(١) رواه البخاري في صحيحه (٢٧٣١) في حديث الحديبية الطويل.

(٢) الصفدية (١/ ١٣٩-١٤١).

(٣) رواه البخاري (١٠٣، ٤٩٣٩، ٦٥٣٦، ٦٥٣٧) مسلم (٢٨٧٦).

يسيراً، والكافر يحاسب حسابًا عسيراً، كما في قوله: ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ [الانشقاق:٨] فأشكل عليها ما في الآية وهو معلوم بالضرورة مع كلام النبي ﷺ، بأنّ الذي يحاسب سيعذب، فسألت عنه، ومعلوم أنه لا تعارض بين كلام الله وبين كلام رسوله؛ فجاءها الجواب الشافي من النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، حيث بيّن لها النبي ﷺ أن الحساب يطلق على أمرين:

الأول: الحساب اليسير وهو مجرد عرض الأعمال من غير نقاش فيها، وهو أن تعرض أعمال المؤمن عليه حتى يعرف منّة الله عليه في سترها عليه في الدنيا وفي عفوه عنها في الآخرة[١]، قال ابن تيمية: «وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْحِسَابَ الْيَسِيرَ لَا يَتَنَاوَلُ مَنْ نُوقِشَ، وَقَدْ زَادَهَا بَيَانًا، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ الْعَرْضُ لَا الْمُقَابَلَةُ الْمُتَضَمِّنَةُ لِلْمُنَاقَشَةِ»[٢].

قال الإمام الطحاوي: «وَنُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ وَجَزَاءِ الْأَعْمَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالْعَرْضِ وَالْحِسَابِ وَقِرَاءَةِ الْكِتَاب»[٣].

الثاني: تعرض الأعمال على صاحبها ويناقش في كل فعل، ويستقصى عليه، والمناقشة الاستقصاء وترك المسامحة، فيسأل عن الجليل والحقير[٤] فههنا يهلك أو يعذب صاحب العمل.

---

(١) (انظر: الفتح: ١١/ ٤٠٢ - المعرفة).

(٢) الجواب الصحيح (١/ ٢٢٧-٢٢٨).

(٣) الطحاوية شرح وتعليق للألباني (ص٧٢ فقرة ٨٢).

(٤) انظر: هدي الساري ١/ ١٩٨، والفتح (١١/ ٤٠١ -المعرفة).

قال النووي[١]: «معنى نوقش؛ أي: استقصى عليه، قال القاضي: وقوله: «عُذِّب» له معنيان:

أحدهما: أن نفس المناقشة وعرض الذنوب والتوقيف عليها هو التعذيب لما فيه من التوبيخ.

والثاني أنه مفضٍ إلى العذاب بالنار، ويؤيده قوله في الرواية الأخرى: «هلك»، مكان: «عُذِّب» هذا كلام القاضي، وهذا الثاني هو الصحيح، ومعناه: أن التقصير غالب في العباد، فمن استقصى عليه ولم يسامح هلك ودخل النار، ولكن الله تعالى يعفو ويغفر ما دون الشرك لمن يشاء»[٢].

وقال شارح الطحاوية[٣]: «يَعْنِي أَنَّهُ لو ناقَشَ فِي حِسَابِهِ لِعَبيدِهِ لَعَذَّبَهُمْ

---

(١) الإمام الزاهد الورع أبو زكريا يحيى بن شرف الدين النووي الشافعي، صاحب التصانيف النافعة المشهورة، أهمها: رياض الصالحين، والأربعون حديثًا، وشرح مسلم، والمنهاج في الفقه، توفي وعمره ٤٥ سنة سنة ٦٧٦هـ، انظر: البداية والنهاية (١٧/ ٥٣٩ - هجر)، فوات الوفيات (٤/ ٢٦٤).

(٢) شرح النووي على مسلم (ج١٧/ ٢٠٨ـ٢٠٩)

(٣) هو العلامة الفقيه صدر الدين أبو الحسن علي ابن القاضي علاء الدين علي بن ابن القاضي العالم محمد بن أبي العز الأذرعي الأصل الدمشقي النشأة الحنفي المذهب، ولد سنة ٧٣١هـ، اشتغل في العلم وتقدم فيه، واشتغل في القضاء في دمشق القاهرة، وامتحن فسجن في قلعة دمشق، من أشهر مؤلفاته: شرح الطحاوية، ورسالة في جواز الاقتداء بالمخالف، توفي ٧٩٢هـ، انظر: إنباء الغمر في أبناء العمر للحافظ ابن حجر (١/ ٢٥٨، ٤٠٨)، وشذرات الذهب (٨/ ٥٥٧)، وقد سماه الحافظ ابن حجر: (عليًا) في حوادث ٧٨٤هـ، وسماه (محمد بن علي) في وفيات سنة (٧٩٢)، وتبعه ابن العماد في

وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَكِنَّهُ تَعَالَى يَعْفُو وَيَصْفَحُ»[١].

هذا وقد بوب البخاري على هذا الحديث: «بَابُ مَنْ سَمِعَ شَيْئًا فَلَمْ يَفْهَمْهُ فَرَاجَعَ فِيهِ حَتَّى يَعْرِفَهُ».

قال الحافظ ابن حجر: «وفي الحديث ما كان عند عائشة من الحرص على تفهم معاني الحديث، وأن النبي ﷺ لم يكن يتضجر من المراجعة في العلم وفيه جواز المناظرة ومقابلة السنة بالكتاب»[٢].

وهذا النوع من الأسئلة ليس منهيًا عنه؛ لأنه رفع لإشكال وازدياد من علم، بخلاف بعض الأسئلة المذمومة التي جاء النهي عن إيرادها.

وقد رد الإمام ابن تيمية على من زعم أن فعل الصحابة هذا معارضة لأحاديث النبي ﷺ بالعقل؛ فقال: «قيل: لم يكن في الصحابة من يقول: إن عقله مقدم على نص الرسول، وإنما كان يشكل على أحدهم قولُهُ، فيسأل عما يزيل شبهته، فيتبين له أن النص لا شبهة فيه.

فلما نفى النبي ﷺ مناقشة الحساب عن الناجين، لم ينف كل ما يسمى حسابًا، والحساب يراد به الموازنة بين الحسنات والسيئات، وهذا يتضمن

=

تسميته: (محمداً)، والصواب أن اسمه: (علي)، كما نص على ذلك السخاوي في وجيز الكلام. انظر: مقدمة تحقيق الطحاوية بقلم: معالي الدكتور عبد الله التركي والشيخ شعيب الأرناؤوط (١/ ٦٧).

(١) شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (٢/ ٦٠٢)

(٢) (الفتح: ١/ ١٩٧ - المعرفة).

المناقشة، ويراد به عرض الأعمال على العامل وتعريفه بها»[١].

قال الحافظ: «وفيه أن السؤال عن مثل هذا لم يدخل فيما نهي الصحابة عنه في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ ﴾ [المائدة: ١٠١]، وفي حديث أنس: «كنا نهينا أن نسأل رسول الله ﷺ عن شيء»[٢].

قال ابن تيمية -عن الصحابة-: «إنا لم ننكر أنهم كانوا يعارضون نصاً بنص آخر، وإنما أنكرنا معارضة النصوص بمجرد عقلهم، والنصوص لا تتعارض في نفس الأمر، إلا في الأمر والنهي، إذا كان أحدهما ناسخاً والآخر منسوخاً، وأما الأخبار فلا يجوز تعارضها»[٣].

الحديث الثاني:

وقد وقع نحو ذلك لغير عائشة فعَنْ حَفْصَةَ، قَالَتْ: «قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ لَا يَدْخُلَ النَّارَ -إِنْ شَاءَ اللهُ- أَحَدٌ شَهِدَ بَدْراً وَالْحُدَيْبِيَةَ» قَالَتْ: فَقُلْتُ أَلَيْسَ اللهُ ﷻ يَقُولُ: ﴿ وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم:٧١]؟ قَالَتْ: فَسَمِعَتْهُ يَقُولُ: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا ﴾ [مريم: ٧٢]»[٤].

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٥/ ٢٢٩).

(٢) (الفتح ١/ ١٩٧- المعرفة).

(٣) درء التعارض (٥/ ٢٣١)

(٤) رواه أحمد في المسند (٤٤/ ٣٦-٣٧) وابن ماجه (٤٢٨١)، وابن أبي عاصم في السنة (٨٦٠)، وأبو يعلى (٧٠٤٤)، والطبري في التفسير (في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم: ٧١])، والطبراني في الكبير (٢٣/ ٣٥٨ و٣٦٣) و(٢٥/ ٢٦٦)، وابن =

قال الإمام ابن تيمية: «وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يُورِدُونَ الْأَسْئِلَةَ عَلَيْهِ...»، وذكر أمثلة ثم قال: «وَكَذَلِكَ لَمَّا قَالَ: «إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ»، قَالَتْ لَهُ حَفْصَةُ: أَلَمْ يَقُلِ الله: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم:٧١]. فَأَجَابَهَا بِأَنَّهُ قَالَ: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم: ٧٢].

فَبَيَّنَ ﷺ أَنَّ هَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ، وَهَذَا الدُّخُولُ هُوَ الَّذِي نَفَاهُ عَنْ أَهْلِ الْحُدَيْبِيَةِ، وَأَمَّا الْوُرُودُ فَهُوَ مُرُورُ النَّاسِ عَلَى الصِّرَاطِ، كَمَا فَسَّرَهُ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ(١)، وَهَذَا الْمُرُورُ لَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ اسْمُ الدُّخُولِ الَّذِي يَجْزِي بِهِ الْعُصَاةَ، وَيَنْفِي عَنِ الْمُتَّقِينَ، وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ»(٢).

الحديث الثالث:

وخير ما يمثل به في هذا الموطن حديث عَبْدِ الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قَالَ: «لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾(٣)

=

حبان (٤٨٠٠)، والبغوي في شرح السنة (٣٩٩٤)، وفي التفسير (في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾). قال الألباني في تخريجه لابن أبي عاصم: «إسناده جيد».

• وقد رواه مسلم (٢٤٩٦) وغيره من حديث أم مبشر أنها سمعت رسول الله عند حفصة.

(١) هو حديث حفصة السابق حيث يرويه مسلم (٢٤٩٦) عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن أم مبشر أنها سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) الجواب الصحيح (١/ ٢٢٧-٢٢٩).

(٣) يلبسوا بِمَعْنى: يخلطوا، يُقَال: لبَستُ بِفَتْح الْبَاء، ألبِس بِكَسْرِهَا: إِذا خلطتُ، ولبِست بِكَسْر الْبَاء ألبَس بِفَتْحِهَا من لبس الثَّوْب (كشف مشكل الحديث لابن الجوزي =

[الأنعام: ٨٢]، شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَالُوا: أَيُّنَا لَمْ يَلْبِسْ إِيمَانَهُ بِظُلْمٍ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّهُ لَيْسَ بِذَاكَ، أَلاَ تَسْمَعُ إِلَى قَوْلِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]»، وفي رواية لمسلم: «ليس هو كما تظنون...» الحديث[١]، وجاء في صحيح البخاري في روايات أخرى: «فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾»[٢].

وروي عن ابن عباس: «أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان إذا دخل بيته نشر المصحف فقرأ، فدخل ذات يوم فقرأ فأتى على هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ إلى آخر الآية، فانتعل وأخذ رِداءَه، ثم أتى أُبيَّ بنَ كعب فقال: «يا أبا المنذر! أتيتُ قبلُ على هذه الآية ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾، وقد ترى أنا نظلم ونفعل، فقال: يا أمير المؤمنين! إن هذا ليس بذلك، يقول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾، إنما ذلك الشرك»[٣].

وسبب الإشكال عند الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أنه التبس عليهم اطلاق لفظ (لَبْس الظلم) فظنوه أنه يندرج تحته أدنى ما يطلق عليه أنه ظلم، كظلم النفس، وهذا أمر يشق على الناس، ولذلك قالوا: «أينا لم يلبس إيمانه بظلم؟»، وفي رواية لمسلم: «أينا لا يظلم نفسه؟» فهذا هو الذي سوّغ لهم

=

(١/ ٢٦٦).

(١) البخاري (ح ٤٧٧٦) ومسلم (ح١٢٤).

(٢) انظر صحيح البخاري: (ح٣٢).

(٣) رواه المروزي في تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٥٢٤-٥٢٥).

السؤال عن هذه الآية، وهو ليس من باب الاعتراض المفضي للرد أو الشك، ولكنه من باب الاستفهام عن أمر لم يفهمه، ولذلك عبّر بقوله: «فشق ذلك على أصحاب النبي ﷺ»، مما دل على أنهم استسلموا لأمر الله ولم يعترضوا وإن وجدوا في ذلك مشقة، فجاء بيان النبي ﷺ شافياً في أن الظلم ههنا هو الشرك الأكبر وهو الظلم العظيم، وليس أي ظلم، وقد جاء تفسير الظلم في هذه الآية بالشرك عن جمع من الصحابة والتابعين، منهم:

أبو بكر، وعمر، وأبي بن كعب، وسلمان، وحذيفة، وابن عباس، وابن عمر، وعمرو بن شرحبيل[١]، وأبو عبد الرحمن السلمي[٢]، ومجاهد[٣]، وعكرمة[٤]،

(١) عمرو بن شرحبيل الهمداني أبو ميسرة الكوفي، روى عن عمر وعلي وابن مسعود وغيرهم، وكان من أفاضل أصحاب ابن مسعود، وكان ثقة عابداً كثير الصلاة، مات سنة ٦٣هـ. انظر: تهذيب التهذيب (٥/ ٤٢).

(٢) أبو عبد الرحمن السلمي مقرئ الكوفة وعالمها عبد الله بن حبيب بن ربيعة الكوفي، قرأ على عثمان وعلي وابن مسعود، وسمع منهم ومن عمر وتصدر للإقراء في خلافة عثمان، إلى أن مات في سنة ثلاث وسبعين أو بعدها في إمرة بشر بن مروان على العراق وكان ثقة رفيع المحل رحمه الله تعالى. انظر: تذكرة الحفاظ (١/ ٤٧) والسير (٤/ ٢٦٨).

(٣) أبو الحجّاج مجاهد بن جبر، الإمام الحبر المكّيّ الأسود، كان أعلمهم بالتفسير، عرض القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة، وعرضه ثلاث مرات يسأله عن كل آية، مات عن نيّف وثمانين سنة، عام: ١٠٣هـ، انظر: السير (٤/ ٤٤٩)، وشذرات الذهب (٢/ ١٩).

(٤) عكرمة البربري أبو عبد الله المدني مولى ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كان إماماً في التفسير، اتهم برأي الخوارج، كان واسع الرواية، روى عن ابن عباس وعلي وأبي هريرة وابن عمر وغيرهم، وروى عنه الخيار، توفي سنة ١٠٤ه وقيل بعدها. انظر: تهذيب التهذيب (٤/ ٥٤٧).

والنخعي[١]، والضحاك[٢]، وقتادة، والسدي[٣][٤].

قال ابن الجوزي[٥]: «وَالظُّلم يَقع على الشّرك وعَلى الْمعاصِي دونه، وَقد فسره الرَّسُول عَلَيْهِ السَّلَامُ هَاهُنَا بالشرك»[٦].

وكل من الشرك والكفر والظلم؛ فيه ما هو أكبر وأصغر، فما كان أكبر فهو الناقل من الملة، وهو المقصود ههنا من هذه الآية، والأصغر هو: كل ما دون الأكبر، وقد يكون على مراتب[٧].

---

(١) هو الإمام الفقيه إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي، أبو عمران الكوفي، لقي عائشة وكان مفتي أهل الكوفة، توفي سنة ٩٦هـ. انظر: السير (٤م٥٢٠)، وتهذيب التهذيب (١/ ١٦٨).

(٢) الإمام الضحاك بن مزاحم الهلالي أبو القاسم، ويقال: أبو محمد الخراساني، ثقة مأمون إمام في التفسير، أخذه عن سعيد بن جبير، واختلف في لقائه ابن عباس، توفي سنة ١٠٥ وقيل: ١٠٦هـ. انظر: السير (٤/ ٥٩٨) وتهذيب التهذيب (٣/ ٢٧٠-٢٧١).

(٣) هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السُّدي، أبو محمد القرشي مولاهم الكوفيّ الأعور، سكن الكوفة، قيل كان يقعد في سُدة باب الجامع فسمي: (السدي)، وهو السدي الكبير، ثقة رأى بعض الصحابة؛ كالحسن بن علي وابن عمر وأبي سعيد وأبي هريرة، مات سنة ١٢٧هـ، انظر: السير (٥/ ٢٦٤) وتهذيب التهذيب (١/ ٢٩٤).

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٢٨٨ - الشعب).

(٥) الشيخ الإمام العلامة المحدث المفسر، عبد الرحمن بن علي بن محمد؛ أبو الفرج ابن الجوزي التيمي البكري يرجع نسبه للصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مصنف مكثر، لم يصنف أحد مثله، من كتبه: زاد المسير في علم التفسير، والموضوعات في الحديث، وله تاريخ، وغيرها. وتوفي سنة ٥٩٧هـ (السير ٢١/ ٣٦٥- ٣٨٤).

(٦) كشف المشكل لابن الجوزي (١/ ٢٦٧).

(٧) انظر: شرح هذا الحديث عند ابن رجب في فتح الباري (١/ ١٤٤-١٤٦) حيث تعرض =

قال شيخ الإسلام: «والذين شق عليهم ظنوا أن الظلم المشروط هو ظلم العبد نفسه، وأنه لا أمن ولا اهتداء إلا لمن لم يظلم نفسه، فبيّن لهم النبي ﷺ ما دلّهم على أن الشرك ظلمٌ في كتاب الله، فلا يحصل الأمن والاهتداء إلا لمن لم يلبس إيمانه بظلم، فإن من لم يلبس إيمانه بهذا الظلم، كان من أهل الأمن والاهتداء، كما كان من أهل الاصطفاء في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ ... ﴾ [فاطر:٣٢].

وهذا لا ينفي أن يؤاخذ أحدهم بظلمه لنفسه، بذنب إذا لم يتب؛ كما قال تعالى: ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾ [الزلزلة:٧-٨]، وقد سأل أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ النبيَّ ﷺ، فقال: «يا رسول الله! أيُّنا لم يَعملْ سُوءاً؟» فقال: «يا أبا بكر ألست تنصب؟ ألست تحزن؟ أليس يصيبك اللأواء؟ فذلك ما تجزون به»[1]، فبين أن المؤمن الذي إذا مات دخل الجنة قد يُجزى بسيئاته في الدنيا بالمصائب».

قال: «فمن سلم من أجناس الظلم الثلاثة: الشرك، وظلم العباد، وظلمه لنفسه بما دون الشرك، كان له الأمن التام والاهتداء التام، ومن لم يسلم من ظلمه لنفسه كان له الأمن والاهتداء مطلقاً، بمعنى: أنه لا بد أن يدخل الجنة كما وعد بذلك في الآية الأخرى.

=

لهذه التقسيمات.

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٢٩-٢٣٢ ح:٦٨-٧١)، وأبو يعلى (ح٩٨-١٠١)، وابن حبان (ح٢٩٢٦) والحاكم (٣/ ٨٣ح ٤٥١٢/ مقبل)، وصححه ووافقه الذهبي، ورواه البيهقي (٣/ ٥٢٢ ح٦٥٣٦/ عطا).

وقد هداه الله إلى الصراط المستقيم الذي تكون عاقبته فيه إلى الجنة، ويحصل له من نقص الأمن والاهتداء بحسب ما نقص من إيمانه بظلمه لنفسه.

وليس مراد النبي ﷺ بقوله: «إنما هو الشرك» أن من لم يشرك الشرك الأكبر يكون له الأمن التام والاهتداء التام، فإن أحاديثه الكثيرة مع نصوص القرآن تبين أن أهل الكبائر معرضون للخوف؛ لم يحصل لهم الأمن التام والاهتداء التام اللذين يكونون بهما مهتدين إلى الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم؛ من غير عذاب يحصل لهم. بل معهم أصل الاهتداء إلى هذا الصراط، ومعهم أصل نعمة الله عليهم ولا بد لهم من دخول الجنة.

وقوله: «إنما هو الشرك» إن أراد الأكبر، فمقصوده أن من لم يكن من أهله فهو آمن مما وُعد به المشركون من عذاب الدنيا والآخرة، وإن كان مراده جنس الشرك، فيقال: ظلم العبد لنفسه، كبخله -بحب المال- ببعض الواجب هو شرك أصغر، ونحو ذلك.. فهذا فاته من الأمن والاهتداء بحسبه، ولهذا كان السلف يدخلون الذنب في هذا الشرك بهذا الاعتبار». انتهى ملخصاً[1].

فالظلم الرافع للأمن والهداية على الإطلاق هو الشرك، وجواب النبي ﷺ هو الذي يشفي العليل ويروي الغليل، فإن الظلم المطلق التام هو

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٨٠-٨٢).

الشرك الذي هو وضع العبادة في غير موضعها[١].

قال الحافظ ابن حجر معلقًا على جملة الأحاديث السابقة: «والجامع بين هذه المسائل الثلاث ظهور العموم في الحساب والورود والظلم، فأوضح لهم أن المراد في كل منها أمر خاص ولم يقع مثل هذا من الصحابة إلا قليلاً[٢]، مع توجه السؤال وظهوره؛ وذلك لكمال فهمهم ومعرفتهم باللسان العربي، فيحمل ما ورد من ذم من سأل عن المشكلات على من سأل تعنتًا كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾، وفي حديث عائشة: «فإذا رأيتم الذين يسألون عن ذلك فهم الذين سمى الله فاحذروهم»[٣]، ومن ثَمَّ أنكر عُمرُ على صَبِيغ لما رآه أكثر من السؤال عن مثل ذلك وعاقبه»[٤]. والله أعلم.

---

(١) انظر: الصواعق المرسلة (٣/ ١٠٥٧) وفتح المجيد (١١٨-١١٩).

(٢) تقدم كلام شيخ الإسلام أن هذا كثير، ولا تعارض بين القولين؛ فإن هذه الكثرة نسبية فهي قليلة بالنسبة لكثرة الصحابة وللسنوات الطوال التي قضاها الصحابة مع النبي ﷺ.

(٣) رواه البخاري (رقم ٤٥٤٧) ومسلم (رقم ٢٦٦٥).

(٤) (الفتح ١/ ١٩٧ - المعرفة).

المبحث الرابع

سؤال الاختبار

وهو طرح السؤال من المعلم على التلاميذ بقصد قياس معرفتهم، واختبار مقدرتهم، فيكون في هذا السؤال ما في سابقه من شحذ الأذهان وتشنيف الآذان لسماع الجواب عند من لم يعرف ذلك، وفيه معرفة مراتب الناس بالفهم والعلم، وإقرارهم على علمهم وتثبيتهم عليه، أو تصحيح مفهوم قد غلطوا فيه، أو تعليمهم أمراً جهلوه، والأمثلة على ذلك كثيرة في السنة النبوية، سواء في أمور العقائد أو في غيرها، وقد بوب البخاري رحمه الله تعالى باباً في كتاب العلم جاء فيه: «باب طرح الإمام المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم»[١]، ثم ذكر تحته حديث «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مَثَلُ المسلم، حدثوني ما هي»؟ قال: «فوقع الناس في شجر البوادي»، قال عبد الله -أي ابن عمر-: «فوقع في نفسي أنها النخلة»، ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: «هي النخلة»[٢].

فهذا الحديث وإن لم يكن له علاقة مباشرة بالعقيدة إلا أن فيه أهمية طرح هذا النوع من الأسئلة، وذلك يتبيّن من قوله: «فوقع الناس في شجر البوادي» وهذا ما يسمى بـ(العصف الذهني)، حيث إنهم تفاعلوا مع السؤال وكل إنسان أصبح يخطر في قلبه شجرة ربما تختلف عما خطر للآخر.

---

(١) الصحيح (كتاب العلم باب (٥)).

(٢) (البخاري (٦١، ٦٢) ومسلم (٢٨١١).

ويتبيّن شدة اهتمامهم وتفاعلهم أنهم هم الذين طلبوا منه أن يجيبهم بعدما عجزوا عن الإجابة الصحيحة، بقولهم: «حدثنا ما هي يا رسول الله».

قال ابن حجر: «وفي هذا الحديث من الفوائد...: امتحان العالم أذهان الطلبة بما يخفى مع بيانه لهم إن لم يفهموه، وأما ما رواه أبو داود من حديث معاوية عن النبي ﷺ أنه «نهى عن الأغلوطات»[1] قال الأوزاعي أحد رواته: «هي صعاب المسائل»، فإن ذلك محمول على ما لا نفع فيه، أو ما خرج مخرج تعنت المسؤول أو تعجيزه.

وفيه التحريض على الفهم في العلم، وقد بوب عليه المؤلف: «باب الفهم في العلم»[2] انتهى.

ومما جاء من الأسئلة على سبيل الاختبار في أبواب العقائد: حديث أُبَيّ بْنِ كَعْب قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا المنذر! أتدري أيّ آيَةٍ من كِتَابِ الله معك أَعْظَمُ؟» قَالَ: «قلت: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ».

قال: «يا أبا المنذر! أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟».

قَالَ: «قلت: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] قَالَ:

---

(١) رواه أبو داود (رقم ٣٦٥٦)، وأحمد (٣٩/ ٩٢) بلفظ: «الغَلوطات»، وأخرج قول الأوزاعي الخطابي في غريبه (١/ ٣٥٤)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٦٠٣٥) وتمام المنة (ص٤٥).

(٢) الفتح (١/ ٤٧٨ - الأفكار)، والتبويب في الصحيح (كتاب العلم - باب ١٤).

فضرب في صدري، وقال: «والله لِيَهْنك الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ» رواه مسلم[١]، وزاد أحمد: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ لَهَا لِسَانًا وَشَفَتَيْنِ تُقَدِّسُ الْمَلِكَ عِنْدَ سَاقِ الْعَرْشِ[٢]».

دل هذا الحديث على أنه يستحسن للعالم أن يختبر تلاميذه؛ ليعلم مقدار العلوم التي حصلوها، بالاكتساب أو بالاستنباط والاستقراء، فحينما سأل النبي ﷺ أُبَيَّ بنَ كعبٍ هذا السؤال أراد اختباره، فإن كان عالماً أقره على علمه، وإن كان غير ذلك علّمه، فلما عرف النبي ﷺ جواب أُبيّ هنّأه على علمه القيم ودعا له، وذلك نظراً لدقة السؤال من جهة، ولتعلقه بكلام الله من جهة أخرى، مما يدل على علو كعبه في الاستنباط، ورجاحة عقله في الفهم، فحُق لمن وصل به فهمه لكتاب الله إلى هذا المقدار أن يهنأ على هذا الجواب، قال النووي: «فيه منقبة عظيمة لأُبيّ، ودليل على كثرة علمه...[٣]».

وفيه دليل على جواز السؤال عن كلام الله تعالى وفضله وتفاضله، وفيه دليل على أن كلام الله تعالى يتفاضل، ولا يعني ذلك نقصاً في المفضول؛ فالمتكلم واحد، وهو الله تعالى، وفضل كلام الله تعالى على سائر الكلام، كفضل الله تعالى على خلقه. وإنما التفضيل في المعاني التي حواها الكلام، وقيل: إنما التفضيل راجع إلى عظم أجر القاري وجزيل ثوابه، وقد منع

(١) مسلم (٨١٠).

(٢) المسند (٣٥/ ٢٠٠).

(٣) شرح النووي (٦/ ٩٣).

البعض من ذلك؛ لأن تفضيل بعضه يقتضي نقص المفضول، وليس في كلام الله نقص[١]، وكلامهم مرجوح لظهور أدلة التفاضل.

روى ابن عبد البر[٢] عن إسحاق بن منصور[٣] قال: «قلت لأحمد بن حنبل: حديث النبي ﷺ: «من قرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فكأنما قرأ ثلث القرآن»[٤] فلم يقم لي على أمر بيِّن».

قال: وقال لي إسحاق بن راهويه[٥]: «إنما معنى ذلك أن الله جعل لكلامه فضلاً على سائر الكلام، ثم فضل بعض كلامه على بعض، فجعل

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٧/ ١٦٩، ٥٩)، ودرء التعارض (٧/ ٢٧٣).

(٢) العلّامة العلم الحافظ، أبو عمر بن عبد البرّ يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البرّ النّمري القرطبي، صاحب التصانيف الفائقة، شرح الموطأ بكتابين: التمهيد والاستذكار، وصنف في الصحابة: الاستيعاب، توفي سنة ٤٦٣هـ، انظر: السير (١٨/ ١٥٣)، وشذرات الذهب (٥/ ٢٦٧).

(٣) الإمام، الفقيه، الحافظ، الحجة، أبو يعقوب إسحاق بن منصور بن بهرام المروزي، نزيل نيسابور، الملقب بالكوسج، ولد: بعد السبعين ومائة، وسمع: سفيان بن عيينة، ووكيع بن الجراح، اعتمداه في (الصحيحين) أي اعتماد، وهو صاحب المسائل عن أحمد بن حنبل، توفي سنة إحدى وخمسين ومائتين. انظر: سير أعلام النبلاء (١٢/ ٢٥٨).

(٤) متفق عليه: البخاري (ح٥٠١٣، ٥٠١٤، ٥٠١٥، ٦٦٤٣، ٧٣٧٤)، ومسلم (ح٨١١، ٨١٢).

(٥) هو الإمام الكبير شيخ المشرق سيّد الحفاظ أمير المؤمنين في الحديث إسحاق بن إبراهيم بن مخلد ابن راهويه التميمي ثم الحنظلي المروزي نزيل نيسابور، ولد ١٦١ وسمع من ابن المبارك وغيره، صنف المسند، وكان صاحب سنة واتباع رَحِمَهُ ٱللَّهُ، توفي سنة ٢٣٨هـ. انظر: السير (١١/ ٣٥٨) وشذرات الذهب (٢/ ٨٩).

لبعضه ثواباً أضعاف ما جعل لغيره من كلامه؛ تحريضاً من النبي ﷺ أمته على تعليمه وكثرة قراءته وليس معناه أن لو قرأ القرآن كله كانت قراءة قل (هو الله أحد) تعدل ذلك إذا قرأها ثلاث مرات، لا ولو قرأها أكثر من مائتي مرة».

قال أبو عمر: «من لم يجب في هذا أخلص ممن أجاب فيه والله أعلم»[١].

ولكن إجابة إسحاق لا غبار عليها، لموافقتها لظاهر النصوص، والإمام أحمد[٢] لم ينفِ التفاضل.

قال شيخ الإسلام: «والناس متنازعون فيها نزاعاً منتشراً، فطوائف يقولون: بعض كلام الله أفضل من بعض كما نطقت به النصوص النبوية: حيث أخبر عن (الفاتحة) أنه «لم ينزل في الكتب الثلاثة مثلها»[٣]، وأخبر عن سورة (الإخلاص) أنها تعدل ثلث القرآن[٤]، وعدلها لثلثه يمنع مساواتها

(١) التمهيد (١٩/ ٢٣٢) وانظر: الآثار العقدية الواردة في كتاب التمهيد لابن عبد البر (٢/ ٧٦٩).

(٢) هو الإمام على الإطلاق ناصر السنة الصديق الثاني أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، صاحب المسند، والزهد، وفضائل الصحابة، امتحن في الله لأجل القول بخلق القرآن فثبته تعالى وأعلى قدره، مناقبه أكثر من أن تحصى، توفي سنة ٢٤١هـ، انظر: ترجمته طبقات الحنابلة (١/ ٤)، والسير (١١/ ١٧٧).

(٣) رواه الترمذي (ح:٢٨٧٥)، وابن خزيمة (١/ ٢٥٢)، والحاكم (٢/ ٢٨٣-عطا)، وقال الترمذي: حسن صحيح، وصححه الحاكم على شرط مسلم.

(٤) متفق عليه، تقدم تخريجه قريباً.

لمقدارها في الحروف، وجعل (آية الكرسي) أعظم آية في القرآن كما ثبت ذلك في الصحيح أيضًا، وكما ثبت ذلك في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال لأبي بن كعب: «يا أبا المنذر أتدري أي آية في كتاب الله معك أعظم؟» قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله أعظم»؟ قال: فقلت: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ قال: فضرب في صدري وقال: «ليهنك العلم أبا المنذر»، ورواه ابن أبي شيبة[1] في مسنده بإسناد مسلم وزاد فيه: «والذي نفسي بيده إن لهذه الآية لسانًا وشفتين تُقدِّسُ الملِكَ عندَ ساقِ العَرْشِ»[2].

وروي أنها «سيدة آي القرآن»[3]، وقال في المعوذتين: «لم يُرَ مثلُهُنَّ قط»[4]، وقد قال تعالى: ﴿ مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ

(١) لم أجده في المطبوع من مسنده (دار الوطن) ولا في المصنف.

(٢) تقدم تخريجه قريبًا.

(٣) رواه الترمذي (٥/ ح٢٨٧٨)، والحميدي (٢/ ح:٩٩٤)، ومن طريقه الحاكم (٢/ ٣١١/ مقبل)، ومن طريقه البيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٥٤ح ٢١٧١)، وأخرجه الحاكم أيضًا من غير طريق الحميدي (٢/ ٣١٢)، وابن عدي في الكامل (٢/ ٢١٩)، عن أبي هريرة مرفوعًا.

قال الترمذي: هذا حديث غريب؛ لا نعرفه إلا من حديث حكيم بن جبير، وقد تكلم شعبة في حكيم بن جبير وضعفه. وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

ورواه البيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٥٨ح٢١٧٦)، وابن الأنباري في المصاحف عن علي موقوفًا، (كما في الدر المنثور: ٣/ ١٧٢).

(٤) رواه مسلم (ح٨١٤).

﴿ مِثْلِهَآ ﴾ [البقرة: ١٠٦]، فأخبر أنه يأتي بخير منها أو مثلها، وهذا بيان من الله لكون تلك الآية قد يأتي بمثلها تارة أو خير منها أخرى، فدل ذلك على أن الآيات تتماثل تارة وتتفاضل أخرى. وأيضاً فالتوراة والإنجيل والقرآن جميعها كلام الله، مع علم المسلمين بأن القرآن أفضل الكتب الثلاثة.

قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٤٨][(١)].

«والسلف كانوا مقرين بأن القرآن أحسن الحديث وأحسن القصص، كما أنه المهيمن على ما بين يديه من كتب السماء، فكيف يقال: إن كلام الله كله لا فضل لبعضه على بعض!؟»[(٢)].

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال العلماء: إنما تميزت آية الكرسي بكونها أعظم لما جمعت من أصول الأسماء والصفات من الإلهية والوحدانية والحياة، والعلم، والملك، والقدرة والإرادة، وهذه السبعة أصول الأسماء والصفات، والله أعلم»[(٣)].

ومن الأسئلة الواردة عن الصحابة الدالة على جواز السؤال على جهة الاختبار ولو في الاعتقاد، ما رواه مسلم عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ الدِّيلِيِّ، قَالَ: «قَالَ لِي عِمْرَانُ بْنُ الْحُصَيْنِ: أَرَأَيْتَ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ الْيَوْمَ وَيَكْدَحُونَ فِيهِ، أَشَيْءٌ

(١) مجموع الفتاوى (١٧/ ١٠- ١١).
(٢) المصدر نفسه (١٧/ ٣٩).
(٣) شرح النووي (٦/ ٩٤).

قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى عَلَيْهِمْ مِنْ قَدَرِ مَا سَبَقَ؟ أَوْ فِيمَا يُسْتَقْبَلُونَ بِهِ مِمَّا أَتَاهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ، وَثَبَتَتِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ؟ فَقُلْتُ: بَلْ شَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ، وَمَضَى عَلَيْهِمْ، قَالَ فَقَالَ: أَفَلَا يَكُونُ ظُلْمًا؟ قَالَ: فَفَزِعْتُ مِنْ ذَلِكَ فَزَعًا شَدِيدًا، وَقُلْتُ: كُلُّ شَيْءٍ خَلْقُ اللهِ وَمِلْكُ يَدِهِ، فَلَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ، فَقَالَ لِي: يَرْحَمُكَ اللهُ إِنِّي لَمْ أُرِدْ بِمَا سَأَلْتُكَ إِلَّا لِأَحْزِرَ عَقْلَكَ، إِنَّ رَجُلَيْنِ مِنْ مُزَيْنَةَ أَتَيَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَا: يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ الْيَوْمَ، وَيَكْدَحُونَ فِيهِ، أَشَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى فِيهِمْ مِنْ قَدَرٍ قَدْ سَبَقَ، أَوْ فِيمَا يُسْتَقْبَلُونَ بِهِ مِمَّا أَتَاهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ، وَثَبَتَتِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ؟ فَقَالَ: «لَا، بَلْ شَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى فِيهِمْ، وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللهِ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾ [الشمس: ٧-٨]»[(١)].

في هذا الحديث نوعان من الأسئلة، فقد سئل النبي ﷺ عن القدر سؤال استعلام فأجاب، ثم استخدم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هذا السؤال نفسه، ولكنه جاء بصيغة الاختبار لأصحابهم وأتباعهم، وكلا السؤالين عن القدر، فيعلم من ذلك جواز السؤال عنه، سؤال استعلام أو اختبار أو تعليم، بخلاف سؤال التعمّق أو التكلف، أو سؤال التشكيك أو الإلحاد، أو المخاصمة، المؤدي لضرب كتاب الله ببعض، فإن هذا منهي عنه[(٢)]، فعن عبد الله بن

(١) مسلم: (٢٦٥٠).

(٢) انظر: تفاصيل الأسباب الموجبة للنهي عن الخوض في القدر: كتاب «ضرورة تعلم مسائل القدر والنهي عن الخوض فيه» للأستاذ الدكتور محمد بن عبد العزيز العلي (ص: ٥١) وما بعدها.

عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ خرج وهم يتنازعون في القدر؛ هذا ينزع آية وهذا ينزع آية، فكأنما فقئ في وجهه حبّ الرّمان، فقال: «بهذا أمرتم أو بهذا وكلتم، أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض؟ انظروا إلى ما أمرتم به فاتبعوه، وما نهيتم عنه فاجتنبوه»(١)، وفي رواية: «بهذا أمرتم، أو لهذا خلقتم؛ تضربون القرآن بعضه ببعض؟ بهذا هلكت الأمم قبلكم» قال: فقال: عبد الله بن عمرو، ما غبطت نفسي بمجلس تخلفت فيه عن رسول الله ﷺ، ما غبطت نفسي بذلك المجلس وتخلفي عنه(٢)».

(١) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (ح١٨٠،١٧٩، ١١١٨، ١١١٩)

(٢) رواه ابن ماجه (ح٨٥) قال في الزوائد: إسناده صحيح، رجاله ثقات، وقال الألباني: حسن صحيح (صحيح سنن ابن ماجه (ح٦٩).

المبحث الخامس

الامتحان

مرّ معنا سابقًا أن من الأسئلة ما يطرحه الإمام والعالم على المتعلمين ليختبر ما عندهم من معرفة، وسأتكلم في هذا النوع من الأسئلة عن الامتحان لمعرفة المسؤول؛ أهو مسلم أم لا؟ أو إسلامه صحيح أم غير صحيح؟ أو أهو صادق فيما يقول أم أنه غير صادق؟ وذلك بمعرفة علامات إيمانه ولو بالظاهر؛ فيحكم من خلالها على الشخص بما هو أهله، وليس المقصود من ذلك السؤال قياسَ المعرفة لدى المسؤول.

وهذا النوع من الأسئلة قد استخدمه النبي ﷺ في عدة أماكن حينما تستدعي الحاجة ذلك، بخلاف أسئلة الامتحان البدعية التي حدثت بعد عهد النبي ﷺ.

وقد ورد سؤال الامتحان في سورة الممتحنة كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [الممتحنة: ١٠].

وقد جاءت الرواية في بيان كيفية الامتحان على ثلاثة أوجه[1]:

---

(١) انظر: في ذلك تفسير المحرر الوجيز لابن عطية (٥/ ٢٩٧)، وزاد المسير لابن الجوزي (٨/ ٢٤٠- ٢٤١)، وتفسير القرطبي (١٨/ ٦٢).

الوجه الأول: ما ورد عن ابن عباس أنه سئل: كيف كان امتحان رسول الله ﷺ النساء؟ قال: كان يمتحنهن: بالله ما خرجتِ من بغض زوج؟ وبالله ما خرجتِ رغبة عن أرض إلى أرض؟ وبالله ما خرجتِ التماس دنيا؟ وبالله ما خرجتِ إلا حبًا لله ولرسوله؟[١].

وجاءت بعض الطرق عند ابن جرير[٢] والبزار[٣] أن الذي كان يحلفهن عن أمر رسول الله ﷺ له عمر بن الخطاب[٤].

وقال مجاهد: ﴿فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾: فاسألوهن: عما جاء بهن؟ فإن كان بهن غضب على أزواجهن أو سخطة أو غيره، ولم يؤمنّ فارجعوهنّ إلى

---

(١) رواه الترمذي في سننه (ح: ٣٣٠٨) وقال: حديث غريب، ورواه الطبري (٢٨/ ٤٤).

(٢) محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر، مؤرخ الإسلام وشيخ المفسرين، ولد سنة ٢٢٤هـ في طبرستان واستوطن بغداد، من كتبه: (جامع البيان في تفسير القرآن)، و(أخبار الأمم والملوك) توفي في بغداد سنة ٣١٠هـ، انظر: وفيات الأعيان (٤/ ١٩١)، وشذرات الذهب (١/ ٢٩).

(٣) الحافظ الكبير أبو بكر البزّار، أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصري، صاحب المسند الكبير المعلل، توفي في ربيع الأول بالرّملة سنة ٢٩٢هـ. انظر: السير (١٣/ ٥٥٤)، وشذرات الذهب (٣/ ٣٨٧).

(٤) مسند البزار برقم (٢٢٧٢ - كشف الأستار) وقال: «لا نعلمه يروى عن ابن عباس إلا بهذا الإسناد، ولا روى عن أبي نصر إلا خليفة». قال الهيثمي في المجمع (٧/ ١٢٣): «وفيه قيس بن الربيع، وثقه شعبة والثوري، وضعفه غيرهما، وبقية رجاله ثقات». وتعقبه ابن حجر في مختصر الزوائد (٢/ ١١٢ح١٥١٧)، قلت: «أعله الشيخ بقيس، وقد ذكر البخاري أن أبا نصر لم يسمع من ابن عباس فهي العلة».

أزواجهنّ[١].

وقال عكرمة: يقال لها: ما جاء بك إلا حب الله ورسوله؟ وما جاء بك عشق رجل منا، ولا فرار من زوجك؟ فذلك قوله: ﴿فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾[٢].

وقال قتادة[٣]: «كانت محنتهن أن يستحلفن بالله: ما أخرجكن النشوز؟ وما أخرجكن إلا حب الإسلام وأهله وحرص عليه؟ فإذا قلن ذلك قبل ذلك منهن».

وقال قتادة أيضاً: «يحلفن ما خرجن إلا رغبة في الإسلام، وحباً لله ورسوله»[٤].

الوجه الثاني: وهو ما رواه العوفي عن ابن عباس في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾: «كان امتحانهنّ أن يشهدن أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبد الله ورسوله»[٥].

الوجه الثالث: وهو ما جاء عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا زوج النبي ﷺ قالت: كانت المؤمنات إذا هاجرْنَ إلى رسول الله ﷺ يُمْتَحَنَّ بقول الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا

---

(١) تفسير ابن جرير (٢٢/ ٥٧٧).

(٢) المصدر نفسه (٢/ ٥٧٧).

(٣) قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي، أبو الخطاب البصري، ثقة ثبت، يقال: ولد أكمه، وهو من خيار التابعين، اتهم بالقدر، توفي بضع عشرة ومائة. انظر: السير (٥/ ٢٦٩)، والتقريب (ص٤٥٣).

(٤) تفسير ابن جرير (٢٢/ ٥٧٧).

(٥) تفسير ابن جرير (٢٢/ ٥٧٦).

﴿ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ [الممتحنة: ١٢] إلى آخر الآية، قالت عائشة: فمن أقر بهذا من المؤمنات، فقد أقر بالمحنة(١)، فكان رسول الله ﷺ إذا أقررن بذلك من قولهن قال لهن: «انطلقن فقد بايعتكن» ولا والله ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط، غير أنه بايعهن بالكلام؛ قالت عائشة: والله ما أخذ رسول الله ﷺ على النساء قط، إلا بما أمره الله ﷻ، وكان يقول لهن إذا أخذ عليهن: «قد بايعتكن كلامًا»(٢).

وعنها قالت: «ما كان رسول الله ﷺ يمتحن المؤمنات إلا بالآية، قال الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ [الممتحنة: ١٢]، ولا، ولا»(٣).

وليس هناك تعارض بين هذه الأقوال الثلاثة -في سورة الممتحنة-، فلا مانع أن تُسأل المرأة هذه الأسئلة كما في قول ابن عباس وقتادة ومجاهد وغيرهم فإذا عرف صدقها تعرض عليها البيعة، ولا يمكن أن تعرض عليها البيعة قبل التحقق من إيمانها، فتكون البيعة مِحنة ثانية أيضًا، ولعله لأجل ذلك لم يذكر ابن كثير حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من ضمن الأقوال في الامتحان.

---

(١) هكذا في صحيح البخاري (٥٢٨٨) ومسلم (١٨٦٦) (المِحنة) بالنون من الامتحان، ووقع في تفسير ابن جرير (المحبة) بالباء، وفيما يظهر أنه تصحيف.

(٢) رواه البخاري (٤٨٩١، ٢٧١٣، ٥٢٨٨) ومسلم (١٨٦٦) وابن ماجه (٢٨٧٥) وابن جرير (٢٢/ ٥٧٦).

(٣) تفسير ابن جرير (٢٢/ ٥٧٦)، وقد رواه البخاري (ح:٧٢١٤)، وعبد الرزاق (٢/ ٢٨٧)، ومن طريقه الترمذي (٣٣٠٦) بنحوه.

وقد يطرأ ههنا سؤالان:

الأول: لماذا كان هذا السؤال والامتحان؟ ألا يكفي أن يظهر الإنسان إسلامه فيُقبل؟

الجواب: أن يقال: إن الامتحان هذا لم يكن لكل المسلمين والمسلمات، بل كان لفئة معينة من المؤمنات، وذلك للحاجة الداعية لذلك، حيث كان النبي ﷺ قد عقد عهداً أيام الحديبية مع المشركين بأن يردّ النبي ﷺ كلّ من أتى إليه من مكة للمدينة أن يرده لمكة، فجاءت امرأة للنبي ﷺ من مكة فأنزل الله تعالى آية الامتحان، وقد ورد أيضاً أن نساء قريش إذا غضبن من أزواجهن هددنهم باللحاق بالنبي ﷺ[1]، فكان هذا الامتحان، فمن عُرف صدقُها قُبِلت، ومن كانت غير ذلك رُدّتْ لأهلها أو زوجها -كما تقدم-.

السؤال الثاني: هل هذه الأسئلة يعرف بها صدق الإنسان من كذبه؟

الجواب: أنه قد تعرض العلماء لهذا الأمر، وبينوا أن الأحكام تبنى على الظاهر، وأن هذا الظاهر معتبر حتى يتبين خلافه، وخاصة إذا جاء هذا الامتحان على سبيل الحلف أو البيعة -كما في بعض الروايات- فلا يصح أن يشكك في الحالف من غير قرينة توجب الشك، أو يكذب من غير بينة.

قال ابن جرير في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ [الممتحنة: ١٠] يقول: فإن أقررن عند المحنة بما يصح به عقد الإيمان لهن،

(١) انظر: تفسير ابن جرير (٢٢/ ٥٧٨) فقد ورد ذلك عن ابن زيد.

والدخول في الإسلام، فلا تردوهن عن ذلك إلى الكفار[١].

وقال الماوردي[٢] في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ﴾ لأنه يعلم بالامتحان ظاهر إيمانهن والله يعلم باطن إيمانهن؛ ليكون الحكم عليهن معتبراً بالظاهر، وإن كان معتبراً بالظاهر والباطن[٣].

وقال السمعاني[٤]: وَقَوله: ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ﴾ يَعْنِي: إخلاصهن فِي إيمانهن. فَإِن قَالَ قَائِل: كَيفَ التَّوْفِيق بَين قَوْله: ﴿ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ ﴾ وَبَين قَوْله: ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ﴾؟ وَالْجَوَاب عَنهُ: أَن معنى قَوْله: ﴿ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ ﴾ أَي: إِيمَان الْإِقْرَار والامتحان، كأنهن أقررن بِالْإِيمَان، وحلفن عِنْد الامتحان»[٥].

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري (٢٢/ ٥٧٨).

(٢) العلامة شيخ القضاة أبو الحسن، علي بن محمد بن حبيب البصري الشافعي، مصنّف (الحاوي) و(الإقناع) و(أدب الدّنيا والدّين)، وكان إمامًا في الفقه، والأصول، والتفسير، توفي في سنة ٤٥٠هـ. انظر: السير (١٨/ ٦٤)، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب (٥/ ٢١٨).

(٣) النكت والعيون للماوردي (٥/ ٥٢٠) وبنحوه قال كثير من المفسرين، انظر: الواحدي في الوسيط: (٤/ ٢٨٥)، وابن الجوزي (٨/ ٢٤١) والقرطبي (١٨/ ٦٣)

(٤) الإمام العلامة، مفتي خراسان، شيخ الشافعية، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد التميمي، السمعاني، المروزي، الحنفي كان، ثم الشافعي. ولد: سنة ٤٢٦هـ، صنف في التفسير والفقه وأصوله، وكان متبعًا للسنة محبًا لأهل الحديث والأثر، توفي سنة ٤٨٩هـ، انظر: السير (١٩/ ١١٤).

(٥) تفسير السمعاني: (٥/ ٤١٨).

وقال الشوكاني[١]: «﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ﴾ هذه الجملة معترضة لبيان أن حقيقة حالهن لا يعلمها إلا الله سبحانه، ولم يتعبدكم بذلك، وإنما تعبدكم بامتحانهن حتى يظهر لكم ما يدل على صدق دعواهن في الرغوب في الإسلام، فإن علمتموهن مؤمنات؛ أي: علمتم ذلك بحسب الظاهر بعد الامتحان الذي أمرتم به فلا ترجعوهن إلى الكفار»[٢].

وقال العلامة صديق حسن خان[٣]: «﴿ فَإِنۡ عَلِمۡتُمُوهُنَّ مُؤۡمِنَٰتٖ ﴾ أي علمتم ذلك بحسب الظاهر بعد الامتحان الذي أمرتم به، وهو الظن الغالب بظهور الأمارات، وتسمية الظن علماً يؤذن بأن الظن الغالب، وما يفضي إليه القياس، جار مجرى العلم، وصاحبه غير داخل في قوله: ﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ ... ﴾ [الإسراء:٣٦]، وقال الكرخي: «المراد بالعلم الظن، وسمي

---

(١) الإمام المجتهد محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء. ولد سنة ١١٧٣هـ، ونشأ بصنعاء، وولي قضاءها سنة ١٢٢٩، ومات حاكماً بها، وكان نابغة ذكياً شاعراً عبقرياً؛ له ١١٤ مؤلفا، منها: نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، وفتح القدير في التفسير، وغيرها، توفي ١٢٥٠هـ، انظر: البدر الطالع له (٢/ ١١٤) والأعلام للزركلي (٦/ ٢٩٨).

(٢) فتح القدير للشوكاني (٥/ ٢٥٦).

(٣) العلامة المحقق صديق بن حسن خان القنوجي البخاري، ولد في قنّوج ونشأ بها، ثم رحل إلى بهوبال وطلب العلم بها، كثير التصنيف، من مصنفاته: (فتح البيان في مقاصد القرآن)، و(الدين الخالص)، و(قطف الثمر في عقيدة أهل الأثر)، و(التاج المكلل) توفي سنة ١٣٠٧هـ، انظر: جلاء العينين في محاكمة الأحمدين لنعمان الآلوسي (ص٦٣)، والأعلام للزركلي (٦/ ١٦٧).

علمـًا؛ إيذانـًا بأنه كالعلم في وجوب العمل به، ففي الكلام استعارة تبعية»[١].

وأما ابن كثير فقال: «فيه دلالة على أن الإيمان يمكن الاطلاع عليه يقينا»[٢].

وأما المثال **الثاني**، فهو سؤال نبي الله يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿**مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى**﴾ [البقرة: ١٣٣]، قال العلماء: الفائدة من هذا سؤال: الامتحان، كما وردت الأخبار، والسؤال في القبر[٣].

وقال في البحر المحيط في استخدام ﴿**مَا تَعْبُدُونَ**﴾ بدلاً من: (مَنْ تعبدون): «وَقِيلَ: استفهم بـ﴿مَا﴾ عَنِ الْمَعْبُودِ تَجْرِبَةً لَهُمْ، وَلَمْ يَقُلْ (مَنْ)؛ لِئَلَّا يَطْرُقَ لَهُمُ الِاهْتِدَاءُ، وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَخْتَبِرَهُمْ وَيَنْظُرَ ثُبُوتَهُمْ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ»[٤].

وأما المثال والدليل **الثالث** في جواز الامتحان لمعرفة الإيمان فهو:

حديث الجارية: فعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ، في حديث طويل، قال فيه: «وَكَانَتْ لِي جَارِيَةٌ تَرْعَى غَنَمـًا لِي قِبَلَ أُحُدٍ وَالْجَوَّانِيَّةِ، فَاطَّلَعْتُ ذَاتَ يَوْمٍ فَإِذَا الذِّيبُ قَدْ ذَهَبَ بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ، آسَفُ كَمَا يَأْسَفُونَ، لَكِنِّي صَكَكْتُهَا صَكَّةً، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَعَظَّمَ ذَلِكَ عَلَيَّ،

(١) فتح البيان عن مقاصد القرآن (١٤/ ٨٥).

(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٩٣).

(٣) انظر: درج الدرر (ص٣٠٢/ الحكمة).

(٤) البحر المحيط (١/ ٦٤٠).

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا أُعْتِقُهَا؟ قَالَ: «ائْتِنِي بِهَا» فَأَتَيْتُهُ بِهَا، فَقَالَ لَهَا: «أَيْنَ اللهُ؟» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «مَنْ أَنَا؟» قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: «أَعْتِقْهَا، فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»(١).

في هذا الحديث جواز الاختبار لمعرفة الإيمان كما تقدم في الآية السابقة وشروحها، وأن ذلك كان لسبب يستدعي الامتحان، وهذا الحديث من هذا الباب، فيُسأل حيث يُشك في إيمان أحدٍ واحتاج الأمر إلى ذلك، فهنا أراد أن يعتقها ولا تجزئ إلا رقبة مسلمة فامتحنها النبي ﷺ قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن سبب اختيار هذا السؤال لهذه الجارية وأمثالها: «إن المعروفين بالإيمان من الصحابة لم يكن النبي ﷺ يقول لأحدهم: "أين الله؟" وإنما قال ذلك لمن شكَّ في إيمانه كالجارية(٢)».

«فحكم رسول الله ﷺ بإسلامها وإيمانها لما أقرّت بأن ربها في السماء، وعرفت ربها بصفة العلو والفوقية(٣)».

قال الإمام أبو يعلى(٤): «اعلم أن الكلام فِي هَذَا الخبر فِي فصلين:

---

(١) مسلم (ح٥٣٧).

(٢) الاستقامة (١/ ١٩٢).

(٣) عقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني (ص: ١٨٨/ الجديع).

(٤) العالم العلامة الفقيه: مُحَمَّد بْن الحسين بْن مُحَمَّد بْن خلف بْن أَحْمَد بْن الفراء أَبُو يعلى، تولى القضاء وشكر الناس سيرته، من مؤلفاته: أحكام القرآن، وإبطال التأويلات، والرد على الأشعرية، والرد على الكرامية، والرد على الباطنية، وغيرها، توفي ٤٥٨هـ، انظر: طبقات الحنابلة لابنه (٢/ ٢٠٧-٢١٦)، والشذرات (٥/ ٢٥٣).

أحدهما: فِي جواز السؤال عنه سُبْحَانَهُ بأين هو، وجواز الإخبار عنه بأنه فِي السماء. والثاني قوله: "اعتقها فإنها مؤمنة"، أما الفصل الأول فظاهر الخبر يقتضي جواز السؤال عنه، وجواز الإخبار عنه بأنه فِي السماء؛ لأن النبي ﷺ قَالَ لها: "أين الله؟" فلولا أن السؤال عنه جائز لم يسأل وأجابته بأنه فِي السماء وأقرها عَلَى ذَلِكَ، فلولا أنه يجوز الإخبار عنه سُبْحَانَهُ بذلك لم يقرها عليه[١]».

قال الشيخ العلامة محمد خليل هراس رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن حديث الجارية: «فهذا رجل أخطأ في حق جاريته بضربها، فأراد أن يكفر عن خطيئته بعتقها، فاستمهله الرسول ﷺ حتى يمتحن إيمانها، فكان السؤال الذي اختاره لهذا الامتحان هو (أين الله؟)، ولما أجابت بأنه في السماء، رضي جوابها وشهد لها بالإيمان. ولو أنك قلت لمعطل: أين الله؟ لحكم عليك بالكفران»[٢].

وأما المثال والدليل **الرابع**: فهو ما رواه الإمام أحمد بسنده عن الزهري، عن عبيدالله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن رجل من الأنصار؛ أنه جاء بأمة سوداء، فقال: يا رسول الله، إن علي رقبة مؤمنة، فإن كنت ترى هذه مؤمنة أعتقتها. فقال لها رسول الله ﷺ: «أتشهدين أن لا إله إلا الله»؟

قالت: نعم.

قال: «أتشهدين أني رسول الله»؟

---

(١) إبطال التأويلات (ص٢٧٦).

(٢) انظر: حاشية التوحيد لابن خزيمة ص ١٢١.

قالت نعم.

قال: «أتؤمنين بالبعث بعد الموت»؟

قالت: نعم، قال: «أعتقها»[١].

هذه الحادثة غير التي سبقت مع الصحابي الكريم معاوية بن الحكم السلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فإسنادهما مختلف، والأسئلة متغايرة أيضاً.

وفي هذا الحديث أيضاً ما يدل على جواز سؤال الامتحان إذا احتاج الأمر إلى ذلك، كالعبد إذا لم يعرف حاله من الإسلام أو عدمه إن أريد إعتاقه، وكذا من دخل دار المسلمين وليس معروفاً لديهم أنه مسلم فلهم أن يمتحنوه، وخاصة إذا كان هناك ما يرتاب منه.

يوضحه المثال والدليل **الخامس**:

روي أَنَّ أَعْرَابِيًّا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي رَأَيْتُ الْهِلَالَ قَالَ: «أَتَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ؟»

---

(١) رواه عبد الرزاق في المصنف (٩/ ١٧٤ح ١٦٨١٤) ومن طريقه أحمد في مسنده (٣/ ٤٥١ـ ٤٥٢) وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٢٨٦ـ٢٨٧ ح ١٨٥) هكذا عن رجل من الأنصار.
قال االذهبي (العلو ١/ ٢٥٧): هذا حديث صحيح، وقال ابن كثير في تفسيره (٢/ ٣٧٤ طيبة) (المائدة٩٢-٩٣): «وهذا إسناد صحيح وجهالة الصحابي لا تضر»، وقال في مجمع الزوائد (١/ ٢١٠ - أسد): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.
وأخرجه الإمام مالك مرسلاً أن رجلاً من الأنصار (٢/ ٧٧٧ ح٩) ومن طريقه البيهقي في السنن (٧/ ٦٣٨) ورواه من غير طريق مالك مرسلاً أيضاً (١٠/ ٩٨).

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: «فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِلَالاً فَنَادَى فِي النَّاسِ أَنْ صُومُوَا»(١).

وقد جعل علماء الرواية هذا الحديث ضمن الأدلة التي توجب التحري عن العدالة، وأساس العدالة: الإسلام، ولهم في ذلك تفصيلات ونقاشات(٢).

وأما الأسئلة فتتنوع بحسب الحاجة، وجماعها ما يدل على الإيمان بالله تعالى أو أسمائه أو صفاته أو البيعة على خصائص الإسلام أو الحلف على ذلك، كما مرّ من خلال النقول السابقة. والله أعلم.

---

(١) رواه عبد الرزاق (٤/ ١٦٦ح٧٣٤٢)، وابن أبي شيبة في المصنف (٢/ ٣٢٠)، وأبو داود (ح٢٣٤٠)، والترمذي (ح٦٩١)، والنسائي (ح٢١١٤، ٢١١٥)، وابن الجارود في المنتقى (ح٣٧٩، ٣٨٠)، والطحاوي في مشكل الآثار (ح٤٨٢، ٤٨٤)، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٨٦ـ عطا) وصححه، ورواه الخطيب في الكفاية (ص ٨٢) من طرق عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس ورواية سماك عن عكرمة.

قال الترمذي: حديث ابن عباس فيه اختلاف، وروى الثوري وغيره عن سماك عن عكرمة عن النبي ﷺ مرسلاً، وأكثر أصحاب سماك رووا عن سماك عن عكرمة عن النبي ﷺ مرسلاً فيها اضطراب، رواه ابن أبي شيبة (٢/ ٣٢٠) والنسائي (٢١١٦، ٢١١٧) والطحاوي عن عكرمة مرسلاً (ح٤٨٥)، وضعفه الألباني (الإرواء ٩٠٧).

(٢) انظر: الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي (ص٨٢ وما بعدها).

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد، فلقد منّ الله تعالى عليّ بإنهاء هذا البحث المتواضع، وقد مرّ هذا البحث بمراحل كثيرة، وحذف وإضافات متنوعة، وتقديم وتأخير، حتى وصل بهذه الصورة التي بين أيدينا، وكل ذلك يهون إذا كان العمل متقبلاً عند الله تعالى، فأسأله سبحانه وتعالى بمنّه وكرمه أن يتقبله بقبول حسن، وأن يجعله شافعاً وشهيداً لنا يوم القيامة.

فمن خلال دراستي لهذا الموضوع تبين لي أن السؤالات عالم كامل من العلم، يحتاج إلى كم من البحوث المتسلسلة، فشرعت في هذا البحث الذي أراه أول ما ينبغي أن تمر به هذه المرحلة، وهو البحث فيما يجوز من الأسئلة العقدية، وقد اقتصرت فيه على التمثيل لكل نوعٍ من أنواع الأسئلة الجائزة، ولو أردت استقصاء الأمثلة لما انتهى الأمر؛ نظراً لكثرتها في السنة النبوية، وحسبنا أن نشير إلى ما يدل على جواز طرح هذا النوع من الأسئلة.

وقد توصلت إلى ذكر خمسة أنواع أساسية من الأسئلة العقدية، هي:

السؤال التعليمي الإرشادي، وهو كما حصل للنبي ﷺ مع جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكما حصل من النبي ﷺ في طرح بعض الأسئلة على أصحابه رضوان الله عليهم لأجل تعليمهم.

وسؤال الاستعلام، وهو طلب العلم، وهو كثير في الصحابة، وقدمت في

التمهيد عن حكم هذا النوع من الأسئلة، وهل مُنع الصحابةُ مِنهُ أو أنّهُ مأذونٌ لهم فيه، وبينت أن هناك بعض المحاذير إذا خلت من السؤال فإنه يكون جائزاً ساعتئذ.

وكذلك هناك سؤال ناشئ عن أمرين ظاهرهما التعارض، فيأتي الجواب ليزيل ذاك الإشكال ويزيح ما اعترى الذهن من الخيال.

ثم رأيت نوعًا من الأسئلة أشار البخاري لبعضها، وهو طرح المسالة لاختبار مدى علم المسؤول، وقد حصل الأمر من النبي ﷺ في عدة مناسبات.

وهناك سؤال آخر يشبه ذاك السؤال وهو سؤال الامتحان، ليعلم ما يعتقده الإنسان وليعلم مدى إيمانه، وقد حصل هذا أيضًا في عدة حوادث، أشهرها امتحان النبي ﷺ النساء المؤمنات المهاجرات.

وامتحان النبي ﷺ الجارية، بسؤالها: «أين الله؟».

وبهذه الأنواع من الأسئلة، أكون قد ذكرت أصول أنواع الأسئلة الجائزة والمشروعة، سائلاً الله تعالى أن يجعل هذا العمل مباركًا خالصًا لوجهه الكريم، إنه سميع الدعاء.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع

١) إبطال التأويلات لأخبار الصفات، للقاضي الإمام أبي يعلى محمد بن الحسين الفراء، تحقيق ودراسة أبي عبد الله محمد بن حمد الحمود النجدي، غراس للنشر والتوزيع، الكويت، ط١، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

٢) الآثار العقدية الواردة عن السلف في كتاب التمهيد لابن عبد البر (جمعًا ودراسة)، تأليف: د. أبو بكر بن سالم الشهال، إصدار عمادة البحث العلمي في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، ط١، ١٤٣٣-٢٠١٢.

٣) الأحاديث المشكلة الواردة في تفسير القرآن الكريم، الدكتور أحمد بن عبد العزيز بن مقرن القصيّر، دار ابن الجوزي، ط١/ ١٤٣٠هـ.

٤) آداب طالب العلم - منهج تربوي توجيهي للمعاهد القرآنية -، تأليف الدكتور أنس كرزون، دار نور المكتبات.

٥) أربعون حديثًا من أصح الصحيح في حق الله سبحانه وتعالى، جمع وترتيب الشيخ محمد سالم بن أحمد مود الجكني، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

٦) إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، للعلامة محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٧) الاستقامة؛ تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) المحقق: د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود - الطبعة: الأولى، ١٤٠٣.

٨) أسد الغابة، للحافظ أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، المتوفى: ٦٣٠هـ، دار الفكر – بيروت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٩) أسئلة الرسول في الصحيحين وتطبيقاتها التربوية، دراسة حديثية موضوعية، تأليف نعمات محمد الجعفري، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ -٢٠٠٧م.

١٠) الإصابة في تمييز الصحابة، للحافظ أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى - ١٤١٥هـ.

١١) أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، عبد الرحمن النحلاوي، دار الفكر، ط الأولى ١٣٩٩، ١٩٧٩م.

١٢) الأعلام، المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار/ مايو ٢٠٠٢م.

١٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين للإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

١٤) البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) تحقيق: صدقي

محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠هـ.

١٥) البداية والنهاية، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م. سنة ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

١٦) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، تأليف الإمام محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار المعرفة – بيروت.

١٧) البرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، ١٤٠٨، ١٩٨٨م.

١٨) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

١٩) البلاغة الواضحة (البيان، المعاني، البديع)، تأليف الأستاذ علي الجارم ومصطفى أمين، دار الكتب العلمية.

٢٠) تأويل مختلف الحديث، للإمام أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، الناشر: المكتب الاسلامي - مؤسسة الإشراق، الطبعة: الطبعة الثانية- مزيده ومنقحة ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٢١) تأويل مشكل القرآن: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، شرحه ونشره: السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

٢٢) تأويلات أهل السنة (تفسير الماتريدي)، لأبي منصور محمد بن محمد بن محمود، الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ) تحقيق: د. مجدي باسلوم، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٢٣) التربية في السنة النبوية، أبو لبابة حسين، دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض.

٢٤) تعظيم قدر الصلاة، تصنيف الإمام أبي عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي (المتوفى: ٢٩٤هـ)، المحقق: د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، نشر مكتبة الدار - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ.

٢٥) تفسير ابن جرير؛ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تصنيف الإمام محمد بن جرير الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٢٦) تفسير الراغب الأصفهاني: تحقيق: د. هند بنت محمد بن زاهد سردار، نشر: كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القرى، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٢٧) تفسير السمعاني: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، نشر: دار الوطن، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٢٨) تفسير القرآن العظيم، للعلامة أبي بكر محمد بن الحسن بن فورك، (من أول سورة المؤمنين إلى سورة الأحزاب) دراسة وتحقيق: علال عبد القادر بندويش، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة (١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م).

٢٩) تفسير القرآن العظيم، للحافظ ابن كثير، تحقيق عبد العزيز غنيم، محمد أحمد عاشور، محمد إبراهيم البنا، دار الشعب، القاهرة، إصدار وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، الرياض.

- تفسير القرآن العظيم، للحافظ ابن كثير أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، نشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م

٣٠) تمام المنّة في التعليق على فقه السنة، تأليف العلامة محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، طبعة جديدة ومنقحة ومزيدة.

٣١) التمهيد لابن عبد البر الكتاب: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، للإمام الحافظ أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، نشر وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، سنة ١٣٨٧هـ.

٣٢) التوحيد وإثبات صفات الرب جل جلاله؛ للأبي بكر بن خزيمة، تحقيق العامة محمد خليل الهراس، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، دار الكتب العلمية، بيروت.

- التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، للإمام أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (المتوفى: ٣١١هـ)، تحقيق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، نشر: مكتبة الرشد - السعودية – الرياض.

٣٣) جامع العلوم والحكم شرح خمسين حديث من جوامع الكلم، للإمام ابن رجب الحنبلي، تحقيق فؤاد بن علي حافظ، نشر جمعية إحياء التراث الإسلامي في الكويت، مشروع مكتبة طالب العلم، الطبعة الثالثة ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.

٣٤) جامع بيان العلم وفضله جامع بيان العلم وفضله، للإمام أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٣٥) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، اعتنى به وصححه: الشيخ هشام سمير البخاري، تقديم أحمد البردوني، نشر دار عالم الكتب، الرياض١٤٢٣-٢٠٠٣م.

٣٦) الجامع لشعب الإيمان: الإمام أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند،

الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٣٧) جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، تأليف: نعمان بن محمود بن عبد الله، أبو البركات خير الدين الآلوسي (المتوفى: ١٣١٧هـ)، قدم له: علي السيد صبح المدني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، الناشر: مطبعة المدني عام النشر: ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٣٨) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، للإمام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: علي بن حسن بن ناصر - عبد العزيز بن إبراهيم العسكر - حمدان بن محمد الحمدان، نشر: دار العاصمة، السعودية، الطبعة الثانية: ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

٣٩) الجواهر المضية في طبقات الحنفية، المؤلف: عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، أبو محمد، محيي الدين الحنفي (المتوفى: ٧٧٥هـ)، الناشر: مير محمد كتب خانه - كراتشي.

٤٠) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه - مصر، الطبعة: الأولى ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

٤١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للحافظ عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز هجر للبحوث والدراسات/ الدكتور عبد السند حسن يمامة، الطبعة الأولى ١٤٢٤ه ٢٠٠٣م.

٤٢) درء تعارض العقل والنقل، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد

بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، نشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٤٣) درج الدرر في تفسير الآي والسور، تأليف عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (المتوفى٤٧١هـ)، تحقيق وليد بن أحمد الحسين، وإياد عبد اللطيف القيسي، سلسلة رقم ٢٢ من إصدارات مجلة الحكمة، بريطانيا – مانشستر، ط١، ١٤٢٩ه – ٢٠٠٨م.

٤٤) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تأليف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: مراقبة/ محمد عبد المعيد خان، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر اباد/ الهند، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

٤٥) ديوان الفرزدق، شرحه وضبطه وقدم له: الأستاذ علي فاعور، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤٠٧ه ١٩٨٧م.

٤٦) زاد المسير في علم التفسير، المؤلف: عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤.

٤٧) السنة؛ لأبي بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (المتوفى: ٢٨٧هـ)، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.

٤٨) السنن، للإمام أبي عبد الله محمد بن يزيد الربعي ابن ماجه القزويني ت ٢٧٣هـ، إشراف معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ،

دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، إصدار وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف في المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٤٩) السنن؛ لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، إشراف الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٥٠) السنن؛ للإمام أبي عبد الرحمن النسائي، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، إشراف الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٥١) سنن الدارقطني المؤلف: أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (المتوفى: ٣٨٥هـ)، حققه شعيب الارنؤوط، وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

٥٢) السنن الكبرى، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٥٣) السنن للإمام أبي عيسى محمد بن سورة الترمذي، إشراف الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، دار السلام للنشر والتوزيع في الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، إصدار وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف في المملكة العربية السعودية.

٥٤) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، للإمام عبد الحي بن أحمد

بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: ١٠٨٩هـ)، حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٥٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، للإمام أبي القاسم هبة الله بن الحسن الطبري اللالكائي، (ت ٤١٨هـ)، تحقيق د. أحمد سعد حمدان الغامدي، ط٨، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٥٦) شرح الأربعين النووية لفضيلة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين، طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار الثريا، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٥٧) شرح الرسالة التدمرية، تأليف الأستاذ الدكتور محمد بن عبد الرحمن الخميس، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، ١٤٢٦ه - ٢٠٠٥م.

٥٨) شرح السنة، تصنيف: الإمام محيي السنة، أبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٥٩) شرح العقيدة التدمرية، تأليف فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البرّاك، إعداد عبد الرحمن بن صالح السديس، دار التدمرية، الرياض، ط٢، ١٤٣٢، ٢٠١١م.

٦٠) شرح العقيدة الطحاوية للإمام القاضي علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي الدمشقي، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه الدكتور عبد الله

بن عبد المحسن التركي، وشعيب الأرناؤوط، ط١٣، ١٤١٩ه ١٩٩٨م، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

٦١) شرح الكوكب المنير شرح مختصر التحرير في أصول الفقه، تأليف العلامة الشيخ محمد بن أحمد الفتوحي الحنبلي المعروف بن النجار، تحقيق: محمد الزحيلي ونزيه حماد، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث، ومركز البحوث، إصدارات وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

٦٢) شرح متن الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، للإمام يحيى بن شرف الدين النووي، نشر مكتبة دار الفتح، دمشق، المكتب الإسلامي بيروت، ط٤، ١٤٠٤ه ١٩٨٤م.

٦٣) شرح مسلم: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ.

٦٤) شرح مشكل الآثار، المؤلف: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: ٣٢١هـ)ـ تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى - ١٤١٥هـ، ١٤٩٤م.

٦٥) صحيح ابن حبان (الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان)ـ تصنيف الإمام محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه:

شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٦٦) صحيح ابن خزيمة، للإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق: مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي.

٦٧) صحيح البخاري، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، إشراف الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشخ، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.

٦٨) صحيح الجامع الصغير وزياداته (الفتح الكبير)، تأليف العلامة محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أشرف على طبعه محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٨، ١٩٨٨م.

٦٩) صحيح سنن ابن ماجه، تأليف العلامة محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، الجديدة ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٧٠) صحيح مسلم؛ للإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار السلام للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م متوافقة مع ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، إصدار وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف في المملكة العربية السعودية.

٧١) الصفدية، للإمام تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: محمد رشاد سالم، الناشر: مكتبة ابن تيمية، مصر، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ.

٧٢) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، المؤلف:

محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، الناشر: دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ.

٧٣) ضرورة تعلم مسائل القدر والنهي عن الخوض فيه، للأستاذ الدكتور الشيخ محمد بن عبد العزيز العلي، دار طيبة، الرياض، سنة ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، ط١.

٧٤) طبقات الحنابلة، تأليف: أبو الحسين ابن أبي يعلى، محمد بن محمد (المتوفى: ٥٢٦هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار المعرفة – بيروت.

٧٥) طبقات المفسرين العشرين، تأليف: العلامة عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: علي محمد عمر، الناشر: مكتبة وهبة – القاهرة الطبعة: الأولى، ١٣٩٦هـ.

٧٦) طبقات المفسرين للداوودي، تأليف: محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي (المتوفى: ٩٤٥هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، مراجعة: لجنة من العلماء بإشراف الناشر.

٧٧) الطحاوية، شرح وتعليق العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى لمكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٧٨) العبر في خبر من غبر، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

٧٩) العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، تأليف:

شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن يوسف الدمشقي الحنبلي (المتوفى: ٧٤٤هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار الكاتب العربي – بيروت.

٨٠) عقيدة السلف وأصحاب الحديث، للإمام أبي عثمان الصابوني، تحقيق د. ناصر بن عبد الرحمن الجديع، دار العاصمة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٩، ١٩٩٨م.

٨١) العلو للعلي العظيم، وإيضاح صحيح الأخبار من سقيمها، للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي الشافعي الأثري، دراسة وتحقيق: عبد الله بن صالح البراك، إصدار وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

٨٢) غريب الحديث، للإمام أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي، تحقيق عبد الكريم العزباوي، طبع جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية، مركز إحياء التراث، الكتاب ١٧، ط٢، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٨٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر العسقلاني، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، صححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، علّق عليه العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩.

- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للحافظ بان حجر العسقلاني، اعتنى به: حسان عبد المنّان، طبع على نفقة عبد الله الراجحي، بيت الأفكار الدولية.

٨٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، تأليف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم

الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، تحقيق: محمود بن شعبان بن عبد المقصود، وآخرين، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية، الحقوق: مكتب تحقيق دار الحرمين - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٨٥) فتح البيان عن مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ)، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، الناشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا - بَيروت، عام النشر: ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٨٦) فتح القدير، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤هـ.

٨٧) فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد، للإمام عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي (المتوفى: ١٢٨٥هـ)، تحقيق الوليد بن عبد الرحمن آل فريان، دار الصميعي للنشروالتوزيع.

٨٨) الفروق اللغوية لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، نشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر.

٨٩) فوات الوفيات، المؤلف: محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدين (المتوفى: ٧٦٤هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة:

الأولى، الجزء: ١ – ١٩٧٣، الجزء: ٢، ٣، ٤ – ١٩٧٤م.

٩٠) الكامل في ضعفاء الرجال، المؤلف: أبو أحمد بن عدي الجرجاني (المتوفى: ٣٦٥هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود-علي محمد معوض، شارك في تحقيقه: عبد الفتاح أبو سنة، الناشر: الكتب العلمية – بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.

٩١) كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب مع إبطال التنديد باختصار شرح كتاب التوحيد، للشيخ حمد بن علي بن محمد بن عتيق، راجعه إسماعيل بن سعد بن عتيق، تحقيق: عبد الإله الشايع، دار أطلس الخضراء.

٩٢) كشف الأستار عن زوائد البزار، المؤلف: نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ) تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٩٣) كشف المشكل من حديث الصحيحين، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: علي حسين البواب، الناشر: دار الوطن – الرياض.

٩٤) الكفاية في علم الرواية، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: أبو عبد الله السورقي، إبراهيم حمدي المدني، الناشر: المكتبة العلمية - المدينة المنورة.

٩٥) لحظ الألحاظ ذيل تذكرة الحفاظ لابن فهد المكي، تحقيق حسام الدين القدسي.

٩٦) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، المؤلف: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)، المحقق: حسام الدين

القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

٩٧) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي، وساعده ابنه محمد، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، سنة ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

٩٨) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢هـ.

٩٩) مختصر زوائد البزار على الكتب الستة ومسند الإمام أحمد، تصنيف الحافظ ابن حجر، تحقيق صبري بن عبد الخالق أبو ذر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

١٠٠) المدخل إلى السنن الكبرى، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، الناشر: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي – الكويت.

١٠١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، المؤلف: علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

١٠٢) المستدرك على الصحيحين، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ.

- المستدرك على الصحيحين، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه الحاكم النيسابوري (المتوفى: ٤٠٥هـ)، المحقق: أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي، دار النشر: دار الحرمين، البلد: القاهرة – مصر، سنة الطبع: ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

١٠٣) المسند؛ المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د.عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

١٠٤) مسند إسحاق بن راهويه، للإمام أبي يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم الحنظلي المروزي المعروف بابن راهويه (المتوفى: ٢٣٨هـ)، المحقق: د. عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، الناشر: مكتبة الإيمان - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ – ١٩٩١.

١٠٥) مسند الحميدي، المؤلف: أبو بكر عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبيد الله القرشي الأسدي الحميدي المكي (المتوفى: ٢١٩هـ)، حقق نصوصه وخرج أحاديثه: حسين سليم أسد الدَّارَانيّ، الناشر: دار السقا، دمشق – سوريا، الطبعة: الأولى، ١٩٩٦م.

١٠٦) مسند الدارمي المعروف بـ(سنن الدارمي)، تصنيف الإمام أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: ٢٥٥هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، نشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ - ٢٠٠٠م.

١٠٧) مسند الشاميين؛ للإمام سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبي القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ – ١٩٨٤.

١٠٨) المسند لابن أبي شيبة، المؤلف: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ)، المحقق: عادل بن يوسف العزازي وأحمد بن فريد المزيدي، الناشر: دار الوطن – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٩٩٧م.

١٠٩) المسند لأبي يعلى، المؤلف: أبو يعلى أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (المتوفى: ٣٠٧هـ) المحقق: حسين سليم أسد، الناشر: دار المأمون للتراث – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ – ١٩٨٤.

١١٠) المسند للبزار (البحر الزخار) المؤلف: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وآخرين، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م).

١١١) المصنف لابن أبي شيبة أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ)، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩.

١١٢) المصنف لعبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع

الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المجلس العلمي- الهند، يطلب من: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣.

١١٣) معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، تصنيف محيي السنة، أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

١١٤) معالم السنن، (شرح سنن أبي داود)، تأليف: أبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨هـ)، الناشر: المطبعة العلمية – حلب، الطبعة: الأولى ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م.

١١٥) معجم الأدباء، المعروف باسم: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، المؤلف: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

١١٦) المعجم الكبير؛ للإمام الحافظ سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة الطبعة الثانية.

١١٧) مفردات ألفاظ القرآن الكريم، للعلامة الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان بن عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية بيروت، ط الخامسة، ١٤٣٣ه، ٢٠١١م.

١١٨) معرفة الصحابة، للحافظ أبي نعيم الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)،

تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، مدار الوطن للنشر، السعودية، ط٢، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١.

١١٩) المفهم لما أشكل من كتاب تلخيص مسلم، للقرطبي، تحقيق محيي الدين مستو، يوسف علي بديوي، وآخرين، دار ابن كثير ودار الكلم الطيب، دمشق بيروت، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

١٢٠) المنتقى من السنن المسندة، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن علي بن الجارود النيسابوري المجاور بمكة (المتوفى: ٣٠٧هـ)، المحقق: عبد الله عمر البارودي، الناشر: مؤسسة الكتاب الثقافية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ - ١٩٨٨م.

١٢١) الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية، الأستاذ عبد العليم إبراهيم، دار المعارف، الطبعة الرابعة عشرة.

١٢٢) النكت والعيون (تفسير الماوردي) المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ) المحقق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

١٢٣) هدي الساري، مقدمة فتح الباري، للحافظ بن حجر العسقلاني، دار المعرفة بيروت.

١٢٤) الوسيط في تفسير القرآن المجيد، للإمام أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، وآخرين، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي

الفرماوي، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

١٢٥) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تأليف: أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر – بيروت.

١٢٦) وقفات في معالم التربية المحمدية من خلال حديث جبريل للأستاذ محمد مصطفى النابلسي، دار الخراز، جدة.

الدوريات والمجلات:

١) السؤال في القرآن وأثره في التربية والتعليم، للدكتور أحمد بن عبد الفتاح الضليمي، ضمن مجلة الجامعة الإسلامية (عدد١١١).

٢) موهم التناقض في القرآن الكريم، دراسة نظرية ونماذج تطبيقية» للدكتور عماد طه أحمد الراعوش، مجلة العلوم الشرعية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (عدد٢٧ سنة ١٤٣هـ ٢٠١٣م).

الشبكات الإلكترونية

دور السؤال التعليمي الإرشادي في تعلم ونشر العقيدة، موقع شبكة الألوكة، للأستاذ محمود محمد عراقي.

فهرس الموضوعات

ملخص البحث ٥٣
المقدمة ٥٧
التمهيد ٦٣
المطلب الأول: معنى السؤال والألفاظ ذات الصلة ٦٣
المطلب الثاني: حكم السؤال ٦٩
المطلب الثالث: فوائد السؤال ٧٨
المبحث الأول: السؤال التعليمي الإرشادي ٨١
الصورة الأولى: ٨١
الصورة الثانية من السؤال التعليمي: ٨٧
المبحث الثاني: سؤال التعلّم (الاستعلام) ٩١
المبحث الثالث: سؤال رفع الإشكال ٩٦
المبحث الرابع: سؤال الاختبار ١١٠
المبحث الخامس: الامتحان ١١٩
الخاتمة ١٣١
فهرس المصادر والمراجع ١٣٣
فهرس الموضوعات ١٥٥

المسائل العقدية
المتعلقة بالحجر الأسود

د. فهد بن موسى الفايز

أكاديمي سعودي، أستاذ مساعد في قسم
الثقافة الإسلامية، جامعة حائل

ملخص البحث

الحمد لله وحده وبعد:

فهذا استقراء لأهمّ مسائل الاعتقاد المتعلقة بالحجر الأسود، وقد خلصت إلى النتائج التالية:

أن الحجر الأسود أشرف الأحجار على وجه الأرض، وليس على الأرض من الجنة إلا هو.

وفضائله كثيرة منها: كونه من الجنة، وأن استلامه يمحو الخطايا، وأنه ياقوتة من يواقيت الجنة، وأنه شاهد لمن استلمه بحق يوم القيامة، وأنه مذكور في الكتب السابقة، وأن الطواف مبتدأ به ومختتم، وكذا الرمل.

وأن استلامه أنواع: أفضلها تقبيله، وأن له أذكارا خص بها، فلا يزاد على المشروع، والواجب في العبادات المتابعة لمن لا ينطق عن الهوى ﷺ واعتقاد فضله، وأنه لا يضر ولا ينفع، وأنه يُقَبّل تعبدا لا تبركا واستشفاءا، ولا يقبل غيره من الجماد تعبدا، ولا يجوز اعتقاد النفع والضر فيه بذاته.

ومسائل أخرى في ثنايا البحث قد مرت.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

د. فهد بن موسى الفايز

dac1102@hotmail.com

The Creedal Issues Related to the Black Stone

Dr. Fahd bin Mosa al-Fayiz
Saudi Academic, Assistant professor in the department of Islamic Culture, in the Hail University

Abstract

All praise is due to Allah only:

Having said so:

This is a thorough examination of the most important issues related to the black stone and it have resulted in these following results:

The black stone is the most noble of all stones on earth and there is no stone on earth from Paradise except that stone. The stone has many virtues, like: that it's from Paradise.

If you touch it your sins will be wiped off.

It's a ruby from the rubies of Paradise.

It will bear witness for the one who touches it on the Day of Judgement.

It's mentioned in the former Scriptures.

Tawwaf (circumambulating around the Ka'bah) starts and ends by it.

There are different ways of touching it and the best way is to kiss it. There are specific forms of dhikr that should be mentioned by the stone and it's not allowed to mention more then what's legislated. That which is obligatory when it comes

to worship is to follow the one that doesn't speak from his own desires (may Allah exalt his mention and send peace to him).

We should also believe that it has virtues, that it doesn't harm or give benefit. It's kissed as a form of worship, not to seek blessings or cure from it. It's not allowed to kiss any other non-living thing as a form om worship, as well as it's not allowed to believe that anything can bring benefit or harm from itself. There are also other issues that were discussed through the research.

May Allah exalt the mention and send peace to our prophet Muhammad.

المقدمة

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، هو الحق، ودينه حق، وحكمه حق، ووعده حق، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق، وهدى به من شاء من الخلق، فقال بالحق ودعا إليه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، أهل الهدى والحق، ونبراس الوفاء والصدق.

وبعد، فإن الله تعالى -وله المنّ والفضل- أرسل الرسل وأنزل الكتب ليقوم الناس بالقسط، وجعل زبدة الرسالات الإلهية وخلاصة الدعوات النبوية، إخلاص الدين لله وحده، والصدق في متابعة رسله عليهم الصلاة والسلام.

ولا يتم ذلك إلا بمعرفة ما أمرهم به، وأوجبه عليهم، وما نهاهم عنه، وحذّرهم منه؛ إذ بالعلم يُعبد الله تعالى بما شرع، لا بالأهواء والبدع.

ولما كان بيان العبادة وما تفرع منها من متعلقاتها من أوجب الواجبات، وأبعد بالعبد عن البدع والمشتبهات، آثرت أن أكتب في (المسائل العقدية المتعلقة بالحجر الأسود)؛ بياناً للحق، وإيضاحاً لما قد يشكل.

وقد دعاني للكتابة في هذا الموضوع ما يلي:

أولاً: الرغبة في بيان مسائل العقيدة المتعلقة بالحجر الأسود؛ إذ يكثر الوقوع في شيء من المخالفات فيها.

ثانياً: بيان هذه المسائل وتجليتها للناس ونشرها بينهم؛ دعوةً للإتيان بالعبادة على وجهها الأكمل، والبعد عن ما يوجب الرد لها.

ثالثاً: كل من تكلم في هذا الموضوع، إما أن يجمل فلا يفصل، وإما أن يقتصر في الحديث عن جانب العبادات دون بيان لبعض المسائل العقدية.

رابعاً: تعلق مسائل الحجر الأسود بركن من أركان الإسلام وهو الحج، فبيان مسائل الاعتقاد فيه، من الأهمية بمكان.

خامسا: جهل كثير من الناس بمسائل الحج وما يتفرع منها، إذ الجهل دهليز للبدع والمخالفات (وإنما يصح له -لإبليس- التلصص في ليل الجهل فلو قد طلع عليه صبح العلم افتضح)[1].

سادساً: ما لمسائل الاعتقاد من أهمية؛ إذ إن أصل الدين توحيد رب العالمين.

لهذه الأسباب وغيرها، استعنت الله تعالى للكتابة في هذا الموضوع.

۞ الدراسات السابقة:

طالعت ما كتب في الموضوع فألفيته، إما متطرقاً لمسائل عامة في الحج، ويذكر منها -عرضاً لا قصداً- ما يتعلق بالحجر الأسود، وإما أنه مهتم بالجانب الفقهي فقط، ومن هذه التآليف:

١- أحكام الحجر الأسود وما يتعلق به من المسائل المعاصرة، للشيخ عوض بن حميدان الحربي، وقد نشر في العدد ٨٨ من مجلة البحوث الفقهية المعاصرة. وقد أفدت منه.

---

(١) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ١.

٢- المخالفات العقدية المتعلقة بالحج، للدكتور أحمد بن عثمان المزيد، من جامعة الملك سعود، نشر في مركز بحوث كلية التربية،١٤٢٦هـ.

٣- الحجر الأسود تأريخ وأحكام، للدكتور: خالد بن سعد النجار، وقد انصب اهتمامه على الجانب الفقهي، والرد على شبهة: (أن المسلمين يعبدون الحجر الأسود).

٤- حسن المقصد في فضائل وأحكام الحجر الأسود، تأليف الشيخ محمود عامر عمر،١٤١٧هـ.

وقد انتظم هذا البحث في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وتوصيات.

المقدمة، وفيها:

أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، وخطة البحث، وعملي في البحث.

التمهيد وفيه: خمس مسائل:

- المسألة الأولى: التعريف بالحجر الأسود.
- المسألة الثانية: أسماء الحجر الأسود
- المسألة الثالثة: صفة الحجر الأسود ومكانه.
- المسألة الرابعة: فضل الحجر الأسود.
- المسألة الخامسة: الحجر الأسود عند أهل الكتاب.

المبحث الأول: العبادات المتعلقة بالحجر الأسود، وفيه خمسة مطالب:

- المطلب الأول: ابتداء الطواف منه، وختم الطواف به.
- المطلب الثاني: استلامه.
- المطلب الثالث: ابتداء الرمل منه.
- المطلب الرابع: ما جاء في السجود عليه.
- المطلب الخامس: الأذكار المشروعة عنده.

المبحث الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بالحجر الأسود، وفيه ستة مطالب:

- المطلب الأول: وجوب الاتّباع والاقتداء بالرسول ﷺ.
- المطلب الثاني: اعتقاد فضله.
- المطلب الثالث: اعتقاد أنه لا يضر ولا ينفع.
- المطلب الرابع: اعتقاد أنه لا يقبَّل غيره تعبداً.
- المطلب الخامس: اعتقاد أن تقبيله واستلامه تعبّداً لا تبركًا واستشفاءً.
- المطلب السادس: ما ورد في أنه يمين الله في الأرض.

المبحث الثالث: المخالفات العقدية المتعلقة بالحجر الأسود، وفيه ستة مطالب:

- المطلب الأول: اعتقاد أنه ينفع ويضر.
- المطلب الثاني: التبرك والاستشفاء بتقبيله ومسحه.

- المطلب الثالث: تقبيل غير الحجر الأسود من الأحجار.
- المطلب الرابع: مسح الجسد بعد مسحه.
- المطلب الخامس: تقبيل اليد بعد الإشارة إليه.
- المطلب السادس: هل تقبيل الحجر الأسود عبادة مستقلة؟.

الخاتمة، وفيها: أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس للمراجع والمصادر، والموضوعات.

۞ عملي في البحث:

١- جمع المادة العلمية في الموضوع، ثم ترتيبها حسب الموضوع والأهمية.

٢- صياغة المادة العلمية صياغة علمية تتناسب وموضوع البحث.

٣- الحرص على الاقتصار على المهم، وعدم الإسهاب في تفريعات المسائل.

٤- عزو الآيات الكريمة إلى مواضعها في الكتاب العزيز.

٥- عزو الأحاديث إلى مظانها، مقتصراً على ذكر رقم الحديث، مع الحرص على الحكم على الحديث وبيان درجته، إن لم يكن في الصحيحين -قدر الطاقة-.

٦- وضع فهرس للمراجع والمصادر، وآخر للمحتويات.

والله أسأل التوفيق والسداد.

التمهيد

وفيه: خمس مسائل:

المسألة الأولى: التعريف بالحجر الأسود

أصل هذه الكلمة من: حَجَرَ، والحَجَرُ بالتَّحْرِيك: الصَّخْرَةُ. وجمعها في القِلَّة أَحْجَارٌ وأَحْجُرٌ، وفي الكَثْر: حِجَارةٌ وحِجَارٌ، وهو نادِر، قاله الجوهريّ(١).

والأسود: من السواد؛ وذلك للونه؛ إذ هو أسود اللون.

والحجر الأسود: هو حجر في الركن الجنوبي الشرقي للكعبة من الخارج، يستلمه الطائف عند طوافه، وهو مبدأ الطواف ومنتهاه، وضعه رسول الله ﷺ بيديه الشريفتين.

وهو أشرف حجر على وجه الأرض، وهو أشرف أجزاء البيت الحرام؛ لذا شرع تقبيله واستلامه. قال الزبيدي: «والحَجَرُ الأَسْوَدُ الأَسْعَدُ كَرَّمَه اللّهُ تعالَى، معروفٌ، وهو حَجَرُ البَيتِ حَرَسَه اللّهُ تعالَى، ورُبَّمَا أَفْرَدُوه إِعظاماً فقالوا: الحَجَرُ، ومِن ذلك قولُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: واللّهِ إِنكَ لَحَجَرٌ»(٢).

المسألة الثانية: أسماء الحجر الأسود

أولاً: **الركن**، وهو الاسم الأكثر والأشهر في السنة، خاصة في الأحاديث

(١) تاج العروس: ١٠/ ٥٣٨.

(٢) تاج العروس: ١٠/ ٥٣٨ والمعجم الوسيط ١/ ١٥٧.

التي وصفت حجة النبي ﷺ منها:

حديث عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: طاف النبي ﷺ في حجة الوداع على بعير، يستلم الركن بمحجن»[١].

وحديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «خرجنا مع النبي ﷺ في حجة الوداع، حتى إذا أتينا البيت معه استلم الركن فرمل ثلاثاً ومشى أربعاً..»[٢]، وغيرهما كثير.

ثانياً: **الركن الأسود**؛ لمكانه ولونه، كما في حديث سَالِمِ بْنِ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ، عَنْ أَبِيهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «لَمْ يَكُنْ رَسُولُ الله ﷺ يَسْتَلِمُ مِنْ أَرْكَانِ الْبَيْتِ إِلا الرُّكْنَ الأَسْوَدَ وَالَّذِي يَلِيهِ مِنْ نَحْوِ دُورِ الْجُمَحِيِّينَ»[٣].

ثالثاً: **الحجر**، وهذه التسمية كثيرة في دواوين السنة، منها:

حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذكر: «أن النبي ﷺ رمل من الحجر إلى الحجر»[٤].

وعن سويد بن غفلة، قال: «رأيت عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قبَّل الحجر والتزمه، وقال: رأيت رسول الله ﷺ بك حفيّاً»[٥].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم ١٥٣٠. ومسلم رقم ٣١٣٢.

(٢) رواه مسلم برقم ٣٠٠٩.

(٣) رواه مسلم رقم: ٣١٢١.

(٤) رواه مسلم رقم: ١٢٦٢.

(٥) رواه مسلم رقم: ١٢٧١.

وعن الزبير بن عربي، قال: «سأل رجل ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن استلام الحجر، فقال: رأيت رسول الله ﷺ يستلمه ويقبله، قال: قلت: أرأيت إن زحمت؟ أرأيت إن غلبت؟ قال: اجعل أرأيت باليمن، رأيت رسول الله ﷺ يستلمه ويقبله»(١).

وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه ذكر في صفة حجة النبي ﷺ: «أن رسول الله ﷺ لما قدم مكة أتى الحجر فاستلمه، ثم مشى على يمينه، فرمل ثلاثًا، ومشى أربعًا»(٢).

ولا يصح تسميته بالحجر الأسعد؛ إذ لم يرد بذلك نص، وإن كان ذكره بعض أئمة اللغة كالزبيدي(٣).

المسألة الثالثة: صفة الحجر الأسود ومكانه

يقع الحجر الأسود في الركن الجنوبي الشرقي للكعبة -شرفها الله تعالى- على ارتفاع متر ونصف المتر من الأرض(٤).

وهو حجر صقيل بيضي الشكل، لونه أسود ضارب إلى الحمرة، ذو تجويف أشبه بطاس الشرب، قطره نحو ثلاثين سنتمتراً، ويحيط به إطار من

---

(١) رواه البخاري رقم: ١٦١١ ومسلم برقم: ١٢٦٨.

(٢) أخرجه مسلم برقم: ١٢١٨.

(٣) تاج العروس ١٠/ ٥٠٣، الشرح الممتع ٧/ ١٥٢.

(٤) انظر: دليل الزائر للمسجد الحرام ص٢٢، معجم البلدان ٢/ ٢٢٤، المجموع ٨/ ١٣، الشرح الممتع ٧/ ١٥٢.

الفضة؛ صونـًا له، وعرض الإطار عشرة سنتمترات[١].

المسألة الرابعة: فضل الحجر الأسود[٢]

وردت أحاديث عدة في فضل الحجر الأسود، منها ما يلي:

حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: الحجر الأسود من حجارة الجنة[٣].

وحديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «نزل الحجر الأسود من الجنة أشد بياضـًا من الثلج، فسوَّدته خطايا بني آدم»[٤].

---

(١) انظر: www.maqatel.com، موقع مكة المكرمة.

(٢) انظر: أحكام الحجر الأسود للشيخ عوض بن حميدان الحربي.

(٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى رقم ٩٠١٣، وابن أبي شيبة في مصنفه رقم ١٤١٤٨ والحديث صححه الألباني، انظر: صحيح الجامع الصغير رقم ٥٤٨٦.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه، رقم:٨٧٧ وقال: «حديث حسن صحيح»، وقال عنه الشيخ الألباني: «صحيح» انظر: صحيح سنن الترمذي رقم ٨٧٧. قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ ٣/ ٤٦٢: «وَفِيهِ عَطَاءُ بْنُ السَّائِبِ، وَهُوَ صَدُوقٌ لَكِنَّهُ اِخْتَلَطَ، وَجَرِيرٌ مِمَّنْ سَمِعَ مِنْهُ بَعْدَ اِخْتِلَاطِهِ، لَكِنْ لَهُ طَرِيقٌ أُخْرَى فِي صَحِيحِ اِبْنِ خُزَيْمَةَ فَيَقْوَى بِهَا»، قال ابن العربي المالكي في شرحه الترمذي ٢/ ٤٢٢: «أَنَّ خَطَايَا بَنِي آدَمَ تَكَادُ تُؤَثِّرُ فِي الْجَمَادِ فَتَجْعَلُ الْمُبْيَضَّ مِنْهُ أَسْوَدَ، فَكَيْفَ بِقُلُوبِهِمْ». قَالَ الْحَافِظُ اِبْنُ حَجَرٍ في الفتح ٣/ ٤٦٣: وَاعْتَرَضَ بَعْضُ الْمُلْحِدِينَ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ فَقَالَ كَيْفَ سَوَّدَتْهُ خَطَايَا الْمُشْرِكِينَ وَلَمْ تُبَيِّضْهُ طَاعَاتُ أَهْلِ التَّوْحِيدِ؟ وَأُجِيبَ بِمَا قَالَ اِبْنُ قُتَيْبَةَ: لَوْ شَاءَ اللهُ لَكَانَ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا أَجْرَى اللهُ الْعَادَةَ بِأَنَّ السَّوَادَ يَصْبُغُ وَلَا يَنْصَبِغُ، عَلَى الْعَكْسِ مِنْ الْبَيَاضِ». وَقَالَ الْمُحِبُّ الطَّبَرِيُّ: فِي بَقَائِهِ أَسْوَدَ عِبْرَةٌ لِمَنْ لَهُ بَصِيرَةٌ؛ فَإِنَّ الْخَطَايَا إِذَا أَثَّرَتْ فِي الْحَجَرِ الصَّلْدِ فَتَأْثِيرُهَا فِي

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيَأْتِيَنَّ هذا الْحَجَرُ يوم الْقِيَامَةِ وَلَهُ عَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ بِهِ يَشْهَدُ على من يَسْتَلِمُهُ بِحَقٍّ»(١).

ومنها حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: سمعت رَسُولَ الله ﷺ يقول: «إِنَّ الرُّكْنَ وَالْمَقَامَ يَاقُوتَتَانِ من يَاقُوتِ الْجَنَّةِ، طَمَسَ الله نُورَهُمَا، وَلَوْ لم يَطْمِسْ نُورَهُمَا لَأَضَاءَتَا ما بين الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ»(٢).

ومنها حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النبي ﷺ: «إِنَّ مَسْحَ الْحَجَرِ الأَسْوَدِ وَالرُّكْنِ الْيَمَانِيِّ يَحُطَّانِ الْخَطَايَا حَطًّا»(٣).

=

الْقَلْبِ أَشَدُّ، قَالَ وَرُوِيَ عَنْ اِبْنِ عَبَّاسٍ: إِنَّمَا غَيَّرَهُ بِالسَّوَادِ لِئَلَّا يَنْظُرَ أَهْلُ الدُّنْيَا إِلَى زِينَةِ الْجَنَّةِ فَإِنْ ثَبَتَ فَهَذَا هُوَ الْجَوَابُ».

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده رقم ٢٢١٥، والترمذي في سننه، رقم ٩٦١، وقال: «هذا حديث حسن»، وابن ماجه في سننه، رقم ٢٩٤٤، وابن خزيمة في صحيحه ٤/ ٢٢٠، رقم ٢٧٣٥. والحديث صححه الألباني، انظر: صحيح سنن الترمذي رقم ٩٦١.

(٢) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده رقم: ٧٠٠٠، وأخرجه الترمذي في سننه، رقم: ٨٧٧، وابن ماجه في سننه،، رقم: ٢٩٤٤، وابن خزيمة رقم: ٢٧٣١، وابن حبان في صحيحه رقم٣٧١٠ والبيهقي في السنن الكبرى رقم: ٩٠١٠، وقال عنه الشيخ الألباني: صحيح. انظر: صحيح سنن ابن ماجه رقم ٢٩٤٤.

(٣) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده رقم٤٥٨٥، والطبراني في المعجم الكبير رقم ١٣٤٣٨، والنسائي في سننه، رقم٢٩١٩، والبيهقي في السنن الكبرى رقم ٩٠١٣، وابن أبي شيبة في مصنفه رقم: ١٤١٤٨، والحديث صححه الألباني، انظر: صحيح سنن النسائي رقم ٢٩١٩.

ومنها مشروعية تقبيله واستلامه، وفيه حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّهُ جاء إلى الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ فَقَبَّلَهُ، فقال: إني أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لا تَضُرُّ ولا تَنْفَعُ، وَلَوْلا أَنِّي رأيت النبي ﷺ يُقَبِّلُكَ ما قَبَّلْتُكَ». وسيأتي قريباً.

وعن سويد بن غفلة، قال: «رأيت عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قبَّل الحجر والتزمه، وقال: رأيت رسول الله ﷺ بك حفياً»(١).

فتبين بذلك أن فضائل الحجر الأسود هي:

١- أنه من الجنة.

٢- وأنه ياقوتة من يواقيتها.

٣- وأن مسحه يحط الخطايا.

٤- وأنه شاهد لمن استلمه بحق يوم القيامة.

٥- وأنه المكان الوحيد الذي يشرع تقبيله.

المسألة الخامسة: الحجر الأسود عند أهل الكتاب(٢)

ذكر ذلك ابن القيم في هداية الحيارى، فقال: «قَوْلُ أَشْعِيَا فِي ذِكْرِ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ: «قَالَ الرَّبُّ وَالسَّيِّدُ: هَا أَنَا ذَا مُؤَسِّسٌ بِصُهْيُونَ حَجَراً فِي زَاوِيَةِ رُكْنٍ مِنْهُ، فَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً فَلَا يَسْتَعْجِلْنَا، وَأَجْعَلُ الْعَدْلَ مِثْلَ الشَّاقُولِ وَالصِّدْقَ مِثْلَ الْمِيزَانِ، فَيَهْلِكُ الَّذِينَ وَلَعُوا بِالْكَذِبِ»(٣).

(١) رواه مسلم في صحيحه برقم١٢٧١.

(٢) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى (٢/ ٣٦٠).

(٣) سفر أشعيا ٢٨: ١٦.

فَصُهْيُونُ هِيَ مَكَّةُ عِنْدَ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَكَذَا كُلُّ بَيْتٍ بُنِّيَ لِلصَّلَاةِ، وَصُهْيُونُ أَيْضًا الْأَرْضُ الْمُقَدَّسَةُ، وَهَذَا الْحَجَرُ هُوَ الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ الَّذِي تُقَبِّلُهُ الْمُلُوكُ فَمَنْ دُونَهُمْ، وَهُوَ مَا اخْتُصَّ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ وَأُمَّتُهُ.

وقَوْلُ أَشْعِيَا فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: «إِنَّهُ سَتُمْلَأُ الْبَادِيَةُ وَالْمُدُنُ قُصُوراً إِلَى قِيدَارَ، وَمِنْ رُؤوسِ الْجِبَالِ يُنَادُونَهُمُ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْكَرَامَةَ، وَيَبُثُّونَ تَسْبِيحَهُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ.

وَقَالَ: ارْفَعْ عَلَماً لِجَمِيعِ الْأُمَمِ مِنْ بَعِيدٍ فَيَصْفَرُّ بِهِمْ مِنْ أَقْصَى الْأَرْضِ، فَإِذَا هُمْ سِرَاعٌ يَأْتُونَ»(١).

وَبَنُو قِيدَارَ هُمُ الْعَرَبُ؛ لِأَنَّ قِيدَارَ ابْنُ إِسْمَاعِيلَ بِإِجْمَاعِ النَّاسِ، وَالْعَلَمُ الَّذِي يُرْفَعُ هُوَ النُّبُوَّةُ، وَالصَّفِيرُ بِهِمْ دُعَاؤُهُمْ مِنْ أَقْصَى الْأَرْضِ إِلَى الْحَجِّ، فَإِذَا هُمْ سِرَاعٌ يَأْتُونَ»(٢).

---

(١) سفر أشعيا: ١: ١١.

(٢) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى (٢/ ٣٦٠).

المبحث الأول

العبادات المتعلقة بالحجر الأسود[١]

المطلب الأول

ابتداء الطواف منه وختم الطواف به

يبدأ الطائف طوافه من الحجر الأسود، ويجعل البيت عن يساره وجوبًا؛ لحديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ لَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ أتى الْحَجَرَ فَاسْتَلَمَهُ، ثُمَّ مَشَى على يَمِينِهِ فَرَمَلَ ثَلَاثًا وَمَشَى أَرْبَعًا»[٢]، وعنه أيضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ رَمَلَ الثَّلَاثَةَ أَطْوَافٍ من الْحَجَرِ إلى الْحَجَرِ»[٣].

وجه الدلالة: أنه ﷺ مشى على يمينه؛ أي: يمين الحجر الأسود، فيكون البيت عن يساره[٤]، وأنه ﷺ طاف من الحجر إلى الحجر.

وحديثه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال في حجة الوداع: «لتأخذوا عني مناسككم»[٥][٦]، والمقصود من ذلك متابعته ﷺ في أداء النسك على الوجه

---

(١) انظر: أحكام الحجر الأسود للشيخ عوض بن حميدان الحربي.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، رقم١٢١٨.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، رقم:١٢٦٣.

(٤) المغني ٣/ ١٩٧.

(٥) أخرجه مسلم، رقم:١٢٩٧، بلفظ: «لتأخذوا مناسككم، فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه».

(٦) المغني٣/ ١٩٧.

الذي شرعه الله تعالى على لسان رسوله ومصطفاه ﷺ.

المطلب الثاني
استلام الحجر الأسود

معنى الاستلام: المسح باليد، وقيل: استلم، أي مس السِّلام، وقيل: هو افتعال من السَّلام، وهو التحية، قاله الأزهري[١].

واستلام الحجر على أربع درجات:

أولاها: تقبيله، وذلك أفضل الاستلام، وهو أكثر فعله المأثور عنه ﷺ، قال الترمذي: العمل على هذا عند أهل العلم، يستحبون تقبيل الحجر، فإن لم يمكنه ولم يصل إليه استلم بيده وقبّل يده، وإن كان لم يصل إليه استقبله إذا حاذى به وكبر[٢].

قال ابن رشد الحفيد: «أجمعوا على أن تقبيل الحجر الأسود خاصة من سنن الطواف إن قدر[٣]؛ لحديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّهُ جاء إلى الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ فَقَبَّلَهُ، فقال: إني أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لا تَضُرُّ ولا تَنْفَعُ، وَلَوْلا أَنِّي رأيت النبي ﷺ يُقَبِّلُكَ ما قَبَّلْتُكَ»[٤].

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/ ٩٥٢، المغني ٣/ ١٨٢، تحفة الأحوذي ٣/ ٥٠٢.

(٢) سنن الترمذي رقم ٨٦١.

(٣) بداية المجتهد ١/ ٢٤٨، المجموع ٨/ ٦٢، أسنى المطالب ١/ ٤٧٧، كشاف القناع ٢/ ١١٦٨.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم ١٥٢٨، ومسلم في صحيحه، رقم ١٢٧٠.

وجه الدلالة: أن تقبيله ﷺ للحجر يدل على الاستحباب.

الثانية: استلامه باليد:

أجمع المسلمون على استحباب استلام الحجر الأسود، وهو أن يقصد الحجر الأسود فيستقبله فيمسحه بيده[١]؛ لحديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ لَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ أتى الْحَجَرَ فَاسْتَلَمَهُ، ثُمَّ مَشَى على يَمِينِهِ فَرَمَلَ ثَلَاثًا وَمَشَى أَرْبَعًا»[٢].

ثالثها: استلامه بشيء:

قال ابن حجر في الفتح: «قال الجمهور: السنة أن يستلم الحجر الأسود بيده، ثم يقبله، فإن لم يستطع أن يقبله قبَّل يده، فإن لم يستطع أن يستلمه بيده استلمه بشيء في يده، وقبَّل ذلك الشيء، فإن لم يستطع أشار إليه واكتفى بذلك، وإليه ذهب جمهور الفقهاء[٣].

لحديث نافع رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «رأيت ابن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَسْتَلِمُ الْحَجَرَ بيده ثُمَّ قَبَّلَ يَدَهُ وقال: ما تَرَكْتُهُ مُنْذُ رأيت رَسُولَ الله ﷺ يَفْعَلُهُ»[٤].

وأيضًا ما ورد عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «طَافَ النبي ﷺ في حَجَّةِ الْوَدَاعِ على

(١) الإجماع لابن عبد البر ص٦٣، المجموع ٨/ ٦٢، كشاف القناع ٢/ ١١٦٨.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، رقم ١٢٦٣.

(٣) فتح الباري ٣/ ٤٧٣ ونيل الأوطار للشوكاني ٥/ ١١٥.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، رقم١٢٨٦.

بَعِيرٍ، يَسْتَلِمُ الرُّكْنَ بِمِحْجَنٍ»(١).

وحديث أبي الطفيل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «رأيت رسول الله ﷺ يطوف بِالْبَيْتِ وَيَسْتَلِمُ الرُّكْنَ بِمِحْجَنٍ مَعَهُ وَيُقَبِّلُ الْمِحْجَنَ(٢).

وفي مصنف عبد الرزاق: أن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مسح الركن بثوبه ثم قبله(٣).

رابعها: الإشارة إليه:

إذا لم يستطع استلامه بتقبيله بفمه ولا بمحجن ولا بيده، أشار إليه بيده لا كهيئة التكبير، وإنما يشير بيد واحدة.

لحديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «طَافَ النبي ﷺ بِالْبَيْتِ على بَعِيرٍ، كُلَّمَا أتى الرُّكْنَ أَشَارَ إليه بِشَيْءٍ كان عِنْدَهُ وَكَبَّرَ»(٤).

وفي حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال له: «يا عمر لا تزاحم عند الركن؛ فإنك تؤذي الضعيف، فإن رأيت خلوة فاستلمه، وإلا فاستقبله وكبر وامض»(٥).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم ١٥٣٠. والمحْجَن: عصاً مُعَقَّفَة الرأس. لسان العرب ١٣/ ١٠٨.

(٢) رواه مسلم برقم ٣١٣٦.

(٣) رواه عبد الرزاق في المصنف برقم ٩٠٣٦.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم: ١٥٣٥.

(٥) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى رقم:٩٠٤٤، وابن أبي شيبة في مصنفه رقم:١٣١٥٢، =

المطلب الثالث

ابتداء الرمل منه

أجمع الفقهاء على أن بداية الرمل[١] تكون بعد استلام الحجر الأسود[٢]، واستدلوا بما يلي:

حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ لَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ أتى الْحَجَرَ فَاسْتَلَمَهُ ثُمَّ مَشَى على يَمِينِهِ فَرَمَلَ ثَلَاثًا وَمَشَى أَرْبَعًا»[٣].

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضًا «أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ رَمَلَ الثَّلَاثَةَ أَطْوَافٍ من الْحَجَرِ إلى الْحَجَرِ»[٤].

وحديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «رأيت رَسُولَ الله ﷺ حين يَقْدَمُ مَكَّةَ، إذا اسْتَلَمَ الرُّكْنَ الْأَسْوَدَ أَوَّلَ ما يَطُوفُ يَخُبُّ ثَلَاثَةَ أَطْوَافٍ من السَّبْعِ»[٥].

=

وعبد الرزاق في مصنفه رقم:٨٩١٠. والحديث قال عنه الدارقطني: «مرسل»، العلل الواردة في الأحاديث النبوية ٢/ ٢٥٢.

(١) الرمل: بفتح الراء والميم، وهو سرعة المشي مع تقارب الخُطا، من غير وثب ولا عَدْو. النهاية في غريب الحديث ٢/ ٢٦٥، المجموع ٨/ ٤٤.

(٢) الإجماع لابن عبد البر ص١٦٣، بدائع الصنائع ٢/ ١٤٧، المجموع ٨/ ٤٣، المغني ٣/ ١٨٢.

(٣) سبق تخريجه ص ١٧٦.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، رقم:١٢٦٣.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم ١٥٢٦، ومسلم في صحيحه، رقم١٢٦١.

المطلب الرابع
ما جاء في السجود عليه

استحب جمهور العلماء السجود على الحجر الأسود[١]، واستدلوا: بحديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قبَّل الحجر الأسود، وسجد عليه، وقال: رأيت عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قبله وسجد عليه، ثم قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: رأيت رسول الله ﷺ فعل هكذا؛ ففعلت»[٢].

وقد بوب عبد الرزاق في المصنف: «باب السجود على الحجر» وذكر فيه حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وعن حنظلة قال: سمعت طاووسًا يقول: «قبل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الركن - يعني الحجر- ثم سجد عليه»، فقال حنظلة: ورأيت طاووسًا يفعل ذلك[٣].

---

(١) البحر الرائق ٢/ ص٣٥١، المجموع ٨/ ٦٢، أسنى المطالب في شرح روض الطالب ١/ ٤٧٧،كشاف القناع ٢/ ١١٦٨.

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى رقم٩٠٠٥، وابن خزيمة في صحيحه رقم:٢٧١٤، وأبو يعلى في مسنده رقم: ٢٢٠، والحاكم في المستدرك رقم: ١٦٧٢، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقد حسن الإمام أحمد حديث ابن عباس. وقال الشيخ الألباني بعد أن ساق الأسانيد والطرق حول هذا الحديث: «فيبدو من مجموع ما سبق أن السجود على الحجر الأسود ثابت، مرفوعًا وموقوفًا». قال الأعظمي: إسناده صحيح، صحيح ابن خزيمة برقم ٢٧١٤. انظر: إرواء الغليل رقم ١١١٢، المدونة الكبرى ٢/ ٣٩٧.

(٣) مصنف عبد الرزاق (٥/ ٣٧) برقم ٨٩١٢.

وعلى هذا فالسجود على الحجر الأسود مشروع عند جمهور العلماء، حكاه ابن المنذر عن عمر وابن عباس وطاووس والشافعي وأحمد، وتفرد مالك فقال: بدعة، وخالفه الجماهير(١)، وصفة السجود على الحجر أن يلصق جبهته عليه كما يسجد على الأرض.

المطلب الخامس

الأذكار المشروعة عنده(٢)

ذكر الفقهاء للذكر المشروع عند استلام الحجر الأسود أو محاذاته عدة صفات:

الصفة الأولى: أن يقول عند استلامه أو محاذاته: باسم الله والله أكبر، وإليه ذهب المالكية(٣).

واستدلوا: بأثر نافع رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «كان ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يدخل مكة ضحى فيأتي البيت فيستلم الحجر، ويقول: بسم الله والله أكبر»(٤).

---

(١) المدونة الكبرى ٢/ ٣٩٧، الإجماع لابن المنذر (ص: ٥٥)، المجموع ٨/ ٥٧، ٥٨، ونيل الأوطار ٥/ ١١٣.

(٢) انظر: أحكام الحجر الأسود للشيخ عوض بن حميدان الحربي.

(٣) المدونة الكبرى ٢/ ٣٦٤.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده رقم:٤٦٢٨، والبيهقي في السنن الكبرى رقم٩٠٣٢، قال الهيثمي: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح» مجمع الزوائد ٣/ ٢٣٩، وقال الحافظ ابن حجر: «سنده صحيح» تلخيص الحبير ٢/ ٢٤٧. وقال الألباني: «التسمية قبله صحت عن ابن عمر موقوفًا، ووهم من ذكره مرفوعًا» مناسك الحج والعمرة في الكتاب والسنة =

الصفة الثانية: يقول عند استلام الحجر الأسود أو محاذاته: باسم الله والله أكبر، اللهم إيماناً بك وتصديقاً بكتابك ووفاءً بعهدك واتباعاً لسنة نبيك محمد ﷺ، وإليه ذهب الشافعية، والحنابلة(١).

واستدلوا: بحديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه كان يقول إذا استلم الحجر الأسود: «اللهم إيماناً بك وتصديقاً بكتابك ووفاءً بعهدك واتباعاً لسنة نبيك محمد ﷺ»(٢)، وبأثر ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ السابق.

الصفة الثالثة: أن يقول في ابتداء الشوط الأول من الطواف: باسم الله والله أكبر، اللهم إيماناً بك وتصديقاً بكتابك ووفاءً بعهدك واتباعاً لسنة نبيك محمد ﷺ، أما في الأشواط الأخرى؛ فإنه يكبر كلما حاذى الحجر الأسود، وبه قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين(٣) رَحِمَهُ اللَّهُ.

=

وآثار السلف ص٢٠.

(١) المجموع ٨/ ٣٣، كشاف القناع ٢/ ٤٧٩.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط رقم: ٤٩٢، والبيهقي في السنن الكبرى رقم ٩٠٣٤، وعبد الرزاق في مصنفه رقم:٨٨٩٨. وقال ابن الملقن: «غريب، ويستحيل أن يكون مرفوعاً؛ لأن رسول الله ﷺ يبعد أن يقول: «واتباعاً لسنة نبيك»، إلا أن يكون على قصد التعليم... رواه الحارث الأعور عنه وهو كذاب»، وسئل عنه الإمام مالك فأنكر ذلك، ورأى أنه ليس عليه العمل، وقال: إنما يكبر ويمضي ولا يقف، وعده الشيخ الألباني من بدع الطواف.

انظر: خلاصة البدر المنير ٢/ ٨-٩، المدونة الكبرى ٢/ ٣٦٤ مناسك الحج والعمرة في الكتاب والسنة وآثار السلف ٤٨.

(٣) الشرح الممتع٧/ ٢٧٢-٢٧٣.

واستدل: بحديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «طَافَ النبي ﷺ بِالْبَيْتِ على بَعِيرٍ، كُلَّمَا أتى الرُّكْنَ أَشَارَ إليه بِشَيْءٍ كان عِنْدَهُ وَكَبَّرَ»(١).

وحديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ السابق(٢)، وبأثر ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ السابق(٣).

فحمل أثر ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على بداية الطواف، وحديث علي على الذكر المشروع فيه، وحديث ابن عباس على سائر الطوافات(٤).

ويمكن أن يجاب عنه: بأن حديث علي لم يثبت كما تقدم(٥)، فلا يستقيم الاستدلال به.

الصفة الرابعة: أن يقول عند استلام الحجر الأسود: باسم الله والله أكبر، ويقول عند الإشارة إليه: الله أكبر، وبه قال الشيخ عبد المحسن البدر(٦).

واستدل: بأثر ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ السابقين.

وجه الاستدلال: الجمع بين الأدلة، فحمل أثر ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على استلام الحجر، وحمل حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على الإشارة إليه ومحاذاته.

---

(١) سبق تخريجه ص١٧٩.

(٢) سبق تخريجه ص١٨٣.

(٣) سبق تخريجه ص ١٨٢.

(٤) الشرح الممتع٧/ ٢٧٢.

(٥) سبق تخريجه ص١٨٣.

(٦) تبصير الناسك ص ٩٩.

والأقرب -والله تعالى أعلم -الصفة الرابعة: وهي أن يقول عند استلام الحجر الأسود: باسم الله والله أكبر، ويقول عند الإشارة إليه: الله أكبر؛ لأن في ذلك جمعًا بين حديث ابن عباس وأثر ابن عمر، والجمع أولى من الترجيح، وأما حديث علي فلم يثبت فلا حجة فيه، ويؤيد ذلك أثر أنس بن مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أنه كان يطوف بالبيت حتى إذا حاذى الحجر نظر إليه والتفت إليه فكبر نحوه»[1].

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٣/ ١٧١ رقم ١٣١٥٤.

المبحث الثاني

المسائل العقدية المتعلقة بالحجر الأسود

المطلب الأول

وجوب الاتباع والاقتداء بالرسول ﷺ

لقد اصطفى الله محمداً ﷺ بنبوته ورسالته وأنزل عليه الكتاب والحكمة، وأمره باتباع ما أوحي إليه وتبليغ ما أنزل إليه، فقام ﷺ بتبليغ الرسالة، وأداء الأمانة.

فهو المبلغ عن الله دينه ووحيه وهو الآمر بإذن مولاه والهادي إلى الصراط المستقيم. فمن آمن به فبالله آمن، ومن أطاعه فقد أطاع الله، ومن قبل عنه فعن الله قبل.

وقد استفاضت آيات الكتاب العزيز في بيان أهمية هذا الأمر والتأكيد على وجوبه وفرضيته، منها قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٠]، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴾ [محمد: ٣٣]، وقوله تعالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣٢]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ [النور: ٥٤]، فبين الله بعد الأمر بطاعة رسوله أن طاعته سبب للهدى والرحمة، كما بين سبحانه أنه لا سعادة للعباد ولا نجاة لهم في المعاد إلا باتباع الرسول ﷺ وطاعته، فقال تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب:

٧١]، وقال: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [النساء: ١٣]، فَطَاعَةُ الله وَرَسُولِهِ قُطْبُ السَّعَادَةِ الَّتِي عَلَيْهِ تَدُورُ، وَمُسْتَقَرُّ النَّجَاةِ الَّذِي عَنْهُ لَا تَحُورُ(١).

ومن أهم ما دعا إليه الرسول ﷺ بعد التوحيد التمسك بالسنة، والاتباع لرسول الله ﷺ.

والتمسك بالسنة أصل من أصول الدين الواجب اعتقادها، ولا يصح إيمان المرء دونها، وأن الإسلام دين أتقن الله بناءه وأكمله، فمجال الناس التطبيق والتنفيذ (السمع والطاعة)، وهذا أمر أدلته ظاهرة(٢).

يقول الله تعالى ممتنًا على عباده: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ﴾ [المائدة: ٣]، فهذه الآية الكريمة تدل على تمامِ الشريعة وكمالها، وكفايتها لكل ما يحتاج إليه الخلق الذين أنزل الله قوله فيهم: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة، حيث أكمل تعالى لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه، ولهذا جعله الله تعالى خاتم الأنبياء، وبعثه إلى الإنس والجن، فلا حلال إلا ما أحله، ولا حرام إلا ما حرمه، ولا دين إلا ما

(١) محبة الرسول بين الاتباع والابتداع (ص: ١٥٠) فتاوى ابن تيمية ١/ ٣.

(٢) البدعة أثرها السيئ في الأمة» للشيخ سليم الهلالي (ص٧) بتصرف.

شرعه»[١].

وقد أمرنا الله بأن نتبع رسوله ﷺ ونمتثل أمره ونهيه في كل ما جاءنا به، فقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]، قال ابن كثير: «أي: مهما أمركم به فافعلوه، ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه، فإنه إنما يأمر بخير، وإنما ينهى عن شر»[٢].

وهذا الأمر من الله عام شامل لكل ما جاءنا به الرسول ﷺ، والله لم يفرق بين طاعته سبحانه وبين طاعة نبيه ﷺ، بل جعل طاعة نبيه طاعة له سبحانه فقال: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، وغالب الآيات قرنت بين طاعته سبحانه وطاعة نبيه، ولأن ما سنه الرسول ﷺ مما ليس فيه نص كتاب فإنما سنه بأمر الله ووحيه.

فاتباع الرسول ﷺ أمر واجب وفرض عين على الأمة كلها في عسرها ويسرها ومنشطها ومكرهها، ولا يصير المسلم مسلماً حتى يتبع الرسول ﷺ في جميع أقواله وأفعاله حسب علمه واستطاعته، واتباع الرسول ﷺ مثل محبته من حيث كونه مقترناً بشواهد تؤكده، ومظاهر عملية تحدده، وبدونها يصير الاتباع دعوى مجردة عن الدليل.

وأعظم مظاهر الاتباع التي إذا تحققت تحقق الاتباع وصدقت المحبة لرسول الله ﷺ، هو الاقتداء بالنبي ﷺ والتأسي به: قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ١٩).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٣٦).

﴿لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: «هذه الآية أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله»(١).

وقد ثبت في الصحيحين أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لمّا قَبَّلَ الحجرَ الأسودَ قال: «والله إني أعلَمُ أنكَ حجرٌ لا تَضرُّ ولا تَنفَعُ، ولولا أني رأيتُ رسول الله ﷺ يُقبِّلُك لَمَا قَبَّلْتك»(٢).

فبيَّن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّ العباداتِ مبناها على متابعة الرسول ﷺ؛ إذْ إن دين الإسلام مبني على أصلينِ:

أحدهما: أن لا يعبُد إلا الله، لا يُشرِك به شيئًا.

والثاني: أن يَعبده بما شرع من الدين، لا يعبده بشَرْع مَن شرعَ مِن الدين ما لم يأذَن به الله، كالذين قال فيهم: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى: ٢١](٣).

قال ابن حجر: «وفي قول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذا التسليم للشارع في أمور الدين، وحسن الاتّباع فيما لم يكشف عن معانيها، وهو قاعدة عظيمة في أتباع النبي ﷺ فيما يفعله، ولو لم يعلم الحكمة فيه، وأمور الشريعة على

(١) تفسير ابن كثير، ٣/ ٤٧٥.

(٢) البخاري (١٥٩٧، ١٦٠٥، ١٦١٠) ومسلم (١٢٧٠).

(٣) جامع المسائل لابن تيمية ٥/ ١٠٢.

ضربين ما كشف عن علته وما لم يكشف، وهذا ليس فيه إلا التسليم»[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وحقيقة المتابعة: أن يفعل مثل ما فعل على الوجه الذي فعل، فإذا فعل فعلاً على وجه العبادة، شرع لنا أن نفعله على وجه العبادة، وإذا قصد تخصيص مكان أو زمان بالعبادة، خصصناه بذلك، كما كان يقصد أن يطوف حول الكعبة، وأن يلتمس الحجر الأسود، وأن يصلي خلف المقام، وكان يتحرى الصلاة عند أسطوانة مسجد المدينة، وقصد الصعود على الصفا والمروة والدعاء والذكر هناك، وكذلك عرفة ومزدلفة وغيرهما»[٢].

إذن التأسي بالنبي ﷺ هو: أن نفعل مثلما فعل على الوجه الذي فعله، من وجوب أو ندب، وأن نترك ما تركه، أو نهى عنه من محرم أو مكروه، كما يشمل التأسي به التأدب بآدابه والتخلق بأخلاقه ﷺ وعلى ذلك فالتأسي والاقتداء شامل لجميع أمور الدين.

فإذا قال الرسول ﷺ قولاً قلنا مثل قوله، وإذا فعل فعلاً فعلنا مثله، وإذا ترك شيئًا تركناه فيما لم يكن خاصّـًا به، وإذا عظم شيئا عظمناه، وإذا حقر شيئًا حقرناه، وإذا رضي لنا أمراً رضينا به، وإذا وقف بنا عند حد وقفنا عنده ولم يكن لنا أن نتقدم عليه أو نتأخر عنه.

وبالجملة فإن الاقتداء بالرسول ﷺ هو تجريد متابعته والتلقي عنه

---

(١) فتح الباري ٣/ ٤٦٣ وعمدة القاري شرح صحيح البخاري ١٤:/ ٤٧٢.

(٢) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (١/ ٢٢٠).

وحده، فكما أن الرب سبحانه واحد، فالرسول الذي أمرنا باتباعه واحد، فهما توحيدان: توحيد المرسِل وهو الله سبحانه وتعالى، وتوحيد متابعة الرسول ﷺ.

وهذا معنى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وبدون هذا لا يصير المسلم مسلماً. ذلك هو الاقتداء بالرسول ﷺ، وهو المعيار الذي ينبغي أن توزن به أفعال الناس وأقوالهم وعقائدهم وسائر أمورهم. وطريق التأسي به مبني على العلم بهديه ﷺ في كافة أمور الدين والعمل به[1].

المطلب الثاني
وجوب اعتقاد فضله

وذلك أن الأحاديث الواردة -وقد مرت- دالة على فضله وفضائله، وأنه أفضل أجزاء الكعبة، ولشرفه وفضله أتى به جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ من الجنة، ووضعه خليل الله ﷺ في مكانه، ثم وضعه رسول الله ﷺ حين ابتنت قريش الكعبة كما ذكره أهل السير، وكان أول من جدد بناء الكعبة من قريش بعد إبراهيم ﷺ قصي بن كلاب، ثم بنتها قريش بعده، ورسول الله ﷺ ابن خمس وعشرين سنة، وشهد بناءها، وكان بابها مساوياً للأرض، وكانت الكعبة فوق القامة، فأرادت قريش رفعها وتسقيفها، فجعلوا يبنونها بأحجار الوادي، فرفعوها في عشرين ذراعاً، وسبب بنائها أن الكعبة استهدمت

(١) محبة الرسول بين الاتباع والابتداع (ص: ١٦٧).

فأرادوا تعليتها[١].

ولما تم بناؤها تشاجرت قريش فيمن يضع الحجر الأسود في مكانه، ولقد تشرف الرسول ﷺ بوضعه، فقد ثبت عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لما انهدم البيت بعد جرهم فبنته قريش،فلما أرادوا وضع الحجر تشاجروا من يضعه، فاتفقوا على أن يضعه أول من يدخل من هذا الباب، فدخل رسول الله ﷺ من باب بني شيبة، فأمر بثوب فوضع، فأخذ الحجر ووضعه في وسطه، فأمر من كل أن يأخذوا بطائفة من الثوب فيرفعوه، وأخذه رسول الله ﷺ فوضعه[٢].

ومن الواجب اعتقاده أن الحجر مُشْتَمِلٌ عَلَى صِفَاتٍ وَأُمُورٍ قَائِمَةٍ بِهَ لَيْسَتْ لِغَيْرِهَ، وَلِأَجْلِهَا اصْطَفَاهَ اللهُ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ الَّذِي فَضَّلَهَ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ، وَخَصَّهَ بِالِاخْتِيَارِ، فَهَذَا خَلْقُهُ، وَهَذَا اخْتِيَارُهُ، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص: ٦٨].

وَاللهُ سُبْحَانَهُ لَا يُخَصِّصُ شَيْئًا، وَلَا يُفَضِّلُهُ وَيُرَجِّحُهُ إِلَّا لِمَعْنًى يَقْتَضِي تَخْصِيصَهُ وَتَفْضِيلَهُ، نَعَمْ هُوَ مُعْطِي ذَلِكَ الْمُرَجِّحَ وَوَاهِبُهُ، فَهُوَ الَّذِي خَلَقَهُ،

(١) المعرفة والتاريخ ٣/ ٢٥٢، أخبار مكة للأزرقي ١/ ١٥٧، أخبار مكة للفاكهي ٥/ ٢٢٧، البداية والنهاية ٢/ ٢٦٢، سير أعلام النبلاء ١٢/ ٥٧٢.

(٢) أخرجه البيهقي في سننه الكبرى رقم ٨٩٩٠، والطيالسي في مسنده رقم ١١٣، وانظر: صحيح السيرة النبوية للألباني ٤٤.

ثُمَّ اخْتَارَهُ بَعْدَ خَلْقِهِ[١].

وقال الخطابي في حديث عمر من الفقه أن متابعة النبي واجبة وإن لم يوقف فيها على علل معلومة وأسباب معقولة، وأن أعيانها حجة على من بلغته وإن لم يفقه معانيها، ومن المعلوم أن تقبيل الحجر إكرام وإعظام لحقه، قال وفضل الله بعض الأحجار على بعض كما فضل بعض البقاع على بعض وبعض الليالي والأيام على بعض[٢].

المطلب الثالث

اعتقاد أنه لا يضر ولا ينفع

قول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إنك حجر لا تضر ولا تنفع»، إخبار من عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنا لم نُقبِّلْك نَرجو منفعتَك ونخافُ مَضرَّتَك، كما كان المشركون يفعلون بأوثانهم، بل نعلم أنك حجر لا تَضُرُّ ولا تنفع، ولولا أن الرسول ﷺ قَبلك -وقد أمرنا الله باتباعِه، فصارَ ذلك عبادةً مشروعةً- لما قبَّلْتك، لسنا كالنصارى والمشركين وأهل البدع الذين يعبدون غيرَ الله بغيرِ إذن الله، بل لا نعبد الا الله بإذن الله، كما قال لنبيه ﷺ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦]،فبيَّن أن رسوله يدعو إليه بما أذن فيه من الشَّرع، لا بما لم يأذن به،

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ١/ ٥٤.

(٢) عمدة القارئ ١٤/ ٤٦٨.

كالذين شرعوا من الدين ما لم يأذن به الله[١].

وقوله: «لا تضر ولا تنفع»، قال الطبري: «إنما قال ذلك عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لأن الناس كانوا حديثي عهد بعبادة الأصنام فخشي عمر أن يظن الجهال أن استلام الحجر من باب تعظيم بعض الأحجار كما كانت العرب تفعل في الجاهلية، فأراد عمر أن يعلم الناس أن استلامه اتّباع لفعل رسول الله ﷺ، لا لأن الحجر ينفع ويضر بذاته كما كانت الجاهلية تعتقده في الأوثان»...، قال ابن حجر بعد نقله كلام الطبري: «وفيه دفع ما وقع لبعض الجهال من أن في الحجر الأسود خاصة ترجع إلى ذاته»[٢].

فنفع الحجر الأسود بالثواب المترتب على الاتباع بتقبيله، لا أنه ينفع بذاته.

المطلب الرابع
اعتقاد أنه لا يقبَّل غيره تعبّداً

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[٣]: وقد اتفق المسلمون على أنه ليس شيء يشرع تقبيله إلا الحجر الأسود، وقد ثبت أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال فيه: «إنك حجر لا تضر ولا تنفع». فلا شيء من الأرض يقبل ويتمسح به سوى الحجر الأسود، بل ليس تحت أديم السماء ما يُشرع التمسحُ به وتقبيلُه إلا

(١) مختصر الفتاوى (٢/ ١٢٦).

(٢) فتح الباري - ابن حجر (٣/ ٤٦٣).

(٣) المستدرك على مجموع الفتاوى (١/ ١٩).

الحجر الأسود، والركن اليماني يستحب التمسح به.

وَلَا يقبل على وَجه الأَرْض شيء عبَادَةً لله إِلَّا الْحجر الْأسود، وَلَا يتمسح إِلَّا بِهِ وبالركن الْيَمَانِيّ، وَلَا يسْتَلم الركنان الشاميان وهما من الْبَيْت فَكيف غَيرهمَا! وَقد طَاف ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَمُعَاوِيَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَجعل مُعَاوِيَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يسْتَلم الْأَرْكان الْأَرْبَعَة، فَقَالَ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِن رَسُول الله ﷺ لم يسْتَلم إِلَّا الرُّكْنَيْنِ اليمانيين» فَقَالَ مُعَاوِيَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَيْسَ من الْبَيْت شَيْء مهجور»، فَقَالَ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لقد كَانَ لكم فِي رَسُول الله أُسْوَة حَسَنَة»، فَقَالَ مُعَاوِيَة: «صدقت»، وَرجع إِلَى قَوْله[1][2].

وليس في الدنيا من الجمادات ما يشرع تقبيله إلا الحجر الأسود، ولهذا لا يسن باتفاق الأئمة أن يقبل الرجل أو يستلم ركني البيت -اللذين يليان الحجر- ولا جدران البيت، ولا مقام إبراهيم ولا صخرة بيت المقدس، ولا قبر أحد من الأنبياء والصالحين[3].

قال العيني في عمدة القارئ: «وفيه -يعني حديث عمر- كراهة تقبيل ما لم يرد الشرع بتقبيله من الأحجار وغيرها[4].

---

(١) صحيح البخاري، رقم «١٦٠٨»، ورواه الإمام أحمد برقم ١٨٧٧ مطولاً، وفيه أن معاوية قال لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: صدقت.

(٢) جامع المسائل لابن تيمية ٥/ ٣٦٨.

(٣) زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور ص: ٣١، ومجموع الفتاوى ٢٧/ ٧٩.

(٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري: ١٤/ ٤٧٠.

المطلب الخامس
اعتقاد أن تقبيله واستلامه تعبّدًا لا تبركًا واستشفاءً

في قول عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إني أعلم أنك حجر لا تنفع ولا تضر ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ قبلك ما قبلتك» دليل على أن الحجر الأسود لا ينفع ولا يضر، وأن تقبيله على خلاف القياس؛ لمجرد التعبد لله ﷻ، لا لأجل التبرك به، فما ظنك بأحجار القبور وأشجارها؛ فلا يقاس عليه تقبيل غيره من الأحجار والأشجار،... وهذا دليل على أن الصحابة كانوا يهتمون بأمر التوحيد وحماية حماة وسد ذرائع الشرك(١).

فلا يجوز تقبيل الحجر الأسود، واستلامه والتمسح به؛ لأجل التبرك به والاستشفاء به - فكيف يجوز التبرك بما هو دونه كالقبور ونحوها.

فالذي يبارك هو الله -جل وعلا-، فلا يجوز للمخلوق أن يقول: باركت على الشيء، أو أبارك فعلكم؛ لأن البركة وكثرة الخير ولزومه وثباته، إنما ذلك من الذي بيده الأمر، وهو الله ﷻ.

وقد دلت النصوص في الكتاب والسنة على أن الأشياء التي أحل الله - جل وعلا- البركة فيها كبيت الله الحرام، وحول بيت المقدس، كما قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ [الإسراء: ١]، ومعنى كون الأرض مباركة: أن يكون فيها الخير الكثير اللازم، يعني أن بركتها لازمة لا تنتقل بالذات، يعني: أنك إذا لامست الأرض، أو دفنت فيها، أو تبركت بها، فإن بركتها لا تنتقل

(١) جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية (٢/ ٦٥٨).

إليك بالذات، وإنما بركتها من جهة المعنى فقط.

كذلك بيت الله الحرام هو مبارك، لا من جهة ذاته، يعني: ليس كما يعتقد البعض أن من تمسح به انتقلت إليه البركة، وإنما هو مبارك من جهة المعنى، يعني: اجتمعت فيه البركة التي جعلها الله في هذه البنية، من جهة تعلق القلوب بها، وكثرة الخير الذي يكون لمن أرادها، وأتاها، وطاف بها، وتعبد عندها، وكذلك الحجر الأسود هو حجر مبارك، ولكن بركته لأجل العبادة، يعني أن من استلمه تعبداً مطيعاً للنبي ﷺ في استلامه له، وفي تقبيله، فإنه يناله به بركة الاتباع. وقد قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما قبّل الحجر: «إني لأعلم أنك حجر لا تنفع ولا تضر»، فقوله: لا تنفع ولا تضر، يعني: لا يجلب لمن قبّله شيئاً من النفع، ولا يدفع عن أحد شيئاً من الضر، وإنما الحامل على التقبيل مجرد الاتِّساء؛ تعبداً لله، ولذلك قال: «.. ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك»، فهذا معنى البركة[1].

المطلب السادس
ما ورد في أنه يمين الله في الأرض

ورد بذلك أثر يعزى لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «الحجر الأسودُ يمينُ اللهِ في الأرض، فمن صافحَه واستلَمه فكأنما صافحَ اللهَ وقَبَّلَ يمينَه»، لكنه لا يصح مرفوعاً[2].

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ١٢٥).

(٢) المرفوع من طريق جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

=

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «روي عن النبي ﷺ بإسناد لا يثبت»[١]، أما الموقوف فوقفه على ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والمشهور -يعنى في هذا الأثر- إنما هو عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «الحجر الأسود يمين الله في الأرض، فمن صافحه وقبّله فكأنما صافح الله وقبّل يمينه»، ومن تدبر اللفظ المنقول تبين له أنه لا إشكال فيه، فإنه قال: «يمين الله في الأرض»، ولم يطلق فيقول: «يمين الله»، وحكم اللفظ المقيد يخالف حكم المطلق، ثم قال: «فمن

=

رواه الخطيب في تاريخ بغداد (٦/ ٣٢٨)، وابن عساكر في تاريخ دمشق، كما نقله الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٢/ ١٢٩). ورواه أيضاً: ابن عدي في الكامل (١/ ٣٤٢) وقال: إنه من رواية إسحاق بن بشر وهو في عداد من يضع الحديث ا.هـ، ورواه أيضاً الديلمي في الفردوس (٢/ ١٥٩)، وقال الذهبي في تلخيص العلل ص١٩١: فيه إسحاق بن بشر: كذاب ا.هـ.

(١) مجموع الفتاوى (٦/ ٣٩٧). وقال ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٥٧٥): «هذا حديث لا يصح»، وانظر تلخيص العلل للذهبي ص١٩١. وقال ابن العربي: «حديث باطل فلا يلتفت إليه»، نقله المناوي في فيض القدير (٣/ ٤٠٩). وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (١/ ٢٥٧).

(٢) رواه ابن قتيبة في غريب الحديث (٢/ ٩٦)، والأزرقي في تاريخ مكة (١/ ٣٢٤)، وقال البوصيري في إتحاف المهرة (٤/ ٧٥): رواه محمد بن يحيى بن أبي عمر موقوفاً بإسناد الصحيح ا.هـ. وقال الحافظ ابن حجر في المطالب العالية من النسخة المسندة (٢/ ٣٧): «هذا موقوف صحيح». وعزاه العجلوني في كشف الخفاء (١/ ٣٤٩) إلى القضاعي والحارث ابن أبي أسامة. وقد صحح الحديث موقوفاً السخاوي كما نقله عنه ابن الديبع في تمييز الطيب من الخبيث ص٧٧. وقال العجلوني: الحديث له شواهد فهو حديث حسن وإن كان ضعيفاً بحسب أصله، ومثله مما لا مجال للرأي فيه ا.هـ.

صافحه وقبله فكأنما صافح الله وقبل يمينه»، وهذا صريح في أن المصافح لم يصافح يمين الله أصلاً، ولكن شبه بمن يصافح الله، فأول الحديث وآخره يبين أن الحجر ليس من صفات الله تعالى، كما هو معلوم عند كل عاقل، وَلَكِنْ يُبَيِّنُ أَنَّ اللهَ تَعَالَى كَمَا جَعَلَ لِلنَّاسِ بَيْتًا يَطُوفُونَ بِهِ جَعَلَ لَهُمْ مَا يَسْتَلِمُونَهُ؛ لِيَكُونَ ذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ تَقْبِيلِ يَدِ الْعُظَمَاءِ، فَإِنَّ ذَلِكَ تَقْرِيبٌ لِلْمُقَبِّلِ وَتَكْرِيمٌ لَهُ، كَمَا جَرَتْ الْعَادَةُ، وَاَللهُ وَرَسُولُهُ لَا يَتَكَلَّمُونَ بِمَا فِيهِ إضْلَالُ النَّاسِ، بَلْ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ؛ فَقَدْ بَيَّنَ لَهُمْ فِي الْحَدِيثِ مَا يَنْفِي مِنْ التَّمْثِيلِ» ا.هـ[1].

وأما ما حكاه أبو حامد الغزالي عن بعض الحنبلية، أن أحمد لم يتأول إلا [ثلاثة أشياء]: «الحجر الأسود يمين الله في الأرض»، و«قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن»، و«إني أجد نفس الرحمن من قبل اليمن»: فهذه الحكاية كذب على أحمد، لم ينقلها أحد عنه بإسناد، ولا يعرف أحد من أصحابه نقل ذلك عنه، وهذا الحنبلي الذي ذكر عنه أبو حامد مجهول لا يعرف؛ لا علمه بما قال، ولا صدقه فيما قال[2].

---

(١) مجموع الفتاوى٦/ ٣٩٨، والتدمرية: (ص: ٦٩)، وبيان تلبيس الجهمية (٦/ ١٠٥)، ودرء تعارض العقل والنقل (٥/ ٢٣٦)، وشرح حديث النزول (ص: ٥٥)، والمجلى في شرح القواعد المثلى (ص: ٢٥١). وقد ذكر ابن رجب في طبقات الحنابلة (٣/ ١٧٤) أن ابن الفاعوس الحنبلي ت سنة ٥٢١هـ.

(٢) مجموع الفتاوى (٥/ ٣٩٨) و(٦/ ٣٩٧)، و القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى (ص: ٥٠).

المبحث الثالث

المخالفات العقدية المتعلقة بالحجر الأسود

المطلب الأول

اعتقاد أنه ينفع ويضر

فمن اعتقد أنه يضر وينفع، وأنه يشفع ويدفع، فقد أشرك مع الله غيره، وذلك شرك أكبر مخرج من الملة، وذلك كحال الروافض الذين يعتقدون ذلك، كما ورد بذلك عن بعض أئمتهم(١). وقول عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إني أعلم أنك حجر لا تنفع ولا تضر ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ قبلك ما قبلتك» = دليل على أن الحجر الأسود لا ينفع ولا يضر، وأن تقبيله لمجرد التعبد لله عَزَّ وَجَلَّ، لا لأجل النفع والضر. وفي كلام عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إشارة إلى أن تقبيل الحجر لأجل الخوف والطمع والتعظيم فيه خوف الوقوع في الشرك؛ فلهذا نبه الناس بأنه لا يضر ولا ينفع(٢).

وقال الإمام البدر العيني: «تكلم الشارحون في مراد عمر رضي الله تعالى عنه بهذا الكلام، فقال محمد بن جرير الطبري إنما قال ذلك؛ لأن الناس كانوا حديثي عهد بعبادة الأصنام؛ فخشي عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه يظن الجهال بأن استلام الحجر هو مثل ما كانت العرب تفعله، فأراد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يُعلم أن

---

(١) الإمام أحمد الحسن اليماني الجواب المنير ٤/ ٥٧، إصدارات أنصار الإمام المهدي.

(٢) جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية (٢/ ٦٥٨)، إقامة الحجة والدليل وإيضاح المحجة والسبيل (ص: ١٤).

استلامه لا يقصد به إلا تعظيم الله ﷻ، والوقوف عند أمر نبيه ﷺ، وأن ذلك من شعائر الحج التي أمر الله تعالى بتعظيمها، وأن استلامه مخالف لفعل الجاهلية في عبادتهم الأصنام؛ لأنهم كانوا يعتقدون أنها تقربهم إلى الله زلفى، فنبه عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على مخالفة هذا الاعتقاد، وأنه لا ينبغي أن يعبد الا من يملك الضر والنفع، وهو الله تعالى ﷻ»[١].

المطلب الثاني
التبرك والاستشفاء بتقبيله ومسحه

وقول عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إني أعلم أنك حجر لا تنفع ولا تضر ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ قبّلك ما قبّلتك» = دليل على أن الحجر الأسود لا ينفع ولا يضر، وأن تقبيله لمجرد التعبد لله ﷻ، لا لأجل التبرك والاستشفاء به[٢]؛ فلا يجوز تقبيل الحجر الأسود، واستلامه والتمسح به؛ لأجل التبرك به والاستشفاء به[٣].

وتقبيل الحجر الأسود إنما هو اتباع للنبي ﷺ، فالمسلم يفعله تعبداً لله تعالى، واقتداءً بخير البرية ﷺ، وليس من باب التبرك في شيء[٤]. وإذا كان هذا في شأن الحجر الأسود الذي هو أفضل الكعبة، فغيره من الأماكن

---

(١) عمدة القارئ: ١٤/ ٤٧١.

(٢) جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية (٢/ ٦٥٨).

(٣) تسهيل العقيدة الإسلامية (ص: ٣١١).

(٤) تسهيل العقيدة الإسلامية (ص: ٣١١).

والأشياء الفاضلة أولى، فيتعبد المسلم فيها بما ورد في الشرع ولا يزيد عليه.

ومما يدل كذلك على تحريم التبرك والاستشفاء بالأشياء الفاضلة بغير ما ورد في الشرع ما ثبت عن حبر الأمة وترجمان القرآن ابن عم النبي ﷺ عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه أنكر على من استلم أركان الكعبة الأربعة؛ لأن النبي ﷺ لم يستلم إلا الحجر الأسود والركن اليماني[1] كما مر.

وقد أمرنا بتقبيله تعبداً لله بذلك، فلا نتكلف ما لم نؤمر به. ولم يردْ دليلٌ يعول عليه حول التبرك والاستشفاء به، ومن تأمل النصوص الواردة في ذلك يجد أنَّه لا دلالة من بعيد أومن قريب على ادعاء البركة، فليس من خصائص الحجر الأسود أن يتبرَّكَ الإنسان به، والحجر الأسود مُعظَّم بالنصِّ، ومع ذلك فتقبيلُنا ولمسُنا له ليس للتبرك والاستشفاء به، بل اتباعاً للنبي ﷺ.

وتعظيم الجمادات والتبرك بها ذريعة للشرك، وأنَّ تعبُّد الإنسان لرب العالمين لا بد أن يخضع للدليل من الكتاب أو السنة الصحيحة.

والكعبة هي بيت الله تعالى، وهي أعظم بيت في الدنيا، كرَّمها الله تعالى، وشرَّفها منذ بنائها، ونفوس المسلمين في جميع أرجاء المعمورة تتوق لرؤيتها، ولكن حبنا للشيء لا بد أن يضبط بميزان الكتاب والسنة؛ خوفاً من الإفراط والتفريط.

وقد أفرط قومٌ فغلوا في الكعبة، فنراهم يتمسَّحون بأستارها، وما ظهر

(١) صحيح البخاري: رقم ١٦٠٨.

من أحجارها؛ يفعلون هذا طلبًا للبركة والاستشفاء، واستجلابًا للخير[١].

ولو كان في هذا الفعل خير لسبقنا إليه الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وقد قرَّر العلامة محمد بن إبراهيم ﷺ «أنَّ التمسُّح بحيطان المسجد الحرام، أو بالكعبة أو بمقام إبراهيم، ونحوها، رجاء بركتها؛ هو من وسائل الشرك الأكبر، بل هو من الشرك الأصغر»[٢] أ.هـ

وكل عمل تريد به التقرب إلى الله والتعبد له، وليس له أصل في الشرع فإنَّه بدعة، حذَّر منه النبي ﷺ فقال: «إِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةً ضَلاَلَةٌ»[٣].

ولم يرد عن النبي ﷺ أنَّه مسحَ سوى الركن اليماني، والحجر الأسود. ولما رأى عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يمسح الركنين الشماليين نهاه، فقال له معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ليس شيء من البيت مهجوراً، فقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ

---

(١) انظر: «البدع والمحدثات» (ص ٣٩٦ - ٣٩٨)، وشفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور (ص: ١٢٣)، و«التمهيد لشرح كتاب التوحيد» (ص ٦٠٩).

(٢) نقل ذلك عنه حفيدُه في: «التمهيد لشرح كتاب التوحيد» (ص: ٦١٠)، وانظر: «فتاوى ابن إبراهيم» (١/ ١٠١-١٠٣).

(٢) أحمد في: «المسند» (١٧١٤٤)، وابن ماجه في: «السنن»، وانظر: «فتاوى ابن إبراهيم» (١/ ١٠١-١٠٣).

(٣) أحمد في: «المسند» (١٧١٤٤)، وابن ماجه في: «السنن» (٤٢)، وأبو داود في: «السنن» (٤٦٠٧)، والترمذي في: «السنن» (٢٦٧٦).

حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١]، فقال معاوية: صدقت. وكلُّ شيء مما لم يرد عن النبي ﷺ، فكلُّه بدعة، وكل بدعة ضلالة[١].

المطلب الثالث

تقبيل غير الحجر الأسود من الأحجار

جاء عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لم أر النبي ﷺ يمس من الأركان إلا اليمانيين[٢] (وهما الركن الأسود والركن اليماني)، وإنما اقتصر ﷺ على استلام اليمانيين لما ثبت في الصحيحين من قول ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنهما على قواعد إبراهيم دون الشاميين، فعلى هذا يكون للركن الأول من الأركان الأربعة فضيلتان؛ كونه الحجر الأسود، وكونه على قواعد إبراهيم، وللثاني الثانية فقط، وليس للآخرين -أعني الشاميين- شيء منها، فلذلك يقبل الأول ويستلم الثاني فقط، ولا يقبل الآخران ولا يستلمان على رأي الجمهور[٣].

فبقية الأركان؛ وهما: الركن الشامي، والركن العراقي، وجدران الكعبة، لم يردْ في ذلك دليلٌ، وعليه فـ«تقبيل جدران الكعبة يدخل في حد البدعة»[٤].

---

(١) انظر: «البدع والمحدثات» (ص ٣٩٦ - ٣٩٧).

(٢) رواه الجماعة إلا الترمذي لكن له معناه من رواية ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) نيل الأوطار للشوكاني ٥/ ١١٦.

(٤) «فتاوى ابن إبراهيم» (١/ ١٠٢ - ١٠٣)، وانظر: «مجموع الفتاوى» (٢٦/ ٩٧)، و«منسك شيخ الإسلام» [ضمن «مجموع الفتاوى» (٢٦/ ١٢١)]، و«السنن والمبتدعات» (ص ١٥٢).

والمطلوب من المسلم الذي يريد أن يتعبد الله على بصيرة أن يقف عند النص، ولا يتجاوزه.

وقد وردت بعض الأدلة والآثار تؤكد أنَّ المشروع للمسلم هو الاقتصار على الحجر الأسود، والركن اليماني، وأنَّ الرُّكنَيْن الآخرين ليسا على قواعد إبراهيم ﷺ؛ ومن ذلك:

قول عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لم أر رسول الله ﷺ يمسح من البَيْت إِلاَّ الرُّكنين اليمَانِيَينِ»(١).

وقوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما أُرَى رسولَ الله ﷺ تركَ استلام الركْنَين اللذين يَليَان الحِجْر، إلا أنَّ البيت لم يتمَّمْ على قواعدِ إبراهيمَ، [ولا طاف النَّاسُ وراء الحِجْر إِلاَّ لذلك]»(٢).

قال ابن قدامة رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما الركنان اللذان يليان الحَجَر؛ فلا يسن استلامهما في قول أكثر أهل العلم»(٣) أ.هـ

وقال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «[الركنان] الأسود واليماني مبنيان على قواعد إبراهيم ﷺ، والشاميان ليسا على قواعده، بل مُغَيّران؛ لأنَّ الحِجْر يليهما، وكلُّه أو بعضه من البيت.

---

(١) أخرجه: البخاري (١٥٣١)، ومسلم (١٢٦٧)، وابن ماجه (٢٩٤٦)، وأبو داود (١٨٧٤)، والنسائي ٢٩٤٩).

(٢) أخرجه: البخاري (١٥٠٦)، ومسلم (١٣٣٣)، وأبو داود (١٨٧٥)، بنحوه، والزيادة له.

(٣) «المغني» (٥/ ٢٢٧).

وللركن الأسود فضيلتان: كون الحجر الأسود فيه، وكونه على قواعد إبراهيم ﷺ، وللركن اليماني فضيلة واحدة: وهو كونه على قواعد إبراهيم ﷺ، وليس للشاميين شيء من الفضيلتين.

فإذا عرفت هذا؛ فالسنة في الحَجَر الأسود استلامه، وتقبيله، والسنة في الركن اليماني استلامه، ولا يُقبل. والسنة لا يُقبل الشاميان، ولا يُستلمان، فخص الأسود بالتقبيل مع الاستلام؛ لأنَّ فيه فضيلتين، واليماني بالاستلام؛ لأنَّ فيه فضيلة واحدة. وانتفت الفضيلتان في الشاميين»[1] أ.هـ

وعليه فاستلام غير الحجر الأسود والركن اليماني غير مشروع.

المطلب الرابع

مسح الجسد بعد مسحه

يعتقد بعض الناس أن الحجر الأسود نافع بذاته؛ لذلك تجدهم عند استلامهم له يمسحون بأيديهم على بقية أجسادهم، وهذا جهل؛ فالنافع الضار هو الله سبحانه وتعالى، وقد قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند استلام الحجر: «إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت النبي ﷺ يقبلك ما قبلتك»[2].

وقد ثبت أنَّ النبي ﷺ: قَبَّل الحجر الأسود واستلمه بيده الشريفة، ثم قبّل يده.

---

(١) «المجموع» (٨/ ٤٧). وانظر: شرح العمدة (١/ ٤٣٠).

(٢) مناسك الحج والعمرة والمشروع في الزيارة، للعثيمين ص١١٧.

وثبت أيضـاً أنه ﷺ استلمه بمحجن وقبَّل المحجن[١].

وكان مسحه عليه ﷺ عند ابتدائه الطواف، وعند بداية كل شوط، فإن لم يتيسر له المسح؛ أشار إليه.

وثبت أن النبي ﷺ كان يمسح على الركن اليماني في كل طوافه، فإن لم يتيسر له المسح تركه، هذا هو الوارد عن رسول الله ﷺ، أما تقبيله، أو الإشارة إليه، فلم يثبت ذلك عنه ﷺ[٢].

واقتداءً بالنبي ﷺ؛ فإنَّ المسلمين مضوا على هذه السنة[٣]، وهي المسح على الحجر الأسود، والركن اليماني لا لشيءٍ سوى الاقتداء بالنبي ﷺ.

وعندما يستلم المسلمون الحجر الأسود، والركن اليماني، لا يستلمونه لشيء فيه، ولا يلتمسون منه شيئاً، ولا يرجون من هذا الاستلام سوى أجر الاقتداء، لذلك ثبت أنَّ عمرَ بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يقول عند المسح على الحجر الأسود: «إني أعلم أنك حجر، لا تَضُرُّ، ولا تنفعُ، ولولا أني رأيت النبيَّ ﷺ يُقبّلك ما قبّلتك».

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنما قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ [ذلك]؛ ليسمع الناس هذا الكلام، ويشيع بينهم. وقد كان عهد كثير منهم قريباً بعبادة

---

(١) رواه مسلم (١٢٧٥).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (٢٦/ ٩٧).

(٣) وقد ذكر ابن قدامة في «المغني» (٥/ ٢٢٦) الإجماع على استلام الركنين: الحجر الأسود، والركن اليماني.

الأحجار، وتعظيمها، واعتقاد ضرها ونفعها؛ فخاف أن يغتر بعضهم بذلك، فقال ما قال، والله أعلم»[١] أ.هـ

وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من الأخطاءِ التي يرتكبها بعض الطائفين: أنَّهم يظنون أنَّ استلام الحجر، والركن اليماني، للتبرُّك، لا للتعبد، فيتمسّحون به تبرُّكًا. وهذا بلا شك خلاف ما قُصِدَ به، فإنَّ المقصودَ بالتمسُّح بالحجر الأسود، أو بمسحه، وتقبيله، تعظيم الله ﷻ، ولهذا كان النبي ﷺ إذا استلم الحجر قال: «الله أكبر»؛ إشارة إلى أنَّ المقصودَ بهذا تعظيمُ اللهِ ﷻ، وليس المقصود التبرك بمسح هذا الحجر. قال أمير المؤمنين عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «والله إِنِّي لأَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ، لاَ تَضُرُّ وَلاَ تَنْفَعُ، وَلَوْلاَ أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ».

هذا الظن الخاطئ من بعض الناس، وهو ظنهم أنَّ المقصود بمسح الركن اليماني والحجر الأسود، التبرك؛ أدَّى ببعضهم إلى أن يأتي بابنه الصغير، فيمسح الركن والحجر بيده، ثم يمسح ابنه الصغير أو طفله بيده التي مسح بها الحجر أو الركن اليماني. وهذا من الاعتقاد الفاسد الذي يجب أن يُنهى عنه، وأن يُبَيَّن للناس أنَّ مثل هذه الأحجار لا تضرّ ولا تنفع، وأنَّ المقصود بمسحها تعظيم الله ﷻ، وإقامة ذكره، والاقتداء برسوله ﷺ أ.هـ[٢].

---

(١) «المجموع» (٨/ ٤٢).

(٢) «فقه العبادات» ص:٣٤٨-٣٤٩.

المطلب الخامس
تقبيل اليد بعد الإشارة إليه

تقبيل اليد عند الإشارة إلى الحجر الأسود، خلاف السنة والصواب أن التقبيل لليد لا يكون إلا إذا مست الحجر الأسود، أما إذا لم يستطع استلام الحجر بيده، وأشار إليه بيده اليمنى فإنه لا يقبلها، هذه هي سنة رسول الله ﷺ.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا يُقبِّل يده إذا أشار إليه بالاستلام، من غير استلام؛ لأنَّ التقبيل إنَّما هو للحجر، أو لِما مس الحجر» أ.هـ[١].

والأصل في الباب الاتباع وعدم الزيادة على المشروع، فكل أمر لم يكن من هديه ﷺ فالأصل تركه؛ إذ الخيرة والبركة في متابعته ﷺ في صغير الأمر وكبيره.

المطلب السادس
هل تقبيل الحجر الأسود عبادة مستقلة؟

والصواب أن مشروعية التقبيل تختص بالطائفين، فلا يشرع لغير الطائف التقبيل أو الاستلام، ولم يرد في النصوص الشرعية تقبيله لغير الطائفين، فاستلامه وتقبيله مرتبط بعبادة الطواف[٢].

---

(١) شرح العمدة» (١/ ٤٣٠).

(٢) تنبيه الأنام إلى المخالفات في المسجدين النبوي والحرام للشيخ عبدالمجيد الحديثي ص ١٦.

وفي تبويب النووي لمسلم استحباب تقبيل الحجر الأسود في ابتداء الطواف، وأورد مسلم حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المشهور.

قال النووي: وهو سنة من سنن الطواف بلا خلاف(١).

وقال ابن رشد: أجمعوا أن تقبيل الحجر الأسود خاصة من سنن الطواف(٢).

ولكن وردت آثار عن بعض الصحابة تفيد تقبيل الحجر من غير طواف.

قال الإمام مالك: ويرمل من الحجر الأسود إلى الحجر الأسود. وقال: إن شاء استلم الحجر كلما مر وإن شاء لم يستلم، وقال: ولا أرى بأسًا أن يستلم الحجر من لا يطوف يستلمه وإن لم يكن من طواف(٣).

وعن ابن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه «كَانَ لَا يَخْرُجُ مِنَ الْمَسْجِدِ حَتَّى يَسْتَلِمَهُ، كَانَ فِي طَوَافٍ أَوْ فِي غَيْرِ طَوَافٍ»(٤).

وعن عطاء قال: صلى بنا ابن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المغرب، فسلم في الركعتين ثم نهض إلى الحجر ليستلمه(٥).

---

(١) شرح النووي على مسلم ٤/ ٣٦٩.

(٢) بداية المجتهد ١/ ٢٤٨، وانظر: البحر الرائق ٢/ ٣٥١، المجموع ٨/ ٦٢، أسنى المطالب ١/ ٤٧٧، كشاف القناع ٢/ ١١٦٨.

(٣) المدونة الكبرى (١/ ٤١٩).

(٤) أخبار مكة للفاكهي (١/ ١٢٥)، وابن أبي شيبة في المصنف رقم ١٣٥٧١.

(٥) أخرجه الفاكهي ١/ ١٣٣رقم ١٤٢.

وعَنْ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: كُلَّمَا دَخَلْتَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ طُفْتَ بِالْبَيْتِ، أَوْ لَمْ تَطُفْ فَاسْتَلِمَ الْحَجَرَ حِينَ تُرِيدُ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ، أَوِ اسْتَقْبِلْهُ فَكَبِّرْ وَادْعُ اللهَ[١].

وعن عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاووس عن أبيه قال: كان يكون في المسجد، فإذا أراد أن يخرج من المسجد استلم الركن ثم خرج[٢].

وفي الفواكه الدواني: ولا بأس بتقبيله بغير طواف، لكن ذلك ليس من شأن الناس[٣].

(١) أخبار مكة للفاكهي (١/ ١٢٥) وابن أبي شيبة في المصنف رقم ١٣٧٤٧.

(٢) مصنف عبد الرزاق (٥/ ٤٣) ٨٩٣٦.

(٣) الفواكه الدواني للنفراوي ٢/ ٨٠٠.

الخاتمة

الحمد لله وحده وبعد:

فهذا استقراء لأهم مسائل الاعتقاد المتعلقة بالحجر الأسود، وقد خلصت إلى **النتائج** التالية:

أن الحجر الأسود أشرف الأحجار على وجه الأرض، وليس على الأرض من الجنة إلا هو، وفضائله كثيرة منها: كونه من الجنة، وأن استلامه يمحو الخطايا، وأنه ياقوتة من يواقيت الجنة، وأنه شاهد لمن استلمه بحق يوم القيامة، وأنه مذكور في الكتب السابقة، وأن الطواف مبتدأ ومختتم به، وكذا الرمل، وأن استلامه أنواع: أفضلها تقبيله، وأن له أذكاراً خُصَّ بها، فلا يزاد على المشروع، والواجب في العبادات المتابعة لمن لا ينطق عن الهوى ﷺ واعتقاد فضله، وأنه لا يضر ولا ينفع، وأنه يقبل تعبداً لا تبركاً واستشفاءً، ولا يقبل غيره من الجماد تعبداً، ولا يجوز اعتقاد النفع والضر فيه بذاته، ومسائل أخرى في ثنايا البحث قد مرت.

أهم التوصيات:

- وجوب التوعية الشرعية بمسائل الاعتقاد المتعلقة بأركان الإسلام عموماً.
- ترجمة الكتب المناسبة؛ لتعليم المسلم ما يقوم به دينه.
- بث الوعي من خلال المحاضرات التوعوية واللقاءات الميدانية.
- الاحتساب من أهل الحسبة على مسائل الاعتقاد، وتجليتها للناس،

وبيان خطر الوقوع في المخالفات العقدية على دين المسلم.

- تكوين لجنة لحصر مسائل المخالفات، والتركيز عليها؛ لتفادي الوقوع فيها. والله تعالى أسأل للجميع الهداية والسداد.

وصلى الله وسلم على رسول الله وصحبه وآله.

أهم المراجع والمصادر

١. الإجماع لابن المنذر، ت فؤاد عبد المنعم أحمد، دار المسلم للنشر والتوزيع، ط الأولى ١٤٢٥هـ.

٢. أحكام الحجر الأسود وما يتعلق به من المسائل المعاصرة، للشيخ عوض بن حميدان الحربي نشر في العدد ٨٨ من مجلة البحوث الفقهية المعاصرة.

٣. أحكام القرآن، ابن العربي، ت: علي البجاوي، دار المعرفة، بيروت.

٤. أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار الأزرقي، دراسة وتحقيق: علي عمر، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، ط الأولى.

٥. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، الألباني الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، ط: الثانية - ١٤٠٥.

٦. أسنى المطالب في شرح روض الطالب لزكريا الأنصاري، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٢٢هـ، ط: الأولى، تحقيق: د. محمد محمد تامر.

٧. إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان، لابن قيم الجوزية، ت: محمد عفيفي، ط١٤٠٧, ١هـ المكتب الإسلامي بيروت.

٨. إقامة الحجة والدليل وإيضاح المحجة والسبيل، للشيخ سليمان بن سحمان، اعتنى بشرها: عبد السلام بن برجس بن ناصر آل عبد الكريم.

٩. إكمال المعلم، شرح لصحيح مسلم، لأبي عبد الله محمد بن خليفة الأبي المالكي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٠. الإيمان، لابن منده، ت: علي الفقيهي، مطبوعات المجلس العلمي

بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط١، ١٤٠١هـ.

١١. البحر الرائق شرح كنز الدقائق، لابن نجيم المصري.

١٢. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، للكاساني.

١٣. بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ابن رشد الحفيد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط: الرابعة، ١٣٩٥هـ.

١٤. البداية والنهاية لابن كثير، تحقيق أحمد عبد الوهاب فتيح، دار زمزم، الرياض ١٤١٤هـ.

١٥. بيان تلبيس الجهمية، لابن تيمية، بتصحيح محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، ط٢، ١٤٢١هـ، دار القاسم.

١٦. تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي، المطبعة الحديثة، مصر، ط١، ١٣٠٦هـ.

١٧. تاريخ بغداد للخطيب البغدادي الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

١٨. تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي، عبد الرحمن المباركفوري، عبد الرحمن عثمان، المكتبة السلفية، المدينة المنورة.

١٩. التخليص الحبير، لابن حجر، تحقيق د. شعبان إسماعيل، الكليات الأزهرية، القاهرة، توزيع دار الفكر، القاهرة.

٢٠. التعريفات، للجرجاني، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ١٤١٦هـ - ١٩٥٥م.

٢١. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، دار السلام، الرياض، ط الخامسة ١٤٢١هـ.

٢٢. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبي عمر بن عبد البر، ط

وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، المغرب.

٢٣. التمهيد لشرح كتاب التوحيد، دروس ألقاها صالح آل الشيخ، ط الأولى الناشر: دار التوحيد.

٢٤. تلبيس إبليس لابن الجوزي، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان، ط الأولى، ١٤٢١هـ.

٢٥. تنبيه الأنام إلى المخالفات في المسجدين النبوي والحرام، للشيخ عبد المجيد الحديثي.

٢٦. تهذيب الآثار، لابن جرير، مطابع الصفا، مكة المكرمة، ١٤٠٢هـ.

٢٧. جامع الأصول في أحاديث الرسول، لابن الأثير تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، نشر وتوزيع الرئاسة العامة للإفتاء.

٢٨. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت ١٤٠٥هـ.

٢٩. جامع المسائل، لابن تيمية، ت محمد عزير شمس، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ط الأولى، ١٤٢٢هـ.

٣٠. جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية، لشمس الدين بن قيصر الأفغاني، دار الصميعي، ط الأولى.

٣١. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية، مطابع المجد التجارية، بدون تاريخ.

٣٢. الحجر الأسود تأريخ وأحكام، للدكتور: خالد بن سعد النجار.

٣٣. حسن المقصد في فضائل وأحكام الحجر الأسود، تأليف الشيخ محمود عامر عمر،١٤١٧هـ.

٣٤. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصبهاني، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٥. خلاصة البدر المنير في تخريج كتاب الشرح الكبير للرافعي، لابن الملقن، ت: حمدي عبد المجيد إسماعيل السلفي، مكتبة الرشد – الرياض، ط الأولى، ١٤١٠هـ.

٣٦. درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية الحراني، دار الكنوز الأدبية، الرياض، ١٣٩١ تحقيق: محمد رشاد سالم.

٣٧. زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور، لابن تيمية الحراني، دار طيبة، الرياض.

٣٨. سلسة الأحاديث الضعيفة، الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٣٩٨هـ.

٣٩. سلسلة الأحاديث الصحيحة: للألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الثالثة ١٤٠٣هـ.

٤٠. سنن ابن ماجه، محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٥هـ.

٤١. سنن أبي داود، عزت الدعاس، الناشر محمد السيد، حمص، ط١، ١٣٨٨هـ.

٤٢. سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، إبراهيم عطوة عوض، مكتبة مصطفى الحلبي، القاهرة، ط١، ١٣٨٢هـ.

٤٣. سنن الدارقطني، للدار قطني، دار نشر الكتب الإسلامية، باكستان.

٤٤. سنن الدارمي، أبو عبد الله محمد الدارمي، حديث أكادمي، باكستان،

١٤٠٤هـ.

٤٥. السنن الكبرى، البيهقي، دار الفكر.

٤٦. سنن النسائي (المجتبى) مكتبة الحلبي، مصر، ط١، ١٣٨٣هـ.

٤٧. شرح الزرقاني على موطأ مالك، دار الفكر، بيروت.

٤٨. شرح السنة، البغوي، ت: شعيب الأرناؤوط، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ.

٤٩. شرح صحيح مسلم، للنووي، المطبعة المصرية، القاهرة.

٥٠. شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور، للسيوطي، ت: عبد المجيد طعمة حلبي، دار المعرفة-لبنان، ١٤١٧هـ.

٥١. شرح معاني الآثار، الطحاوي، ت: محمد زهري النجار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.

٥٢. الشرح الممتع على زاد المستقنع للشيخ محمد العثيمين دار ابن الجوزي، ط.الأولى سنة الطبع: ١٤٢٢ - ١٤٢٨هـ.

٥٣. شعب الإيمان، البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ.

٥٤. صحيح ابن خزيمة، محمد الأعظمي، المكتب الإسلامي، ١٤٠٠هـ.

٥٥. صحيح البخاري (مع فتح الباري) تصحيح محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت.

٥٦. صحيح الترغيب والترهيب للمنذري، ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت.

٥٧. صحيح الجامع الصغير، ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٣٨٨هـ.

٥٨. صحيح سنن ابن ماجه، محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية لدول الخليج، الرياض، ط الثالثة، ١٤٠٨هـ.

٥٩. صحيح سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض،، ط الأولى ١٤٢٠هـ.

٦٠. صحيح سنن النسائي، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض،، ط الأولى ١٤١٩هـ.

٦١. صحيح السيرة النبوية، للألباني، المكتبة الإسلامية - عمان - الأردن، ط الأولى.

٦٢. ضعيف الجامع الصغير، ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت.

٦٣. طبقات الحنابلة، ابن أبي يعلى، المحقق: محمد حامد الفقي الناشر: دار المعرفة – بيروت.

٦٤. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين العيني الحنفي، ط ١، سنة١٤٢٧هـ.

٦٥. عون المعبود شرح سنن أبي داود، أبي الطيب آبادي، عبد الرحمن عثمان، المكتبة السلفية، المدينة، ط٢، ١٣٨٨هـ.

٦٦. غريب الحديث، ابن قتيبة الدينوري، ت د. عبد الله الجبوري، مطبعة العاني - بغداد، ط الأولى، ١٣٩٧هـ.

٦٧. غريب الحديث لابن سلام، طبع بإعانة: وزارة المعارف الهندية، ط الاولى الهند سنة ١٣٨٤هـ.

٦٨. فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تصحيح

محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت.

٦٩. الفردوس بمأثور الخطاب، الديلمي، تحقيق: السعيد بن بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية، سنة النشر: ١٤٠٦هـ، مكان النشر: بيروت.

٧٠. الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، للنفراوي، ت: رضا فرحات، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية.

٧١. فيض القدير شرح الجامع الصغير، للمناوي، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط الاولى ١٤١٥هـ.

٧٢. قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية، ت: ربيع بن هادي عمير المدخلي، مكتبة الفرقان – عجمان، ط الأولى (لمكتبة الفرقان) ١٤٢٢هـ.

٧٣. القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى لمحمد بن صالح العثيمين، الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط الثالثة، ١٤٢١هـ.

٧٤. الكامل في ضعفاء الرجال، لابن عدي الجرجاني، الناشر: دار الكتب العلمية، ط الأولى ١٤١٨هـ.

٧٥. كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، العجلوني، دار إحياء التراث العربي.

٧٦. لسان العرب لا بن منظور المصري، دار صادر – بيروت، ط الأولى.

٧٧. المخالفات العقدية المتعلقة بالحج، للدكتور أحمد بن عثمان المزيد، جامعة الملك سعود، نشر في مركز بحوث كلية التربية.١٤٢٦هـ.

٧٨. المجلي شرح القواعد المثلي في الاسماء والصفات الحسنى، لابن عثيمين، تأليف: كاملة الكواري.

٧٩. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي، دار الكتاب العربي، بيروت،

ط٣، ١٤٠٢هـ.

٨٠. المجموع شرح المهذب، النووي.

٨١. مجموع الفتاوى ابن تيمية، جمع: عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد، ط الأولى ١٣٩٨هـ.

٨٢. مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن عثيمين، جمع فهد السليمان، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٢هـ.

٨٣. مدارج السالكين، لابن القيم، ت: محمد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٣٧٥هـ.

٨٤. المدونة الكبرى، مالك بن أنس الأصبحي المدني، ت زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

٨٥. المستدرك على الصحيحين في الحديث، للحاكم، مكتبة المعارف، الرياض.

٨٦. مشكاة المصابيح: للخطيب التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، بيروت، ط الثالثة، ١٤٠٥ هـ.

٨٧. المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية لابن حجر العسقلاني، تنسيق: د. سعد الشثري، الناشر: دار العاصمة، دار الغيث – السعودية، ط الأولى، ١٤١٩هـ.

٨٨. المصنف، لعبد الرزاق بن همام الصنعاني، حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.

٨٩. معالم السنن، الخطابي (بهامش سنن أبي داود)، عزت الدعاس، الناشر محمد السيد حمص، ط١، ١٣٨٨هـ.

٩٠. المعجم الأوسط، الطبراني، ت: محمد الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤٠٦هـ.

٩١. معجم البلدان معجم البلدان، لياقوت الحموي، دار الفكر – بيروت.

٩٢. المعرفة والتاريخ، للفسوي، ت: خليل المنصور.

٩٣. المغني في فقه الإمام أحمد، لابن قدامة المقدسي، دار الفكر – بيروت، ط الأولى، ١٤٠٥.

٩٤. الموطأ، الإمام مالك بن أنس، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العربي، مصر.

٩٥. نيل الأوطار، للشوكاني، الناشر: إدارة الطباعة المنيرية.

٩٦. النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات ابن الأثير، تحقيق محمود محمد الطناحي، المكتبة الإسلامية.

٩٧. هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ابن قيم الجوزية، الناشر: الجامعة الإسلامية – المدينة المنورة.

٩٨. فقه العبادات، تأليف: الشيخ محمد بن صالح العثيمين، ت: أ.د. عبد الله بن محمد الطيار، ط الأولى ١٤٢٤هـ.

فهرس الموضوعات

ملخص البحث ١٥٩
المقدمة ١٦٢
التمهيد ١٦٧
- المسألة الأولى: التعريف بالحجر الأسود ١٦٧
- المسألة الثانية: أسماء الحجر الأسود ١٦٧
- المسألة الثالثة: صفة الحجر الأسود ومكانه ١٦٩
- المسألة الرابعة: فضل الحجر الأسود ١٧٠
- المسألة الخامسة: الحجر الأسود عند أهل الكتاب ١٧٢

المبحث الأول: العبادات المتعلقة بالحجر الأسود ١٧٤
- المطلب الأول: ابتداء الطواف منه وختم الطواف به ١٧٤
- المطلب الثاني: استلام الحجر الأسود ١٧٥
- المطلب الثالث: ابتداء الرمل منه ١٧٨
- المطلب الرابع: ما جاء في السجود عليه ١٧٩
- المطلب الخامس: الأذكار المشروعة عنده ١٨٠

المبحث الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بالحجر الأسود ١٨٤
- المطلب الأول: وجوب الاتباع والاقتداء بالرسول ﷺ ١٨٤
- المطلب الثاني: وجوب اعتقاد فضله ١٨٩
- المطلب الثالث: اعتقاد أنه لا يضر ولا ينفع ١٩١
- المطلب الرابع: اعتقاد أنه لا يقبَّل غيره تعبّداً ١٩٢

- المطلب الخامس: اعتقاد أن تقبيله واستلامه تعبّدًا لا تبركًا واستشفاءً ... ١٩٤
- المطلب السادس: ما ورد في أنه يمين الله في الأرض ١٩٥
المبحث الثالث: المخالفات العقدية المتعلقة بالحجر الأسود ١٩٨
- المطلب الأول: اعتقاد أنه ينفع ويضر ١٩٨
- المطلب الثاني: التبرك والاستشفاء بتقبيله ومسحه ١٩٩
- المطلب الثالث: تقبيل غير الحجر الأسود من الأحجار ٢٠٢
- المطلب الرابع: مسح الجسد بعد مسحه ٢٠٤
- المطلب الخامس: تقبيل اليد بعد الإشارة إليه ٢٠٧
- المطلب السادس: هل تقبيل الحجر الأسود عبادة مستقلة؟..... ٢٠٧
الخاتمة ٢١٠
أهم المراجع والمصادر ٢١٢
فهرس الموضوعات ٢٢١

منهج أهل السنة والجماعة في الإمامة الكبرى

د. عايد بن عبيد بن سحلان العنزي

أكاديمي سعودي، أستاذ مساعد بكلية التربية والآداب - جامعة الحدود الشمالية

ملخص البحث

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

أما بعد، فعنوان البحث هو «منهج أهل السنة والجماعة في الإمامة الكبرى».

وقد احتوى هذا البحث على مقدمة، وأربعة فصول، وخاتمة، وفهارس.

والمقدمة: تشتمل على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وخطة البحث، ومنهج البحث.

الفصل الأول: تعريفات وقواعد لأهل السنة والجماعة، وفيه ثلاثة مباحث: تعريف أهل السنة والجماعة، الحث على لزوم الجماعة والنهي عن الفرقة، الاعتصام بالكتاب والسنة.

الفصل الثاني: مكانة الإمامة في الإسلام، وفيه مباحث: تعريف الإمامة، وحكمها، ومنزلتها،وطرق البيعة.

الفصل الثالث: ضوابط الإمامة في الإسلام، وفيه مباحث: شروط الإمام، وواجباته.

الفصل الرابع: حقوق الإمام على الرعية وفيه مباحث: السمع والطاعة، النصيحة، النصرة والجهاد، الدعاء لهم بالصلاح، الصلاة خلفهم، الصبر على جورهم، عدم الخروج عليهم.

ثم الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي تم التوصل إليها.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

كتبه: د. عايد بن عبيد بن سحلان العنزي

a862307@hotmail.com

The Methodology of Ahl us-Sunnah wal-Jama'ah Regarding the Major Imamate

Dr. Ayed bin Obaid bin Sahlan al-Enizi
Saudi Academic, Assistant Professor in the Faculty of Education and Arts. Northern Borders University.

Abstract

All praise is due to Allah alone and may Allah exalt the mention and send blessings to the one who there is no prophet after.

Having said so:

The title of this research is "The methodology of Ahl us-Sunnah wal-Jama'ah regarding the major Imamate".

This research contains an introduction, four chapters, a conclusion and indexes.

The introduction: includes the importance of the subject, the reasons for choosing it, the research proposal and the research methodology.

Chapter I: The definitions and principals of Ahl us-Sunnah wal-Jama'ah. This chapter includes three topics: the definition of Ahl us-Sunnah wal-Jama'ah. Encouragement of unity and discouragement of splitting. Holding on to the Qur'an and the Sunnah.

Chapter II: The status of the Imamate in Islam. This chapter includes the following topics: the definition of the Imamate, its ruling and status, as well as the ways that bay'ah (pledge of allegiance) can be conducted.

Chapter III: The criterions of Imamate in Islam. This chapter includes the following topics: the requirements of becoming a leader and his responsibilities.

Chapter IV : The obligatory duties that the people have to do for their leader. This chapter includes the following topics: Hearing and obedience to the leader, advising and aiding him, making Jihad together with him, supplicating for him, praying behind him, having patience with his oppression and not making revolution against him.

After that comes the conclusion: and it includes the most important results that I achieved during the research.

May Allah exalt the mention and send blessings on our Prophet Muhammad, his family and companions.

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اقتفى أثره إلى يوم الدين.

أمّا بعد، فإن للإمامة الكبرى، في الإسلام شأناً عظيماً ومحلاً رفيعاً، فهي أعظم المناصب قدراً وأجلّها فخراً، وأشرفها علواً، ولمّا كان لها هذه المنزلة في الإسلام، أهتم أهل السنة والجماعة بها اهتماماً كبيراً، فجعلوها أصلاً من أصول الدين، ونصوا عليها في كتب العقائد والتوحيد، ولا يكاد كتاب من كتب أهل السنة والجماعة المؤلفة في شرح السنة وأصول الاعتقاد تخلو من تقرير هذا الأصل وبيانه وشرحه.

وبينوا أن مذهب أهل السنة والجماعة هو مقتضى ما دل عليه الكتاب والسنة، من بيان حقوق كل من الولاة والرعية، فكلٌّ عليه واجبات وله حقوق، فإذا قام كل واحد بواجبه على الوجه المأمور به صلح بذلك المجتمع وانتشر الأمن والاستقرار في البلاد، وذلك يكون بتوفيق الله سبحانه وتعالى.

ولمّا كان لهذا الموضوع من أهمية كبيرة في الإسلام، أحببت أن أكتب فيه بحثاً، وهو بعنوان: «منهج أهل السنة والجماعة في الإمامة الكبرى»، وسبب اختياري لهذا البحث عدة أمور، من أهمها ما يلي:

١- ميولي ورغبتي الشديدة للاطلاع على اعتقاد أئمة السلف في هذا الباب، ومعرفة ما قالوه فيه؛ حتى نسير على نهجهم وطريقتهم؛ لأن السير على ذلك فيه السعادة في الدارين.

٢- لأن في زماننا الذي نعيش فيه اجتمع فيه أمران: غلبة الجهل بهذا الأمر، وفشو الأفكار المنحرفة فيه، فلذا لا بد من تبين الحق في هذا الأمر، وذلك بالرجوع إلى المصدر الأصيل؛ الكتاب والسنة، على فهم سلف الأمة رضوان الله عليهم.

٣- إن للسلف الصالح في هذا الباب أقولاً كثيرة نافعة، وهي متناثرة في بطون الكتب، فمن الجدير حقاً أن تجمع ويعتنى بها وتصنف في مكان واحد؛ ليتم الانتفاع بها، وتتسنى الإتفادة التامة منها.

٤- إن المبتدعة أهل الأهواء المخالفين لأهل السنة والجماعة قد انتشروا في هذا الزمان، وبثوا سمومهم وأفكارهم الهدامة، وخاصة في موضوع الإمامة، فمنهم من كفّر الولاة بأسباب لا توجب الكفر، فلذا أحببت أن أكتب في هذا الموضوع نصيحة وإرشاداً لأهل الإسلام.

لهذه الأسباب وغيرها فضلت الكتابة حول هذا الموضوع، وإني لأرجو من الله الكريم أن يكون ما كتبته وافياً نافعاً محققاً للمنشود، وموافقاً للحق.

خطة البحث:

لقد قسمت البحث إلى: مقدمة، وأربعة فصول، وخاتمة:

أمّا المقدمة: فقد بينت فيها: أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وخطة السير والمنهج فيه.

الفصل الأول: تعريفات وقواعد لأهل السنة والجماعة، وفيه ثلاثة مباحث.

- **المبحث الأول**: تعريف أهل السنة والجماعة، وفيه أربعة مطالب:
  - المطلب الأول: تعريف السنة في اللغة والاصطلاح.
  - المطلب الثاني: التعريف بأهل السنة.
  - المطلب الثالث: تعريف الجماعة.
  - المطلب الرابع: مفهوم أهل السنة والجماعة.
- **المبحث الثاني**: الحث على لزوم الجماعة والنهي عن الفرقة.
- **المبحث الثالث**: الاعتصام بالكتاب والسنة.

الفصل الثاني: مكانة الإمامة في الإسلام. وفيه أربعة مباحث:

- **المبحث الأول**: تعريف الإمامة.
- **المبحث الثاني**: حكم الإمامة.
- **المبحث الثالث**: منزلة الإمامة في الإسلام.
- **المبحث الرابع**: طرق البيعة لولي الأمر.

الفصل الثالث: ضوابط الإمامة في الإسلام. وفيه مبحثان.

- **المبحث الأول**: شروط الإمام.
- **المبحث الثاني**: واجبات الإمام.

الفصل الرابع: حقوق الإمام على الرعية. وفيه سبعة مباحث:

- **المبحث الأول**: السمع والطاعة.

- **المبحث الثاني**: النصيحة.
- **المبحث الثالث**: النصرة والجهاد.
- **المبحث الرابع**: الدعاء لهم بالصلاح.
- **المبحث الخامس**: الصلاة خلفهم.
- **المبحث السادس**: الصبر على جورهم.
- **المبحث السابع**: عدم الخروج عليهم.
- **الخاتمة: وقد ضمنتها أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث.**

منهجي في البحث:

إن المنهج الذي اتبعته في هذا البحث هو كما يلي:

١- عزو الآيات إلى مواضعها وجعل العزو في الهامش.

٢- تخريج الأحاديث من مصادرها، فإن كان الحديث في الصحيحين أكتفي بذكر أحدهما فقط، وإذا كان في غيرهما أذكر مصدره ثم حكم العلماء المتخصصين في ذلك.

٣- تخريج الآثار من مصادرها.

٤- نسبة الأبيات الشعرية إلى قائليها.

٥- الترجمة لبعض الأعلام الذين يحتاجون إلى ترجمة؛ لعدم شهرتهم فيما أراه.

٦- الاختصار في ذكر اسم المرجع، بذكر ما يدل عليه أو ما اشتهر به فمثلاً: سير أعلام النبلاء، أكتفي بذكر «السير»، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، أكتفي بذكر «تفسير السعدي» وهكذا، ثم في فهرس

المصادر تذكر المعلومات الكاملة عن الكتاب.

٧- الكلام المنقول بنصه يكون بين علامتي تنصيص، ويذكر المرجع في الهامش، أما المنقول بمعناه أو بتصرف فيه فلا يكون بين علامتين تنصيص ويحال إلي موطنه بلفظ: انظر، كما يحال بهذا اللفظ «انظر» إلى المصادر التي يكون فيها شيء مما ذكر في الأصل، وكذلك في ترجمة الأعلام.

٨ - إذا أُطلق «شيخ الإسلام» فالمراد به ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٩- ختمت البحث بالفهارس التالية:

- فهرس المصادر والمراجع على حروف المعجم.
- فهرس موضوعات البحث.

وفي الختام أحمد الله - سبحانه وتعالى - على عونه وتوفيقه لإتمام هذا البحث وأسأله سبحانه أن يجعله لوجهه خالصاً، ولسنة نبيه ﷺ موافقاً، ولعباده نافعاً، إنه جواد كريم.

ثم أشكر جميع من أسهم معي في هذا البحث بالرأي والمشورة والنصح والتوجيه، وأسأل الله للجميع التوفيق والسداد واتباع الطريق الصحيح، والله الهادي إلى سواء السبيل.

كتبه:

د. عايد بن عبيد بن سحلان العنزي

جامعة الحدود الشمالية/ كلية التربية والآداب

البريد الاكتروني: A862307@hotmail.com

الفصل الأول

تعريفات وقواعد لأهل السنة والجماعة

وفيه ثلاثة مباحث:

- **المبحث الأول: تعريف أهل السنة والجماعة**، وفيه أربعة مطالب:
  - المطلب الأول: تعريف السنة في اللغة والاصطلاح.
  - المطلب الثاني: التعريف بأهل السنة.
  - المطلب الثالث: تعريف الجماعة.
  - المطلب الرابع: مفهوم أهل السنة والجماعة.
- **المبحث الثاني: الحث على لزوم الجماعة والنهي عن الفرقة.**
- **المبحث الثالث: الاعتصام بالكتاب والسنة.**

المبحث الأول
تعريف أهل السنة والجماعة

المطلب الأول
تعريف السنة في اللغة والاصطلاح

السنة في اللغة: هي الطريقة والسير[١].

قال ابن منظور: «السنة السيرة حسنة كانت أو قبيحة»[٢].

---

(١) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، ٢/ ٤٠٩.

(٢) لسان العرب لابن منظور، مادة (سنن).

ومنه قوله ﷺ: «مَنْ سَنَّ فِى الإِسْلاَمِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَىءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِى الإِسْلاَمِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَىءٌ»(١).

السنة في الاصطلاح: يختلف معنى السنة في اصطلاح العلماء حسب اختلاف فنونهم وأغراضهم، فهي عند المحدثين غيرها عند الأصوليين والفقهاء.

ففي اصطلاح المحدثين هي: ما أثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خِلْقية أو خُلقية أو سيرة، سواء قبل البعثة أو بعدها(٢).

وفي اصطلاح الأصوليين تطلق السنة على: «ما جاء منقولاً عن النبي ﷺ على الخصوص، مما لم ينص عليه في الكتاب العزيز، بل إنما نص عليه من جهته عليه الصلاة والسلام كان بياناً لما في الكتاب أو لا»(٣).

وتطلق في مقابل البدعة فيقال فلان على السنة إذا عمل على وَفق ما عليه النبي ﷺ(٤).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه/ كتاب الزكاة/ باب باب الْحَثِّ عَلَى الصَّدَقَةِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ أَوْ كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ وَأَنَّهَا حِجَابٌ مِنَ النَّارِ برقم (٢٣٩٨) ٣/ ٨٦.

(٢) شرح السُنة، للبغوي ١/ ١١، والسنة ومكانتها في التشريع للسباعي، ص٤٧.

(٣) الموافقات، للشاطبي ٤/ ٢٨٩ – ٢٩٠.

(٤) الموافقات، للشاطبي ٤/ ٢٩٠.

ونقل شيخ الإسلام، عن الإمام أبى الحسن الكرجي[١] قوله: «فاعلم أن السنة: طريقة الرسول ﷺ والتسنن بسلوكها، وهي أقسام ثلاثة: أقوال، وأعمال، وعقائد»[٢].

ويقول ابن رجب: «السنة هي الطريق المسلوك، فيشمل ذلك التمسك بما كان عليه النبي ﷺ وخلفاؤه الراشدون من الأعمال والأقوال، وهذه هي السنة الكاملة، ولهذا كان السلف قديماً لا يطلقون السنة إلا على ما يشمل ذلك كله»[٣].

قال أبو بكر بن أبي عاصم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سألت عن السنة ما هي؟ والسنة اسم جامع لمعانٍ كثيرة في الأحكام وغير ذلك، ومما اتفق أهل العلم على أن نسبوه إلى السنة القول بإثبات القدر..»[٤].

ونخلص إلى أن السنة هي: الهدي الذي كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه، علماً واعتقاداً، وقولاً وعملاً، وهي السنة التي يجب اتباعها، ويحمد أهلها، ويذم من خالفها، وتطلق السنة على سنن العبادات

---

(١) هو محمد بن عبد الملك بن محمد أبو الحسن الكرجي الشافعي، كان فقيهاً مفتياً وله مصنفات وكثيرة منها (الفصول في اعتقاد الأئمة الفحول) يذكر فيه مذاهب السلف في باب الاعتقاد. ت سنة ٥٣٢هـ، انظر: شذرات الذهب ٤/ ١٠٠، والبداية والنهاية ١٢/ ١٩١.

(٢) مجموع الفتاوى ٤/ ١٨٠.

(٣) جامع العلوم والحكم ص٢٦٣.

(٤) السنة لابن أبي عاصم، برقم: (١٥٥٩). ص٦٣١.

والاعتقادات، كما تطلق على ما يقابل البدعة.

وهذا هو الذي يعنينا في بحثنا هذا من معنى السنة؛ لأن البحث في عقيدة أهل السنة.

المطلب الثاني
التعريف بأهل السنة

والمقصد من ذلك حتى يتميزوا عن أهل البدع.

قال ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأهل السنة الذين نذكرهم أهل الحق، ومن عداهم فأهل البدع، فإنهم الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وكل من سلك نهجهم من خيار التابعين، ثم أصحاب الحديث، ومن أتبعهم من الفقهاء جيلاً فجيلاً إلى يومنا هذا، ومن اقتدى بهم من العوام في شرق الأرض وغربها رحمهم الله»(١).

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمن قال بالكتاب والسنة والإجماع كان من أهل السنة والجماعة»(٢).

ويقول ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا ريب في أن أهل النقل والأثر، المتبعين آثار رسول الله ﷺ وأصحابه، هم أهل السنة، لأنهم على تلك الطريقة التي لم يحدث فيها حدث، وإنما وقعت الحوادث والبدع، بعد رسول الله ﷺ وأصحابه»(٣).

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ٢/ ٢٧١.
(٢) مجموع الفتاوى، ٣/ ٣٤٦.
(٣) تلبيس إبليس/ ص ١٦ – ١٧.

ويقول البربهاري[١] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اعلموا أن الإسلام هو السنة، والسنة هي الإسلام، ولا يقوم أحدهما إلا بالآخر»[٢].

ويقول الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فأهل السنة المحضة السالمون من البدع، الذين تمسكوا بما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه في الأصول كلها، أصول التوحيد والرسالة والقدر، ومسائل الإيمان وغيرها، وغيرهم من خوارج ومعتزلة وجهمية وقدرية ورافضة ومرجئة ومن تفرع عنهم، كلهم من أهل البدع الاعتقادية»[٣].

يتبين لنا مما سبق أن أهل السنة هم الذين تمسكوا بما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه في الأصول كلها.

المطلب الثالث
تعريف الجماعة

الجماعة في اللغة: مأخوذة من مادة جمع، وهي تدور حول الجمع، والإجماع والاجتماع، وهو ضد التفرق.

قال ابن فارس: «الجيم والميم والعين أصلٌ واحد، يدلُّ على تَضَامٍّ

---

(١) هو الحسن بن على بن خلف البربهاري أبو محمد، العالم الزاهد الفقيه الحنبلي، كان شديداً على أهل البدع، توفي: سنة٣٢٩هـ. طبقات الحنابلة: ٢/ ١٨، البداية والنهاية: ١١/ ١٦٩.

(٢) شرح السنة- البربهاري: ص٥٩.

(٣) الفتاوى السعدية. ص٦٣/ مكتبة المعارف الرياض/ الطبعة الأولى.

الشَّيء. يقال جَمَعْتُ الشيءَ جَمْعاً. والجُمَّاع الأُشابَةُ من قبائلَ شتَّى»[١].

والجَمْع: اسم لجماعة الناس، والجَمْع مصدر قولك جمعت الشيء، فالجماعة إذا أريد بها جماعة الناس، فهم القوم المجتمعون على أمر ما، قال الفراء[٢]: «إذا أردت جمع المتفرق، قلت: جمعت القوم فهم مجموعون»[٣].

ويقال تجمع القوم إذا اجتمعوا من هنا وهنا[٤].

تعريف الجماعة في الاصطلاح: جمع الإمام الشاطبي أقوال العلماء في تعريف الجماعة في خمسة أقوال، وهي كما يلي:

١- إنها السواد الأعظم من أهل الإسلام.

٢- إنها جماعة أئمة العلماء المجتهدين.

٣- هم الصحابة على الخصوص، فإنهم الذين أقاموا عماد الدين وأرسوا أوتاده، ولا يجتمعون على ضلال.

٤- هي جماعة أهل الإسلام إذا أجمعوا على أمر وجب على غيرهم من أهل الملل اتّباعهم.

---

(١) معجم مقاييس اللغة/ ابن فارس/ ١/ ٤٧٩.

(٢) أبو زكريا يحي بن زكريا الأسلمي الفراء الكوفي، كان أبرع الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب، توفي سنة٢٠٧هـ. انظر - وفيات الأعيان، ٦/ ١٧٦، شذرات الذهب، ٣/ ٣٩.

(٣) مختار الصحاح - مادة (جمع)، ولسان العرب/ ٢/ ٣٥٥.

(٤) لسان العرب/ ٢/ ٣٥٥. مادة (جمع).

٥- جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير.

قال الشاطبي: «وحاصله أن الجماعة راجعة إلى الاجتماع على الإمام الموافق للكتاب والسنة، وذلك ظاهره في أن الاجتماع على غير السنة خارج عن معنى الجماعة المذكورة في الأحاديث المذكورة، كالخوارج ومن جرى مجراهم»(١).

ومن أمعن النظر في تلك الأقوال يجد أن أغلبها من اختلاف التنوع، لا اختلاف التضاد؛ فكل صاحب قول فسر الجماعة ببعض معناها، أو بفرد من أفراد مدلولها، تمثيلاً لا حصراً وإحاطة، وهذه عادة معروفة للسلف في تفسير الألفاظ.

ومن استقرأ الأحاديث النبوية الواردة في معنى الجماعة، يجد أن مفهومها يؤول عند التحقيق إلى معنيين، يكمل كل منهما الآخر:

المعنى **الأول**: أنها ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، من الاعتقاد والقول والعمل، مما لا يسوغ لأحد من المسلمين أن يخالفه.

والمعنى **الثاني**: أنها الاجتماع على خليفة شرعي، وطاعته بالمعروف، وحرمة منازعته الأمر، ما لم يُر منه الكفر البواح.

وقد نص على ذلك القاضي أبو بكر بن العربي رَحِمَهُ اللَّهُ حيث قال: «قوله: عليكم بالجماعة يحتمل معنيين، يعني: أن الأمة إذا أجمعت على قول فلا يجوز لمن بعدهم أن يحدث قولاً آخر، الثاني: إذا اجتمعوا على إمام

(١) الاعتصام للشاطبي ص٤٤٨ ص٤٥٢.

فلا تحل منازعته ولا خلعه»[١].

وممن نص على هذا القول الدكتور عبد الرحمن بن صالح المحمود -بعد أن ذكر الأقوال في معنى الجماعة-: «وحاصلها: أن الجماعة ترجع إلى أمرين:

أحدهما: أن الجماعة هم الذين اجتمعوا على أمير على مقتضى الشرع؛ فيجب لزوم هذه الجماعة، ويحرم الخروج عليها وعلى أميرها.

الثاني: أن الجماعة ما عليه أهل السنة من الاتباع وترك الابتداع، وهو مذهب الحق الواجب اتباعه، والسير على منهاجه، وهذا معنى تفسير الجماعة بالصحابة، أو أهل العلم والحديث، أو الإجماع، أو السواد الأعظم، فهي كلها ترجع إلى معنى واحد: ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، فيجب الاتباع حينئذ ولو كان المتمسك بهذا قليلاً»[٢].

وقد ترجم الإمام النّوويّ لأحاديث صحيحة في صحيح مسلم، تدلّ على هذا الحكم الشّرعيّ دلالة قاطعة، فقال: «باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، وفي كلّ حال، وتحريم الخروج على الطّاعة ومفارقة الجماعة»[٣].

---

(١) عارضة الأحوذي شرح جامع الترمذي/ ابن العربي/ (٩/ ١٠).

(٢) موقف ابن تيمية من الأشاعرة، عبد الرحمن بن صالح المحمود، (ص٣١)، مكتبة الرشد، الرياض،ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج/ النووي/ ١٢/ ٢٣٦/ دار إحياء التراث العربي -بيروت.

المطلب الرابع
مفهوم أهل السنة والجماعة

بعد أن تعرفنا على مفهوم السنة، ومفهوم الجماعة، تبين لنا مفهوم أهل السنة والجماعة، وهم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، والتابعون لهم الذين ساروا على نهجهم وطريقتهم، ومن تبعهم بإحسان إلى قيام الساعة، وهم الفرقة الناجية، والطائفة الظاهرة المنصورة، وهم الغرباء إذا كثرت الأهواء والضلالات والبدع وفسد الزمان، وهم أصحاب الحديث، وكل هذه الأسماء دل عليها دليل من الكتاب أو السنة أو الأثر الصحيح(١).

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «أهل السنة والجماعة المتمسكون بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وبما كان عليه الصدر الأول من الصحابة والتابعين، وأئمة المسلمين في قديم الدهر وحديثه»(٢).

من خلال ما سبق يمكن القول بأن أهل السنة والجماعة هم:

١- الصحابة، فهم أجدر من يسمى بذلك.

٢- يليهم أتباع الصحابة، وأتباع تابعيهم، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

٣- هم السلف الصالح أهل الكتاب والسنة العاملون بهدي رسول الله.

٤- هم الفرقة الناجية من بين الفرق، وهم الطائفة الظاهرة والمنصورة.

---

(١) انظر كتاب (مفهوم أهل السنة والجماعة) - ناصر العقل ص٧٥ - ٧٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم، (٣/ ٤٣٤).دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ.

٥- هم الغرباء إذا كثرت الأهواء والضلالات والبدع وفسد الزمان، وفي الحديث: «وبدأ الإسلام غريبًا وسيعود كما بدأ غريبًا»(١).

المبحث الثاني
الحث على لزوم الجماعة والنهي عن الفرقة

لقد جاء في كتاب الله عز وجل وفي سنة رسوله ﷺ آيات وأحاديث كثيرة تحث على لزوم الجماعة وعدم الفُرقة،كما ووردت آثار عن الصحابة والتابعين تدل على ذلك، وسوف أذكر بعضًا من ذلك على وجه الترتيب.

أولاً: الآيات الدالة على لزوم الجماعة:

١- قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

قال ابن كثير: «إنما وحد سبيله؛ لأن الحق واحد، ولهذا جمع السبل؛ لتفرقها وتشعبها، كما في قوله: ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، فقد جمع الظلمات وأفرد النور»(٢).

٢- قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى

(١) أخرجه مسلم في صحيحه/ كتاب الإيمان/ باب بَيَانِ أَنَّ الإِسْلاَمَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا وَأَنَّهُ يَأْرِزُ بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِ/ رقم (٣٨٩) ١/ ٩٠.

(٢) تفسير ابن كثير: ٢/ ١٨٣.

﴿ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ [الشورى: ١٣].

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أمر الله عز وجل المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم أنه إنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله عَزَّ وَجَلَّ»(١).

٣- قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣].

قال ابن كثير: «قوله: ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ أمرهم بالجماعة، ونهاهم عن التفرقة»(٢)

قال الشوكاني: «أمرهم سبحانه بأن يجتمعوا على التمسك بدين الإسلام أو القرآن، ونهاهم عن التفرق الناشئ عن الاختلاف في الدين»(٣).

ثانياً: الأحاديث الدالة على لزوم الجماعة:

١- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «من خرج من الطاعة وفارق الجماعة ثم مات مات ميتة جاهلية...»(٤).

٢- عن الحارث الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «... وقال رسول الله ﷺ وأنا

---

(١) الشريعة: الآجري: ص١٨.

(٢) تفسير ابن كثير: ١/ ٣٦٧.

(٣) تفسير الشوكاني: ١/ ٥٥٤.

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة: باب ملازمة جماعة المسلمين عن ظهور الفتن، انظر: صحيح مسلم بشرح النووي ١٢/ ٢٣٩.

آمركم بخمس، الله أمرني بهنّ: السمع، والطاعة والجهاد والهجرة، والجماعة، فإنه من فارق الجماعة قيد شبر، فقد خلع ربقة[١] الإسلام من عنقه إلا أن يرجع...»[٢].

٣- عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث لا يغل عليهنّ قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة أئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم، فإن الدعوة تحيط من ورائهم»[٣].

٤- عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، ومن أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة»[٤].

---

(١) الرّبْقة في الأصل: عُرْوة في حَبْل تُجعل في عُنُق البهيمة أو يَدِها تُمسِكها فاسْتعارها للإسلام، يعني ما يَشدُّ به المُسلم نفْسَه من عُرَى الإسلام: أي حُدُوده وأحكامه وأوامره ونواهيه. انظر: النهاية في غريب الحديث الأثر - ابن الأثير ٢/ ٤٦٤.

(٢) رواه الترمذي ٥/ ١٣٦ - ١٣٨، كتاب الأمثال: باب ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة، وقال عنه: هذا حديث حسن صحيح غريب، وذكره الألباني في صحيح الترمذي ٢/ ٣٧٩.

(٣) رواه الترمذي - كتاب العلم - باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع ٥/ ٣٤ برقم «٢٦٥٨»، وكذلك رواه ابن أبي عاصم في السنة برقم «١٠٨٦» ١/ ٥٠٤، وقال عنه الألباني: إسناده جيد.

(٤) رواه الترمذي - كتاب الفتن - باب ما جاء في لزوم الجماعة - برقم (٢١٦٥)، وقال عنه: حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، أنظر ٤/ ٤٠٤ - ٤٠٥، ورواه ابن أبي عاصم في السنة ١/ ٤٢ وقال عنه الألباني: حديث صحيح، وذكره في صحيح الترمذي ٢/ ٢٣٢.

ثالثاً: الآثار الواردة عن الصحابة ومن بعدهم في لزوم الجماعة:

١- عن عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إياكم والخصومات فإنها تمحق الدين»(١).

٢- عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «يا أيها الناس عليكم بالطاعة والجماعة، فإنها السبيل في الأصل إلى حبل الله الذي أمر به، وإن ما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة»(٢).

٢- قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أمر الله تعالى المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم أنه أهلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله»(٣).

٣- وجاء عن الأوزاعي -رَحِمَهُ اللَّهُ- قوله: «كان يقال خمس كان عليها أصحاب محمد ﷺ والتابعون بإحسان: لزوم الجماعة، واتّباع السنة، وعمارة المساجد، وتلاوة القرآن، والجهاد في سبيل الله»(٤).

٤- قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: في رسالته (الأصول الستة): «الأصل الثاني: أمر الله بالاجتماع في الدين ونهى عن التفرق، فبين الله هنا

---

(١) شرح السنة، للالكائي، رقم (٢١١) ١/ ١٤٣.

(٢) شرح السنة للالكائى، رقم (١٥٩)، ١/ ١٢١، الشريعة للآجرى، ص٢٣، والإبانه لابن بطه، رقم (١٣٣)، ١/ ٢٩٧.

(٣) انظر شرح السنة للالكائي، رقم (٢١٢)، ١/ ١٤٣، والإبانه لابن بطه، رقم (١٠٥)، ١/ ٢٧٦.

(٤) شرح السنة للالكائي، رقم (٤٨) ١/ ٧١، شرح السنة للبغوي ١/ ١٨٣.

بيانًا شافيًا تفهمه العوام»[١].

لزوم الجماعة من أصول الدين المتفق عليها، ولا يخالفها إلا جاهل أو معاند، وما تقدم ذكره من الأدلة يبين ذلك ويجليه لكل ذي لب من المسلمين.

المبحث الثالث

الاعتصام بالكتاب والسنة

الكتاب هو كلام الله المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ بلفظه ومعناه، نقل إلينا بالتواتر المفيد للقطع واليقين، لا يتطرق إليه نقص ولا باطل قال تبارك وتعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤١ - ٤٢]، وهو هداية الله لخلقه، وتشريعه في أرضه، وهو الكتاب الذي اشتمل على كل ما يحتاج إليه البشر في أمور دينهم ودنياهم في العقائد والأخلاق، وفي العبادات والمعاملات، وهو في كل ذلك حكيم لا يعتريه خلل ولا اختلاف ولا تناقض، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، وهو حبل الله المتين وصراطه المستقيم، فمن اتبعه اهتدى، ومن أعرض عنه ضل وخسر خسرانًا مبينًا.

قال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى

(١) الجامع الفريد - يحتوى على كتب ورسائل لأئمة الدعوة، الرسالة الثالثة عشرة - ص ٣٢٤.

بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة: ١٥ - ١٦].

وقال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، حبل الله هو القرآن الكريم، كما جاء في الحديث عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن هذا القرآن مأدبة الله، فتعلموا من مأدبته ما استطعتم، إن هذا القرآن هو حبل الله المتين، وهو النور المبين وهو الشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن اتبعه»(١). وقال أبو عبيد(٢): «الاعتصام بحبل الله هو اتّباع القرآن وترك الفرقة»(٣).

وقال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ [ص: ٢٩]، قال الحسن البصري: «تدبر آياته: اتّباعه، والعمل بعلمه، ما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده»(٤).

وهذا الكتاب هو آخر الكتب السماوية نزولاً، وهو ناسخ لما قبله من الكتب السماوية، قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ

(١) رواه ابن أبي شيبه في المصنف: ١٠/ ٤٨٣، والدارمي في سننه برقم (٣٣١٥)، وذكره البغوي في التفسير: ١/ ٣٣٣، وابن كثير في التفسير ١/ ٣٦٧، قال الذهبي في ميزان الاعتدال (١/ ٦٦): فيه إبراهيم الهجري ضعفه غير واحد، وقال ابن كثير في فضائل القرآن ص ٤٦: غريب من هذا الوجه وإنما هو من كلام ابن مسعود وله شاهد من وجه آخر.

(٢) هو القاسم بن سلّام البغدادي، أبو عبيد، الإمام المشهور، ثقة فاضل، مصنّف مات سنة ٢٢٤هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٩٠، والتقريب/ ابن حجر: رقم «٥٤٦٢»

(٣) شرح السنة - البغوي ١/ ١٧٠.

(٤) شرح السنة - البغوي: ١/ ١٧٠.

يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٤٨].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومهيمنًا عليه؛ أي: مشتملاً على ما اشتملت عليه الكتب السابقة، وزيادة في المطالب الإلهية، والأخلاق النفسية، فهو كتاب الله الذي يتبع كل حق جاءت به الكتب فأمر به، وحث عليه، وأكثر من الطرق الموصله إليه»[(١)]. فعلى المسلم أن يعتصم بكتاب الله ﷻ، فيتبع أوامره، وينتهي عند نواهيه؛ لينال بذلك السعادة في الدنيا والآخرة.

أما الاعتصام بالسنة: وهي كل ما أُثر عن النبي أو سيرته، وهي مبيّنه ومفسَّرة للكتاب، وقد أمر الله ﷻ بطاعة رسوله ﷺ، فقال جل من قائل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾ [النساء: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [النساء: ٨٠]. وقال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ [الحشر: ٧]، وقال الرسول ﷺ: «دعوني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم كثرةُ سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم»[(٢)].

وقال ﷺ: «لا ألفين أحدكم متكئًا على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به، أو نهيت عنه فيقول: لا أدري، ما وجدناه في كتاب الله اتّبعناه»[(٣)].

---

(١) تفسير السعدي: ١/ ٤٩٠.

(٢) أخرجه البخاري - كتاب الاعتصام: باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ برقم (٧٢٨٨) الفتح ١٣/ ٢٦٤.

(٣) أخرجه أبو داود كتاب السنة: باب في لزوم السنة (٤٦٠٥) ٥/ ١٢، والترمذي برقم (٢٦٦٣). وقال الشيخ الألباني: صحيح.

قال البغوى رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفي الحديث دليل على أنه لا حاجة بالحديث إلى أن يعرض على الكتاب، وأنه مهما ثبت عن رسول الله ﷺ كان حجه بنفسه، وقد قال النبي ﷺ: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه»(١) وأراد به أنه أوتي من الوحي غير المتلو»(٢).

قال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «إنه سيأتي أناس يأخذونكم بشبهات القرآن فخذوهم بالسنن، فإن أصحاب السنة أعلم بكتاب الله»(٣).

قال ابن بطال(٤): «لا عصمة لأحد إلا في كتاب الله أو سنة رسوله، أو إجماع العلماء على معنى في أحدهما»(٥).

تبين لنا مما سبق من الآيات والأحاديث وآثار السلف الصالح، وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة، وأنهما شيء واحد لا يجوز التفريق بينهما ولا الأخذ بأحدهما دون الآخر، وليس بينهما تعارض، فالسنة مبيّنة للكتاب وموضحة له؛ لأن السنة وحي كذلك مثل الكتاب، وقد ورد فيها أحكام لم ترد في الكتاب فيجب إتباعها والأخذ بها.

---

(١) أخرجه أبو داود كتاب السنة: باب في لزوم السنة (٤٦٠٤) ٥/ ١٠، والحديث صححه الألباني.

(٢) شرح السنة – البغوي ١/ ١٧٨.

(٣) شرح السنة – البغوي ١/ ١٧٩.

(٤) أبو الحسن على بن خلف المغربي المالكي، الشهير بابن بطال من كبار المالكية، شرح البخاري، قال عنه ابن بشكوال: كان من أهل العلم والمعرفة عني بالحديث العناية التامة وشرح الصحيح. ت ٤٤٩هـ. انظر السير: ١٨/ ٤٧

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ١٣/ ٢٥٩، ٢٦٠.

الفصل الثاني

مكانة الإمامة في الإسلام

وفيه أربعة مباحث:

- **المبحث الأول: تعريف الإمامة.**
- **المبحث الثاني: حكم الإمامة.**
- **المبحث الثالث: منزلة الإمامة في الإسلام.**
- **المبحث الرابع: طرق البيعة لولي الأمر.**

المبحث الأول
تعريف الإمامة

قبل أن أشرع في تعريف الإمامة أحب أن أوضح أن هناك ألفاظاً ترادف الإمامة في المعنى، ألا وهي لفظ **الأمير والخليفة**، وكلاهما في المعنى واحد، وسأذكر معنى كل منهما، وأذكر بعض الآيات أو الأحاديث الدالة على لفظها.

أولاً: لفظ الأمير:

قال ابن الأثير: كل من فزعت إلى مشاورته ومؤامرته فهو أميرك[1].

والأمير هو ذو الأمر، وأمره تأميراً: جعله أميراً، وتأمر عليهم: تسلّط[1].

---

(١) النهاية في غريب الحديث: ١/ ٦٦.

وأول من لقب بأمير المؤمنين، هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ودليله ما جاء أن لبيد ابن ربيعه وعدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ لما قدما إلى المدينة، قالا لعمرو بن العاص: استأذن لنا أمير المؤمنين، فقال: أنتما والله أصبتما اسمه، فهو الأمير ونحن المؤمنون، فدخل عمرو على عمر فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فقال عمر ما هذا؟ فقال: أنت الأمير ونحن المؤمنون، فجرى الكتاب من يومئذٍ»(٢).

ولفظ الأمير ما كان يطلق على الخليفة في أول الأمر، وإنما كان يطلق على أمراء الجيوش والأقاليم والمدن ونحو ذلك، وقد ورد في الحديث لفظ الأمير،كما في قوله ﷺ: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني»(٣).

ثانياً: لفظ الخليفة:

في اللغة: هو من يقوم مقام الذاهب ويسدّ مسده، وجمعه: الخلفاء(٤).

=

(١) القاموس المحيط: باب الراء، فصل الهمزه ص٤٣٩ - ٤٤٠.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد/ برقم (١٠٢٣) ص ٣٥٣، وذكر الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد/ ٩/ ٦١ وقال: رجاله رحال الصحيح، وصححه الألباني في تعليقه على الأدب المفرد.

(٣) رواه البخاري: كتاب الأحكام: باب قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ الفتح ١٣/ ١١٩ .رقم الحديث (٧١٣٧).

(٤) النهاية في غريب الحديث: ٢/ ٦٧.

قال ابن حيان: «الخليفة: اسم لكل من انتقل إليه تدبير أهل الأرض والنظر في مصالحهم، كما أن كل من وُلّي الروم: قيصر، والفرس: كسرى واليمن: تبّع»(١).

وقد ورد لفظ الخليفة في آيات كثيرة من القرآن، منها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[البقرة: ٣٠]، وقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [ص: ٢٦].

أما وروده في السنة فقوله ﷺ: «خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتى الله الملك من يشاء»(٢)، وقوله ﷺ: «لا يزال هذا الأمر عزيزاً إلى اثني عشر خليفة»(٣).

ثالثاً: لفظ الإمام:

هذا اللفظ هو المشتهر عند العلماء، وقد ألفوا فيه مؤلفات، وجميع الفرق تتفق على هذا الاسم، وهذا الاسم عام إذا أطلق دخل تحته الألفاظ السابقة، ولقد اهتم العلماء في تعريف الإمامة قديماً وحديثاً وجعلوها من أهم الأمور العقدية؛ لما فيها من المصالح العامة والخاصة، وسوف أتحدث عن أهميتها فيما بعد إن شاء الله.

---

(١) البحر المحيط لابي حيان: ١/ ٨٨.

(٢) رواه أبو داود، كتاب السنة، باب في الخلفاء: ٥/ ٣٧ رقم «٤٦٤٧»، قال الألباني: حسن صحيح.

(٣) رواه مسلم كتاب الإمارة، باب الخلافة في قريش شرح النووي ١٢/ ٢٠٢.

أمّا تعريف كلمة الإمام **في اللغة**: فهي مصدر من الفعل: (أمّ)، تقول: أمّهم وأمّ بهم: تقدمهم وهي الإمامة. والإمام: كل ما ائتُم به من رئيس أو غيره(١).

وحكى ابن منظور معنى الإمام، فقال: «الإمام: كل من ائتم به قوم كانوا على الصراط المستقيم أو كانوا ضالين..، والجمع أئمة... وإمام كل شيء: قيّمه والمصلح له، والقرآن إمام المسلمين وسيدنا محمد ﷺ إمام الأئمة، والخليفة: إمام الرعية، وإمام الجند قائدهم...»(٢).

وفي الاصطلاح الشرعي:

لقد عرف العلماء الإمامة في الاصطلاح بتعريفات مختلفة من حيث اللفظ، وعلى الرغم من اختلاف تعبيراتهم إلا أنها تتحد في مدلولها من حيث المعنى، ومن هذه التعريفات:

١ـ قال الماوردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا»(٣).

قال الجويني(٤) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الإمامة رياسة تامة، وزعامة عامة، تتعلق

(١) القاموس المحيط. باب فصل الهمزة ص١٣٩٢.

(٢) لسان العرب لابن منظور: مادة (أمم).

(٣) الأحكام السلطانية. ص٣.

(٤) هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني المشهور بإمام الحرمين أبو المعالي، وهو من أئمة أهل الكلام، مات سنة٤٧٨هـ. انظر البداية والنهاية: ١٢/ ١١٤، وفيات الأعيان: ٣/ ١٦٧.

بالخاصة والعامة في مهمات الدين والدنيا، تتضمنها حفظ الحوزة ورعاية الرعية، وإقامة الدعوة بالحجة والسيف»[١].

وقد ورد لفظ الإمام في الكتاب وفي السنة، أما في الكتاب فقد ورد بصيغة الإفراد وبصيغة الجمع، فمنها قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤]، وقوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [الأنبياء: ٧٣]، وقوله: ﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: ٥]؛ أي: ولاة وملوكاً[٢].

ومن الحديث قوله ﷺ: «ألا كلّكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمامُ الأعظَم الذي على الناس راعٍ وهو مسؤولٌ عن رعيّته»[٣].

المبحث الثاني
حكم الإمامة

أجمع عامة المسلمين على وجوب نصب إمام للأمة يقيم لهم أحكام شرع الله، ولم يخالف هذا الإجماع إلا النجدات[٤] من الخوارج،

---

(١) غياث الأمم ص١٥.

(٢) تفسير الشوكاني: ٤/ ٢٢٧.

(٣) صحيح البخاري - كتاب الأحكام، باب قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾، رقم (٧١٣٨) الفتح ١٣/ ١١٩.

(٤) فرقة من فرق الخوارج وهم: أتباع نجدة بن عامر الحنفي، خالف نافع بن الأزرق في بعض معتقداته، من بدعه: أنه أسقط حد الخمر، وأن من كذب قاصداً فهو مشرك، وعندهم أن من أصر على الذنب -ولو كان من الصغائر- فهو كافر، وأما إن كان غير مصر -وإن كان الذنب كبيرة- فإنه ليس بكافر. انظر: الفرق بين الفرق لعبد القاهر =

والأصم[١] من المعتزلة.

قال ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اتفق جميع أهل السنة وجميع المرجئة وجميع الشيعة وجميع الخوارج على وجوب الإمامة، وأن الأمة واجب عليها الانقياد لأمام عادل يقيم فيهم أحكام الله ويسوسهم بأحكام الشريعة التي أتى بها رسول الله ﷺ، حاشا النجدات من الخوارج»[٢].

ومذهب أهل السنة والجماعة أن نصب الإمام الأعظم واجب بنص الشرع؛ لتجتمع به كلمة المسلمين وتنفذ به أحكام الشريعة، وهذا المذهب هو المذهب الحق المؤيد بالأدلة الشرعية من الكتاب والسنة والإجماع.

أما دلالة الكتاب على وجوب نصب الإمام فمن ذلك:

١- قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠].

وجه الدلالة أن أهل العلم اعتبروها أصلاً في وجوب نصب الإمام؛ ليفصل بين الناس فيما اختلفوا فيه، ويقطع التنازع، ويقيم الحدود، وينصر المظلوم، وغير ذلك.

=

البغدادي/ ص ٤٢.

(١) هو أبو بكر عبد الرحمن بن كيسان الأصم، متكلم معتزلي، عده القاضي عبد الجبار من الطبقة السادسة من الاعتزال، كان صبوراً على الفقر، مات سنة ٢٠١هـ. له تفسير، والرد على الملحدة. السير، ٩/ ٤٠٢.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل: ٤/ ٨٧.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذه الآيةُ أصلٌ في نصب إمام وخليفة يسمع له ويطاع؛ لتجتمع به الكلمة وتنفذ به أحكام الخليفة[١]، ولا خلاف في وجوب ذلك بين الأمة ولا بين الأئمة، إلا ما روي عن الأصم حيث كان عن الشريعة أصم»[٢].

٢ـ قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾ [النساء: ٥٩].

فأوجب الله في هذه الآية طاعته وطاعة رسوله وأولي الأمر وهم الأمراء والولاة، كما ذكر ذلك جمع من المفسرين، منهم: الطبري وابن كثير وغيرهم، وسوف أذكر أقوالهم عندما أتكلم عن الآية في طاعة ولاة الأمور، والآيات الدالة على وجوب نصب الإمام كثيرة جداً نكتفي بما ذكرناه.

أما الأدلة من السنة على وجوب نصب الإمام الأعظم، فقد وردت أحاديث كثيرة، منها:

١ - عن العرباض بن سارية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم، ثم أقبل علينا، فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا، قال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبداً حبشياً، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين

(١) لعلها: وتنفذ بها أحكام الشريعة.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١/ ٢٦٤.

الراشدين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»[١].

فقد بين عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنه سيكون من بعده خلفاء راشدون يخلفونه في أمته ويسيرون على نهجه في سياسة الأمة بالكتاب والسنة، وحث الناس على التمسك بسنته وسنة الخلفاء الراشدين من بعده، وهذا بيان أنه لابد للناس من إمام يرجع إليه في إقامة الحدود وقطع التنازع والاختلاف.

٢- قوله ﷺ: «من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»[٢]. فقد بيّن عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في هذا الحديث أن البيعة فريضة في عنق كل مسلم للإمام الحق الذي تجتمع عليه كلمة المسلمين، وما دامت البيعة واجبة، فمنصب الإمام من باب أولى.

وأما دلالة الإجماع على وجوب نصب الإمام؛ فقد أجمعت الأمة على أنه لا بد من نصب الإمام الأعظم للأمة يرجع إليه في شؤون العباد وقد نقل الإجماع بعض أهل العلم، فقد قال الماوردي: «وعقدها -أي الإمامة- لمن يقوم بها واجب بالإجماع وإن شذ عنهم الأصم»[٣].

---

(١) رواه أبو داود - كتاب السنة، باب في لزوم السنة برقم «٤٦٠٧»، ٥/ ١٣.

(٢) رواه مسلم. كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين. شرح النووي ١٢/ ٢٤٠.

(٣) الأحكام السلطانية. ص: ٦.

وقال النووي: «وأجمعوا على أنه يجب على المسلمين نصب خليفة، ووجوبه بالشرع لا بالعقل»[١].

وقال ابن خلدون: «نصب الإمام واجب، وقد عُرف وجوبه في الشرع بإجماع الصحابة والتابعين»[٢].

المبحث الثالث

منزلة الإمامة في الإسلام

إن للإمامة منزلة عظيمة في الإسلام، وهي من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين ولا للدنيا إلا بإمام يجتمع عليه الناس وتكون له الكلمة ويأمر وينهى، وينصر المظلوم، ويأخذ على يد الظالم؛ لأن بني آدم يقع منهم الخطأ والظلم والفساد، فلو لم يوجد إمام يرجع إليه في مثل هذه الأمور لانتشر الفساد في البر والبحر، وسيطر القوي على الضعيف، وعاش الناس في حالة من الخوف والرعب وعدم الاستقرار والأمن، ولا يأمن الرجل على ماله وعرضه ولا على نفسه أيضاً، وهذه الحالة هي التي عليها العرب في الجاهلية، وذلك أن القبيلة القوية تهجم على الضعيفة وتأخذ أموالها وتقتل رجالها بغير حق، فلما جاء الإسلام وحد كلمة المسلمين، وأمرهم بالاجتماع وأن يكونوا مجتمعين على إمام واحد، وأمرهم بالسمع والطاعة له ونهاهم عن الخروج عليه، وأمر ولي الأمر بأن يحكم بينهم بالعدل وأن

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ١٢/ ٢٠٥.

(٢) مقدمة ابن خلدون: ١/ ٣٣٠.

يرفق بهم ويعاملهم بالتي هي أحسن، وقد جاء عن بعض السلف أقولٌ تبين أهمية ومنزلة الإمامة فمنها:

قول الحسن البصري في الأمراء: «هم يلون من أمورنا خمسًا: الجمعة والجماعة والعيد والثغور والحدود، والله ما يستقيم الدين إلا بهم، وإن جاروا أو ظلموا، والله لَما يصلح بهم أكثر مما يفسدون»(١).

قال شيخ الإسلام: «يجب أن يعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين ولا للدنيا إلا بها؛ فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض، ولا بد لهم عند الاجتماع من رأس، حتى قال رسول الله صلى عليه وسلم: «إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم»(٢)، وقال أيضًا: «لا يحل لثلاثة يكونون بفلاة من الأرض إلا أمروا عليهم أحدهم»(٣)، فأوجب ﷺ تأمير الواحد في الاجتماع القليل العارض في السفر تنبيهًا بذلك على سائر أنواع الاجتماع»(٤).

---

(١) آداب الحسن البصري/ لابن الجوزي/ (ص١٧١)، تحقيق: سليمان الحرش/ دار الصديق/ ط١، وانظر: جامع العلوم والحكم: ص١١٧.

(٢) رواه أبو داود، كتاب الجهاد. باب في الرجل يسافر وحده «٢٦٠٨» ٣/ ٨١. صححه الألباني ٢/ ٤٩٤. صحيح أبي داود.

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند: ٢/ ٣٦٩. برقم «٦٦٠٩»، تعليق شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره إلا حديث الإمارة فحسن.

(٤) الفتاوى الكبرى: ٢٨/ ٣٩٠.

المبحث الرابع
طرق البيعة لولي الأمر

تنعقد البيعة لولي الأمر بأحد الأمور التالية:

١- اتفاق أهل الحل والعقد على بيعته. وقال بعض العلماء: إن إمامة أبي بكر من هذا النوع؛ لإجماع أهل الحل والعقد عليه من المهاجرين والأنصار.

٢- أن يعهد إليه الخليفة قبله، كما وقع من أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وممن نص على هذين الشرطين: الماوردي في كتابه الأحكام السلطانية بقوله: «والإمامة تنعقد من وجهين؛ أحدهما: باختيار أهل الحل والعقد، والثاني بعهد الإمام من قبل»[(١)]. وهذان الشرطان متفق عليهما بين العلماء[(٢)]، ولم يخالف فيهما أحد فيما أعلم.

٣- أن يتغلب على الناس بسيفه وينزع الخلافة بالقوة، حتى يستتب الأمر وتدين له الناس، لما في الخروج عليه حينئذٍ من شق العصا وإراقة الدماء. قال بعض العلماء: من هذا القبيل قيام عبد الملك بن مروان على عبد الله بن الزبير.

وقد خالف هذا الشرط بعض الفرق[(٣)]، أما مذهب أهل السنة والجماعة

---

(١) الأحكام السلطانية: ص٧.

(٢) أي علماء أهل السنة والجماعة.

(٣) مثل: الخوارج والمعتزلة. انظر: الإمامة العظمى - الدميجي ص٢٢٢.

في هذا الشرط فهو أنه تنعقد به الإمامة، وقد ذكر بعض علماء أهل السنة الإجماع على ذلك، منهم: الحافظ ابن حجر -في الفتح- فقال: «وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلّب، والجهاد معه وأن طاعته خير من الخروج عليه، لما في ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء»(١).

ومنهم أيضاً الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى-، قال: «الأئمة مجمعون من كل مذهب على أن من تغلّب على بلد أو بلدان له حكم الإمام في جميع الأشياء، ولولا هذا ما استقامت الدنيا؛ لأن الناس من زمن طويل، قبل الإمام أحمد إلى يومنا هذا ما اجتمعوا على إمام واحد، ولا يعرفون أحداً من العلماء ذكر أن شيئاً من الأحكام لا يصح إلا بالإمام الأعظم»(٢).

وقال البربهاري: «ومن ولي الخلافة بإجماع الناس عليه ورضاهم به فهو أمير المؤمنين، ولا يحل لأحد أن يبيت ليلة ولا يرى أن عليه إماماً برّاً أو فاجراً»(٣).

وقال ابن قدامة: «ولو خرج رجل على الإمام فقهره، وغلب الناس بسيفه حتى أقروا له وأذعنوا بطاعته وتابعوه صار إماماً يحرم قتاله والخروج عليه، فإن عبد الملك بن مروان خرج على ابن الزبير فقتله واستولى على البلاد

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ١٣/ ٧.
(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية: ٧/ ٢٣٩.
(٣) شرح السنة - البربهاوى - ص ٧٧.

وأهلها حتى بايعوه طوعـًا وكرهـًا، فصار إمامـًا يحرم الخروج عليه»[١].

وقد ذكر هذه الأمور الشيخ الشنقيطي في أضواء البيان وزاد أمراً رابعـًا: وهو ما لو نص الرسول ﷺ على أن فلانـًا هو الإمام، فإنها تنعقد له بذلك[٢].

وقد ذكر هذه الشروط بعض العلماء، أمثال: ابن عثيمين ﷺ، في كتابه شرح الاعتقاد[٣]، وكذلك الشيخ عبد السلام برجس رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه معاملة الحكام[٤].

(١) المغني/ ابن قدامة/ ١٠/ ٤٩.

(٢) انظر: أضواء البيان: ١/ ٥١.

(٣) انظر: شرح الاعتقاد ص: ١٠٧.

(٤) انظر: معاملة الحكام ص: ٢٤.

الفصل الثالث

ضوابط الإمامة في الإسلام

وفيه مبحثان:

- **المبحث الأول: شروط الإمام.**
- **المبحث الثاني: واجبات الإمام.**

المبحث الأول
شروط الإمام

الإمامة من أعلى المراتب في الدولة الإسلامية، ومن الطبيعي أنه لا بد لهذه المرتبة من شروط معينة، يحسن اتباعها عند اختيار الإمام، وقد اجتهد العلماء في ذكر هذه الشروط، وهي خاصة بمن يراد توليته بالاختيار، أمّا المتغلّب فلا يجب أن تتوفر فيه هذه الشروط كلها؛ لأنه في هذه الحالة انتفت حال الاختيار ولم يبق إلا التسليم؛ لأن مصلحة المسلمين تقتضي ذلك، وعلى قاعدة «ارتكاب أخف الضررين» فيتساهل في بعض الأمور إلى أن تتغير الأوضاع ويحين الوقت المناسب لتولية مكتمل الشروط، والحاصل أن فقدان بعض الشروط في الحاكم المتغلّب لا يقتضي الخروج عليه وعدم طاعته في غير معصية.

وهذه الشروط التي ذكرها العلماء منها ما هو متفق عليه ومنها ما هو مختلف فيه، وقد اختلفوا في عددها أيضاً، ولكن من أهم هذه الشروط التي نص عليها العلماء عشرة شروط، وقد نص عليها صاحب أضواء البيان

رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: «وأعلم أن الإمام الأعظم تشترط فيه شروط:

١- أن يكون قرشيـًا، واستدل بقوله ﷺ: «الأئمة من قريش»[١].

٢- كونه ذكراً، ولا خلاف في ذلك بين العلماء.

٣- كونه حراً، فلا يجوز أن يكون عبداً، ولا خلاف في هذا بين العلماء.

٤- أن يكون بالغـًا، فلا تجوز إمامة الصبي إجماعـًا.

٥- أن يكون عاقلاً، فلا تجوز إمامة المجنون ولا المعتوه.

٦- أن يكون عدلاً فلا تجوز إمامة فاسق، ويدخل فيه الإسلام.

٧- أن يكون فمن يصلح أن يكون قاضيـًا من قضاة المسلمين.

٨- أن يكون سليم الأعضاء.

٩- أن يكون ذا خبرة ورأي حصيف بأمر الحرب وتدبير الجيوش.

١٠- أن يكون ممن لا تلحقه رقة في إقامة الحدود»[٢].

هذه من أهم الشروط التي ذكرها العلمـاء، وقـد اختلفـوا في بعضـها، وقـد ذكرتها على سبيل الاختصار خشية الإطالة.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند، ٣/ ٥٨٣ - ٥٨٤ برقم (١١٨٩٨).

(٢) أضواء البيان١/ ٦٠ - ٦١.

المبحث الثاني
واجبات الإمام

إن حمل الإمامة ثقيل، وواجباتها كبيرة لا يستطيع القيام بها على الوجه الأكمل إلا أولو العزم من الرجال، لذلك كانت من أعظم القربات عند الله لمن احتسب القيام بها، وقصد التقرب إلى الله تعالى، ولذلك قال الرسول ﷺ: «سبعة يظلهم الله تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله...»، وذكر منهم: «إمام عادل...»[(١)]. ومما يدل على ثقلها أيضاً ما رواه مسلم في صحيحة عن أبي ذر الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال له في الإمارة: «إنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها»[(٢)].

وقد ذكر العلماء رحمهم الله تعالى، جملة من الواجبات التي يتعين على الإمام المسلم القيام بها، حتى يستقيم للناس دينهم، وتصلح في الحياة أحوالهم، وبيّن شيخ الإسلام أهم هذه الواجبات فقال: «فالمقصود الواجب بالولايات، إصلاح دين الخلق الذي متى فاتهم خسروا خسراناً مبيناً، ولم ينفعهم ما نعموا به في الدنيا، وإصلاح ما يقوم الدين إلا به من أمر دنياهم. وهو نوعان: قسم المال بين مستحقيه، وعقوبات المعتدين، فمن لم يعتد

---

(١) رواه البخاري - كتاب الأذان - باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، رقم ٦٦٠ الفتح ١٦٨.

(٢) صحيح مسلم - كتاب الإمارة، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة - شرح النووي ١٢/ ٢٠٩ - ٢١٠.

أصلح له دينه ودنياه»[١].

ومن أهم الواجبات ما يلي:

١- حفظ الدين على الأصول التي أجمع عليها سلف الأمة.

٢- تنفيذ الأحكام بين المتشاجرين وقطع الخصام بين المتنازعين.

٣- حماية بيضة المسلمين والذب عن أعراضهم؛ ليتصرف الناس في معاشهم، وينتشروا في الأسفار آمنين من تغرير بنفس أو مال.

٤- إقامة الحدود لتصان محارم الله من الانتهاك وتحفظ حقوق العباد.

٥- تحصين الثغور بالعدة المانعة والقوة الدافعة.

٦- جهاد من عاند الإسلام بعد دعوته إلى الإسلام.

٧- جباية الفيء والصدقات على ما أوجبه الشرع.

٨- تقدير العطايا وما يستحقه في بيت المال من غير سرف ولا تقتير.

٩- استكفاء الأمناء وتقليد الصلحاء فيما يفوض إليهم من الأعمال.

١٠- أن يباشر بنفسه مشارفة الأمور وتصفح الأحوال ليهتم بسياسة الأمة وحراسة الملة، ولا يعول على التفويض تشاغلاً بلذة أو عبادة، فقد يخون الأمين ويغش الناصح[٢].

---

(١) الفتاوى الكبرى: ٢٨/ ٢٦٢.

(٢) انظر: كتاب الأحكام السلطانية - الماوردي ص١٨، كتاب الأحكام السلطانية - القاضي أبو يعلى الفراء/ ص٢٧ - ٢٨.

هذه بعض الواجبات، ولا شك أن هناك واجبات أخرى كالدعوة إلى الله، ونشر العلم والمعرفة، والعمل على تهيئة ما يحتاجه الناس في أمور دينهم ودنياهم، واستثمار خبرات البلاد وعمارتها فيما هو صالح بالإسلام والمسلمين، والاهتمام بالحسبة، وتخصيص من يقوم بها في كل بلدة من الرجال أهل الدين والغيرة.

قال شيخ الإسلام: «وينبغي أن يعرف أن أولي الأمر كالسوق، ما نفق فيه جلب إليه، هكذا قال عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فإن نفق فيه الصدق والبر والعدل والأمانة، جلب إليه ذلك، وإن نفق فيه الكذب والفجور والجور والخيانة، جلب إليه ذلك. والذي على ولي الأمر، أن يأخذ المال من حله، ويضعه في حقه، ولا يمنعه من مستحقه»(١).

وقد ثبت الوعيد الشديد لمن ولّي أمور المسلمين فلم يحطهم برعايته، ولم يقم ما أوجب الله عليه من حقوق وواجبات فمن هذا الوعيد:

قوله ﷺ: «ما من وال يلي رعية المسلمين، فيموت وهو غاش لهم إلا حرم الله عليه الجنة»(٢).

قال ابن بطال معلقًا على هذا الحديث: «وهذا وعيد شديد على أئمة الجور، فمن ضيع من استرعاه الله، أو خانهم، أو ظلمهم، فقد توجه إليه

(١) الفتاوى الكبرى: ٢٨/ ٢٦٨ - ٢٦٩.

(٢) رواه البخاري في صحيحه - كتاب الأحكام - باب من استرعي رعية فلم ينصح، رقم «٧١٥١»، الفتح ١٣/ ١٣٦.

الطلب بمظالم العباد يوم القيامة، فكيف يقدر على التحلل من ظلم أمة عظيمة»[١].

وجاء في الحديث قوله ﷺ: «اللهم من ولي من أمر أمتي شيئًا فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم فارفق به»[٢].

قال النووي: «هذا من أبلغ الزواجر عن المشقة على الناس وأعظم الحث على الرفق بهم وقد تظاهرت الأحاديث بهذا المعنى»[٣].

(١) فتح الباري/ ابن حجر/ ١٣/ ١٣٧.

(٢) صحيح مسلم كتاب الإمارة - باب فضيلة الأمير العادل - شرح النووي ١٢/ ٢١٢.

(٣) شرح النووي على مسلم ١٢/ ٢١٣.

الفصل الرابع

حقوق الإمام على الرعية

وفيه سبعة مباحث:

- المبحث الأول: السمع والطاعة.
- المبحث الثاني: النصيحة.
- المبحث الثالث: النصرة والجهاد.
- المبحث الرابع: الدعاء لهم بالصلاح.
- المبحث الخامس: الصلاة خلفهم.
- المبحث السادس: الصبر على جورهم.
- المبحث السابع: عدم الخروج عليهم.

تمهيد

إن دين الإسلام دين عدل وإنصاف في كل الأمور، فكما أن على الولاة حقوقًا عظيمة، من القيام على الرعية بما يصلح أمور دينهم ودنياهم -وقد بينا ذلك فيما سبق- فإن للولاة حقوقًا على الرعية كذلك، ولا تتم الحياة والسعادة إلا بقيام كل واحد منهم بحقوقه، فإن الناس مجبولون على الاجتماع، ولا يكون اجتماع إلا بإمام يرجعون إليه في تدبير أمورهم، ولا يكون إمام إلا بالسمع والطاعة له، وقد جاء ديننا الحنيف بهذا المبدأ، وهو مبدأ التعاون بين كل من الأمير والمأمور، فلا تقوم الحياة ولا تأمن السبل

إلا بالتعاون بينهما.

وقد أمر الله سبحانه وتعالى بذلك فقال: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢]، فمن التعاون على البر والتقوى أن يتعاون كل من الأمير والمأمور في تنفيذ حقوق صاحبه، ولأهمية حقوق الولاة على الرعية، فقد جاء ذكر هذه الحقوق بالكتاب والسنة، وقد اهتم أهل السنة والجماعة بهذه الحقوق حق الاهتمام، وجعلوها من أهم أمور العقيدة، ونصوا عليها في كتب العقائد، وبينوها حق بيان، وردوا على المخالفين في هذا الباب، وقد جهل أكثر الناس في هذا الزمان هذه الحقوق العظيمة التي أمر الله بها وأمر بها رسول الله ﷺ، وسار على ذلك الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ومن تبعهم بإحسان.

فقد كان السلف الصالح -رضوان الله عليهم- يولون هذه الحقوق اهتماماً خاصاً، لا سيما عند ظهور بوادر الفتنة؛ نظراً لما يترتب على الجهل بها أو إغفالها من الفساد الكبير في العباد والبلاد، والعدول عن سبيل الهدف والرشاد.

وسوف أستعرض هذه الواجبات، مستنداً في ذلك على الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح، رضوان الله عليهم أجمعين.

أمّا حقوقهم على وجه الإجمال فهي: السمع والطاعة، والنصيحة، والنصرة، والجهاد معهم، والدعاء لهم، والصبر على جورهم، وعدم الخروج عليهم. أمّا التفصيل فهو كما في المباحث الآتية:

المبحث الأول

السمع والطاعة

هذا الحق من أهم حقوق الولاة ومن أكبرها قدراً، وقد جاء النص عليه بالكتاب والسنة وبالإجماع وإليك الأدلة بالترتيب:

أولاً: الأدلة من الكتاب العزيز:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾ [النساء: ٥٩].

دلت هذه الآية على طاعة الله ورسوله، وطاعة أولياء الأمور في طاعة الله ورسوله، أي أنها مقيده بطاعتهم، ولذا لم يكرر الفعل معهم، وقد اختلف العلماء في معنى (أولي الأمر) في الآية؛ أهم العلماء أم الولاة؟ وإليك بعض أقوالهم عند تفسير هذه الآية: قال الإمام الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: هم الأمراء والولاة؛ لصحّة الأخبار عن رسول الله، وللمسلمين مصلحة»(١).

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لمّا تقدم إلى الولاة في الآية المتقدمة وبدأ بهم فأمرهم بأداء الأمانات وأن يحكموا بين الناس بالعدل، تقدم في هذه الآية إلى الرعية، فأمر بطاعته جل وعز أولاً، وهي امتثال أوامره واجتناب نواهيه، ثم بطاعة رسوله ثانياً فيما أمر به ونهى عنه، ثم بطاعة الأمراء ثالثاً على قول

(١) تفسير الطبري. ٤/ ١٥٠.

الجمهور...»[١].

قال ابن عطية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لـمّا تقدم إلى الولاة في الآية المتقدمة، تقدم في هذه الآية إلى الرعية فأمر بطاعته ﷻ، وهي امتثال أوامره ونواهيه، وطاعة رسوله، وطاعة الأمراء على قول الجمهور...»[٢].

قال ابن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والصحيح عندي أنهم الأمراء والعلماء جميعًا. أمّا الأمراء؛ فلأنّ أصل الأمر منهم والحكم إليهم، وأما العلماء فلأن سؤالهم واجب متعين على الخلق»[٣].

قال المراغي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأطيعوا أولي الأمر، وهم الأمراء والحكام والعلماء، ورؤساء الجند وسائر الرؤساء والزعماء الذين يرجع إليهم الناس في الحاجات والمصالح العامة»[٤].

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: «والظاهر -والله أعلم- أنها عامة في كل أولي الأمر، من الأمراء والعلماء...»[٥].

قال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأولي الأمر: هم الأئمة والسلاطين والقضاة وكل من كانت له ولاية شرعية لا ولاية طاغوتيه، والمراد طاعتهم فيما

---

(١) الجامع لأحكام القرآن. القرطبي - ٣/ ١٦٧.

(٢) الجامع لأحكام القرآن. القرطبي - ٣/ ١٦٧.

(٣) أحكام القرآن - لابن العربي ١/ ٥٧٤

(٤) تفسير المراغي: ٥/ ٧٢.

(٥) تفسير ابن كثير ١/ ٤٩١.

يأمرون به وينهون عنه ما لم يكن معصية؛ فلا طاعة لمخلوق في معصية الله»[١].

قال القاسمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اعلم أنه تعالى، لما أمر الرعاة والولاة بأداء الأمانات إلى أهلها والحكم بالعدل، أمر الرعية من الجيوش وغيرهم بطاعة أولي الأمر الفاعلين لذلك في قسمهم وحكمهم ومغازيهم إلى غير ذلك. إلا أن يأمروا بمعصية الله فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»[٢].

قال البيضاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يريد بهم أمراء المسلمين في عهد الرسول ﷺ وبعده، ويندرج فيهم الخلفاء والقضاة وأمراء السريه، أمر الله بطاعتهم بعدما أمرهم بالعدل؛ تنبيهاً على أن وجوب طاعتهم ماداموا على الحق»[٣].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأمر بطاعة أولي الأمر وهم: الولاة على الناس من الأمراء والحكام والمفتين، فإنه لا يستقيم للناس أمر دينهم ودنياهم إلا بطاعتهم والانقياد لهم طاعة لله ورغبة فيما عنده»[٤].

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قَالَ الْعُلَمَاء: الْمُرَاد بِأُولِي الْأَمْر: مَنْ أَوْجَبَ الله طَاعَته مِنْ الْوُلَاة وَالْأُمَرَاء، هَذَا قَوْل جَمَاهِير السَّلَف وَالْخَلَف مِنْ الْمُفَسِّرِينَ وَالْفُقَهَاء وَغَيْرهمْ، وَقِيلَ: هُمْ الْعُلَمَاء، وَقِيلَ: الْأُمَرَاء وَالْعُلَمَاء، وَأَمَّا مَنْ قَالَ:

(١) تفسير الشوكاني ٢/ ٧٢٧.

(٢) تفسير القاسمي ٢/ ٣٥٩.

(٣) تفسير البيضاوي ١/ ٢٢٠.

(٤) تفسير السعدي ١/ ٣٦٢

الصَّحَابَة خَاصَّة فَقَطْ فَقَدْ أَخْطَأَ»[١].

هذا الدليل من كتاب الله سبحانه وتعالى على طاعة ولي الأمر، وبعض أقوال المفسرين في تفسير هذه الآية.

ثانياً: الأدلة من السنة على وجوب السمع والطاعة:

إن السنة هي المصدر الثاني من مصادر الشريعة وهي مبيّنة ومفسّرة ومكمّلة للقرآن الكريم، فلا يجوز الأخذ بالقرآن دون السنة، وقد جاء في السنة المطهرة أحاديث كثيرة تدل على وجوب السمع والطاعة لولي الأمر، وسوف أقتصر على بعضها، فمن هذه الأحاديث:

١- قوله ﷺ: «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلاّ أن يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»[٢].

٢- وقوله ﷺ: «اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة»[٣].

٣- وقول ﷺ: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله،

---

(١) شرح صحيح مسلم: للنووي ١٢/ ٢٢٣.

(٢) رواه البخاري - كتاب الأحكام - باب السمع والطاعة للإمام، برقم ٧١٤٤ الفتح ١٣/ ١٣٠.

(٣) رواه البخاري كتاب الأحكام - باب السمع والطاعة للإمام برقم ٧١٤٢ الفتح ١٣/ ١٣٠.

ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني»(١).

قال الحافظ ابن حجر: «وفي الحديث وجوب طاعة ولاة الأمور، وهي مقيدة بغير الأمر بالمعصية كما تقدم في أوائل الفتن، والحكمة في الأمر بطاعتهم المحافظة على اتفاق الكلمة، لما في الافتراق من الفساد»(٢).

٤- وحديث العرباض بن سارية، وفيه قوله ﷺ: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن عبداً حبشياً...» الحديث(٣).

٥- وعن عباده بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى أثرة علينا، وعلى ألا ننازع الأمر أهله، وعلى أن نقول الحق أينما كان لا نخاف في الله لومة لائم»(٤).

٦- وعن عوف بن مالك عن رسول الله ﷺ قال: «شرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنوكم، قيل يا رسول الله: أفلا ننابذهم

---

(١) رواه البخاري كتاب الجهاد والسير/ باب يقاتل من وراء الإمام ويتقى به برقم ٢٧٩٧الفتح ٦/ ١١٦.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري - ١٣/ ١٢٠.

(٣) رواه أبو داود في السنة/ كتاب السنة/ باب لزوم السنة رقم «٤٦٠٧» ٥/ ١٣، والترمذي/ كتاب العلم/ باب ما جاء في الاخذ بالسنة واجتناب البدع/ رقم (٢٦٧٦) ٥/ ٤٤ وقال حديث حسن صحيح، وصححه الألباني.

(٤) رواه مسلم في صحيحه كتاب الإمارة - باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية - النووي ١٢/ ٢٣٠.

بالسيف، فقال: لا ما أقاموا فيكم الصلاة، وإذا رأيتم من ولاتكم شيئاً تكرهونه فاكرهوا عمله، ولا تنزعوا يداً من طاعة»(١).

٧- وقوله ﷺ: «من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»(٢).

٨- وعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إن خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع وإن كان عبداً مجدّع الأطراف»(٣)

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمراد: أخس العبيد؛ أي: أسمع وأطيع للأمير وإن كان دنيء النسب، حتى لو كان عبداً أسود مقطوع الأطراف فطاعته واجبة»(٤).

٩- وعن جرير بن عبد الله البجلي قال: «بايعت النبي ﷺ على السمع والطاعة، فلقنني: فيما استطعت والنصح لكل مسلم»(٥).

---

(١) رواه مسلم في صحيحه - كتاب الإمارة - باب خيار الأئمة وشرارهم - شرح النووي ١٢/ ٢٤٤.

(٢) رواه مسلم في صحيحه - كتاب الإمارة - باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين شرح النووي ١٢/ ٢٤٠.

(٣) رواه مسلم في صحيحه - كتاب الإمارة - باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية شرح النووي ١٢/ ٢٢٥.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم (١٢/ ٢٢٥.

(٥) رواه البخاري في صحيحه - كتاب الأحكام - باب كيف يبايع الإمام - برقم «٧٢٠٤» الفتح ١٣/ ٢٠٥.

١٠- وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: أَوْصِنِي، قَالَ: تَعْبُدُ اللهَ وَلَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ شَهْرَ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ وَتَعْتَمِرُ، وَتَسْمَعُ وَتُطِيعُ، وَعَلَيْكَ بِالْعَلَانِيَةِ وَإِيَّاكَ وَالسِّرَّ»(١).

١١- وعن عدى بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلنا يا رسول الله: «لا نسألك عن طاعة التقي، ولكن من فعل وفعل -فذكر الشر-، فقال: اتقوا الله واسمعوا وأطيعوا»(٢).

١٢- عن الحارث بن الحارث قال: قال رسول الله ﷺ: «وأنا آمركم بخمس الله أمرني بهنّ: السمع، والطاعة، والجهاد، والهجرة، والجماعة، فإن من فارق الجماعة...» الحديث(٣).

قال الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ(٤): «هذه الخمس المذكورة في

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في السنة باب في ذكر السمع والطاعة برقم ١٠٧٠ وقال الألباني إسناده جيد ٢/ ٤٩٥.

(٢) رواه ابن أبى عاصم في السنة - باب في ذكر السمع والطاعة - برقم ١٠٦٩ قال الألباني حديث صحيح ٢/ ٤٩٤.

(٣) رواه الترمذي في سننه/ كتاب الأمثال/ باب مَا جَاءَ فِي مَثَلِ الصَّلاَةِ وَالصِّيَامِ وَالصَّدَقَةِ/ رقم ٢٨٦٣/ وقال حديث حسن صحيح غريب، قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٤) عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، علَم مشهور، من كبار علماء الدعوة، ولد بالدرعية سنة (١٢٢٥ه)، وتوفي بالرياض سنة (١٢٩٣)هـ. أنظر: علماء نجد خلال ستة قرون «البسام».

الحديث ألحقها بعضهم بالأركان الإسلامية التي لا يستقيم بناؤه ولا يستقر إلا بها، خلافاً لما كانت عليه الجاهلية من ترك الجماعة، والسمع والطاعة»(١).

هذا ما تيسر جمعه من الأحاديث الصحيحة، وكلها تدل على وجوب السمع والطاعة لولي الأمر.

ثالثاً: الأدلة من أقوال الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ على وجوب السمع والطاعة

إن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هم الذين حضروا التنزيل فهم أعلم الناس بما نزل على رسول الله ﷺ، وهم الذين بلغوا لنا هذا الدين، وقد أثنى الله عليهم في كتابه في كثير من الآيات كقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح:١٨]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١٠٠]، وهم عدول جميعهم، فما جاءنا عنهم من أقوال في تفسير آية أوحديث أو أثر عنهم فهو مقدم على أقوال من جاء بعدهم، وقد جاءت عنهم آثار في وجوب السمع والطاعة لولي الأمر، فإليك بعضاً منها:

١ - عن سويد بن غفلة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال لي عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لا أدري لعلك أن تُخَلّف بعدي فأطع الإمام، وإن كان عبداً حبشياً، وإن

(١) نصيحة مهمة في ثلاثة قضايا - لعلماء نجد ص٤٥.

ظلمك فاصبر، وإن ضربك فاصبر، وإن دعاك إلى أمر منقصة في دينك فقل: سمع وطاعة، دمي دون ديني»[١].

٢- عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «نهانا كبراؤنا من أصحاب محمد ﷺ، قال: لا تسبوا أمراءكم ولا تغشوا ولا تعصوهم، واتقوا الله واصبروا فإن الأمر إلى قريب»[٢].

٣- عن عبد الله بن دينار قال: «لما بايع الناس عبد الملك كتب إليه عبد الله ابن عمر: إلى عبد الملك أمير المؤمنين، إني أُقر بالسمع والطاعة لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين على سنة الله وسنة رسوله فيما استطعت، وإنّ بنيّ قد أقروا بذلك»[٣].

هذه بعض الآثار التي وردت عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في حثهم على السمع والطاعة لولي الأمر والنهي عن الخروج عليه، وقد تولى في عهدهم على بعض البلدان بعض الخلفاء والأمراء الذين فيهم شيء من الظلم والجور أو الفسق، مثل: يزيد بن معاوية، مروان بن الحكم، والحجاج بن يوسف وغيرهم، ومع ذلك كان الصحابة رضوان الله عليهم كابن عمر وابن مسعود وأنس بن مالك -وهم من فضلاء الصحابة رضوان الله عليهم- يسمعون لهم ويطيعون في المعروف ويصلون خلفهم الجمع والأعياد، ولم يأمروا الناس

(١) الشريعة - الآجري - ص٤٨، والسنة لأبي بكر الخلال برقم (٥٤) ج ١/ ١١١، قال محققه د. عطية الزهراني: إسناد هذا الأثر عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صحيح.

(٢) شعب الإيمان - البيقهى رقم (٧٥٢٣) ج٦/ ٦٩.

(٣) رواه البخاري في صحيحة رقم (٧٢٠٥) الفتح ١٣/ ٢٠٥.

بالخروج عليهم ونزع الطاعة من أيديهم، بل كانوا يحثون الناس على السمع والطاعة لهم في المعروف والصبر على ما ينالهم من ظلم وجور.

رابعاً: أقوال التابعين ومن تبعهم من سلف هذه الأمة في وجوب السمع والطاعة:

وردت بعض الآثار عن سلف هذه الأمة من التابعين وأتباعهم تحث على وجوب السمع والطاعة لولي الأمر وعدم الخروج عليه، ومن هذه الآثار ما يلي:

١ـ قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الأمراء يلون من أمورنا خمساً: الجمعة، والجماعة، والعيد، والثغور، والحدود، والله ما يستقيم الدين إلا بهم، وإن جاروا وظلموا، والله لما يصلح الله بهم أكثر مما يفسدون»(١).

٢- قال الشعبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «حِبَّ أهل بيت نبيك، ولا تكن رافضياً، واعمل بالقرآن ولا تكن حرورياً، واعلم أن ما أتاك من حسنة فمن الله، وما أتاك من سيئة فمن نفسك، ولا تكن قدرياً، وأطع الإمام وإن كان عبداً حبشياً»(٢).

٣- قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والسمع والطاعة للأئمة وأمير المؤمنين البر والفاجر، ومن ولي الخلافة فاجتمع الناس عليه ورضوا به. ومن غلبهم

---

(١) جامع العلوم والحكم/ ابن رجب/ ص ٢٦٢.

(٢) السنة لأبي بكر الخلال رقم (٨) ج١/ ٧٩، قال محققه: إسناده حسن.

بالسيف حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين»[١].

٤- قال علي بن المديني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ثم السمع والطاعة للأئمة وأمراء المؤمنين البر والفاجر ومن ولي الخلافة بإجماع الناس ورضاهم»[٢].

٥- قال قوام السنة الاصفهاني[٣] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن السنة السمع والطاعة لولاة الأمور، أبراراً كانوا أو فجاراً...»[٤].

٦- قال البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والسمع والطاعة للأئمة فيما يحب الله ويرضى»[٥].

٧- قال أبو زرعة وأبو حاتم الرازيان رحمهما الله: «ونسمع ونطيع لمن ولاه الله أمرنا ولا ننزع يداً من طاعة، ونتبع السنة والجماعة ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة»[٦].

٨- قال إسماعيل المزني[٧]: «والطاعة لأولي الأمر فيما كان عند الله

---

(١) شرح السنة - اللالكائي ج١/ ١٨٠.

(٢) شرح السنة - اللالكائي ج١/ ١٨٨.

(٣) إسماعيل بن محمد بن الفضل الطلحي الأصبهاني، أبو القاسم، كان إماماً في الحديث والفقه والتفسير - توفي سنة ٥٣٥هـ. انظر: البداية والنهاية ١٢/ ١٩٤، شذرات الذهب ٦/ ١٧٤.

(٤) الحجة في بيان المحجة ٢/ ٥٢٩.

(٥) شرح السنة - البربهاري ص٧٧.

(٦) شرح السنة - اللالكائي ج١/ ٣١٩.

(٧) إسماعيل بن يحي بن إسماعيل المُزني المصري، تلميذ الشافعي وأحد الرواة عنه، كان =

مرضياً، واجتناب ما كان عند الله مسخطاً»[١].

٩- قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما السمع والطاعة لولاة أمور المسلمين ففيها سعادة الدنيا، وبها تنظيم مصالح العباد في معاشهم، وبها يستعينون على إظهار دينهم وطاعة ربهم»[٢].

١٠- قال ابن أبي زيد القيرواني[٣]: «والطاعة لأئمة المسلمين من ولاة أمورهم وعلمائهم، واتباع السلف الصالح واقتفاء آثارهم والاستغفار لهم»[٤].

١١- قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «الأصل الثالث: إن من تمام الاجتماع السمع والطاعة لمن تأمر علينا ولو كان عبداً حبشياً، فبين النبي ﷺ هذا بياناً شافياً بكل وجه من أنواع البيان شرعاً وقدراً، فصار هذا الأصل لا يعرف عند أكثر من يدعي العلم فكيف العمل به؟»[٥].

=

زاهداً عالماً ت سنة ٢٦٤هـ. انظر: شذرات الذهب ٣/ ٢٧٨، وفيات الأعيان ١/ ٢١٧.

(١) شرح السنة - المزني ص٨٥.

(٢) جامع العلوم والحكم ج ٢/ ٢٤٧.

(٣) أبو محمد عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن القيرواني المالكي، انتشرت إمامته في العلم شرقاً وغرباً، كان إمام المالكية في وقته وقدوتهم، كانت له مواقف مشرّفة في الذب عن السنة والدفاع عنها في مواجهة المبتدعة وأهوائهم.

انظر: طبقات الفقهاء/ للشيرازي ص١٦٧، وشرح مقدمة ابن أبي زيد القيرواني في العقيدة للأمين الحاج ص٧.

(٤) شرح مقدمة ابن أبي زيد القيرواني في العقيدة ص٤٤٢.

(٥) الجامع الفريد ص٢٨١ - ٢٨٢.

المبحث الثاني
النصيحة لولاة الأمور

المطلب الأول: تعريف النصيحة

في اللغة: مأخوذة من نصح الثوب؛ أي: أصلحه وخاطه، فيشبه فعل الناصح مع المنصوح، وقيل: مأخوذة من: نصح العسل؛ إذا صفاه من العوالق كالشمع، فوجه الشبه أن الناصح يحاول تصفية حال المنصوح له(١).

وأصل النصح في اللغة: الخلوص، يقال: نصحته ونصحت له.(٢)

وفي الاصطلاح: هي كلمة جامعة، معناها: حيازة الحظ للمنصوح له، ويقال: هو من حيز الأسماء ومختصر الكلام وليس في كلام العرب كلمة مفردة يستوفى بها العبارة عن معنى هذه الكلمة(٣).

وقيل: هي كلمة يعبر بها عن جملة، هي إرادة الخير للمنصوح له(٤).

المطلب الثاني: الأدلة على النصيحة لولاة الأمور

النصيحة لولاة الأمور من أعظم حقوقهم على الرعية، وقد حث عليها

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم جـ٢/ ٣٧، القاموس المحيط باب الحاء فصل النون.
(٢) النهاية في غريب الحديث ٥/ ٦٣.
(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ٢/ ٣٧.
(٤) النهاية في غريب الحديث ٥/ ٦٣.

الإسلام وأمر بها، وهي من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد حث الله سبحانه وتعالى في كتابه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقال: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وهي من باب التعاون على البر والتقوى، وقد جاء الأمر بذلك في قوله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ [المائدة: ٢].

ولأهمية النصيحة أسقط الله الحرج عن الذين لا يستطيعون الإنفاق ولا الجهاد في سبيل الله بشرط النصح لله وللرسول، قال تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ﴾ [التوبة: ٩١].

وقد بوب البخاري في صحيحه: باب قول النبي ﷺ: الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، وقوله تعالى: ﴿ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾[(١)].

وقد جاءت في السنة المطهرة أحاديث كثيرة تحث على النصيحة لولاة الأمور، منها:

١- عن جرير بن عبد الله البجلي قال: «بايعت رسول الله ﷺ على إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم»[(٢)].

---

(١) صحيح البخاري - كتاب الإيمان، باب قوله ﷺ «الدين النصيحة». الفتح ١/ ١٦٦.

(٢) صحيح البخاري - كتاب الإيمان، باب قوله ﷺ «الدين النصيحة...» رقم (٥٧) الفتح

وجه الشاهد قوله: «النصح لكل مسلم»، وولاة الأمور من المسلمين، فهم يدخلون تحت هذه النصيحة.

٢- عن تميم الداري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «الدين النصيحة، قلنا: لمن يا رسول الله، قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»[١].

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أما النصيحة لأئمة المسلمين؛ فمعاونتهم على الحق وطاعتهم فيه، وأمرهم به وتنبيههم وتذكيرهم برفق ولطف، وإعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغهم من حقوق المسلمين، وترك الخروج عليهم وتألف قلوب الناس لطاعتهم، قال الخطابي[٢] رَحِمَهُ اللَّهُ: ومن النصيحة لهم الصلاة خلفهم، والجهاد معهم، وأداء الصدقات إليهم، وترك الخروج بالسيف عليهم إذا ظهر منهم حيف أو سوء عشرة، وأن لا يغروا بالثناء الكاذب عليهم، وأن يدعى لهم بالصلاح»[٣].

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «والنصيحة لأئمة المسلمين: إعانتهم على ما حملوا القيام به، وتنبيههم عند الغفلة، وسد خلتهم عند الهفوة، وجمع

=

١/ ١٦٦.

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، شرح النووي ٢/ ٣٧.

(٢) أبو سليمان حمد بن إبراهيم بن الخطاب الخطابي البستي، أحد المشاهير الأعيان والفقهاء المجتهدين. ت سنة ٣٨٨هـ. انظر: البداية والنهاية ١١/ ٢٧٧،شذرات الذهب ٤/ ٤٧١.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ٢/ ٣٨.

الكلمة عليهم، ورد القلوب النافرة إليهم، ومن أعظم نصيحتهم دفعهم عن الظلم بالتي هي أحسن»(١).

٣- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يرضى لكم ثلاثًا، ويسخط لكم ثلاثًا؛ يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم...»(٢).

٤- عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «ثلاث لا يغل عليهنّ قلب المؤمن؛ إخلاص العمل لله، والنصيحة لولاة الأمر، ولزوم جماعتهم، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم»(٣).

قال شيخ الإسلام: «فقد جمع في هذه الأحاديث بين الخصال الثلاثة؛ إخلاص العمل لله، ومناصحة أولي الأمر، ولزوم الجماعة، وهذه الثلاثة تجمع أصول الدين وقواعده وتجمع الحقوق التي لله ولعباده، وتنتظم مصالح الدنيا والآخرة»(٤).

أقوال بعض الصحابة ومن تبعهم في الحث على النصيحة لولاة الأمور:

كان الخلفاء الراشدون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يحثون بأقوالهم على نصحهم وتقديم

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ١/ ١٦٧.

(٢) رواه أحمد في المسند برقم (٨٥٨١) جـ ٣/ ٥٦.

(٣) رواه ابن أبي عاصم في السنة برقم (١٠٨٧)، وصححه الألباني كما في السنة ٢/ ٥٠٤.

(٤) الفتاوى الكبرى جـ١/ ١٨.

ذلك لهم إذا حصل منهم خطأ؛ فهذا أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول في خطبته المشهورة: «أيها الناس، فإني قد ولّيت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني...»[(١)]، وكذلك عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يقول: «أحب الناس إليّ من رفع إليّ عيوبي»[(٢)].

وكذلك ما ورد في الصحيح: أن عيينة بن حصن قال لابن أخيه الحرّ بن قيس: استأذن لي عند هذا الأمير -يعني عمر بن الخطاب- فستأذن له. فلما دخل قال: يا ابن الخطاب، والله ما تعطينا الجزل، وما تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر حتى هم أن يقع به، فقال الحرّ: يا أمير المؤمنين! إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وإن هذا من الجاهلين، يقول الراوي فوالله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقّافًا عند كتاب الله»[(٣)].

وجه الدلالة من هذا الحديث أن الحرّ رَحِمَهُ اللَّهُ نصح أمير المؤمنين فتقبل منه عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وجاء عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه نصح عبد الله بن مطيع، حيث كان من أمر الحرة[(٤)].

---

(١) سيرة بن هشام ٤/ ٣١٢، صفة الصفوة لابن الجوزي ١/ ٢٦٠.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ٢٩٣.

(٣) صحيح البخاري - كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب الاقتداء بسنن الرسول ﷺ، الفتح ١٣/ ١٦٤.

(٤) صحيح مسلم - كتاب الإماره - باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن =

وكذلك نصح الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عندما سمع بمسيره إلى العراق، لحقه على مسيرة ثلاث ليالٍ ونصحه أن لا يخرج إلى العراق ولا يثير فتنه، ولكن الحسين أصرّ فحصل ما حصل(١).

وجاء عن معقل بن يسار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه نصح عبيد الله بن زياد عندما عاده في مرضه(٢).

وورد غير ذلك كثير من فعل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ومن أقوالهم.

أمّا من جاء بعد الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من التابعين وأتباعهم، فقد وردت آثار كثيرة تدل على النصيحة لولي الأمر، نقتصر على بعضها، فمنها:

١- نصيحة عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ لابن عمه أمير المؤمنين سليمان عبد الملك، وذلك عندما اطلع على عسكره فأعجبه ذلك فقال لعمر يا أبا حفص ما ترى؟ قال أرى دنيا يأكل بعضها بعضاً وأنت المسؤول عنا، فسكت عنه(٣).

٢- نصيحة الحسن البصري لعمر بن هبيرة، وكان والياً على العراق في عهد يزيد بن عبد الملك، وذلك أن يزيد أرسل إلى عمر كتاباً يأمره بإنفاذه،

=

شرح النووي ١٢/ ٢٤٠.

(١) البداية والنهاية ٦/ ٢٣٦.

(٢) صحيح مسلم - كتاب الإمارة، باب فضيلة الأمير العادل وعقوبة الجائر، شرح النوي ١٢/ ٢١٤

(٣) شعب الإيمان. للبيقهي ٦/ ٢٩.

فأرسل عمر بن هبيرة إلى الحسن يستفتيه في ذلك فقال له: يا عمر بن هبيرة يوشك أن ينزل بك ملك من ملائكة الله تعالى فظ غليظ، فيخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك، يا عمر إن تتَّقِ الله يعصمك من يزيد، ولا يعصمك يزيد من الله ﷻ(١).

٣- قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أمّا النصيحة لأئمة المسلمين: فحبّ صلاحهم ورشدهم وعدلهم، وحبّ اجتماع الأمة عليهم، وكراهة افتراق الأمة عليهم، والتدين بطاعتهم في طاعة الله ﷻ، والبغض لمن رأى الخروج عليهم، وحب إعزازهم في طاعة الله ﷻ»(٢).

٤- قال الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والنصيحة لأئمة المسلمين إعانتهم على الحق، وطاعتهم فيه، وأمرهم به، وتذكيرهم لحوائج العباد، ونصحهم في الرفق والعدل»(٣).

٥- قال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «النصيحة لأئمة المؤمنين أن يطيعهم في الحق، وأن لا يرى الخروج عليهم بالسيف إذا جاروا»(٤).

٦- قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أما النصيحة لأئمة المسلمين -وهم ولاتهم، من الإمام الأعظم إلى الأمراء والقضاة إلى جميع من لهم ولاية عامة أو

(١) حليه الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني ٢/ ١٤٩.
(٢) جامع العلوم والحكم ص٧٦.
(٣) سبل السلام شرح بلوغ المرام ٤/ ٣٨٥.
(٤) معالم السنن للخطابي في حاشية سنن أبي داود ٥/ ٢٣٣.

خاصة-: فباعتقاد ولايتهم، والسمع والطاعة لهم، وحث الناس على ذلك، وبذل ما يستطيعه من إرشادهم، وتنبيههم إلى كل ما ينفعهم وينفع الناس، وإلى القيام بواجبهم»[(١)].

المطلب الثالث: كيفية النصيحة لولاة الأمور

إن النصيحة لولاة الأمور من الأمور المهمة، ولكن ينبغي لمن يقوم بهذه المهمة أن يراعي أموراً في ذلك؛ لأن ولاة الأمور يختلفون عن غيرهم من الناس لما في أيديهم من الملك والسلطان والأمر والنهي، فعلى الناصح لهم أن يتبع الطريق الصحيح والنافع في نصحهم، ومن أهم هذه الأمور ما يلي:

أولاً: أن يراعي مكانتهم في الأمة وعلو قدرهم فيهم؛ حتى لا تنتهك حرمتهم ولا ينتقص من قدرهم، فإن ذلك أحرى بالقبول وحصول المقصود، وإليك بعض الأدلة:

قوله ﷺ: «السلطان ظل الله في الأرض، فمن أكرمه أكرمه الله ومن أهانه أهانه الله»[(٢)].

وقوله ﷺ: خمس من فعل واحدة منهن كان ضامناً على الله ﷻ:... أو دخل على إمامه يريد تعزيره وتوقيره...»[(٣)].

---

(١) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار - للسعدي ص١٣.

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٦/ ١٧، وابن أبي عاصم في السنة برقم (١٠٢٤) ٢/ ٤٧٨، وقال عنه الألباني: حديث حسن.

(٣) السنة لابن أبى عاصم برقم (١٠٢١)/ ٢/ ٤٧٦، وقال عنه الألباني: حديث صحيح.

وجاء عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «ما مشى قوم إلى سلطان الله في الأرض ليذلوه إلا أذلهم الله قبل أن يموتوا»(١).

وجاء عن سهل بن عبد الله رَحِمَهُ اللَّهُ قوله: «لا يزال الناس بخير ما عظموا السلطان والعلماء، فإن عظموا هذين أصلح الله دنياهم وآخرتهم، وإن استخفوا بهذين أفسدوا دنياهم وآخرتهم»(٢).

ثانيًا: أن تكون النصيحة بالأسلوب الحسن مع الرفق واللين والموعظة الحسنة، ومن الأدلة على ذلك:

قوله سبحانه وتعالى مخاطبًا نبيه ﷺ -وهو خطاب للأمة-: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥].

وقد أمر الله سبحانه وتعالى موسى وهارون عليهم السلام عند دعوتهم لفرعون -وهو أطغى خلق الله- بالرفق واللين، فقال سبحانه: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [طه: ٤٤].

ولقد سار رسول الله ﷺ في دعوته إلى دين الله بما أمره الله به من الرفق واللين والموعظة الحسنة، فكان كما وصفه ربه ﷻ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. فكان ﷺ رفيقًا لينًا حكيمًا في دعوته وفي أمره ونهيه، ووجّه أمته إلى ذلك، فقال

---

(١) شرح السنة للبغوي ١٠/ ٥٤.

(٢) تفسير القرطبي ٥/ ٢٦٠.

ﷺ: «ما كان الرفق في شيء إلا زانه، ولا كان الفحش في شيء قط إلا شانه»(١).

وقد جاء عن أهل العلم الحثُّ على أن تكون النصيحة لولاة الأمور بالرفق والوعظ الحسن، فمن ذلك:

١- قال ابن الجوزي: «الجائز من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع السلاطين: التعريف والوعظ، فأمّا تخشين القول نحو: يا ظالم، يا من لا يخاف الله، فإن كان ذلك يحرك فتنة يتعدى شرّها إلى الغير، لم يجز، وإن لم يخف إلا على نفسه فهو جائز عند جمهور العلماء. ثم قال: والذي أراه المنع من ذلك»(٢).

٢- قال ابن مفلح رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا ينكر أحد على سلطان إلا وعظاً له وتخويفاً أو تحذيراً من العاقبة في الدنيا والآخرة، فإنه يَجِبُ، ويُحْرم بغير ذلك»(٣).

٣- وفي هذا يقول أئمة الدعوة: الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ والشيخ محمد بن عبد اللطيف والشيخ سعد بن عتيق الشيخ عمر بن سليم والشيخ عبد الله العنقري رحمة الله عليهم جميعاً -عندما شغب بعض المنتسبين إلى الدين والدعوة في زمنهم على هذا الأصل وأثاروا الشبه

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه ٢/ ٣١١، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٢) الآداب الشرعية لابن مفلح ١/ ١٩٧.

(٣) الآداب الشرعية لابن مفلح ١/ ١٩٦.

الشيطانية حوله- فقال أولئك الأئمة: «وأمّا ما قد يقع من ولاة الأمور من المعاصي والمخالفات التي لا توجب الكفر والخروج من الإسلام فالواجب فيها مناصحتهم على الوجه الشرعي برفق واتّباع ما كان عليه السلف الصالح من عدم التشنيع عليهم في مجالسهم ومجامع الناس، واعتقاد أن ذلك من إنكار المنكر الواجب إنكاره على العباد، وهذا غلط فاحش وجهل ظاهر، لا يعلم صاحبه ما يترتب عليه من المفاسد...»[(١)].

ثالثًا: أن تكون النصيحة لولاة الأمور سراً.

وهذا هو المنهج النبوي الذي أمرنا النبي ﷺ باتباعه، كما جاء في الحديث: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصَحَ لِذِي سُلْطَانٍ فَلا يُبْدِهِ عَلانِيَةً وَلَكِنْ يَأْخُذُ بِيَدِهِ فَيَخْلُوا بِهِ، فَإِنْ قَبِلَ مِنْهُ فَذَاكَ، وَإِلا كَانَ قَدْ أَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ»[(٢)].

وكما جاء عن أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عندما قيل له: «ألا تدخل على عثمان فتكلمه»، فقال: «أترون أني لا أكلمه إلا أسمعكم؟ والله لقد كلمته فيما بيني وبينه ما دون أن أفتتح أمراً لا أحب أن أكون أول من فتحه، ولا أقول لأحد يكون عليّ أميراً، إنه خير الناس...»[(٣)].

قال الشيخ الألباني: «معنى قوله (إلا أسمعكم): يعني المجاهرة بالإنكار

(١) نصيحة مهمة في ثلاث قضايا ص٤٩، معاملة الحكام، البرجس ص١١٢.

(٢) رواه أحمد في المسند برقم (١٤٩٠٩) جـ ٤/ ٤٠٦، وابن أبي عاصم في السنة برقم (١٠٩٦)، وصححه الألباني كما في تعليقه على السنة ج ٢/ ٥٠٧.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه/ كتاب الزهد والرقائق/ باب عُقُوبَةِ مَنْ يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلاَ يَفْعَلُهُ وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَفْعَلُهُ/ برقم (٢٩٨٩)/ ٤/ ٢٢٩.

على الأمراء في الملأ؛ لأن في الإنكار جهاراً ما يخشى عاقبته»[١].

ذكر ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أن ابن عباس سئل عن أمر السلطان بالمعروف ونهيه عن المنكر، قال: إن كنت فاعلاً ولا بدّ ففيما بينك وبينه»[٢].

قال الإمام الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولكن ينبغي لمن ظهر له غلط الإمام في بعض المسائل أن يناصحه، ولا يظهر الشناعة عليه على رؤوس الأشهاد، بل كما ورد الحديث[٣] أنه يأخذ بيده، ويخلو به، ويبذل له النصيحة، ولا يذل سلطان الله...»[٤].

قال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ليس من منهج السلف التشهير بعيوب الولاة وذكر ذلك على المنابر؛ لأن ذلك يفضي إلى الانقلابات، وعدم السمع والطاعة في المعروف، ويفضي إلى الخروج الذي يضر ولا ينفع، ولكن الطريقة المتبعة عند السلف النصيحة فيما بينهم وبين السلطان والكتابة إليه، أو الاتصال بالعلماء الذين يتصلون به حتى يوجه إلى الخير»[٥].

---

(١) مختصر مسلم للمنذري في الحاشية ص٣٣٥.

(٢) جامع العلوم والحكم. ص٧٦.

(٣) يقصد حديث عياض بن غنم ولفظه: «مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ نَصِيحَةٌ لِذِي سُلْطَانٍ فَلاَ يُكَلِّمْهُ بِهَا عَلاَنِيَةً، وَلْيَأْخُذْ بِيَدِهِ فَلْيَخْلُ بِهِ، فَإِنْ قَبِلَهَا قَبِلَهَا، وَإِلاَّ كَانَ قَدْ أَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ وَالَّذِي لَهُ» أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٨/ ١٦٤، والحاكم في المستدرك ٣/ ٣٢٩ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٤) السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار ٤/ ٥٢٧.

(٥) معاملة الحكام للبرجس. ص٤٨، وجوب طاعة السلطان في غير معصية الرحمن، =

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن الواجب علينا إذا رأينا خطأ من ولاة الأمور أن نتصل بهم شفوياً أو كتابياً ونناصحهم، سالكين بذلك أقرب الطرق في بيان الحق لهم، وشرح خطئهم، ثم نعظهم ونذكرهم فيما يجب عليهم من النصح لمن تحت أيديهم ورعاية مصالحهم ورفع الظلم عنهم»[(١)].

ويروى عن الشافعي رحمه الله تعالى قوله:

تعمدني بنُصحكَ في انفرادي وجنّبني النَّصيحةَ في الجماعةْ
فإنَّ النُّصحَ بينَ النّاسِ نوعٌ من التوبيخ لا أرضى استماعهْ
فإن خالفتني وعصيتَ قَولي فلا تجزعْ إذا لم تُعطَ طاعةْ[(٢)]

المبحث الثالث

النصرة والجهاد

كما يجب على الأمة السمع والطاعة والنصيحة لولي الأمر؛ فكذلك يجب عليها نصرته، والجهاد معه إذا احتاج إلى ذلك، ومساندته وعدم خذلانه أمام الأعداء والمفسدين، ويدخل ذلك في باب التعاون على البر والتقوى الذي أمر الله به المؤمنين، وقد جاءت أحاديث وآثار عن النبي ﷺ وعن سلف الأمة في الحث على نصرة الإمام والجهاد معه، فمنها:

=

العريني ص٣٥.

(١) وجوب طاعة السلطان في غير معصية الرحمن، العريني. ص٢٤.

(٢) ديوان الشافعي، ص٨٥.

قوله ﷺ: «من بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه ما استطاع، فإذا جاء آخر ينازعه فاضربوا رقبة الآخر...»(١).

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والغزو ماض مع الأمراء إلى يوم القيامة - البر والفاجر- لا يترك»(٢). وكذلك قال الكلامَ نفسَه ابنُ المديني(٣).

قال الصابوني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويرون جهاد الكفرة معهم وإن كانوا جورة فجرة»(٤).

وقال أبو زرعة وأبو حاتم الرازيان رحمهم الله: «ونقيم الجهاد مع أئمة المسلمين في كل دهر وزمان»(٥).

وقال إسماعيل المزني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والجهاد مع كل إمام عدل أو جائر»(٦).

وقال الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَالْحَجُّ وَالْجِهَادُ مَاضِيَانِ مَعَ أُولِي الْأَمْرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، بَرِّهِمْ وَفَاجِرِهِمْ، إلى قِيَامِ السَّاعَة، لَا يُبْطِلُهُمَا شَيْءٌ وَلَا يَنْقُضُهُمَا»(٧).

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخليفة الأول فالأول، شرح النووي ١٢/ ٢٣٣.

(٢) شرح السنة اللالكائي ١/ ١٨٠.

(٣) شرح السنة - اللالكائي ١/ ١٨٨.

(٤) عقيدة السلف وأصحاب الحديث - الصابوني ص٧٨.

(٥) شرح السنة - اللالكائي ١/ ١٩٩.

(٦) شرح السنة - المزني ص٨٨.

(٧) شرح الطحاوية ص٣٨٧.

وجاء عن القاضي أبي يعلى رَحِمَهُ ٱللَّهُ قوله: «إذا قام الإمام بحقوق الأمة وجب له عليهم حقان؛ الطاعة والنصرة...»[١].

وقال شيخ الإسلام: «فأما إذا طلبهم السلطان أو نوابه؛ لإقامة الحد بلا عدوان فامتنعوا عليه، فإنه يجب على المسلمين قتالهم باتفاق العلماء، حتى يقدر عليهم كلهم»[٢].

المبحث الرابع
الدعاء لهم بالصلاح

الدعاء من أهم الأمور التي أمر الله بها عباده المؤمنين، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠]، والواجب على كل مسلم أن يدعو لنفسه أولاً ثم للمسلمين، وأحق المسلمين بذلك هم ولاة الأمر والأمراء؛ لأنه إذا صلح هؤلاء فإن بصلاحهم يصلح كثير من المسلمين، وقد ضرب النبي ﷺ مثلاً، بيّن فيه شأن وأهمية الرئيس على الرعية، فإنه إذا صلح صلحت رعيته فقال ﷺ: «ألا إن في الجسد مضغه إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب»[٣].

---

(١) الأحكام السلطانية لأبى يعلى ص٢٨.

(٢) الفتاوى الكبرى ٢٨/ ٣١٧.

(٣) رواه البخاري في صحيحه - كتاب الإيمان - باب فضل من إستبرأ لدينه، برقم (٥٢). انظر: الفتح ١/ ١٥٣

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وخص القلب بذلك لأنه أمير البدن، وبصلاح الأمير تصلح الرعيةوبفساده تفسد»(١).

وجاء عن الفضيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ قوله: «لو كانت لي دعوة مستجابة لم أجعلها إلا في إمام؛ لأنه إذا صلح الإمام أمن العباد والبلاد. قال ابن المبارك: يا معلم الخير من يجترئ على هذا غيرك»(٢).

وذكر للإمام أحمد رحمه الله تعالى الخليفة المتوكل رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال: «إني لأدعو له بالصلاح والعافية، وقال: لإن حدث به حدث تنظرنّ ما يحل بالإسلام»، وفي رواية: «وإني لأدعو له بالتسديد والتوفيق، في الليل والنهار»(٣).

قال الصابوني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويرون الدعاء لهم بالصلاح والتوفيق والصلاح»(٤)، يعني بذلك أهل الحديث، أهل السنة والجماعة.

قال البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا رأيت الرجل يدعو على السلطان، فاعلم أنه صاحب هوى، وإذا رأيت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله.

ثم قال: فأمرنا أن ندعو لهم بالصلاح، ولم نؤمر أن ندعو عليهم وإن

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ١/ ١٥٦.

(٢) شرح السنة اللالكائي ١/ ١٩٧.

(٣) السنة للخلال برقم (١٦) ١/ ٨٤، البداية والنهاية جـ ١/ ٢٨٣.

(٤) عقيدة السلف وأصحاب الحديث ص١٠٦.

ظلموا وإن جاروا؛ لأن ظلمهم وجورهم على أنفسهم...»[١].

قال الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا، وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يداً من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله ﷻ فريضة، ما لم يأمروا بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والمعافاة»[٢].

هذا هو منهج السلف الصالح رضوان الله عليهم، كانوا يدعون للإمام بالصلاح والتوفيق والمعافاة؛ لأن في صلاح الإمام صلاح للمجتمع، فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفق ولاة أمورنا لما يحبه ويرضاه.

سئل فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز: هل من مقتضى البيعة الدعاء لولي الأمر؟

فأجاب: من مقتضى البيعة النصح لولي الأمر، ومن النصح الدعاء له بالتوفيق والهداية وصلاح النية والعمل الصالح وصلاح البطانة؛ لأن من أسباب صلاح الوالي ومن أسباب توفيق الله له أن يكون له وزير صدق يعينه على الخير ويذكره إذا نسي ويعينه إذا ذكر...»[٣].

وسئل أيضاً: عن من يمتنع عن الدعاء لولي الأمر؟

فأجاب: هذا من جهله، هذا من الجهل.. الدعاء لولي الأمر من أعظم القربات ومن أفضل الطاعات ومن النصيحة لله ولعباده... يدعو للناس

---

(١) شرح السنة - البربهاري ص١٠٧ - ١٠٩.

(٢) شرح الطحاوية ص٣٧٩.

(٣) مراجعات في فقه الواقع السياسي والفكري/ عبد الله بن محمد الرفاعي/ ص٣١.

بالخير، والسلطان أولى من يُدعى له؛ لأن صلاحه صلاح للأمة، فالدعاء له من أهم الدعاء ومن أهم النصح...»[١].

المبحث الخامس

الصلاة خلفهم

لقد جاءت أحاديث صحيحة وآثار عن السلف الصالح، تدل على لزوم الصلاة خلفهم، وإن جاروا وإن ظلموا، وأن لا تترك الجمع والجماعات حتى لا يحصل التفرق بين المسلمين، ومن هذه الأحاديث والآثار ما يلي:

١- قوله ﷺ: «يصلون لكم، فإن أصابوا فلكم ولهم، وإن اخطؤوا فلكم وعليهم»[٢].

وذكر ابن حجر عند شرحه لهذا الحديث قول المهلب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فيه جواز الصلاة خلف البر والفاجر إذا خيف منه»[٣].

٢- ورد في الصحيح أن عثمان بن عفان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ «لمّا حُصر صلى بالناس شخص، فسأله سائل يا عثمان؟ إنك إمام عامة، وهذا الذي يصلى بالناس إمام فتنه؟ فقال: يا ابن أخي: إن الصلاة من أحسن ما يعمل الناس، فإذا أحسنوا فأحسن معهم، وإذا أساؤوا فاجتنب إساءتهم»[٤].

---

(١) مراجعات في فقه الواقع السياسي والفكري ص٣١.

(٢) رواه البخاري في صحيحه كتاب الآذان باب إذا لم يتم الإمام وأتم من بعده برقم (٦٩٤).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٢/ ٢٢٠.

(٤) رواه البخاري في صحيحه - بلفظ آخر - كتاب الأذان باب إمامة المفتون المبتدع - انظر =

٣- ورد أن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كان يصلي خلف الحجاج بن يوسف، وكذا أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان الحجاج فاسقًا ظالمًا(١).

٤- قال الإمام سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ في وصيته لشعيب بن حرب: «يا شعيب: لا ينفعك ما كتبت لك حتى ترى الصلاة خلف كل بر وفاجر والجهاد ماضيًا إلى يوم القيامة، والصبر تحت لواء السلطان جار أم عدل، قال شعيب: يا أبا عبد الله: الصلاة كلها؟ قال: لا ولكن صلاة الجمعة والعيدين صلِّ خلف من أدركت، وأمّا سائر ذلك فأنت مخير لا تصل إلا خلف من تثق به وتعلم أنه من أهل السنة والجماعة»(٢).

٥- قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: في حق الإمام: «وصلاة الجمعة خلفه وخلف من ولي جائزة تامة ركعتين، من أعادها فهو مبتدع تارك للآثار مخالف للسنة، ليس له من فضل الجمعة شيء إذا لم ير الصلاة خلف الأئمة من كانوا برهم وفاجرهم، فالسنة أن تصلي معهم ركعتين من أعادهما فهو مبتدع، وتدين بأنها تامة ولا يكن في صدرك من ذلك شك»(٣)، ونقل مثله عن ابن المديني(٤).

=

الفتح ٢/ ٢٢١ - رقم الحديث (٦٩٥).

(١) شرح الطحاويه ص٣٧٤.

(٢) شرح السنة اللالكائي ١/ ١٧٣.

(٣) شرح السنة اللالكائي ١/ ١٨١.

(٤) شرح السنة اللالكائي ١/ ١٨١.

٦- قال إسماعيل المزني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا يترك حضور صلاة الجمعة وصلاتها مع برّ هذه الأمة وفاجرها لازم»(١).

٧- قال البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والحج والغزو مع الإمام ماض، وصلاة الجمعة خلفهم جائزة»(٢).

٨- قال الصابوني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويرى أصحاب الحديث الجمعة والعيدين وغيرهما من الصلوات خلف كل مسلم، برّاً كان أو فاجراً»(٣).

٩- قال الإمام الطحاوي: «ونرى الصلاة خلف كل برّ وفاجر من أهل القبلة، ونصلي على من مات منهم»(٤).

١٠- قال ابن أبى العز الحنفي: «ومن ترك الجمعة والجماعة خلف الإمام الفاجر فهو مبتدع عند أكثر العلماء»(٥).

هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، وهو أنهم يرون الصلاة خلف كل برّ وفاجر من هذه الأمة؛ لأن الصلاة من أهم أمور الدين، ولما في صلاة الجماعة من الألفة والمحبة بين المسلمين، فعلى المسلمين أن يحافظوا عليها. والله الموفق.

---

(١) شرح السنة المزني ص٨٧.

(٢) شرح السنة البربهاري ص٧٠.

(٣) عقيدة أصحاب الحديث ص١٠٦ برقم (٤٣).

(٤) شرح الطحاويه ص ٣٧٣.

(٥) شرح الطحاوية ص ٣٧٤.

المبحث السادس
الصبر على جور الأئمة

الصبر من الصفات الحميدة، التي حث عليها ديننا الحنيف، فقد جاء في الكتاب العزيز آيات كثيرة، وكذلك في السنة أحاديث تدل على الأمر بالصبر وأنه من صفات الأنبياء والصالحين وأنه من عزم الأمور، فمن الآيات:

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

وقوله تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [لقمان: ١٧].

ومن الأحاديث النبوية:

قول رسول الله ﷺ: «عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلّا لِلْمُؤْمِنِ؛ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا، لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»(١).

هذا الحديث عام في الصبر، ويدخل فيه الصبر على جور الأئمة؛ لأنه من أنواع الصبر، وقد جاءت أحاديث خاصة تحث على الصبر على جور الأئمة.

---

(١) صحيح مسلم/ كتاب الزهد والرقائق/ باب الْمُؤْمِنُ أَمْرُهُ كُلُّهُ خَيْرٌ/ رقم(٧٦٩٢) ٨/ ٢٢٧.

فمن الأحاديث الخاصة في الصبر على جور الأئمة ما يلي:

١- عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال: «من رأى من أميره شيئًا يكرهه فليصبر، فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات ميتة جاهلية»(١)، وفي رواية: «من كره من أميره شيئًا فليصبر عليه، فإنه ليس أحد من الناس خرج من السلطان شبراً فمات عليه إلا مات ميتة جاهلية»(٢).

٢- عن أسيد بن حضير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أن رجلاً من الأنصار خلا برسول الله ﷺ فقال: ألا تستعملني كما استعملت فلانًا، فقال: إنكم ستلقون بعدي أثرة، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض»(٣).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وحاصله الصبر على ظلمهم وأنه لا تسقط طاعتهم والله أعلم»(٤).

وقد بوّب عليه النووي: «باب الأمر بالصبر عند ظلم الولاة واستئثارهم»(٥).

وبوّب عليه ابن أبي عاصم في السنة: «باب أمر به الرسول ﷺ في الصبر

---

(١) صحيح البخاري - كتاب الفتن - باب قوله ﷺ «سترون بعدي أثره» الفتح ١٣/ ٧.

(٢) صحيح البخاري - كتاب الفتن - باب قوله ﷺ «سترون بعدي أثره» الفتح ١٣/ ٧.

(٣) صحيح مسلم - كتاب الإمارة باب الصبر عند ظلم الولاة - انظر شرح النووي ١٢/ ٢٣٥.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم ١٢/ ٢٣٥.

(٥) نفس المصدر.

عندما يرى المرء من الأمور التي يفعلها الولاة»[١].

وبوّب البيهقي في السنن الكبرى: «باب الصبر على أذى يصيبه من جهة إمامه وإنكار المنكر من أمور بقلبه وترك الخروج عليه»[٢]، وذكروا تحت هذه الأبواب أحاديث لا يتسع المجال لذكرها.

ومن الآثار التي وردت عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في الحث على وجوب الصبر على جور الأئمة:

حديث سويد بن غفلة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «قَالَ لِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لا أَدْرِي لَعَلَّكَ أَنْ تُخَلَّفَ بَعْدِي فَأَطِعِ الإِمَامَ، وَإِنْ أُمِّرَ عَلَيْكَ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ مُجَدَّعٌ، وَإِنْ ظَلَمَكَ فَاصْبِرْ، وَإِنْ حَرَمَكَ فَاصْبِرْ، وَإِنْ دَعَاكَ إِلَى أَمْرٍ يَنْقُصُكَ فِي دُنْيَاكَ فَقُلْ: سَمْعًا وَطَاعَةً، دَمِي دُونَ دِينِي»[٣].

ففي هذه الأحاديث وغيرها كثير وكذا الآثار: وجوب الصبر على جور الأئمة واحتمال الأذى منهم؛ لما في ذلك من درء المفاسد العظيمة التي تترتب على عدم الصبر عليهم من الخروج المفسد للدين والدنيا.

ومن الآثار التي وردت عن التابعين في الحث على الصبر على جور الأئمة:

---

(١) السنة لابن أبي عاصم ٢/ ٥٠٨.

(٢) السنن الكبرى - البيقهي ٨/ ١٥٧.

(٣) الشريعة الأجري ص٤٨، والسنة للخلال برقم (٥٤) ١/ ١١١، قال محققه: إسناد هذا الأثر عن عمر رضي الله عن صحيح.

قول الحسن البصري رحمه الله تعالى: «لو أن الناس إذا ابتلوا من قبل سلطانهم صبروا ما لبثوا أن يفرج عنهم، ولكنهم يفزعون إلى السيف فيوكلون إليه، فوالله ما جاءوا بيوم خير قط»(١).

قال شيخ الإسلام: «كان من العلم والعدل المأمور به الصبر على ظلم الأئمة وجورهم، كما هو من أصول أهل السنة والجماعة»(٢).

هذا هو منهج أهل السنة والجماعة، وهو الصبر على جور الأئمة، وعدم الخروج عليهم؛ لما في ذلك من الفساد الكبير، والجرم العظيم من سفك الدماء بغير حق وتفرق الأمة، وحصول الفوضى، والزعزعة، وعدم الأمن في الديار. فهذا التابعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقدم نصيحة لكل من تسول له نفسه بالخروج فعليه الصبر والمصابرة.

المبحث السابع
عدم الخروج على ولاة الأمور

إن الخروج على ولاة الأمور لا يجوز إلا بشرطين:

الأول: أن يروا منهم كفراً بواحاً عندهم فيه من الله برهان.

ثانياً: أن تتوافر لديهم القدرة على التغيير دون ضرر للعامة(٣).

---

(١) الطبقات/ ابن سعد ٧/ ١٦٤ - ١٦٥.

(٢) الفتاوي الكبرى: ٢٨/ ١٧٩.

(٣) ذكرها الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب - مراجعات في فقه الواقع السياسي الفكري ص١٥.

إذا لم يتوفر هذان الشرطان فلا يجوز الخروج قطعياً.

التعريف بالشرطين:

أمّا الكفر البواح فقال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «معنى قوله بواحًا: يريد: ظاهراً باديًا، من قولهم: باح بالشيء يبوح به بوحًا وبواحًا؛ إذا أذاعه وأظهره»(١).

عندكم من الله فيه برهان: «أي: نص آية أو خبر لا يحتمل التأويل، ومقتضاه لا يجوز الخروج عليهم ما دام فعلهم يحتمل التأويل»(٢).

أمّا إذا انعدمت القدرة وهي: توفر الجيش والمال والاستطاعة على القتال دون أن يحصل من ذلك القتال فساد وشر أكبر منه وذلك؛ لأن القاعدة الشرعية تقول: «إنه لا يجوز إزالة الشر بما هو أشر منه، بل يجب درء الشر بما يزيله أو يخففه»(٣).

فالخروج على ولاة الأمور يسبب فساداً كبيراً وشراً عظيمًا، فيختل به الأمن، وتضيع الحقوق، ولا يتيسر ردع الظالم ولا نصر المظلوم، وتختل السبل ولا تؤمن، مما يترتب عليه من الفساد العظيم والشر الكبير.

أما مصالح المسلمين العامة: فهي حفظ الأمن، وسلامة المسلمين من شر أكبر.

---

(١) فتح الباري ١٣/ ١٠.

(٢) المصدر السابق.

(٣) مراجعات في فقه الواقع السياسي والفكري ص١٦.

الأدلة على عدم الخروج على ولاة الأمور:

وردت أدلة في كتاب الله وفي سنة رسوله ﷺ تحث على السمع والطاعة لولي الأمر، وقد تقدمت هذه الأدلة في المباحث السابقة، وفي الوقت نفسه وردت أدلة تنهى عن الخروج عليهم ما لم يحدثوا كفراً بواحاً فيه من الله برهان، ومن هذه الأدلة:

١ - عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثره علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان»(١).

قال النووي: ومعنى الحديث: «لا تنازعوا ولاة الأمور في ولايتهم ولا تعترضوا عليهم، إلا أن تروا منهم منكراً محققاً تعلمونه من قواعد الإسلام، فإذا رأيتم ذلك فأنكروه عليهم وقولوا بالحق حيث ما كنتم، وأمّا الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين، وإن كانوا فسقة ظالمين، وقد تظاهرت الأحاديث بمعنى ما ذكرته وأجمع أهل السنة أنه لا ينعزل السلطان بالفسق...»(٢).

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومقتضاه أنه لا يجوز الخروج عليهم ما دام

---

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب الفتن - باب قول ﷺ «سترون بعدي أموراً تنكرونها»، برقم (٧٠٥٦) فتح الباري ١٣/ ٧.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ١٢/ ٢٢٩.

فعلهم يحتمل التأويل»[١].

٢- عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ «إِنَّهُ يُسْتَعْمَلُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ، فَمَنْ كَرِهَ فَقَدْ بَرِئَ، وَمَنْ أَنْكَرَ فَقَدْ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ». قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ أَلاَ نُقَاتِلُهُمْ؟ قَالَ: «لاَ، مَا صَلَّوْا»، أَيْ مَنْ كَرِهَ بِقَلْبِهِ وَأَنْكَرَ بِقَلْبِهِ»[٢].

قال النووي: «إنه لا يجوز الخروج على الخلفاء بمجرد الفسق أو الظلم ما لم يغيروا شيئًا من قواعد الإسلام»[٣].

٣- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عُمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً فَقُتِلَ فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا وَلاَ يَتَحَاشى مِنْ مُؤْمِنِهَا وَلاَ يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ»[٤].

٤- عن عوف بن مالك الأشجعي قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول:

---

(١) فتح الباري ١٣/ ١٠.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإمارة/ باب وُجُوبِ الإِنْكَارِ عَلَى الأُمَرَاءِ فِيمَا يُخَالِفُ الشَّرْعَ وَتَرْكِ قِتَالِهِمْ مَا صَلَّوْا وَنَحْوِ ذَلِكَ./ رقم (٤٩٠٧) ٦/ ٢٣، وشرح النووي ١٢/ ٢٤٣.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ١٢/ ٢٤٣، ٢٤٤.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه/ كتاب الإمارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين/ رقم (٤٨٩٢) ٦/ ٢٠، شرح النووي ١٢/ ٢٣٨.

من ولّي عليه والٍ فرآه يأتي شيئاً من معصية الله، فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزعنّ يداً من طاعة»[١].

٥- قال رسول الله ﷺ: «من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه»[٢].

هذه بعض الأحاديث التي وردت في النهي عن الخروج على الأئمة ما لم يُحدثوا كفراً بواحاً فيه من الله برهان، وهنالك أحاديث أخرى لم يتسع المقام لذكرها، كما جاءت أحاديث في ذم طائفة الخوارج وأنهم يخرجون في هذه الأمة وأنهم شرار الخلق والخليقة، وقد خرجوا في زمن الصحابة رضي الله عنهم وقاتلهم علي رضي الله عنه في النهروان، وما نجا منهم إلا ما يقارب العشرة فانتشروا في بعض البلدان الإسلامية كعمان وشمال أفريقيا عدا مصر، وما زالت بعض الطوائف المخالفة للكتاب والسنة تتأثر بهذا المنهج.

أنواع الخروج:

من أنواع الخروج ما يلي:

النوع الأول: الخروج بالسيف، وهو قتال ولي الأمر؛ وذلك لعدم رضاهم بحكمه، وهذا مما حصل في قتال الخوارج لعلي رضي الله عنه، وذلك

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإمارة باب خيار الأئمة وشرارهم: شرح النووي ١٢/ ٢٤٥.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإمارة باب حكم من فرق أمر المسلمين... شرح النووي ١٢/ ٢٤٢.

عندما انحازوا إلى النهروان وأخذوا يقتلون بعض أصحاب وأمراء علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على بعض المناطق، فقاتلهم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقد وردت أحاديث في النهي عن الخروج كما سبق بيانه.

النوع الثاني: الخروج باللسان، وهذا قد يكون أشد من الأول؛ لأنه عمل خفي غير ظاهر للإمام، وهؤلاء يسمون في العصور الأولى بالقعدية؛ أي: أنهم يحثون الناس على قتال السلطان والخروج عليه، وهم قاعدون في بيوتهم، وقد يحصل ذلك بالتشهير وذكر عيوب الأئمة على المنابر وغيرها.

ويدخل فيها قول بعضهم؛ إنه ليست عليه بيعة لأحد من أئمة المسلمين، وذلك لوجود بعض المعاصي التي يعملها الإمام، وهذا خلاف منهج أهل السنة والجماعة؛ لأنهم كانوا يبايعون من تولى أمر المسلمين ولو حصل منه بعض الفسق والظلم، ولا يرون الخروج عليه ما لم يحدث كفراً بواحاً فيه من الله برهان.

وإليك بعض مواقف السلف رحمهم الله مع الأمراء:

موقف عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عندما أراد أهل المدينة خلع يزيد بن معاوية رَحِمَهُ اللَّهُ:

عن نافع رحمه الله تعالى قال: لما خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية جمع عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حشمه وولده فقال: «إني سمعت النبي ﷺ يقول: "يُنصب لكل غادر لواء يوم القيامة"، وإنّا قد بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله، وإني لا أعلم غدراً أعظم من أن يبايع رجل على بيع الله ورسوله ثم ينصب له القتال، وإني لا أعلم أحداً منكم خلعه ولا بايع في هذا الأمر: إلا

كانت الفيصلَ بيني وبينه»[١].

قال ابن حجر: «في هذا الحديث وجوب طاعة الإمام الذي انعقدت له البيعة، والمنع من الخروج عليه ولو جار في حكمه، وأنه لا ينخلع بالفسق»[٢].

هذا الحديث فيه رد على كل من أراد الخروج على الإمام، وإن كان جائراً أو فاسقًا، وإنكار الصحابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تفسيرٌ للأحاديث الواردة في النهي عن ذلك وتطبيقٌ لما جاء به الرسول ﷺ، فالواجب اتباع هؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم.

ومن التابعين موقف الحسن البصري عندما أرادوا الخروج على الحجاج:

ذكر بن سعد في الطبقات: «أن جماعة من المسلمين جاؤوا إلى الحسن البصري يستفتونه في الخروج على الحجاج، فقالوا: يا أبا سعيد ما تقول في قتال هذا الطاغية الذي سفك الدم الحرام وأخذ المال الحرام... وفعل وفعل، فقال الحسن: أرى ألا تقاتلوه، فإنها إن تك من الله فما أنتم برادّي عقوبة الله بأسيافكم، وإن يكن بلاء فاصبروا حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين، وخرجوا من عند الحسن ولم يوافقوه، فخرجوا على الحجاج

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الفتن باب: إذا قال عند قوم شيئًا ثم خرج فقال خلافه. رقم الحديث «٧١١١».

(٢) فتح الباري ١٣/ ٧٧.

فقُتلوا جميعـًا»[١]. وقد تقدم قوله أيضـًا في باب الصبر على جور الأئمة.

هذا هو موقف أهل السنة والجماعة مع أولياء الأمور، فانظر ماذا حصل لهؤلاء عندما خالفوا المنهج الصحيح.

ومن سلف هذه الأمة موقف الإمام أحمد بن حنبل عندما أرادوا الخروج على الواثق:

عن حنبل[٢] قال: اجتمع فقهاء بغداد إلى أبي عبد الله في خلافة الواثق فقالوا: يا أبا عبد الله إن هذا الأمر قد فشا وتفاقم -يعنون إظهاره لخلق القرآن وغير ذلك- فقال لهم أبو عبد الله: فما تريدون؟ قالوا نشاورك في أنا لسنا نرضى بإمرته وسلطانه، فناظرهم ساعة، وقال لهم عليكم بالنكرة بقلوبكم ولا تخلعوا يداً من طاعة، ولا تسفكوا دماءكم ودماء المسلمين، انظروا آخر عاقبة أمركم واصبروا حتى يستريح بر، أو يستراح من فاجر... ثم مضوا... ثم قال الإمام أحمد هذا خلاف الآثار التي أُمرنا فيها بالصبر...»[٣].

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ١٦٣ - ١٦٤.

(٢) هو حنبل بن إسحاق بن حنبل، ابن عم الإمام أحمد، وكان أحد الرواة عن الإمام أحمد. قال عنه الخطيب: كان ثقة ثبتـًا، مات سنة ٢٧٣هـ. انظر: طبقات الحنابلة:١/ ١٤٣، شذرات الذهب: ٣/ ٣٠٧.

(٣) السنة لأبي بكر الخلال: برقم (٩٠) جـ١/ ١٣٣ – ١٣٤.

الخـاتمة

الحمد لله أولاً وآخرًا، والشكر له ظاهراً وباطنًا، والصلاة والسلام على الهادي البشير والسراج المنير محمد بن عبد الله وآله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، فبعد إتمام هذا البحث -وهو بتوفيق من الله ﷻ- نصل إلى ختامه، وفي ختامه نجمل أهم نتائجه وأبرزها في النقاط التالية:

١ – المقصود بالسنة: الهدي الذي كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه، علمًا واعتقاداً، وقولاً وعملاً، وهي السنة التي يجب اتباعها، ويحمد أهلها، ويذم من خالفها، وتطلق السنة على سنن العبادات والاعتقادات، كما تطلق على ما يقابل البدعة.

٢ – أهل السنة هم الذين تمسكوا بما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه في الأصول كلها.

٣ – مفهوم الجماعة يؤول عند التحقيق إلى معنيين، يكمل كل منهما الآخر.

المعنى الأول: أنها ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته رضي الله عنهم، من الاعتقاد والقول والعمل، مما لا يسوغ لأحد من المسلمين أن يخالفه.

والمعنى الثاني: أنها الاجتماع على خليفة شرعي، وطاعته بالمعروف، وحرمة منازعته الأمر، ما لم يُر منه الكفر البواح.

٤ -أهل السنة والجماعة هم المتمسكون بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ،

وبما كان عليه الصدر الأول من الصحابة والتابعين، وأئمة المسلمين في قديم الدهر وحديثه.

٥ – لزوم الجماعة من أصول الدين المتفق عليها، ولا يخالفها إلا جاهل أو معاند، وقد ذكرنا من الأدلة ما يبين ذلك ويجليه لكل ذي لب.

٦– وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة، وأنهما شيء واحد لا يجوز التفريق بينهما، ولا الأخذ بأحدهما دون الآخر وليس بينهما تعارض، فالسنة مبيّنة للكتاب وموضحة له؛ لأن السنة وحي كذلك مثل الكتاب، وقد ورد فيها أحكام لم ترد في الكتاب فيجب اتّباعها والأخذ بها.

٧– الإمامة رياسة تامة، وزعامة عامة، تتعلق بالخاصة والعامة في مهمات الدين والدنيا، لحفظ الحوزة ورعاية الرعية، وإقامة الدعوة بالحجة والسيف.

٨– أجمع عامة المسلمين على وجوب نصب إمام للأمة يقيم لهم أحكام شرع الله، ولم يخالف هذا الإجماع إلا النجدات من الخوارج والأصم من المعتزلة.

٩– اتفق العلماء على أن البيعة تنعقد لولي الأمر بأحد الأمور التالية: اتفاق أهل الحل والعقد على بيعته، وأن يعهد إليه الخليفة قبله.

١٠ – مذهب أهل السنة والجماعة أن من تغلب على الناس بسيفه وانتزع الخلافة بالقوة واستتب له الأمر ودان له الناس فبيعته تنعقد ولا يجوز الخروج عليه، وقد نص بعض العلماء على الإجماع في ذلك، وقد خالف هذا المذهب الخوارج والمعتزلة.

١١ – الإمامة من أعلى المراتب في الدولة الإسلامية، ومن الطبيعي أنه لا

بد لهذه المرتبة من شروط معينة، يحسن اتباعها عند اختيار الإمام، وقد نص العلماء على بعضها، مثل أن يكون نسبه من قريش، وأن يكون ذكراً، عاقلاً، بالغًا، حراً، عدلاً، ذا خبرة ورأي حصيف بأمر الحرب وتدبير الجيوش.

١٢ - إن حمل الإمامة ثقيل، وواجباتها كبيرة لا يستطيع القيام بها على الوجه الأكمل إلا أولو العزم من الرجال، ومن أهم الواجبات: حفظ الدين على الأصول التي أجمع عليها سلف الأمة، تنفيذ الأحكام الشرعية، حماية بيضة المسلمين، إقامة الحدود لتصان محارم الله عن الانتهاك وتحفظ حقوق العباد.

١٣ - للولاة حقوقٌ على الرعية، ومن أهم حقوقهم على وجه الإجمال: السمع والطاعة، والنصيحة والنصرة، والجهاد معهم، والدعاء لهم، والصبر على جورهم، وعدم الخروج عليهم. وقد فصلنا ذلك بالأدلة من الكتاب والسنة مع ذكر أقوال الأئمة من أهل السنة والجماعة.

هذه أبرز نتائج البحث، وأسأل الله العلي العظيم أن يجعل عملنا لوجهه خالصًا، وأن ييسر أمرنا ويختم بالصالحات أعمالنا، ولا أدعي أنني أعطيت الموضوع حقه، ولكن هذا جهد مقل، فما كان من صواب فمن الله ﷻ، وله الحمد والشكر، وما كان من تقصير فمن نفسي والشيطان، واستغفر الله، وعلى كل من وجد تقصيراً في هذا البحث مناصحتي، وله الشكر والتقدير.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع

١. الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية، ابن بطة، تحقيق د. رضا نعسان وجماعة، دار الراية، ط٢.

٢. آداب الحسن البصري، لابن الجوزي، تحقيق: سليمان الحرش، دار الصديق، ط١.

٣. الأحكام السلطانية، الماوردي، ت: د. أحمد مبارك البغدادي، دار ابن قتيبة، الكويت ط١.

٤. الأحكام السلطانية، القاضي أبو يعلى، ت: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية.

٥. أحكام القرآن، ابن العربي، ت: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية.

٦. الآداب الشرعية، ابن مفلح، ت: شعيب الأرنؤوط، عمر القيام، مؤسسة الرسالة ط٢.

٧. أضواء البيان، الشنقيطي، ت: صلاح الدين العلايلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط١.

٨. الاعتصام، الشاطبي، ت: أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٩. الإمامة العظمي، د. عبد الله الدميجي، دار طيبة، الرياض.

١٠. البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ت: عادل عبد الموجود، وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت.

١١. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ابن سعدي، عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١.

١٢. البداية والنهاية، ابن كثير، ت: عادل عبد الموجود، وعلي معوض، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة.

١٣. بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخبار، ابن سعدي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ط٤.

١٤. تفسير البيضاوى (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، ت: محمد المرعشلي، دار إحياء التراث - بيروت.

١٥. تفسير القرآن الكريم، ابن كثير، دار الريان للتراث، دار الحديث، القاهرة ط١.

١٦. تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر.

١٧. تقريب التهذيب، ابن حجر، ت: محمد عوامة، دار الرشيد سوريا.

١٨. تلبيس إبليس، ابن الجوزي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ط٣.

١٩. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، مؤسسة الرسالة، ط١.

٢٠. جامع العلوم والحكم، ابن رجب، دار المعرفة – بيروت ط١.

٢١. الجامع الفريد (يحتوى على كتب ورسائل لأئمة الدعوة)، الرسالة الثالثة عشرة، طبع بتمويل شركة الجميح ط٥.

٢٢. الحجة في بيان المحجة، قوام السنة الاصبهاني، تحقيق د. محمد بن ربيع، دار الراية.

٢٣. حليه الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصفهاني، دار الكتب العلمية بيروت.

٢٤. الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم.

٢٥. ديوان الإمام الشافعي، محمد بن إدريس الشافعي، ت: د. عمر الطباع، دار الأرقم، بيروت.

٢٦. سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام، الصنعاني، دار المعرفة بيروت.

٢٧. السنة، لابن أبي عاصم، معه ظلال الجنة في تخريج السنة، الألباني، المكتب الإسلامي ط٣.

٢٨. السنة لأبي بكر الخلال، تحقيق د. عطية الزهراني، دار الراية، ط١

٢٩. السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، د. مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي.

٣٠. السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، الشوكاني، ت: محمود زايد، دار الكتب العلمية بيروت ط١.

٣١. السيرة النبوية، ابن هشام، ت: عمر عبد السلام تدمري، دار الريان للتراث ط١.

٣٢. صفة الصفوة، ابن الجوزي، تحقيق: محمود فاخوري - د. محمد رواس قلعه جي، دار المعرفة – بيروت.

٣٣.شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرناؤوط، دار بن كثير، دمشق سنة النشر ١٤٠٦هـ.

٣٤. شرح السنة، البربهاري، ت: خالد الردادي، دار السلف، دار العصيمي ط٣.

٣٥. شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، ت: الألباني، المكتب الإسلامي، ط٩.

٣٦. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، اللالكائي، ت: د. أحمد الغامدي، دار طيبة، ط٤.

٣٧. شرح السنة، إسماعيل بن يحيى المزني، ت: جمال عزون.

٣٨. شرح مقدمة ابن أبي زيد القيرواني في العقيدة، الأمين الحاج محمد أحمد، دار المطبوعات الحديثة، السعودية – جدة.

٣٩. الشريعة، الآجرى، ت: محمد حامد الفقي، دار السلام الرياض ط١.

٤٠.شعب الإيمان، البيهقى، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت.

٤١.سير أعلام النبلاء، الذهبي، مؤسسة الرسالة.

٤٢.طبقات الحنابلة، القاضي أبي يعلى، دار المعرفة بيروت.

٤٣.طبقات الفقهاء، الشيرازي، إحسان عباس، دار الرائد العربي بيروت.

٤٤.الطبقات الكبرى، لابن سعد، دار صادر، بيروت.

٤٥.عقيدة السلف وأصحاب الحديث، الصابوني، ت: عبد الرحمن

الشميري، مكتبة الإمام الوادعي، اليمن، ط١.

٤٦.علماء نجد خلال ستة قرون، عبد الله البسام،دار العاصمة.

٤٧.غياث الأمم، الجويني، تحقيق د. فؤاد عبد المنعم، د. مصطفى حلمي، دار الدعوة، الاسكندرية.

٤٨.الفتاوى السعدية، ابن سعدي، مكتبة المعارف الرياض، الطبعة الأولى.

٤٩.فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن الحجر، دار المعرفة – بيروت.

٥٠.فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الشوكاني، ت: سعيد اللحام، دار الفكر.

٥١.الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، دار الجيل.

٥٢.القاموس المحيط، الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة ط٢.

٥٣.لسان العرب، ابن منظور، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٥٤.مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي، دار الكتب العلمية.

٥٥.مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع عبد الرحمن ابن قاسم.

٥٦.محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، ت: محمد فؤاد عبد الباقي.

٥٧.المحرر الوجيز، ابن عطية، ت: عبد الله الأنصاري، دار الفكر العربي.

٥٨.مختار الصحاح، محمد ابن أبي بكر الرازي، دار المعاجم في مكتبة لبنان.

٥٩.مختصر صحيح مسلم، المنذري، لجنة إحياء السنة، أسيوط.

٦٠.مراجعات في فقه الواقع السياسي والفكري، عبد الله بن محمد

الرفاعي، دار الفتح - الشارقة، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

٦١. مسند الإمام أحمد، دار إحياء التراث، بيروت.

٦٢. معالم السنن للخطابي في حاشية سنن أبي داود، ت: عزت عبيد الدعاس، دار الحديث حمص.

٦٣. معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة، د. عبد السلام بن برجس، مكتبة الرشد.

٦٤. مفهوم أهل السنة والجماعة، ناصر العقل.

٦٥. المغني على مختصر الخرقي، ابن قدامة، ت: عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية بيروت.

٦٦. مقدمة ابن خلدون، ت: عبد السلام الشدادي، الدار البيضاء ط١.

٦٧. الموافقات في أصول الشريعة، للشاطبي، ت: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

٦٨. نصيحة مهمة في ثلاثة قضايا، لعلماء نجد.

٦٩. النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، ت: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، دار الباز.

فهرس الموضوعات

ملخص البحث ٢٢٥
المقدمة ٢٢٩
الفصل الأول: تعريفات وقواعد لأهل السنة والجماعة ٢٣٤
المبحث الأول: تعريف أهل السنة والجماعة ٢٣٤
المطلب الأول: تعريف السنة في اللغة والاصطلاح ٢٣٤
المطلب الثاني: التعريف بأهل السنة ٢٣٧
المطلب الثالث: تعريف الجماعة ٢٣٨
المطلب الرابع: مفهوم أهل السنة والجماعة ٢٤٢
المبحث الثاني: الحث على لزوم الجماعة والنهي عن الفرقة ٢٤٣
المبحث الثالث: الاعتصام بالكتاب والسنة ٢٤٧
الفصل الثاني: مكانة الإمامة في الإسلام ٢٥١
المبحث الأول: تعريف الإمامة ٢٥١
المبحث الثاني: حكم الإمامة ٢٥٥
المبحث الثالث: منزلة الإمامة في الإسلام ٢٥٩
المبحث الرابع: طرق البيعة لولي الأمر ٢٦١
الفصل الثالث: ضوابط الإمامة في الإسلام ٢٦٤
المبحث الأول: شروط الإمام ٢٦٤
المبحث الثاني: واجبات الإمام ٢٦٦
الفصل الرابع: حقوق الإمام على الرعية ٢٧٠

تمهيد ٢٧٠
المبحث الأول: السمع والطاعة ٢٧٢
المبحث الثاني: النصيحة لولاة الأمور ٢٨٤
المطلب الأول: تعريف النصيحة ٢٨٤
المطلب الثاني: الأدلة على النصيحة لولاة الأمور ٢٨٤
المطلب الثالث: كيفية النصيحة لولاة الأمور ٢٩١
المبحث الثالث: النصرة والجهاد ٢٩٦
المبحث الرابع: الدعاء لهم بالصلاح ٢٩٨
المبحث الخامس: الصلاة خلفهم ٣٠١
المبحث السادس: الصبر على جور الأئمة ٣٠٤
المبحث السابع: عدم الخروج على ولاة الأمور ٣٠٧
الخاتمة ٣١٥
فهرس المصادر والمراجع ٣١٨
فهرس الموضوعات ٣٢٤

القحطاني
وخروجه آخر الزمان

د. سعد بن عبدالله الماجد

أكاديمي سعودي، أستاذ مساعد بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض

ملخص البحث

جاءت أحاديث ثابتة عن النبي ﷺ في خروج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه، وقد اختلف العلماء رحمهم الله في تعيين هذا الرجل؛ فقيل: رجل لا يعلم اسمه، وقيل: هو الجهجاه، أو شعيب بن صالح، أو ذو السويقتين الحبشي، والراجح: أنه مجهول الاسم معلوم النسب، وأنه من قحطان.

كذلك اختلف العلماء في المراد بسَوقه للناس، وزمن خروجه.

وكان معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد أنكر تملّك رجل من قحطان وخروج الخلافة والإمامة من قريش! وقد بيَّن العلماء سببَ ذلك بما يشفي، وقد وجد في أزمنة مختلفة من يدعي أنه القحطاني، أو من ينسبه أتباعه إلى أنه القحطاني الذي جاء ذكره في الأحاديث والآثار، وكلُّ ذلك لا يُسلَّم به ولا يصدّق، بل شواهد الحال تكذبه، إلا أنه سيخرج رجل من قحطان يسوق الناس في آخر الزمان، كما صحّت بذلك الأحاديث والآثار والله أعلم.

د. سعد بن عبدالله الماجد

samajed3@gmail.com

Al-Qahtani and his Appearance in the End of Time

Dr. Sa'd bin Abdullah al-Majid

Saudi Academic, Assistant Professor in the Department of Creed and Contemporary Schools of Thought, Faculty of Theology in Imam Muhammed bin Saud Islamic University

Abstract

Authentic ahadith has been narrated from the Prophet (may Allah exalt his mention and send peace to him) that there will appear a man from the Qahtan tribe that will steer people with his stick. The scholars differed amongst themselves when they tried to specify who this man is. It was said that he is a man with an unknown name. Others said that his name is al-Jahjah, or Shu'ayb bin Salih, or Dhus-Suwayqatayn al-Habashi. The most correct opinion is that his name is unknown but his descent is known, which is that he's from the Qahtan tribe.

The scholars also differed what's meant that he will steer people with his stick and the time when he will appear.

Mu'awiyah used to deny that a person from the Qahtan tribe will be a ruler and that the caliphate and the imamate will ever leave the Quraysh tribe! The scholars explained this issue in a sufficient way!

It appeared people that claimed that they were al-Qahtani or that their followers ascribed it to them in different epochs. These claims can't be accepted nor confirmed and the evidences shows that it's false. But there will be a person from the Qahtan tribe in the end of time that will steer people with his stick, just as it has been narrated in authentic ahadith and athar and Allah knows best.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله ﷺ.

أمَّا بعد، فإنَّه لما كانت هذه الأمة آخر الأمم، ونبيها ﷺ آخر الأنبياء والرسل؛ فقد أخبر بما يكون بين يدي السَّاعة من الفتن والملاحم وأشراط القيامة؛ وكان مما أخبر ﷺ: «خروج رجل من قحطان آخر الزمان يسوق الناس بعصاه».

وقد كثرت الأحاديث والآثار في ذلك، واهتم العلماء من لدن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ومن جاء بعدهم بروايتها، وشراح الحديث بدراستها، وبيان معانيها؛ للتعرف على صفات هذا الرجل المخبر عنه وزمنه.

ووقع من بعض الناس في القديم والحديث دعوى عريضة بانتحاله وأنَّه القحطاني المخبر به، أوادَّعاها لغيره، فنزَّل هذه الأحاديث والآثار على الواقع؛ فأخطأ السبيل القويم.

- **أهمية الموضوع وأسباب اختياره:**

١-أنَّ خروج القحطاني من علامات الساعة الصغرى التي أخبر عنها النبي ﷺ، والتي هي من دلائل نبوته.

٢- اهتمام العلماء والباحثين قديماً وحديثاً بأحاديث أشراط الساعة

ودراستها، ومنها خروج القحطاني؛ لصلته بالإيمان باليوم الآخر.

٣- محاولة بعض الناس في القديم والحديث تنزيل هذه النصوص على واقعه، وأنه القحطاني الذي جاءت بخبره الأحاديث والآثار.

- **أهداف دراسة الموضوع**

١- ذكر الأحاديث الصحيحة الواردة في خروج القحطاني على النَّاس.

٢- بيان حقيقة هذا الرجل وزمن خروجه.

٣- بيان وكشف حال من ادَّعى أنَّه القحطاني المذكور في الأحاديث والآثار.

- **الدراسات السابقة:**

١- (أحاديث القحطاني مع شرحها)، للدكتور محمد بازمول[١]، وهو منشور في موقع جامعة أم القرى (مكة المكرمة).

و هو ليس بحثًا وإنما نقل شرح الحافظ ابن حجر على ثلاثة أحاديث رواها البخاري في صحيحه.

٢- (الأحاديث الواردة في خبر القحطاني وخروجه آخر الزمان: جمع ودراسة) لفيصل بن سعيد الصاعدي.

و ليس بحثًا أكاديميًا ولا محكّمًا، ولا مطبوعًا، وإنما دراسة حديثية مختصرة جداً في ١٨ صفحة منشورة على شبكة الإنترنت.

في حين أن بحثي سيكون في دراسة:

---

(١) http://uqu.edu.sa/page/ar/101273

الأدلة الثابتة في خروج القحطاني واسمه، وزمن خروجه، وصفة حكمه، وإنكار معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لملك القحطاني، وسببه؟ وموقف سائر العلماء من خروج القحطاني، وأخيراً: مَنْ ادَّعى أنَّه القحطاني المخبر بخروجه.

- **خطة البحث**

وفيها مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة. وهي تفصيلاً :

المقدمة، وفيها:

- التوطئة للموضوع.
- أهمية الموضوع وأسباب اختياره.
- أهداف دراسة الموضوع.
- الدراسات السابقة.
- خطة البحث.
- منهج البحث.

التمهيد، وفيه :التعريف بقحطان.

المبحث الأول:الأدلة على خروج القحطاني.

المبحث الثاني: موقف العلماء من الأحاديث والآثار الدالة على خروج القحطاني، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: موقف معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أحاديث خروج القحطاني.

المطلب الثاني: موقف سائر العلماء من أحاديث خروج القحطاني.

المبحث الثالث: اسم القحطاني وزمن خروجه، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: اسم القحطاني الذي يخرج على الناس.

المطلب الثاني: زمن خروج القحطاني وصفة حكمه.

المبحث الرابع: مَنْ ادَّعى أنَّه القحطاني المخبر بخروجه.

الخاتمة، وفيها أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس. وفيه فهرسان، وهما:

١ – فهرس المصادر والمراجع.

٢ – فهرس الموضوعات.

- **منهج البحث:**

أ- اتبعت في بحث الموضوع المنهج الاستقرائي والتحليلي والنقدي.

ب- أخذت في الكتابة والدراسة بالأمور الآتية:

١- عزوت الآيات القرآنية إلى مواضعها في كتاب الله، بذكر السورة ورقم الآية.

٢- خرَّجت الأحاديث والآثار الواردة في هذا البحث من كتب السنة وغيرها، فما وجدته في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت به، وما لم أجده حاولت تخريجه من كتب السنة الأخرى.

٣- لا أعتمد في البحث إلا على ما ثبت من الأحاديث والآثار.

٤- بيَّنت الحكم على الأحاديث والآثار بالنقل عن العلماء والباحثين، وما لم أجده نبهت عليه.

٥- ترجمت للأعلام غير المشهورين غالبًا.

٦- بينت معاني الغريب في الأحاديث وغيرها.

٧- عملت في آخر البحث فهرساً للمصادر والمراجع، وآخر للموضوعات.

هذا وأسأل الله التوفيق والسداد.

التمهيد

التعريف بقحطان

قحطان: شعب عربي يماني، نسبه **هشام الكَلْبِيّ**[١] **(ت ٢٠٤هـ)** فقال:

«قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح، ويقال قحطان بن الهَمَيْسع بن تَيْمن بن نَبْت بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ»[٢].

وقيل قحطان: هو ولد هود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كَانَ هود أول من تكلَّم بالعربية.

وَولد لهود أَرْبَعَة: قحطان ومقحط وقاحط وفالغ، فَهُوَ أَبُو مُضر، وقحطان أَبُو الْيمن، وَالْبَاقُونَ لَيْسَ لَهُم نسل»[٣].

وأبو هودٍ أول من تكلم بالعربية وهو شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح.

---

(١) هو: هشام بن محمد بن السائب بن بشر بن عمرو الكلبي، الكوفي، أبو المنذر، نسابة، أخباري. توفي سنة ٢٠٤هـ، وقيل ٢٠٦هـ. ينظر: ميزان الاعتدال، للذهبي (٤/ ٣٠٤)، لسان الميزان، لابن حجر (٨/ ٣٣٨)، وتاريخ بغداد، لأبي بكر أحمد بن علي البغدادي (١٦/ ٦٨).

(٢) نسب معد واليمن الكبير، لهشام بن محمد الكلبي (١/ ١٣١). ينظر: المعارف، لابن قتيبة (ص٦٢)، والإنباه على قبائل الرواة، لابن عبدالبر (ص ٢٦).

(٣) ذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق (٧٤/ ٨١) وجلال الدين السيوطي في الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٦/ ٤٤٥) عن ابن عباس، وأبو المحسن اليغموري في القبس المختصر من المقبس (ص ٣٥٠) عن وهب بن منبه مع اختلاف يسير ودون إسناد.

وردَّ هذا القول **ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٤٥٦هـ)** فقال: «قيل: من ولد هود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ وهذا باطل أيضاً بيقين قول الله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [الأعراف: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ۝٨﴾ [الحاقة: ٦-٨].

وهود، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، من عاد، ولا ترى باقية لعاد»[(١)].

ولعل الأصح في نسب قحطان ما بينه **الحافظ ابن حجر (ت٨٥٢هـ)** بقوله: «الأكثر أنَّه ابن عابر بن شالخ بن أرفشخذ بن سام بن نوح »[(٢)].

---

(١) جمهرة أنساب العرب، لعلي بن أحمد بن حزم (ص ٧-٨).

(٢) المصدر السابق (٦/ ٥٣٧).

المبحث الأول
الأدلة على خروج القحطاني

قد جاءت أحاديث وآثار في خروج رجل من قحطان على الناس؛ إلا أن أصحها حديثان، وهما:

١-عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قَحطان، يسوق الناس بعصاه»(١).

٢-عن الزهري رَحِمَهُ اللَّهُ، قال: كان محمد(٢) بن جبير بن مطعم يُحدِّث أنَّه بَلغَ معاوية -وهو عنده في وفد من قريش-: «أنَّ عبد الله بن عمرو بن العاص يحدِّث أنه سيكون ملك من قحطان، فغضب معاوية، فقام فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: أمَّا بعد، فإنَّه بلغني أنَّ رجالاً منكم يتحدثون أحاديث ليست في كتاب الله، ولا تُؤثر عن رسول الله ﷺ، فأولئك جهالكم، فإياكم والأماني التي تضل أهلها، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحدٌ؛ إلا كبه الله على وجهه، ما أقاموا الدين»(٣).

هذا أصح ما جاء في خبر خروج القحطاني على الناس وسوقه لهم.

وهي من علامات الساعة والتي تقع قبل يوم القيامة والتي يجب الإيمان بها.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٥١٧) (ص٧٢٢)، رقم الحديث (٧١١٧)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٩١٠) (ص١٢٦٠) واللفظ لهما.

(٢) محمد بن جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل القرشي، أبو سعيد المدني، من تابعي أهل المدينة، ثقة قليل الحديث، توفي في خلافة عمر بن عبدالعزيز. ينظر: الكاشف، للذهبي (٢/ ١٦١)، وتهذيب التهذيب، لابن حجر (٥/ ٥١٤).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٣٥٠٠) (ص٧١٩)، رقم الحديث (٧١٤٠) (١٤٩٧).

المبحث الثاني
موقف العلماء من الأحاديث والآثار الدالة على خروج القحطاني

المطلب الأول
موقف معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أحاديث خروج القحطاني

أنكر معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما نُقلَ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا من أنَّه سيكون مَلِكٌ من قحطان.

حيث روى الزهري رَحِمَهُ اللَّهُ حيث قال: كان محمد بن جبير بن مطعم يُحدِّث أنَّه بَلغ معاوية -وهو عنده في وفد من قريش-: «أن عبد الله بن عمرو بن العاص يحدث أنه سيكون ملك من قحطان، فغضب معاوية! فقام فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: أمَّا بعد، فإنه بلغني أنَّ رجالاً منكم يتحدثون أحاديث ليست في كتاب الله، ولا تُؤثر عن رسول الله ﷺ.

فأولئك جهالكم، فإياكم والأماني التي تضل أهلها، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول «إنَّ هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد، إلا كبه الله على وجهه، ما أقاموا الدين».

وقد تكلَّم بعض العلماء على سبب هذا الإنكار، ومنه:

١- التفريق بين الملك والخلافة، وأنَّ هذا الملك لا يحصل إلا في آخر الزمان وقرب قيام الساعة.

قال المهلب[١] بن أحمد بن أبي صفرة رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٤٣٥هـ):

«وأمَّا حديث عبد الله بن عمرو أنَّه سيكون ملك من قحطان؛ فيحتمل أن يكون مَلِكًا غير خليفة على الناس من غير رضا به، وإنما أنكر ذلك معاوية لئلا يظن أحدٌ أن الخلافة تجوز في غير قريش.

ولو كان عند أحد في ذلك علم من النبي ﷺ لأخبر به معاوية حين خطب بإنكار ذلك عليهم.

وقد روي في الحديث أن ذلك إنما يكون عند ظهور أشراط الساعة وتغيير الدين، روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه».

فقوله: «لا تقوم الساعة» يدل أنَّ ذلك من أشراط القيامة ومما لا يجوز.

ولذلك ترجم البخاري بهذا الحديث في كتاب الفتن في باب تغير الزمان حتى تعبد الأوثان، وفهم منه هذا المعنى»[٢].

٢-أنَّ حصول الملك والأمر لغير قريش لا يكون إلا إذا لم يقم بأمر الله.

---

(١) هو المهلب بن أحمد بن أسيد بن أبي صفرة أبو القاسم التميمي، فقيه محدث، وله شرح على: (صحيح البخاري)، و شرح على : (الموطأ). توفي في سنة ٤٣٥هـ. ينظر: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، لأحمد بن يحيى الضبي (ص٤٧١)، وسير أعلام النبلاء، للذهبي (١٧/ ٥٧٩).

(٢) شرح صحيح البخاري، لابن بطال (٨/ ٢١٢).

قال ابن التين[١] رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «الذي أنكره معاوية في حديثه ما يقويه، لقوله: «ما أقاموا الدين» فربما كان فيهم من لا يقيمه فيتسلط القحطاني عليه! وهو كلام مستقيم.

قوله: «فإنه بلغني أن رجالاً منكم يحدثون أحاديث ليست في كتاب الله ولا تؤثر أي تنقل عن رسول الله ﷺ».

في هذا الكلام أن معاوية كان يراعي خاطر عمرو بن العاص! فما آثر أن ينص على تسمية ولده بل نسب ذلك إلى رجال بطريق الإبهام!

ومراده بذلك : (عبد الله بن عمرو) ومن وقع منه التحديث بما يضاهي ذلك.

وقوله: «ليست في كتاب الله» أي: القرآن، وهو كذلك فليس فيه تنصيص على أن شخصاً بعينه أو بوصفه يتولى الملك في هذه الأمة المحمدية.

وقوله: «لا يؤثر» فيه تقوية؛ لأن عبد الله بن عمرو لم يرفع الحديث المذكور، إذ لو رفعه لم يتم نفي معاوية أن ذلك لا يؤثر عن رسول الله ﷺ.

ولعل أبا هريرة لم يُحدِّث بالحديث المذكور حينئذ، فإنه كان يتوقّى مثل ذلك كثيراً؟! وإنما يقع منه التحديث به في حالة دون حالة وحيث يأمن

---

(١) هو محمد بن عبد الواحد السفاقسي المغربي الْمُحدث المالكي المعروف بابن التين شارح البخاري.ولا تعرف سنة وفاته، إضافة إلى قلة من ترجم له. ينظر: الإصابة، لابن حجر (ص١٥٤٧)، وكشف الظنون، لحاجي خليفة (١/ ٥٤٦)، وهدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل البغدادي (١/ ٦٣٥).

الإنكار عليه.

ويحتمل أن يكون مراد معاوية غير عبد الله بن عمرو؟! فلا يكون ذلك نصاً على أن عبد الله بن عمرو لم يرفعه.

قوله: «وأولئك جهالكم» أي: الذين يتحدثون بأمور من أمور الغيب لا يستندون فيها إلى الكتاب ولا السنة.

قوله: «فإياكم والأماني»...ومناسبة ذكر ذلك تحذير من يسمع من القحطانيين، من التمسك بالخبر المذكور فتحدثه نفسه أن يكون هو القحطاني!! وقد تكون له قوة وعشيرة فيطمع في الملك، ويستند إلى هذا الحديث فيضل لمخالفته الحكم الشرعي في: «أن الأئمة من قريش»[(١)»[(١)].

---

(١) هذا حديث له روايات عدة، ومنها: ما رواه أحمد في مسنده (٢/ ٢٤٩)، ورقم الحديث (١٢٨٩٩)، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كنا في بيت رجل من الأنصار، فجاء رسول الله ﷺ، حتى وقف فأخذ، بعضادتي الباب»، فقال: «الأئمة من قريش، ولهم عليكم حق ولكم مثل ذلك، ما إذا استرحموا رحموا، وإذا حكموا عدلوا، وإذا عاهدوا وفوا، فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله، والملائكة، والناس أجمعين». وأخرجه ابن أبي عاصم النبيل، في السنة، تحقيق: الألباني (٢/ ٥٣١)، ورقم الحديث (٥٣١)، عن أنس بن مالك، والبزار في مسنده (١٢/ ٣٢١)، ورقم الحديث (٦١٨١)، عن أنس، وأبو يعلى الموصلي في معجمه (ص١٤٥)، ورقم الحديث (١٥٨)، عن أنس، والطبراني في معجمه الأوسط (٦/ ٣٥٧)، ورقم الحديث (٦٦١٠)، وفي معجمه الكبير (١/ ٢٥٢)، ورقم الحديث (٧٢٥)، عن أنس، والنسائي في سننه الكبرى (٥/ ٤٠٥)، ورقم الحديث (٥٩٠٩٩)، عن أنس. والحديث صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/ ٥٣٤)، ورقم الحديث (٢٧٥١). ويتفق معه ما رواه مسلم في صحيحه (ص ٨١٦)، رقم الحديث (١٨٢١): عن جابر بن سمرة، قال: دخلت مع أبي على النبي ﷺ، فسمعته =

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨٥٢هـ):

«قد مضى في الفتن قريباً من حديث أبي هريرة [يعني ما رواه البخاري] مرفوعاً: «لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه» أورده في: «باب تغيير الزمان حتى تعبد الأوثان»، وفي ذلك إشارة إلى أن ملك القحطاني يقع في آخر الزمان عند قبض أهل الإيمان ورجوع كثير ممن يبقى بعدهم إلى عبادة الأوثان، وهم المعبر عنهم بشرار الناس الذين تقوم عليهم الساعة كما تقدم تقريره هناك، وذكرت له هناك شاهدًا من حديث ابن عمر، فإن كان حديث عبد الله بن عمرو -مرفوعاً- موافقاً لحديث أبي هريرة فلا معنى لإنكاره أصلاً، وإن كان لم يرفعه وكان فيه قدر زائد يشعر بأن خروج القحطاني يكون في أوائل الإسلام فمعاوية معذور في إنكار ذلك عليه، وقد ذكرت نبذة من أخبار القحطاني في شرح حديث أبي هريرة في الفتن... »[٢].

وقال القسطلاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٩٢٣هـ): «خروج هذا القحطاني إنما يكون إذا لم تُقِم قريشٌ الدِّين فَيُدال عليهم في آخر الزمان»[٣].

٣-والجمع بين حديث عبد الله بن عمرو وحديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في

=

يقول: «إن هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة»، قال: ثم تكلم بكلام خفي علي، قال: فقلت لأبي: ما قال؟ قال: «كلهم من قريش».

(١) فتح الباري (١٣/ ١١٥-١١٦).

(٢) فتح الباري (١٣/ ١١٥-١١٦).

(٣) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٦/ ٦).

سوق رجل من قحطان للناس هو بيّنه القسطلاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٩٢٣هـ) بقوله: «ولا تناقض بين الحديثين؛ لأن خروج هذا القحطاني إنما يكون إذا لم تقم قريش الدين فَيُدالُ عليهم في آخر الزمان. واستحقاق قريش الخلافة لا يمنع وجودها في غيرهم، فحديث عبد الله في خروج القحطاني حكاية عن الواقع، وحديث معاوية في الاستحقاق وهو مُقيَّد بإقامة الدين، ومن ثم لما استخف الخلفاء بأمر الدين ضعف أمرهم وتلاشت أحوالهم حتى لم يبق لهم من الخلافة سوى اسمها المجرد في بعض الأقطار دون أكثرها»[١].

وقال الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت ١٣٩٣هـ):

«واعلم أنَّ قول عبد الله بن عمرو بن العاص الذي أنكره عليه معاوية في الحديث المذكور: إنَّه سيكون ملك من قحطان إذا كان عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا يعني به: القحطاني الذي صحت الرواية بملكه، فلا وجه لإنكاره؛ لثبوت أمره في الصحيح، من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه». أخرجه البخاري في «كتاب الفتن» في: «باب تغير الزمان حتى يعبدوا الأوثان»، وفي: «كتاب المناقب» في: «باب ذكر قحطان»، وأخرجه مسلم في: «كتاب الفتن وأشراط الساعة» في: «باب لا تقوم السَّاعَة حتَّى يَمُرَّ الرَّجُل بقبر الرَّجُلِ، فيتمنَّى أن يَكون مكان الْميِّت من البلاء»..»[٢].

(١) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، لأبي العباس أحمد بن محمد القسطلاني (٦/ ٦).

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشيخ محمد الأمين الشنقيطي (١/ ٢٦).

الخلاصة:

إنَّ إنكار معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لحديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لثلاثة أسَبَاب، وهي:

١-أنَّ عبد الله بن عمرو ذُكر عنه خبر: «ملك رجل من قحطان»، ولم يرفعه للنبي ﷺ، وحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يبلغه.

٢-أنَّ الخلافة لا تكون في غير قريش.

٣-منع أهل الأماني والطموحات -قحطان وغيرها- من طلب المُلك والخروج على حكم قريش وخلافتها على المسلمين.

المطلب الثاني
موقف سائر العلماء من أحاديث خروج القحطاني

لقد اهتمَّ العلماء بمسألة خروج رجل من قحطان أخر الزمان، خاصة وأنَّه قد دَلَّت عليه أحاديث عن النبي ﷺ كما تقدَّم ذكره.

وقد بَوَّبَ الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ (٢٥٦هـ) فقال: «باب ذكر قحطان»، وذكر حديث: «لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه»[١]. وأورده الإمام مسلم في: «كتاب الفتن وأشراط الساعة»[٢].

---

(١) صحيح البخاري (ص٧٢٢).

(٢) صحيح مسلم (ص١٢٦٠).

وروى نُعيم بن حماد الخزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٢٢٩هـ) في كتابه: (الفتن)[١] روايات عدة تحت عنوان: «ما يكون بحمص في ولاية القحطاني وبين قضاعة واليمن بعد المهدي»[٢]. ثم ساق الآثار في ذلك وهي ضعيفة الأسانيد.

وبوَّب أبو عمرو الداني (ت٤٤٤هـ) في كتابه فقال: «باب ما جاء في القحطاني»[٣]، ثم ساق الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما.

وما ذكرته عن اهتمام العلماء بأحاديث خروج القحطاني إنما هو على سبيل المثال وليس على الحصر.

وخروج رجل من قحطان هو من أشراط الساعة:

قال ابن بطال رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٤٤٩هـ) في شرحه لحديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الذي فيه خروج القحطاني: «يدل أن ذلك من أشراط القيامة ومما لا يجوز،

---

(١) نعيم بن حماد ضعيف في الرواية. قال ابن عدي: «قد أثنى عليه قوم، وضعَّفه قوم، وكان ممن يتصلب في السنة، ومات في محنة القرآن في الحبس»، تهذيب التهذيب (٦/ ٥٧١)، قال يحيى بن معين رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن نعيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ليس في الحديث بشيء، ولكنه صاحب سنة». سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٠٥) وقال أبو الفتح الأزدي: «وأمَّا نُعيم فقد ثبت عدالته وصدقه، ولكن في حديثه أوهام معروفة». تهذيب التهذيب (٦/ ٥٧١)، وقال الحافظ الذهبي فيه: «أحد الأئمة الأعلام على لين في حديثه». ميزان الاعتدال في نقد الرجال (٥/ ٢٩).

(٢) الفتن، لنعيم بن حماد (١/ ٤١١).

(٣) السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها، لأبي عمرو الداني (٥/ ١٠١٥).

ولذلك ترجم البخاري بهذا الحديث في كتاب الفتن في: «باب تغير الزمان حتى تعبد الأوثان»، وفهم منه هذا المعنى»[١].

كما أنَّ هذا الخبر الذي ذكره ﷺ علامة على نبوته، ولهذ **قال الحافظ ابن حجر (ت٨٥٢هـ)**: «هذا الحديث يدخل في علامات النبوة من جملة ما أخبر به ﷺ قبل وقوعه ولم يقع بعد»[٢].

وعلى ذلك فاهتمام العلماء بأحاديث خروج القحطاني لأسباب عدة، منها:

- أنه جاءت فيه أحاديث وآثار.
- أنه من أشراط الساعة التي يجب الإيمان بها.
- أنه لا يكون إلا في زمن الفتن وتغير الزمان.
- أنه من دلائل نبوته ﷺ.

---

(١) شرح صحيح البخاري، لابن بطال (٨/ ٢١٢). وعن سبب ذكر الإمام البخاري هذا الحديث يقول ابن بطال: «فإن قال قائل: فما وجه ذكر حديث القحطانى الذى يسوق الناس بعصاه فى هذا الباب؟ قال المهلب: وجه ذلك أنه إذا قام رجل من قحطان ليس من فخذ النبوة ولا من رهط الشرف الذين جعل الله فيهم الخلافة فذلك من أكبر تغير الزمان وتبديل أحكام الإسلام أن يدعي الخلافة، وأن يطاع في الدين من ليس أهل ذلك». شرح صحيح البخاري، لابن بطال (١٠/ ٦٠).

(٢) فتح الباري (٦/ ٥٤٦).

المبحث الثالث

اسم القحطاني وزمن خروجه

المطلب الأول

اسم القحطاني الذي يخرج على الناس

اختلف العلماء في اسم القحطاني على خمسة أقوال، وهي:

۞ **القول الأول: أنّ هذا الرجل لا يعرف اسمه.**

لأنه لم يذكر في الأحاديث والآثار، إلا أنَّ نسبه في قحطان.

قال الحافظ ابن حجر (ت٨٥٢هـ): «لم أقف على اسمه »[(١)].

وقال بدر الدين العيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت ٨٥٥هـ): «لم يُدرَ اسمه عند الأكثرين»[(٢)].

۞ **القول الثاني: أنّ اسمه الجهجاه.**

وهو قول لبعض العلماء وأنَّه هو: الذي ذكره النبي ﷺ، كما جاء عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «لا تذهب الأيام والليالي، حتى يملك رجل يقال

---

(١) فتح الباري (٦/ ٥٤٥).

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين العيني (١٦/ ٨٧)، وينظر: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للقسطلاني (٦/ ١٤)، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن(١/ ٢٦).

له الجهجاه»[١].

وفي رواية: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يذهب الليل والنهار حتى يملك رجل من الموالي يقال له: جهجاه»[٢].

لكن هؤلاء العلماء لم يجزموا بذلك، بل قالوا به على وجه الظن.

قال أبو العباس القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٦٥٦هـ): «هذا الرجل القحطاني، هو الذي يقال له الجهجاه»[٣].

وقال أبو عبد الله القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٦٧١هـ): «لعل هذا الرجل القحطاني هو الرجل الذي يقال له الجهجاه»[٤].

وقال الحافظ ابن حجر (ت٨٥٢هـ): «قيل اسمه جهجاه»[٥].

وهو هنا ينقل كلام بعض العلماء، وإلا فقوله هو أنَّه لم يقف للقحطاني على اسم كما تقدَّم.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، رقم الحديث (٢٩١١) (ص١٢٦٠).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، رقم الحديث (٨٣٦٤) (١٤/ ١٠٠)، والترمذي في سننه، رقم الحديث (٢٢٢٨) (ص ٥١١)، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب». وصححه الألباني في كتابه صحيح سنن الترمذي، رقم الحديث (٢٢٢٨) (٢/ ٤٨٧)، وفي صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/ ١٢٧١).

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، لأبي العباس القرطبي (٧/ ٢٠٣).

(٤) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، لأبي عبدالله القرطبي(١/ ١٢٣٥).

(٥) فتح الباري (١/ ٢٩٨).

وقال الملا علي قاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٠١٤هـ): «قيل: لعل الرجل القحطاني هو الذي يقال له: جهجاه»[١].

وقال الدكتور: عمر بن سليمان الأشقر رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٤٣٣هـ):

«الجهجاه رجل من قحطان سيصير إليه الملك، وهو شديد القوة والبطش، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه» رواه البخاري ومسلم، وفي رواية لمسلم: «لا تذهب الأيام والليالي، حتى يملك رجل يقال له: الجهجاه»»[٢].

ومع ذلك لم يقطع بهذا القول؛ ولذا قال بعده :«يحتمل أن يكون هذا الذي في الرواية الأخيرة غير الأول، فقد صح في سنن الترمذي عن أبي هريرة أنَّ هذا الجهجاه من الموالي...»[٣].

وذكر هذا القول الدكتور: مصطفى البُغا، عند تعليقه على الحديث: على صيغة لا تدل على ترجيحه فقال: «"رجل" قيل اسمه جهجاه. "قحطان": قبيلة من قبائل العرب المشهورة»[٤].

وقد ردَّ الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨٥٢هـ)على هذا الرأي، فقال: «ويردُّ هذا الاحتمال إطلاق كونه من قحطان، فظاهره أنَّه من الأحرار،

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لملا علي قاري الهروي (٨/ ٣٤٠٩).

(٢) القيامة الصغرى، للدكتور: عمر الأشقر (ص٢٠٣).

(٣) المرجع السابق.

(٤) صحيح البخاري، ضبطه ورقمه الدكتور: مصطفى البغا (٣/ ١٢٩٦).

وتقييده في جهجاه بأنَّه من الموالي ما تقدَّم أنَّه يكون بعد المهدي وعلى سيرته وأنه ليس دونه»[١].

وكذلك جاء عن السفاريني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١١٨٨هـ) ما يدل على أنَّه يُفرِقُ بين القحطاني والجهجاه[٢].

إضافة إلى محمد بن عبد الرسول[٣] البرزنجي(ت١١٠٣هـ) في: (الإشاعة لأشراط الساعة)[٤]، **وصديق حسن القنوجي (ت١٣٠٧هـ)** في: (الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة)[٥].

قلت: لعل هذا القحطاني ليس هو الجهجاه؛ فإنَّ القحطاني من الأحرار.

لأنَّ نسبه إلى قحطان الذي تنتهي أنساب أهل اليمن إليه، وأمَّا الجهجاه فهو من الموالي كما صحت بذلك الروايات.

۞ القول الثالث: أنّه: ذو السويقتين الحبشي.

وهو **قول للإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ** (ت٧٧٤هـ) حيث قال عن القحطاني: «قد يكون..هو ذو السويقتين، ويحتمل أن يكون غيره؛ فإنَّ هذا من قحطان،

---

(١) فتح الباري (١٣/ ٧٨).

(٢) لوامع الأنوار البهية (٢/ ١٢٧) ولم يستدل على قوله.

(٣) التعبيد لغير الله تعالى لا يجوز لا عبد الرسول ولا عبد النبي؛ وقد أجمع العلماء على أنه لا يجوز التعبيد لغير الله سبحانه وتعالى. وذلك لما فيه من الغلو في الرسول ﷺ وإعطائه حقًا من حقوق الله عز وجل؛ وهو العبودية. ينظر: فتاوى اللجنة الدائمة (١٠/ ٥١٠).

(٤) (ص ٢٣٩).

(٥) (ص ٢٤٩).

وذاك من الحبشة...»[١]، أو أنَّ الجهجاه هو: «اسم ذي السويقتين الحبشي. والله أعلم»[٢]. وهو قول لم يقل به أحد قبله ولم يستدل له. والله أعلم.

❁ **القول الرابع: أنّه: الجهجاه بن قيس.**

قال القسطلاني (ت٩٢٣هـ): «قيل اسمه جهجاه بن قيس الغفاري»[٣].

ولم ينسبه لأحد أو يستدل له، وتابعه: **صديق حسن القنوجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٣٠٧هـ)** في: (عون الباري لحلِّ أدلة البخاري)[٤].

ولعل هذا وهم من قائله أو ناقله، فإنَّ الجهجاه بن قيس الغفاري[٥]، هو صحابي جليل، من صحابة رسول الله ﷺ، وقد توفي بعد مقتل عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بوقت يسير، ولم يكن له خلافة ولا ملك، وغفار الذين ينسب إليهم الجهجاه بن قيس من عدنان وليست من قحطان[٦]!

(١) البداية والنهاية، لابن كثير (١٩/ ٢٤٤).

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (١٩/ ٢٤٤-٢٤٥)، والنهاية في الملاحم والفتن، لابن كثير (١/ ٢٠٦).

(٣) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للقسطلاني (٦/ ٦).

(٤) (٤/ ١٩٠).

(٥) في الاستيعاب، لابن عبدالبر(ص١٢٩) اسمه: «جهجاه بن مسعود، ويقال: ابن سعيد بن سعد بن حرام بن غفار».توفي بعد عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بوقت يسير. وقال الحافظ ابن حجر في الإصابة (ص٢٠٦): «جهجاه بن سعيد، وقيل ابن قيس، وقيل مسعود الغفاري، شهد بيعة الرضوان بالحديبية».

(٦) ينظر: جمهرة أنساب العرب، لابن حزم (١/ ١٨٥)، والإنباه على قبائل الرواة، لا بن عبدالبر (ص ٥٢).

❁ **القول الخامس: أنه: شعيب بن صالح**[١].

وذكره الحافظ ابن حجر(٨٥٢هـ): في (فتح الباري)[٢] ولم ينسبه لأحد من العلماء.

وَيُرِدُّ عليه بقول **السفاريني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١١٨٨هـ)**:

«هذا لا يلتئم أن يكون هو شعيب بن صالح التميمي؛ لأنَّ بني تميم ليسوا من اليمن ولا من قحطان وإن وافقه في تلقيبه بالمنصور»[٣].

وهذا صحيح فضلاً عن كون الأثر لا يصح.

وبنو تميم ينسبون إلى تميم بن مر بن إد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. فليسوا من قحطان[٤].

❁ **الترجيح:**

١- أنَّه رجل من قحطان، وليس هو الجهجاه؛ لأن الجهجاه جاء الحديث في تعيين اسمه وحال نسبه وأنَّهُ من الموالي.

٢- أنَّه ليس ذا السويقتين؛ لأنه رجل من الحبشة لم يدل دليل على ملكه

---

(١) ينظر: الفتن، لنعيم بن حماد، رقم الحديث (٨٩٤) (١/ ٣١٠). ونعيم ضعَّفه العلماء.

(٢) ينظر: (١٣/ ٧٨)، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١/ ٢٦).

(٣) لوامع الأنوار البهية (٢/ ١٢٧). إضافة إلى ضعف الرويات التي ورد فيها اسم: شعيب بن صالح. ينظر: الفتن، لنعيم بن حماد في الفتن، رقم الحديث (٨٩٤)، (١/ ٣١٠) تحقيق: مجدي الشوري.

(٤) ينظر: جمهرة أنساب العرب، لابن حزم (ص ٤٨٠).

للناس وللمسلمين، بخلاف القحطاني والجهجاه.

إضافة إلى أنَّ ذا السويقتين والحبشة أداة هدم ودمار لقبلة المسلمين ومحلِّ عزتهم وأسِّ اجتماعهم، وقد روى أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «يبايع لرجل ما بين الركن والمقام، ولن يستحل البيت إلا أهله، فإذا استحلوه فلا يسأل عن هلكة العرب، ثم تأتي الحبشة فيخربونه خراباً لا يعمر بعده أبداً، وهم الذين يستخرجون كنزه»(١).

٣- أنَّ القحطاني ليس هو شعيب بن صالح، لأنَّه مولى لبني تميم، وليست تميم من قحطان. إضافة إلى ضعف أسانيد الروايات التي ورد فيها.

٤- ولعل هذا القحطاني مِنْ حِمْيَر(٢)، ودليل هذا ما روي عن ذي مخمر(٣)، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «كان هذا الأمر في حمير، فنزعه الله عز

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١٣/ ٢٨٩)، ورقم الحديث (٧٩١٠) واللفظ له، وأخرجه ابن أبي شيبة، في مصنفه (٧/ ٤٦٢)، ورقم الحديث (٣٧٢٤٤) عن أبي هريرة، والحاكم في المستدرك (٤/ ٤٩٩)، ورقم الحديث (٨٣٩٥) عن أبي هريرة، و أبو داود الطيالسي في مسنده (٤/ ١٢٧)،رقم الحديث (٢٤٩٤) عن أبي هريرة، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٢٩٨): «في الصحيح بعضه.رواه أحمد، ورجاله ثقات». وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ١٢٢): «هذا إسناد صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير سعيد بن سمعان وهو ثقة».

(٢) هو: حِمْيَر بن سَبَأَ بنِ يَشْجُبَ بنِ يَعْرُبَ بنِ قَحْطَانَ. ينظر: جمهرة أنساب العرب (ص ٤٨٥).

(٣) ذو مخمر الحبشي- ويقال: ذو مخبر- ابن أخي النجاشي، وفد على النبي ﷺ وخدمه. ثم نزل الشام.ينظر: الاستيعاب (ص ٢٢٠)، والإصابة (ص٣٨٤).

وجل منهم، فجعله في قريش» وس ي ع ود إ ل ي هـ م»، وكذا كان في كتاب أبي[١] مقطَّعا، وحيث حدثنا به تكلم على الاستواء[٢][٣].

٥-لا يلزم في شهرة نسبه عند الناس أن يلقب بالقحطاني؛ بل قد يعرف بنسبه لفخذ أو قبيلة مآلها إلى قحطان. والله أعلم.

المطلب الثاني

زمن خروج القحطاني وصفة حكمه

بالنظر إلى الأحاديث والآثار التي وردت في القحطاني نجد إفادتها بزمن خروج القحطاني وصفة حكمه وهي:

أ -زمن خروج القحطاني.

قد جاء في الأحاديث والآثار ما يفيد أنَّ خروج القحطاني في آخر الزمان.

---

(١) القائل: هو عبدالله بن الإمام أحمد.

(٢) يعني بأنه قال: وسيعود إليهم.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٢٨/ ٣٤)، رقم الحديث (١٦٨٢٧) واللفظ له. وأخرجه ابن أبي عاصم، السنة (٢/ ٥٢٨)، رقم الحديث (١١١٥)،عن ذي مخبر. والطبراني في معجمه الكبير (٤/ ٢٣٤)، رقم الحديث (٤٢٢٧)، عن ذي مخبر. وليس عند ابن أبي عاصم والطبراني قوله: «وسيعود إليهم». وذكره ابن كثير في جامع المسانيد والسُّنَن الهادي لأقوم سَنَن (٢/ ٦٧٦)، والحافظ ابن حجر في إتحاف المهرة (٤/ ٤٦٤)، رقم الحديث (٤٥٢٤)، والمتقي الهندي في كنز العمال (٦/ ٤٩)، رقم الحديث (١٤٧٩٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد(٥/ ١٩٣): «رواه أحمد، والطبراني باختصار الحروف، ورجالهم ثقات.». وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (١٣/ ١١٦): «سنده جيد وهو شاهد قوي»، وصححه الألباني، في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٢/ ٨٢٤)، رقم الحديث (٤٤٦٣).

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «لا تقوم الساعة، حتى يخرج رجل من قَحطان» الحديث. وهو أصح ما ورد في خروج القحطاني.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ (٨٥٢هـ): «أورده [الإمام البخاري] في "باب تغيير الزمان حتى تعبد الأوثان"[(١)] وفي ذلك إشارة إلى أن ملك القحطاني يقع في آخر الزمان عند قبض أهل الإيمان ورجوع كثير ممن يبقى بعدهم إلى عبادة الأوثان، وهم المعبر عنهم بشرار الناس الذين تقوم عليهم الساعة»[(٢)].

وقال بدر الدين العيني رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٨٥٥هـ): «إن سوق رجل من قحطان الناس بعصاه إنما يكون في تغيير الزمان وتبديل أحوال الإسلام، لأن هذا الرجل ليس من رهط الشرف الذين جعل الله فيهم الخلافة، ولا من فخذ النبوة»[(٣)].

ب - صفة حكم القحطاني للناس.

جاء في الأحاديث والآثار إشارة إلى نوع حكمه وسياسته مع رعيته، وهي:

١ -أنَّه مَلِك وليس بخليفة، وهذه وردت صريحة في حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أنَّه سيكون ملك من قحطان»، ورواه الطبراني من حديث ذي مخمر الحبشي مرفوعًا: «كان الملك قبل قريش في حمير وسيعود

---

(١) في صحيحه (ص١٤٩٣)، وذكره الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيحه (ص١٢٥٩)، تحت عنوان: «بَابُ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ، فَيَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ مَكَانَ الْمَيِّتِ مِنَ الْبَلَاءِ».

(٢) فتح الباري (١٣/ ١١٥).

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٤/ ٢١٢).

إليهم»[١].

علمًا أنَّ خلافة وحكم من جاء بعد الخلفاء الراشدين؛ إنما هو التسمي باسم الخلافة، وإلا فهو سلطان وملك. وتأمل ذلك في سير القوم وتاريخهم[٢].

٢-أنَّ القحطاني وصف بأنَّه يسوق الناس.

كما جاء في رواية: «يسوق الناس بعصاه».

وهذه الرواية تدل على نوع حكم القحطاني وسياسته مع رعيته.

وقد تنوَّعت أقوال العلماء في بيان معنى سوق القحطاني الناس -الذين هم رعيته- كما ثبت ذلك في الروايات.

وسأنقل بعض ما كتبه العلماء عن معاني سوق القحطاني للناس:

١- سوق القحطاني للناس بالعصا هو بمعنى المُلك.

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٥٩٧هـ): «إنَّما ضرب العصا مثلاً. والمعنى أنَّ النَّاس ينقادون وله ويطيعونه كما ينقاد المسوق بالعصا، ومثل هذا: «ولا ترفع عصاك عن أهلك»؛ أي: لا تترك حملهم على الانقياد والتزام الطاعة، ولم يرد العصا التي يضرب بها»[٣].

وقال أبو العباس القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ت٦٥٦هـ): «أي يملكهم ويتصرف

(١) تقدم تخريجه.

(٢) ينظر في كتب التاريخ والسير.

(٣) كشف المشكل من حديث الصحيحين، لابن الجوزي (٣/ ٤١٠).

فيهم كما يتصرف الراعي في الماشية»[١].

وقال الطيبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٧٤٣هـ): «وسوق الناس بعصاه عبارة عن تسخير الناس واسترعائهم كسوق الراعي الغنم بعصاه»[٢].

وقال ابن الملقن رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت ٨٠٤٠هـ): «وقوله: «بعصاه» على المبالغة وأنه يعطى النصر»[٣].

وقال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٨٥٢هـ): «قوله: «يسوق الناس بعصاه»: هو كناية عن الملك، شَبّهَهُ بالراعي وشبَّه الناس بالغنم. ونكتة التشبيه: التصرف الذي يملكه الراعي في الغنم وهذا الحديث يدخل في علامات النبوة من جملة ما أخبر به ﷺ قبل وقوعه ولم يقع بعد»[٤].

٢- تولي القحطاني للحكم على الناس مع خشونته على رعيته وعدم لينه معهم.

قال ابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت ٦٠٦هـ): «لم يُرد العصا نفسها، وإنما ضربها مثلاً لطاعتهم، واستيلائه عليهم، إلا أنَّ في ذِكرها دليلاً على ذلك، وعلى خشونته عليهم وعسفه بهم»[٥].

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، لأبي العباس القرطبي (٧/ ٢٠٣).

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن)، لشرف الدين الطيبي (١١/ ٣٤٢٣).

(٣) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، لابن الملقن عمر بن علي الشافعي (٢٠/ ٦٥).

(٤) فتح الباري (٦/ ٥٤٦).

(٥) جامع الأصول في أحاديث الرسول، لابن الأثير(١٠/ ٣٩٥).

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٦٧١هـ): «قوله: «يسوق الناس بعصاه» كناية عن استقامة الناس وانعقادهم إليه، واتفاقهم عليه، ولم يُرد نفس العصا، وإنما ضرب بها مثلاً لطاعتهم له، واستيلائه عليهم، إلا أن في ذكرها دليلاً على خشونته عليهم وعنفه بهم.. »[١].

وقال بدر الدين العيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٨٥٥هـ): «قوله: «يسوق الناس بعصاه» كناية عن تسخير الناس واسترعائهم كسوق الراعي الغنم بعصاه»[٢].

وقال ملا علي قاري (ت١٠١٤هـ): «هذا عبارة عن تسخير الناس واسترعائهم، كسوق الراعي غنمه بعصاه..»[٣].

وقال الدكتور: عمر الأشقر رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٤٣٣هـ): «والمراد بكونه «يسوق الناس بعصاه»: أنَّه يغلب الناس فينقادون له ويطيعونه. والتعبير بالسوق بالعصا للدلالة على غلظته وشدته..».[٤].

فكل ما سبق ذكره من أقوال هؤلاء العلماء متقارب ويدل على ملك القحطاني وحكمه للناس، وأنَّ فيه نوعًا من الخشونة مع الرعية بخلاف اللين والمراعاة لهم فيما يشتهون أو يميلون إليه. والله أعلم.

---

(١) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص ١٢٣٥).

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدرالدين العيني (١٦/ ٨٧).

(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لملا علي قاري الهروي (٨/ ٣٤٠٩).

(٤) القيامة الصغرى (ص٢٠٣).

المبحث الرابع

من ادّعى أنّه القحطاني المخبر بخروج

لقد ادَّعى بعض الناس بأنه هو (القحطاني) الذي جاء خبره في الأحاديث والآثار، كما زعمه آخرون لبعض من اعتقدوه. وقد وقع هذا في الزمن القديم والحديث.

وقد تتبعت ذلك في كتب التاريخ والسير. فوجدت منهم:

١-**عبدالرحمن بن الأشعث (ت٨٣هـ)**، الذي كان قائداً للحجاج بن يوسف- أمير العراق للخليفة عبدالملك بن مروان- وقد خرج عليه ونابذه بالسيف، وقد رُوي عن سبب فتنة ابن الأشعث؛ أنَّ الحجاج كان يبغضه، وكان يَفهمُ ذلك ويُضمر له السوء وزوال الملك عنه، فلما كاشفه الحجاج بهذا وشتمه ببعض ما يكره في مراسلاته؛ غضب ابن الأشعث وخرج عليه وخلع عبدالملك بن مروان وجمع الجموع ودعا القراء والعبَّاد وغيرهم إلى مقاتلة الحجاج بن يوسف والخروج على عبد الملك بن مروان فأجابه خلق من الناس وأقبل إلى العراق، وغلب على ما وراء دجلة ونفى أمراء ونوائب الحجاج.

-وقد ذكر صاحب كتاب (البدء والتاريخ) : أنَّ ابن الأشعث: «تسمَّى القحطاني وكتب إلى النواحي من عبد الرحمن ناصر أمير المؤمنين، وخطب

الناس فقال: ألا إني قد خلعت أبا ذبان[١] -عبد الملك بن مروان -[٢] «فقيل له: إنّ اسم القحطانيّ على ثلاثة أحرف[٣] فقال اسمي عبد وليس الرحمن»[٤].

وقد قاتله الحجاج وصابر على قتاله حتى انهزم هو وفلوله، فلجأ إلى مَلِك التُرك فغدر به! بعد أنَّ تَوَّعده الحجاج، وأمره بتسليم ابن الأشعث له.

عند ذلك قتله! وقيل: بل مرض مرضاً شديداً فقتله في آخر الرمق، والأشهر أنَّه ألقى بنفسه وهو مقيد برجل موكل به، من فوق سطح قصر؛ فماتا جميعاً!![٥]

---

(١) يعني عبدالملك بن مروان، وكان أبخرَ ؛ ولهذا كان يكنى :أبا ذبَّان ؛لشدة بخره- ويراد أن الذبَّان تسقط إذا قاربت فاه، من شدة رائحة فمه. المعارف، لابن قتيبة (ص٣٢٣).

(٢) البدء والتاريخ، للمقدسي (٦/ ٣٥).

(٣) لم أجد حديثاً أو أثراً بهذا اللفظ.

(٤) البدء والتاريخ، للمقدسي (٢/ ١٨٤). فادَّعى لنفسه بأنه هو القحطاني الذي ذكره النبي ﷺ،؛ وهذا ما لم أجده في كتب التاريخ المتقدمة والمتأخرة، مثل: تاريخ، خليفة بن خياط، والأخبار الطوال لأبي حنيفة الدنيوري، وتاريخ اليعقوبي، تاريخ الطبري، والمنتظم لابن الجوزي، والكامل لابن الأثير، ومروج الذهب للمسعودي، وتاريخ أبي الفداء، وتاريخ ابن خلدون والله أعلم.

(٥) ينظر: تاريخ خليفة بن خياط (ص١٧٦)، والأخبار الطوال، لأبي حنيفة أحمد بن داود الدينوري (ص ٤٦٢)، و٣/ ٦٢٩)، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لابن الجوزي (٦/ ٢٤٤)، والكامل في التاريخ، لابن الأثير (ص٦٣٢)، والبداية والنهاية، لابن كثير (١٢/ ٣٥٤).

٢- عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر (ت٣٩٩هـ).

-ثالث أمراء الدولة العامرية، والتي استبدت بحكم دولة بني أمية في الأندلس باسم الحجابة لهشام المؤيد[١] بن الحكم الأموي، وكان يلقب بـ(شنجول)، وهو لقب كانت أمه تدعوه به في صغره؛ تذكراً منها لأبيها (سانشو غرسيه) (*Sanche*) (ملك نافارا)[٢] الذي أهدى ابنته للمنصور بن أبي عامر، وقد تولى الحكم بعد هلاك أخيه عبدالملك،وقد قام بالأمر بعده وتلقب بالناصر لدين الله، وقيل: بالمأمون، وجرى على سَنَنِ[٣] أبيه وأخيه

(١) هو: هشام المؤيد بالله بن المستنصر. صاحب الأندلس، بايعوه صبيًا، فقام بتشييد الدولة الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر، فكان من رجال الدهر رأيًا، وحزمًا، ودهاءً، وشجاعةً. ولم يزل المؤيد بالله هشام غائبًا عن الناس لا يظهر ولا ينفذ أمراً، واستمر هذا حاله في حجابة عبدالملك بن المنصور، وبعدهما انخرم النظام، وشرع الفساد.ينظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٢٣).

(٢) نافارا (*NAVARRE*) منطقة تمتد على طرفي جبال (البيرينيه)، وقسم منها يدخل في الأراضي الفرنسية ويسمى نافار السفلى، وقسم آخر يدخل في الأراضي الإسبانية ويسمى نافار العليا، وتعرف منطقة (نافار) باسم منطقة (الباسك)، وقد أطلق العرب على اسم أهلها اسم (البشكنس) وبنبلونة *pampelona*عاصمة مملكة (نافارا *navara*) الإسبانية التي تشرف على ممرات جبال (البيرينية) المؤدية إلى جنوب فرنسا. وكانت فترته تحت الحكم الإسلامي. ونظراً لموقعها الإستراتيجي حرص حكام الأندلس على التحالف مع ملوكها والتزوج من بناتهم فتحها العرب ولم يمكثوا فيها إلا بضع عشرة سنة.ينظر: تعريف ب/ الأعلام الواردة في البداية والنهاية لابن كثير (١/ ٣٣٦، ٢/ ٣٥٦).

(٣) سَنَن: طريقة. ينظر: مختار الصحاح، للرازي (ص١٨١).

في الحجر على الخليفة هشام، والاستبداد عليه والاستقلال بالملك دونه.

ثمّ ثَابَ[١] له رأي في الاستئثار بما بقي من رسوم الخلافة، فطلب من هشام المؤيد أن يوليه عهده، فأجابه، وقيل دسَّ إلى المؤيد هشام بن الحكم من خوّفه منه حتى ولاّه عهده! وكان غير مرضي السيرة، فأطبق الخاصة والعامة على بغضه وإضمار السوء له. وذلك سنة (٣٩٨هـ)[٢].

وكان قد رأى نفسه أنَّه هو القحطاني المخبر عنه عندما حدثته نفسه بطلب ولاية العهد، وقد استفتى بذلك فقهاء قرطبة وعلماءها، فَحسَّنوا له ذلك محتجين بقوله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه».

وبما أنَّ عبد الرحمن بن أبي عامر كان معافريًا قحطانيًا فقد قالوا عسى أن يكون هو المعني بقول المصطفى ﷺ.

وكان قاضي الجماعة: أبو العباس أحمد[٣] بن عبد الله بن هرثمة بن

---

(١) ثَابَ: أي اجتمع. ينظر: مختار الصحاح، للرازي (ص٦١).

(٢) ينظر: الحلة السيراء، لابن الأبار القضاعي البلنسي (ص٢٧٢)،والذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، لأبي الحسن علي بن بسام الشنتريني (١/ ١٠٥)، وتاريخ ابن خلدون -ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب – لابن خلدون الإشبيلي،(٤/ ١٩١) ونفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، لشهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (١/ ٤٢٤،و٥٧٦)، وسير أعلام النبلاء (١٧/ ١٢٦).

(٣) أحمد بن عبد الله بن هرثمة بن ذكوان بن عبيدوس بْن ذَكْوان، أبو العبّاس الأُمَويّ،قاضي الجماعة بقرطبة، وخطيبها، وكان عظيم أهل الأندلس ورئيسهم، وأقربهم من الدولة، =

ذكوان (ت ٤١٣هـ)، والوزير الكاتب أبو جعفر أحمد بن محمد بن أحمد بن برد (ت ٤١٨هـ)، من أشد الناس تأييداً لشنجول في هذا الأمر.

ولذا قال ابن[١] أبي يزيد المصري:

إنَّ ابن ذكوان وابن برد قد ناقضا الدين بعد عمد

وعاندا الحق إذ أقاما حفيد شنجةْ[٢] ولي عهد[٣]

ولضعف أمر هشام في الدولة خرج عليه محمد بن هشام بن عبدالجبار بن عبدالرحمن الناصر، وتلَّقب بالمهدي وخلع هشاماً، وقُبض على عبدالرحمن وقُتل وزالت دولة بني عامر العظيمة[٤].

٣- عبدالرحيم -المعروف بالمهر- ابن الفرس (ت٥٩٨هـ).

ويسمى عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن الفرس. ويعرف بالمهر وبأبي

=

وأعلاهم محلاً.توفي سنة (٤١٣هـ)، ينظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك (٧/ ١٦٦)، و تاريخ الإسلام (٩/ ٢١٤)، والوافي بالوفيات، للصفدي (٧/ ٨٠).

(١) لم أجد له ترجمة.

(٢) يعني جده لأمه: (سانشو غرسيه) (*Sanche*) (ملك نافارا).

(٣) ينظر: الحلة السيراء، لابن الأبار القضاعي البلنسي (ص٢٧٢).

(٤) ينظر: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، لا ابن عذاري المراكشي (٣/ ٣٨)، و نفح الطيب (١/ ٤٢٤،و٥٧٦)، والذخيرة في محاسن أهل الجزيرة (١/ ١٠٥)، وتاريخ الإسلام، للذهبي (٨/ ٨٠١)، وسير أعلام النبلاء (١٧/ ١٢٣)، و تاريخ ابن خلدون (٤/ ١٩١)، ودولة الإسلام في الأندلس، لمحمد عبدالله عنان (١/ ٦٢٧).

قصبة. كما يعرف عند البربر بما معناه: (ابن الجزارة) ثار بالسوس[١].

وكان هذا الدَّعيّ من طبقة العلماء بالأندلس، وكان موصوفًا بالذكاء المفرط والتفنن في العلوم والتقدم بأنواع الفضائل عالي الهمة تسمو نفسه إلى أعلى المراتب.

حضر ذات يوم مجلس الخليفة يعقوب المنصور[٢] وبدرت منه بعض أقوال جدلية خشي عاقبتها! فاختفى حينًا.

ثم ظهر بعد وفاة المنصور في السوس في منازل جزولة[٣] وانتحل الإمامة، وادَّعَى أنَّه: (القحطاني) الذي ورد ذكره في الحديث: بأنه لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان، يقود الناس ويملأ الأرض عدلاً كما

---

(١) السوس: بلاد بالمغرب الأقصى وهي منطقة جغرافية تقع جنوب المغرب، تحده سسلسلة جبال الأطلس الكبير من الشمال وسلسلة جبال الأطلس الصغير من الشرق والجنوب والمحيط الأطلسي من الغرب. سكانها من الأمازيغ. تشتهر بوجود الغابات، كما تشتهر أيضًا بالفلاحة. وتتكون من عدة أقاليم ومدن، أشهرها: أكادير عاصمة سوس، تارودانت، تزنيت، إنزكان، أيت ملول. ينظر: معجم البلدان، لياقوت الحموي (٥/ ٩٢)، والمسالك والممالك، لأبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري، (٢/ ٨٥٣)، وموقع ويكبيديا *http://ar.wikipedia.org* .

(٢) هو: يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن القيسي، والملقب بالمنصور أمير المؤمنين، لدولة الموحدين. توفي سنة ٥٩٥هـ ينظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (١٢/ ١٠٥١)، والوافي بالوفيات، للصفدي (٢٨/ ٩٨).

(٣) جزولة: قبيلة من البربر بالمغرب. ينظر: لب اللباب في تحرير الأنساب، لجلال الدين السيوطي، (ص٦٤)، ومعجم البلدان (٧/ ١٣٨).

ملئت جوراً[١].

ومما يُنسب إليه في مصير بني عبد المؤمن (شعرٌ) يقول فيه:

قولوا لأبناء عبد المؤمن بن علي تأهبوا لوقوع الحادث الجلل

قد جاء سيدُ قحطانٍ وعالمها ومنتهى القول والغلاب للدول

والناس طوع عصاه وهو سايقهم بالأمر والنهي نحو العلم والعمل

فبادروا أمره فالله ناصره والله خاذل أهل الزيغ والزلل

وذاعت دعوة (أبي قصبة) في أرجاء بلاد السوس، والتفت حوله جموع غفيرة.

فبعث إليه بلاط مراكش عدة حملات صغيرة متوالية كان يهزمها تباعاً.

وأخيراً اضطر الناصر أن يجهز لقتاله حملة كبيرة من الموحدين وغيرهم.

وسار الموحدون إلى بلاد السوس، وأنذروا المصامدة[٢] وغيرهم من القبائل المجاورة، بأن الدَّعي يعتمد على تسامحهم وتغافلهم وبذلك يقوى أمره، ولو شاؤوا لقضوا عليه.

---

(١) روي قريباً من هذا اللفظ، وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (٨/ ١٩٨).

(٢) المصامدة: هو مثل المهالبة نسبة إلى مصمودة، وهي قبيلة بالمغرب لهم بلاد كثيرة، يقال لها بلاد المصامدة. ينظر: معجم البلدان، لياقوت الحموي، (٨/ ٢٧٢)، والأنساب، لعبدالكريم السمعاني (١٢/ ٢٨٤).

فعند ذلك تحركت القبائل وانضمت إلى الجيش الموحدي القادم في مقاتلة الدَّعي، فانفض عنه معظم جموعه، وقتل منهم من وقف إلى جانبه، وقُبض على الدَّعيّ وقتل، واحتُزَّ رأسه! وأرسل إلى مراكش. وكان مصرع أبي قصبة وانهيار ثورته على هذا النحو سنة (٥٩٨هـ)[١].

ويكفي في الرد على من تَلَّقب بأنه القحطاني الذي أخبرنا عنه الرسول ﷺ ما قاله **الشيخ سعد بن حمد بن عتيق رحمهما الله تعالى**، في رده على من ينزل الأحاديث الواردة في القحطاني على رجل معين من الناس حيث قال: «اعلم: أنَّ قول القائل: إن القحطاني المذكور في الحديث، هو الرجل الذي وصفنا. لاشك أنَّه تعيين لمراد المعصوم ﷺ وتبيين لمقصوده.

وهذا مفتقر إلى أحد شيئين :

الأول : النقل الثابت عنه ﷺ برواية الثقات، ونقل العدول المعتبرين عند أهل النقل بالتنصيص على المقصود بكلامه إنه هذا الرجل بعينه. وهذا مما لا سبيل إليه البتة.

الثاني : وجود القرائن وقيام الشواهد الدالة على أنَّ المراد بقوله ﷺ هو هذا. ولكن لا يطَّلعُ عليها إلّا من حصَّل المعرفة التامة بمدلول لفظ الحديث

---

(١) ينظر: دولة الإسلام في الأندلس، لمحمد عبد الله عنان (٤/ ٢٥٦)، المغرب في حلى المغرب،لأبي الحسن علي المغربي الأندلسي (٢/ ١١١)،تاريخ ابن خلدون (٦/ ٣٣٦)، الوافي بالوفيات، للصفدي،(١٨/ ٢٤٢)، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، لشهاب الدين أبي العباس السلاوي (٢/ ٢١٨).

وضَم إلى ذلك النظر في سيرة هذا الذي يَدَّعي أنَّه المقصود واعتبار حاله وما كان عليه.

وأمَّا الجزم بالتعيين مع تخلف العلم بمدلول اللفظ، أو وجود بعض الاحتمالات التي يتعذر معها الجزم بالمفهوم، أو عدم اعتبار حال المدعى أنَّه المراد، والإعراض عن التفتيش في سيرته = فلا يخفى بُعدهُ عن العلم المفيد عند أهل المعرفة »[1].

والخلاصة:

١- إنَّ هؤلاء المنتحلين والملقبين لأنفسهم، أو المعتقد فيهم بأنه القحطاني الذي ذكرته الأحاديث: قرائن الحال وشواهد المآل تُكذِّب ما ادَّعوه. وتأمل ذلك في نهايات هؤلاء المنتحلين، أو المعتقد فيهم وما وصلوا إليه!

٢- إنَّ القحطاني يخرج كما ذكر الرسول ﷺ، ويكون من حاله أنه يسوق الناس، ويلي منهم الملك والأمر ولا حاجة إلى أن يَدَّعي رجل أنَّه القحطاني المخبر عنه؛ لأن حاله ومآله شاهدة بذلك، كما في بقية ما أخبر به الرسول ﷺ من الأمور الغيبية والتي ستكون في آخر الزمان : مثل المهدي، والدجال...

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/ ٥٥٩).

الخاتمة

أهم النتائج والتوصيات لهذه الدراسة:

أ - من أهم النتائج:

١- أنَّ خروج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه ثابت.

وهو من علامات الساعة الصغرى ودلائل نبوته ﷺ التي يجب اعتقادها والإيمان بها.

٢- أنَّ أصح ما ورد عن الرسول ﷺ في خروج القحطاني حديثان وبقية الأحاديث والآثار ضعيفة لا تصح.

٣-أنَّ إنكار معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لحديث عبدالله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كان لثلاثة أسَباب، وهي:

أ- أنَّ عبدالله بن عمرو، ذُكر عنه خبر: «ملك رجل من قحطان)، ولم يرفعه للنبي ﷺ؛وحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يبلغه.

ب- أنَّ الخلافة لا تكون في غير قريش.

ج- منع أهل الأماني والطموحات- قحطان وغيرها - من طلب الملك والخروج على حكم قريش وخلافتها على المسلمين.

٤- أن العلماء قد أثبتوا خروج القحطاني على الناس كما دلت عليه الأحاديث ولم ينكره منهم أحد.

٥- أنَّ من أسباب اهتمام العلماء بخبر خروج القحطاني، وروده عن الرسول ﷺ، وأنه من أمور الغيب التي يجب الإيمان بها والتسليم، وفيه

خروج الإمامة عن قريش، وأنه من علامات الساعة التي ستقع قبل يوم القيامة.

أنَّ العلماء قد اختلفوا في اسم القحطاني، والراجح أنَّه لا يعرف اسمه.

٦- أنَّ القحطاني المخبر عن خروجه: مَلِك وليس بخليفة.

٧- أنَّ سوق القحطاني للنَّاس يدل على ملكه وحكمه لهم، وأنَّ في حكمه شيء من الخشونة وعدم المراعاة لهم فيما يشتهون، أو تميل نفوسهم له.

٨- أنَّ من الناس من ادَّعى بأنَّه هو القحطاني الذي أخبرت به الأحاديث والآثار، وتلقب به، وادعاه آخرون لبعض من برز في الساحة السياسية، والجهادية؛ وكلها دعاوى يكذبها الواقع.

٩- أن ما جاء في أشراط الساعة، وما يكون بين يديها من الفتن والملاحم هو الباب الواسع الذي من خلال نصوصه نزل المتعالمون والمفتونون رؤاهم وخيالهم على أشخاص معينين.

ب - من التوصيات:

١- الحذر من بث الأحاديث والآثار الضعيفة والمنكرة على سبيل العموم وفي العقائد على وجه الخصوص، سواء على المنابر، أو وسائل الإعلام، أو في الكتب؛ لما فيها من الضرر على عقائد الناس.

٢-عدم السماح بفسح الكتب والرسائل التي تنزل أحاديث الفتن على الواقع وعلى أشخاص معينين.

والحمد لله الذي به تتم الصالحات.

١ -فهرس المصادر والمراجع

١- **القرآن الكريم.**

٢- **إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة**، تأليف: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: مركز خدمة السنة والسيرة، بإشراف د. زهير بن ناصر الناصر، نشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف-ومركز خدمة السنة والسيرة النبوية (بالمدينة المنورة)، ط١، ١٤١٥ هـ-١٩٩٤م.

٣- **الأخبار الطوال**، لأبي حنيفة أحمد بن داود الدينوري، تحقيق: د. عصام محمد الحاج علي، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

٤- **الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة**، تأليف: صديق حسن القنوجي البخاري، تحقيق: مسعد عبد الحميد محمد السعدني، نشر: مكتبة القرآن، القاهرة – مصر، عام: ٢٠٠٠م.

٥- **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**، تأليف: أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني، نشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر.

٦- **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تأليف: شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري الدرعي الجعفري السلاوي، تحقيق: جعفر الناصري، ومحمد الناصري، نشر: دار الكتاب -الدار البيضاء.

٧- **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، للإمام الحافظ أبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي النمري، صححه وخرج أحاديثه: عادل مرشد، نشر دار السلام، عمَّان – الأردن، ط١، ١٤٢٣هـ.

٨- **الإشاعة لأشراط الساعة**، تأليف: محمد بن عبد الرسول الحسيني البرزنجي، تحقيق: موفق فوزي الجبر، نشر: دار الهجرة، دمشق-بيروت، ودار النمير، دمشق، ط٢، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٩- **الإصابة في تمييز الصحابة**، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، اعتنى به: حسان عبد المنان، نشر بيت الأفكار الدولية، ٢٠٠٤م.

١٠- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، تأليف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، نشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، ١٤١٥ هـ -١٩٩٥م.

١١- **الأعلام**. تأليف خير الدين بن محمود الزركلي، نشر دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، ٢٠٠٢م.

١٢- **الإنباه على قبائل الرواة**، تأليف: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، نشر: دار الكتاب العربي -بيروت – لبنان، ط١، ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م.

١٣- **الأنساب**، لعبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، نشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط١، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢م.

١٤- **البدء والتاريخ**، تأليف: المطهر بن طاهر المقدسي، نشر: مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد – مصر.

١٥- **البداية والنهاية**، للحافظ ابن كثير، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، نشر: دار هجر، ط١، ١٤١٨ هـ -١٩٩٧م.

١٦- **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، تأليف: أحمد بن

يحيى بن أحمد بن عميرة، أبو جعفر الضبي، نشر: دار الكاتب العربي – القاهرة، ١٩٦٧م.

١٧- **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تأليف: ابن عذاري المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد، تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، نشر: دار الثقافة، بيروت – لبنان، ط٣، ١٩٨٣ م.

١٨- **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، للحافظ الذهبي، تحقيق الدكتور: بشار عواد معروف، نشر دار الغرب الإسلامي، ط١، ٢٠٠٣ م.

١٩- **تاريخ الطبري – تاريخ الأمم والملوك** –، تأليف: محمد بن جرير الطبري، نشر: دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

٢٠- **تاريخ بغداد**، للحافظ أبي بكر أحمد بن علي البغدادي، تحقيق الدكتور: بشار عواد معروف، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

٢١- **تاريخ خليفة بن خياط**، لأبي عمرو خليفة بن خياط، تحقيق: د. مصطفى نجيب فواز، ود.حكمت كشلي فواز، نشر: دار الكتب العليم، بيروت–لبنان، ط١، ١٤١٥هـ–١٩٩٥م.

٢٢- **تاريخ دمشق**، تأليف: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، نشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ –١٩٩٥م.

٢٣- **التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة**، تأليف: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي، تحقيق ودراسة: د. الصادق بن محمد بن إبراهيم، نشر: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ.

٢٤- **ترتيب المدارك وتقريب المسالك**، تأليف القاضي عياض بن موسى اليحصبي، تحقيق: ابن تاويت الطنجي، وآخرون. نشر: مطبعة فضالة -المحمدية، المغرب، ط١.

٢٥- **تعريف بالأعلام الواردة في البداية والنهاية، نشر: موقع الإسلام** www.al-islam.com

٢٦- **تهذيب التهذيب في رجال الحديث**، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، نشر دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٥هـ.

٢٧- **التوضيح لشرح الجامع الصحيح**، لابن الملقن أبي حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، ونشر: دار النوادر، دمشق – سوريا، ط١، ١٤٢٩ هـ-٢٠٠٨م.

٢٨- **الثقات**، تأليف: محمد بن حبان البُستي، نشر: دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الهند، ط١، عام ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.

٢٩- **جامع الأصول في أحاديث الرسول**، تأليف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الشيباني الجزري ابن الأثير،

٣٠- **جامع الترمذي**. نشر دار السلام، الرياض – السعودية، ط١، ١٤٢٠هـ.

٣١- **جامع المسانيد والسُّنَن الهادي لأقوم سَنَن**، تأليف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، تحقيق: د. عبد الملك بن عبد الله الدهيش، نشر: دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت -لبنان، ويطلب من مكتبة النهضة الحديثة -مكة المكرمة، ط٢، ١٤١٩هـ -

١٩٩٨م.

٣٢- **جمهرة أنساب العرب**، تأليف: علي بن أحمد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، تحقيق: لجنة من العلماء، نشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٠٣/ ١٩٨٣م.

٣٣- **الحلة السيراء**، تأليف: ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي، تحقيق الدكتور: حسين مؤنس، نشر: دار المعارف – القاهرة، ط٢، ١٩٨٥م.

٣٤- **خريدة العجائب وفريدة الغرائب**، لأبي حفص عمر بن المظفر بن الوردي، تحقيق: أنور محمود زناتي، نشر: مكتبة الثقافة الإسلامية، القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ -٢٠٠٨م.

٣٥- **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، لجلال الدين السيوطي، تحقيق الدكتور: عبد الله التركي، ونشر: مركز هجر للبحوث والدراسات، القاهرة- مصر، ط١، ١٤٢٤هـ -٢٠٠٣م.

٣٦- **الدرر السنية في الأجوبة النجدية**، جمع الشيخ: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط٨، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.

٣٧- **دولة الإسلام في الأندلس**، تأليف: محمد عبد الله عنان المؤرخ المصري، نشر: مكتبة الخانجي، القاهرة.

٣٨- **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر** ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تأليف: عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون تحقيق: خليل شحادة، نشر: دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م.

٣٩- **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تأليف: أبي الحسن علي بن

بسام الشنتريني، تحقيق: إحسان عباس، نشر: الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس.

٤٠- **سلسلة الأحاديث الصحيحة**. للألباني، نشر مكتبة المعارف، الرياض – السعودية، ط١، ١٤١٥هـ.

٤١- **السنة** (ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة بقلم: محمد ناصر الدين الألباني) تأليف: ابن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني، نشر: المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

٤٢- **السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها**، تأليف: عثمان بن سعيد أبو عمرو الداني، تحقيق: الدكتور: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، نشر: دار العاصمة – الرياض، ط١، عام ١٤١٦هـ.

٤٣- **سير أعلام النبلاء**. للإمام الذهبي، بإشراف: شعيب الأرناؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط١١، ١٤٢٢هـ.

٤٤- **شبكة المعلومات** (الإنترنت).

٤٥- **شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن)**، لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، نشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية، ط١، ١٤١٧ هـ-١٩٩٧م.

٤٦- **شرح صحيح البخارى لابن بطال**، تأليف: علي بن خلف بن عبد الملك ابن بطال، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، نشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، ط٢، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

٤٧- **شرح كتاب الفتن من صحيح البخاري**، للدكتور: عبد الكريم

الخضير، (أشرطة مفرغة نشر لمكتبة الشاملة).

٤٨- **صحيح البخاري**، تأليف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، ضبطه ورقمه وشرح ألفاظه : الدكتور: مصطفى ديب البُغا، نشر: دار ابن كثير، واليمامة-- دمشق سوريا، ط٥، عام ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

٤٩- **صحيح البخاري**، نشر دار السلام، الرياض – السعودية، الطبعة الأولى عام ١٤١٧هـ.

٥٠- **صحيح الجامع الصغير وزياداته (الفتح الكبير)**، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٨هـ.

٥١- **صحيح سنن الترمذي**. للألباني، نشر مكتبة المعارف، الرياض – السعودية، ط١، ١٤٢٠هـ.

٥٢- **صحيح مسلم**. نشر دار السلام، الرياض – السعودية، ط١، ١٤١٩هـ.

٥٣- **الطبقات الكبرى**، تأليف: محمد بن سعد بن منيع الهاشمي – بالولاء-، البصري، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، نشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.

٥٤- **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، تأليف: إسماعيل بن محمد أمين الباباني البغدادي، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية أستانبول ١٩٥١م، أعادت طبعة بالأوفست: دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان.

٥٥- **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، تأليف: محمود بن أحمد بدر الدين العينى، نشر دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٥٦- **عون الباري لحل أدلة البخاري**، تأليف: صديق حسن الحسيني

القنوجي البخاري، نشر: دار الرشيد، حلب –سوريا، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

٥٧- **فتاوى اللجنة الدائمة** -المجموعة الثانية، جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش، نشر: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء -الإدارة العامة للطبع – الرياض.

٥٨- **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**. للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، نشر دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٤هـ.

٥٩- **الفتن**، تأليف: نعيم بن حماد الخزاعي المروزي، ضبطه وصححه وعلق عليه: مجدي بن منصور بن سيد الشورى، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٢٣-٢٠٠٢م.

٦٠- **الفتن، تأليف**: نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعي المروزي، تحقيق: سمير أمين الزهيري، نشر: مكتبة التوحيد – القاهرة، ط١، ١٤١٢هـ.

٦١- **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،– بدون-.

٦٢- **القيامة الصغرى**، تأليف: عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر، نشر: دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، مكتبة الفلاح، الكويت، ط٤، ١٤١١ هـ-١٩٩١ م.

٦٣- **الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة**. للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد الذهبي، نشر شركة دار القبلة، ومؤسسة علوم القرآن، جدة – السعودية، ط١، ١٤١٣هـ.

٦٤- **الكامل في التاريخ**، لأبي الحسن علي بن محمد الجزري الشيباني، الشهير بابن الأثير، أعتنى به: أبو صهيب الكرمي، نشر: بيت الأفكار الدولية، الأردن.

٦٥- **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، تأليف: مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة نشر: مكتبة المثنى -بغداد، عام: ١٩٤١م.

٦٦- **كشف المشكل من حديث الصحيحين**، تأليف: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: علي حسين البواب، نشر: دار الوطن – الرياض.

٦٧- **كنز العمال**، لعلاء الدين المتقي بن حسام الدين الهندي، تحقيق: محمود عمر الدمياطي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٩هـ.

٦٨- **لب اللباب في تحرير الأنساب**، لجلال الدين السيوطي، نشر: دار صادر – بيروت.

٦٩- **لسان الميزان**، تأليف: أبي الفضل أحمد بن علي حجر العسقلاني، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، نشر: دار البشائر الإسلامية، ط١، ٢٠٠٢ م.

٧٠- **لوامع الأنوار البهية** وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، تأليف: محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، نشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق، ط٢، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

٧١- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، تأليف: أبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي تحقيق: حسام الدين القدسي، نشر: مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤م.

٧٢- **مختار الصحيح**، لمحمد بن أبي بكر الرازي، نشر: دار الحديث،

القاهرة- مصر، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

٧٣- **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، تأليف: علي بن (سلطان) محمد الملا الهروي القاري نشر: دار الفكر، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

٧٤- **المسالك والممالك**، لأبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري، نشر: دار الغرب الإسلامي، عام ١٩٩٢م.

٧٥- **المستدرك على الصحيحين**، للحافظ أبي عبد الله الحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، نشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١١ – ١٩٩٠م.

٧٦- **مسند أبي داود الطيالسي**، سليمان بن داود بن الجارود، تحقيق الدكتور: محمد بن عبد المحسن التركي، نشر مركز البحوث العربية والإسلامية بدار هجر، مصر، ط١، ١٤١٩هـ.

٧٧- **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، طبع بإشراف الدكتور: عبد الله بن عبد المحسن التركي، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط٢، ١٤٢٩هـ.

٧٨- **مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار**، تأليف: أبي بكر أحمد بن عمرو العتكي المعروف بالبزار، نشر: مكتبة العلوم والحكم -المدينة المنورة، ط١، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م).

٧٩- **المصنف في الأحاديث والآثار**، تأليف: ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم العبسي تحقيق: كمال يوسف الحوت، نشر: مكتبة الرشد – الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ.

٨٠- **المعارف**، تأليف: أبي عبد الله محمد بن مسلم بن قتيبة، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط٢، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٨١- **المعجم الأوسط** للطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، نشر دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ.

٨٢- معجم البلدان، تأليف: شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، نشر: دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م.

٨٣- **المعجم الكبير**، لأبي القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، نشر مكتبة العلوم والحكم، ط٢، ١٤٠٤هـ.

٨٤- **المغرب في حلى المغرب**، تأليف: علي بن موسى بن سعيد المغربي الأندلسي، تحقيق الدكتور: شوقي ضيف، نشر: دار المعارف – القاهرة، ط٣، ١٩٥٥م.

٨٥- **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**، للحافظ أبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، تحقيق: هاني الحاج، نشر: المكتبة التوفيقية، القاهرة-مصر.

٨٦- **الموسوعة الشاملة**. (برنامج+ إنترنت).

٨٧- **الموسوعة في الفتن والملاحم وأشراط الساعة**، تأليف: محمد أحمد المبيض، نشر: مؤسسة المختار، القاهرة-مصر، ط٢، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

٨٨- موسوعة ويكبيديا http://ar.wikipedia.org/wiki

٨٩- **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، تأليف: أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: محمد رضوان عرقسوسي وآخرون، نشر دار الرسالة العالمية، دمشق – بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ.

٩٠- **نسب معد واليمن الكبير**، تأليف: أبي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكَلْبِيّ، تحقيق الدكتور: ناجي حسن، نشر: عالم الكتب، مكتبة

النهضة العربية، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٩١- **نشأة إمارة آل رشيد**، تأليف الدكتور: عبد الله الصالح العثيمين، نشر: جامعة الملك سعود (الرياض سابقًا)، ط١، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

٩٢- **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تأليف**: شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق: إحسان عباس، نشر: دار صادر-بيروت – لبنان.

٩٣- **النهاية في الفتن والملاحم**، لابن كثير القرشي، تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز، ونشر: دار الجيل، بيروت – لبنان، ١٤٠٨ هـ-١٩٨٨م.

٩٤- **نور القبس المختصر من المقتبس**، لأبي المحاسن يوسف بن أحمد اليغموري، عني بتحقيقه: رودلف زلهايم، نشر: فرانتس شتاينر بفيسبادن، ١٩٦٤م.

٩٥- **الوافي بالوفيات**، تأليف: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، نشر: دار إحياء التراث – بيروت، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٢ -فهرس الموضوعات

ملخص البحث **٣٢٩**
المقدمة **٣٣١**
التمهيد (التعريف بقحطان) **٣٣٦**
المبحث الأول: الأدلة على خروج القحطاني **٣٣٨**
المبحث الثاني: موقف العلماء من الأحاديث والآثار الدالة على خروج القحطاني **٣٣٩**
المطلب الأول: موقف معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أحاديث خروج القحطاني... **٣٣٩**
المطلب الثاني: موقف العلماء من أحاديث خروج القحطاني..... **٣٤٥**
المبحث الثالث: اسم القحطاني وزمن خروجه **٣٤٨**
المطلب الأول: اسم القحطاني الذي يخرج على الناس..... **٣٤٨**
المطلب الثاني: زمن خروج القحطاني وصفة حكمه..... **٣٥٥**
المبحث الرابع: من ادَّعى أنَّه القحطاني المخبر بخروجه..... **٣٦٠**
الخاتمة **٣٦٩**
١-فهرس المصادر والمراجع **٣٧١**
٢-فهرس الموضوعات **٣٨٣**

عقائد الموحدين من النصارى

دراسة تحليلية لمذهب التوحيد

في المسيحية

حتى مجمع نيقية المسكوني عام ٣٢٥م

د. عبد البديع محمد عبد الله محمد سالم

أكاديمي مصري، أستاذ العقيدة والأديان المساعد بقسم الدراسات الإسلامية - كلية العلوم والآداب بالخفجي – جامعة حفر الباطن

ملخص البحث

يتناولُ البحثُ عقيدةَ التوحيدِ عندَ أوائلِ النصارى؛ تلك العقيدةُ التي بدأت في التاريخِ المسيحيِّ - كمذهبٍ لاهوتيٍّ - بدايةً مُبكِّرةً جدًّا؛ والتي ثبت من خلالِ البحثِ أنَّها تَسبِقُ عقيدةَ التثليثِ المعروفةِ الآنَ بعشراتِ السنينَ، ولذلك فهي تعكِسُ التعاليمَ المسيحيةَ الأولى حولَ طبيعةِ اللهِ تعالى كلِّ دقَّةٍ.

فقد بيَّنَ البحثُ أنَّ التثليثَ الذي قرَّرَه المجتمِعونَ في مجمعِ نيقيةَ الأولِ كعقيدةٍ مُلْزِمةٍ للكنيسةِ، في بدايةِ القرْنِ الرابعِ للميلادِ، يُعتبَرُ انحرافًا عن الأصلِ الأولِ، أو عن العقيدةِ الصحيحةِ التي جاءَ بِها السَّيدُ المسيحُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ومَن قبله من الأنبياءِ والرسلِ الكِرام.

وقد جاءَ في ثنايا البحثِ ما يُثبتُ أنَّ آريوس ومَن سبقَه من أوائلِ الموحِّدينَ، كانوا في حقيقةِ الأمرِ يُحاربونَ في معركةٍ غيرِ مُتكافئةٍ؛ عندما حاولوا إنقاذَ ما تَبقَّى من عقيدةِ التوحيدِ التي بُدِّدَت في مجمعِ نيقيةَ وما تلاه من مجامعَ كنسيةٍ أخرى!

فإذا كان بولس السيمساطي، وآريوس، وغيرُهما من أوائلِ الموحِّدينَ، قد عُرِفوا في التاريخِ المسيحيِّ عن طريقِ أعدائِهم ومُخالِفِيهم الذين اعتبروهم جميعًا «مهرْطقين»، فمن الطبيعيِّ أن يتعرَّضوا لمحاولاتٍ كثيرةٍ من التشويهِ والدِّعاياتِ المُضلِّلَةِ، وأن تتعرَّضَ تعاليمُهم ومؤلَّفاتُهم لسلْسلةٍ من عملياتِ التحويرِ أو التزويرِ أو الطمْسِ..

لذلك، يَنبغي ألاَّ نلتفِتَ كثيراً إلى تضارُبِ الأخبارِ والأقوالِ حولَ عقائدِ أولئك الموحِّدينَ؛ إذ يكفينا أنّهم أعلنوا منذ البدايةِ تَمسُّكَهم بالمسيحيةِ الأولى، وجاهروا بإيمانِهم باللهِ الواحدِ الأحدِ، بل وهتفوا بأنَّ المسيحَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مُجرَّدُ إنسانٍ مخلوقٍ، غير أزليٍّ، ليس به جزءٌ لاهوتيٌّ، وإن صاحبته النعمةُ والعنايةُ الإلهيةُ؛ وهذا يكفي جِدَّاً للحُكمِ عليهم بأنَّهم مسلِمو العقيدةِ، ومن جملةِ الموحِّدينَ.

هذا، ويبدو أنَّ تلك العقائدَ المصطدِمةَ مع الفطرةِ وقواعدِ العقلِ والمنطقِ التي أقرَّتَها المجامعُ الكنسيةُ المدعومةُ من السلْطةِ الزمنيةِ الحاكمةِ، كانت سبباً مُهمَّاً في قيامِ عِدَّةِ حركاتٍ إصلاحيةٍ للكنيسةِ الكاثوليكيةِ في الغربِ؛ لعلَّ أهمَّها:

- حركةُ الإصلاحِ الديني البروتستاني، على يدِ أحدِ القساوسةِ الألمانِ - مارتن لوثر ت ١٥١٧م - في القرنِ السَّادسِ عشرَ للميلادِ.

كما كانت تلك العقائدُ سبباً قويَّاً في انتشارِ عدَّةِ حركاتٍ ودعواتٍ توحيديةٍ وإصلاحيةٍ في جميعِ أنحاءِ العالمِ المسيحيِّ، بعدَ أقلَّ من نصفِ قرْنٍ من قيامِ حركةِ الإصلاحِ الديني البروتستاني؛ مِنها على سبيلِ المثالِ:

- الحركةُ المُضادَّةُ للتثليثِ، التي انتشرت في شمالِ إيطاليا خلالَ الفترةِ من (١٥١٧م - ١٥٥٣م).

- والحركةُ المعاديةُ للتثليثِ في بولندا، التي ظهرت في منتصفِ القرْنِ السَّادسِ عشرَ. ومن قبلها «جماعةُ الليبراليينَ البولنديينَ»؛ التي أصدرت في عامِ ١٦٠٥م إعلاناً تقولُ فيه: «إنَّ اللهَ واحدٌ في ذاتِهِ. والمسيح إنسانٌ

حقيقيٌّ، ولكنه ليس مجرَّدَ إنسانٍ. وإنَّ روحَ القدسِ ليس أقنومـاً، لكنـه قُـدْرةُ اللهِ».

ثـم أنكـرَت الخطيئـةَ الأصـليةَ الأولـى، أو خطيئـةَ آدم المتوارثـةَ كمـا هـو الاعتقادُ السَّائدُ في المسيحيةِ.

كذلك، وصلَ الأمرُ بالموحِّدينَ في أوروبـا إلـى حَـدٍّ أن كـان لهـم في دولـةِ المجرِ حاكمٌ موحِّـدٌ؛ هـو «جـون سيجسـموند» الـذي حكـمَ المجـرَ في الفـترةِ (١٥٤١-١٥٧٠م) وهو ما يزالُ طِفلاً، بعد وفاةِ والدهِ «يانوش زابوليا».

وقـد عُـرِف «جـون سيجسـموند» بتسـامحهِ الـدينيِّ، وبتشـجيعهِ للحـوارِ والمناظراتِ بين التوحيديينَ الكاثوليك واللوثريينَ والكالفنيينَ.

كما عُرِفَ عن المُحققِ البريطاني «جون بيـدل» *John Biddle* (١٦١٥ - ١٦٦٢م)، بأنـه «أبـو مـذهبِ التوحيـدِ» في إنجلـترا؛ حيـث قـامَ بنشـاطٍ إصـلاحيٍّ كبيرٍ في بريطانيـا العُظمى، ونشـرَ عِـدَّةَ رسـائلَ في التوحيـدِ وإبطـالِ عقيـدةِ التثليـثِ وألوهيـةِ المسـيحِ، الأمـر الـذي عرَّضَـه وأتباعَـه للاضـطهادِ والسّجنِ عدَّةَ مرَّاتٍ إلى أن مـاتَ وهـو سـجينٌ، وبَقِيـت أفكـارُه الإصـلاحيةُ ذاتَ تـأثيرٍ كبيـرٍ في الكثيـرِ مـن مُتحـرِّري الفكـرِ في أوروبـا؛ مـن أمثـالِ: عـالم الفيزيـاءِ الشـهيرِ «إسـحق نيـوتن» *Issac Newton*، وعـالم الاجتمـاعِ المعـروفِ «جـون لـوك» *John Lock*، وغيرِهمـا ممـن كـان لـه أثـرٌ كبيـرٌ في النهضةِ الأوروبيةِ الحديثةِ.

وفي أمريكا أيضـاً، ظهرت عِدَّةُ حركـاتٍ توحيديـةٍ علـى يـدِ الليبراليـينَ، في القرنِ الثامنِ عشرَ في ولايةِ بوسطن؛ وكلُّهـم كـانوا آريوسـيينَ في الأصـلِ؛ مـن

أمثالِ الدكتور «تشالرز شاونستي» (١٧٠٥ - ١٧٨٧م) راعي كنيسةِ بوسطن، والدكتور «يوناثان ميهيو» الذي ناضلَ بِشدَّةٍ ضدَّ عقيدةِ التثليثِ.

كما تكوَّنت جمعيةُ التوحيدِ الأمريكيِّ عام ١٨٢٥م، وأُنشئت مدرستانِ لتخريجِ رجالِ دينٍ لنشرِ عقيدةِ التوحيدِ وتعاليمِ آريوسَ؛ إحداها في شيكاغو، والأخرى في «بركلي» - بكاليفورنيا - وغير ذلك الكثير.

هذا، أما عن واجبِنا - نحن المسلمينَ - تِجاهَ هؤلاءِ الموحدينَ من النصارى، فهو ليس فقط تفقُّدُ أماكنِ وجودِهم، وإنما التواصلُ الدائِمُ معهم، ومَدُّ يدِ العونِ لهم بقدرِ المُستطاعِ، ومحاورتُهم بِما يَستهدِفُ إظهارَ الحقائقِ وتقريبَ وجهاتِ النظرِ على أساسِ القدْرِ المشتركِ والمُتفقِ عليه في مسائلِ العقيدةِ بين الجميعِ.

واللهُ تعالى وليُّ التوفيق والسَّدادِ.

د. عبد البديع محمد عبد الله

dr.abdelbadie@yahoo.com

The Creeds of the Unitarian Christians. An Analytical Study of Christian Unitarianism until the Ecumenical Council of Nicaea, 325 A.D

Dr. Abdul-Badi' Muhammad Abdullah Muhammad Salim

Egyptian Academic, Assistant Professor of Theology and Religions, the Department of Islamic Studies, the Faculty of Science and Literature, the University of Hafr ul-Batin

Abstract

This research deals with different Unitarian Christian groups that rejected the Trinitarian doctrine of the Apostle Paul. The topic is limited to the Unitarian Christians that existed at the time and before the first Ecumenical Council of Nicea held in 325 AD, under the auspices of Emperor Constantine the Great.

We're confident that the Unitarian Christianity wasn't heretical, but rather it was the original belief of the Christians. The belief in trinity was a deviation from that faith that was caused by different reasons and some of them were political. The doctrine of trinity was added to Christianity and has no real basis in their original Scriptures.

This research was divided into an introduction, three chapters, and a conclusion, as follows:

- The first chapter: the true essence of monotheism in Christianity before the Council of Nicea.

- The second topic: the impact of the Ecumenical Councils in the establishment of the Christian doctrines.

- The third topic: Unitarian Christian doctrines in the light of the Islamic thought.

After that I mentioned the conclusion and the results of the study. That was followed by the most important recommendations that I wanted to give which was a need to communicate with them, dialoguing and explaining that Islam contains all of the true doctrines that they also believe in.

المقدمة

الحمدُ للهِ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على رسولِ اللهِ ﷺ.

أمَّا بعدُ، فإنَّ الكاتبَ الأمريكيَّ المعاصرَ دان براون (*Dan Brown*) في روايتهِ الشهيرةِ التي أطلقَ عليها اسمَ: شِفرةُ دافنشي (*The Davinci Code*)، قد أشارَ إلى أنَّ الكنيسةَ الأولى في المسيحيةِ كانت على ديانةِ التوحيدِ الخالصِ، ومِن ثمَّ نأت بنفسِها عن الخوضِ في فكرةِ تجسُّدِ المسيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أو الاعتقادِ بألوهيتهِ، أو القولِ ببنُوَّتهِ ونحو ذلك.

فذكرَ أنَّ الكنيسةَ الأولى آمنت بأنه عَلَيْهِ السَّلَامُ -فقط- نبيٌّ عظيمٌ، ورسولٌ ذو طبيعةٍ واحدةٍ، هي الطبيعةُ البشريةُ، وأنَّ اللهَ تعالى بعثَه؛ لهدايةِ بني إسرائيلَ وحدَهم، شأنه في ذلك شأن باقي أنبياءِ بني إسرائيلَ السابقينَ عليه.

كما ذكرَ أيضًا، أنَّ العقيدةَ المسيحيةَ الصحيحةَ التي جاءَ بِها المسيحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ هي التي نادى بِها أحدُ أشهرِ القُسسِ السكندريينَ -وهو (آريوس بن أمونيوس) [٢٥٦- ٣٣٦م]- وغيرُه من مشاهيرِ دعاةِ التوحيدِ في النصرانيةِ، الذين وُصِفوا على غيرِ الحقيقةِ بالابتداعِ أو الهرطقةِ في تاريخِ المسيحيةِ!

أما من ادَّعى غيرَ ذلك وجعلَ من المسيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إلهًا، فهو الإمبراطورُ الرومانيُّ قسطنطين [٢٧٤- ٣٣٧م]، المعروفُ بـ(قسطنطين العظيم)، الذي دخل في المسيحيةَ، لدافعٍ سياسيٍّ، عندما أرادَ توحيدَ الإمبراطوريةِ الرومانيةِ تحتَ سلطانهِ -كما شهدَ بذلك المؤرِّخُ الإنجليزي المعروفُ (إدوارد

جيبون) [ت ١٧٩٤م]، مؤرِّخُ الدولةِ الرومانيةِ- وإلا، فهو كان في حقيقةِ أمرهِ وثنيًا في معتقداتهِ كُلِّها، وبعيداً عن جوهرِ العقيدةِ المسيحيةِ، ولم يُعَمَّد مَسيحيًا إلا وهو على فِراشِ الموتِ، وبعدَ مرورِ ما يَقرُبُ من اثنتي عشرةً سنةً على انعقادِ مجمعِ نيقية المسكوني الأول عام ٣٢٥م[١]!

وهذا في حقيقةِ الأمرِ ليس اكتشافًا جديداً لـ(دان براون)، فقد سبقه لذلك أيضًا كُتَّابُ المقالاتِ الإسلاميةِ -وكثيرٌ من كُتَّابِ المقالاتِ المسيحيةِ- وأثبتوا بما لا يَدعُو مجالاً للشكِّ أنَّ الكنيسةَ الأولى كانت على التوحيدِ الصحيحِ، بل وظلَّت متمسِّكةً بتعاليمِ المسيحِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الداعيةِ إلى الوحدانيةِ المطلقةِ، مدّةً طويلةً من الزمنِ، ولم يصبها الانحرافُ في العقيدةِ على المستوى الرَّسميِّ للديانةِ، إلا مع بداياتِ القرْنِ الرابعِ الميلاديِّ وما تلاه.

صحيحٌ أنَّ الكنيسةَ عبرَ تاريخِها الطويلِ، قدَّمت دفاعاتٍ عديدةً وجاهدت جِهاداً مُضنيًا للحفاظِ على عقيدةِ البنوَّةِ والتجسُّدِ والصَّلْبِ والفِداءِ ونحو ذلك، إلاَّ أنَّها بِما قدَّمته في السَّابقِ -أو بِما تُقدِّمُه اليومَ- من حُججٍ عقليةٍ ونقليةٍ في هذه المسائلِ الشائكةِ، لا تُدافِعُ بالضرورةِ عمَّا استحدثه بابا الإسكندريةِ العشرونَ -القدِّيسُ (أثناسيوس الرَّسولي)

(١) راجع دان براون: الفصل ١٢٨ من رواية شفرة دافنشي، النسخة الإنجليزية: Brown, Dan. The Da Vinci Code. New York Doubleday, 2003، والنسخة العربية ترجمة: سمة محمد عبد ربه، ط١ سنة ٢٠٠٤م الدار العربية للعلوم، بيروت لبنان.

[٢٩٧-٣٧٣م] الذي يُعَدُّ البطلَ الأولَ لملْحَمةِ الأرثوذكسيةِ ضدَّ الآريوسيةِ (Arianism) في مجمعِ (نيقية)- مِن وجوبِ الاعتقادِ بلاهوتِ المسيحِ؛ لارتباطهِ الوثيقِ بقضيةِ الخلاصِ الروحيِّ؛ والذي عُرِف بقانونِ الإيمانِ المسيحيّ، أو القانون النيقاوي.

وإنما هي في الواقعِ تُدافِعُ عن فكرةٍ مُجرَّدَةٍ، قد تمَّ التمسُّكُ بِها في عصرٍ شهدَ تحوّلَ الإمبراطوريةِ الرومانيةِ من الوثنيةِ إلى المسيحيةِ، بعدما كانت المسيحيةُ مضطهدَةً من قِبل أباطرةِ الرومانِ!

والحقُّ أنَّ القدِّيس آريوس، لم يكن وحدَه أولَ مَن رفضَ فكرةَ البنوَّةِ والتثليثِ، أو لم يكن وحدَه أولَ مَن أنكرَ لاهوتَ المسيحِ، بل كان هناك آخرونَ من قبلهِ أنكروا ذلك أيضاً؛ منهم على سبيلِ المثالِ: القدِّيسُ (مركيون) الذي ظهرَ في النصفِ الأولِ من القرنِ الثاني للميلادِ، والقدِّيسُ (بولس السيمساطي) أسقفُ أنطاكية الذي تولَّى الكرسيَّ الرسوليَّ بِها في المدّة من [٢٦٠- ٢٦٨م]، وغيرهما ممن سنشيرُ إليهم في تضاعيفِ هذه الدراسةِ.

هذا، فضلاً عن أنَّ هناك فِرَقاً كثيرةً من النصارى الموحِّدينَ -أو المنكرينَ لتأليهِ المسيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ- قد ظهرتْ في التاريخِ المسيحيِّ وعرضَ لهم كُتَّابُ المقالاتِ المسيحيةِ، لكن على كُرْهٍ منهم، وفي إيجازٍ مبتورٍ، وبصورةٍ فيها تحرُّزٌ عن ذكرِ كلمةِ إنصافٍ في حقِّهم. إنَما فقط لإظهارِهم في صورةِ قاتلي لاهوت المسيحِ، أو المهرْطقينَ في العقيدةِ الصحيحةِ؛ على النحوِ الذي يَزعُمُه المدافعونَ عن القانونِ النيقاوي!

وهذه الدراسةُ، وإن أشارت في بعضِ صفحاتِها إشاراتٍ عابرةً إلى التأثيرِ الكبيرِ الذي أحدثته تعاليمُ آريوس في الفرقِ المسيحيةِ المختلفةِ على امتدادِ تاريخِ الكنيسةِ، إلاَّ أنَها في تحليلاتِها اقتصرت فقط على الموحدينَ من النصارى، قبلَ عقدِ مجمعِ نيقية المسكوني الأولِ عام ٣٢٥م، الذي تقرَّرَت فيه العقيدةُ الرسميةُ للكنيسةِ، ومن ثمَّ اضطُهِدَ كلُّ مخالفٍ لقراراتهِ ورُمِيَ بالهرطقةِ أو التجديفِ في العقيدةِ الصحيحةِ.

ونحن على يقينٍ كاملٍ بأنَّ التوحيدَ لم يكن بدعةً أو هرْطقةً في تاريخِ المسيحيةِ، بل هو الأصلُ فيها، وأنَّ الانحرافَ الذي أصابَ جوهرَه إنما جاءَ مُتأخّراً وبفعلِ عواملَ كثيرةٍ -أغلبُها ذاتُ أبعادٍ سياسيةٍ- ليس لها أيُّ سندٍ من العقلِ أو من الكتبِ المقدَّسةِ، بالرغمِ من تَدخُّلِ الأيدي فيها بالمحوِ والإثباتِ؛ لتجنُّب أيةِ أفكارٍ مخالفةٍ لعقيدةِ التثليثِ!!

لذلك، فالهدفُ الرئيسُ من هذه الدراسةِ، هو إزالةُ غُبارِ السنينَ عن أولئك الموحِّدينَ، وإظهارُهم بصورتِهم الحقيقيةِ، ووضعُهم تحتَ مجاهرِ الباحثينَ المسلمينَ؛ ليتعرَّفوا عليهم بعدَ أن تمَّ تجاهلُهم والتعفيةُ على آثارِهم بشكلٍ مُتعمَّدٍ، وليمدُّوا إليهم يدَ العونِ والمساعدةِ بعدَ أن ظلُّوا مقبورينَ في طيِّ النسيانِ، لا يُنظَرُ إليهم إلّا على أنَّهم منشقّونَ أو مارقونَ أو زنادقةٌ.

لذلك، تطلَّبت الدراسةُ استخدامَ منهجٍ يجمعُ بين التحليلِ والوصفِ والمقارنةِ معًا، وجاءتْ في مقدِّمةٍ، وثلاثةِ مباحثَ، وخاتمةٍ؛ على النحو التالي:

- **المبحثُ الأولُ**: حقيقةُ التوحيدِ في المسيحيةِ قبل مجمعِ نيقيةِ.

- **المبحثُ الثاني**: تأثيرُ المجامعِ المسكونيةِ في تقريرِ عقائدِ المسيحيةِ.

- **المبحث الثالثُ**: عقائدُ النصارى الموحدينَ في ضوءِ الفكرِ الإسلامِي.

ثم كانت الخاتمة، والمصادرُ والمراجعُ المُستعانُ بِها في الكتابةِ.

واللهُ تعالى وليُّ التوفيقِ والسَّدادِ.

كتبه: د. عبد البديع محمد عبد الله
أستاذ العقيدة والأديان المساعد
(كلية العلوم والآداب بالخفجي – جامعة الدمام)

المبحث الأول

حقيقة التوحيد في المسيحية قبل مجمع نيقية

لا يُماري أحدٌ من الباحثينَ في أنَّ رسالةَ السَّيدِ المسيحِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كانت مفيدةً في أوانِها، بل كانت بمثابةِ الضرورةِ المُلِحَّةِ؛ لإصلاحِ عقائدِ بني إسرائيلَ، وللتخفيفِ من حدَّةِ الجمودِ على النصوصِ الدينية الذي ورثته معظمُ طوائفِ اليهودِ، بعد انصرافِها عن جوهرِ العقيدةِ الصحيحِ ولُبابِ الإيمانِ الكاملِ.

كما لا يُماري أحدٌ في أنَّ الوحدانيةَ هي جوهرُ الأديانِ السماويةِ والأصلُ فيها، وأنَّ التعدُّدَ ما هو إلّا انتكاسةٌ ورِدَّةٌ عن ذلك الأصلِ. والبحوثُ التاريخيةُ تُظهر أنَّ عبادةَ الأرواحِ والأوثانِ للناسِ البدائيينَ في العالمِ -في كلِّ الأحوالِ- هي عبارةٌ عن انشقاقٍ عن مذهبٍ توحيديٍّ أصليٍّ[(١)].

أما القولُ بأنَّ الأديانَ قد مرَّت بأطوارٍ مختلفةٍ حتى وصلَتْ إلى التوحيدِ، فهو ادعاءٌ مبنيٌّ على نظرةٍ مجرَّدةٍ لعقائدِ الأقوامِ البدائيةِ التي ابتدأت بعبادةِ الطواطمِ[(٢)]، وانتهت بالوحدانيةِ عندما قبلت الأديانَ السَّماويةَ[(١)].

---

(١) انظر محمد عطا الرحيم: عيسى المسيح والتوحيد ص٧، ترجمة: عادل حامد، ط١ سنة ٢٠٠١م، نشر مركز الحضارة العربية بالقاهرة.

(٢) هناك طائفة من علماء الإنسان يقرنون بين الطوطم والدين، ويظنون أن الطواطم هي طلائع الأديان بين الهمج الأوليين. والطوطم قد يكون حيوانًا أو نباتًا أو حجراً، تتخذه القبائل وتجعل منه أبًا لها، أو تزعم أن أباها الأعلى قد حل فيه، ومن ثم تقدسه وتتجمع

فالعقائدُ الصحيحةُ إنما تُتلقَّى صافيةً من وحي السَّماءِ، ثم ما تَلْبَثُ أن يصيبَها نوعٌ من التحريفِ أو الانحرافِ عن سيرتِها الأولى!

ورسالةُ المسيحِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هي في الأساسِ رسالةٌ توحيديةٌ، قبلَ أن تنتكِسَ إلى التثليثِ وتحيدَ عن طريقِ الرسالاتِ السَّماويةِ، أو قبلَ أن تُصاغَ من جديدٍ صياغةً وثنيةً؛ بفعلِ عواملَ كثيرةٍ، لعلَّ أهمَّها هو الغزو الروماني – الوثني – المستنِدُ إلى السلطةِ الزمنيةِ في الفترةِ التي تَلت رفعَ السَّيدِ المسيحِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، والذي كان من نتيجتهِ اضطهادُ الحواريينَ المؤمنينَ بوحدانيةِ اللهِ تعالى، وإدخالُهم في ظروفٍ صعبةٍ من النفي والتشريدِ، أو من القتلِ والتعذيبِ(٢)!

والحقُّ أنَّ مشكلةَ الديانةِ المسيحيةِ اليومَ، تتجلَّى فيما يكتبُه مؤرِّخو الكنيسةِ الحاليونَ الذين ورِثوا تُراثًا دينيًا مُغلَّفًا بقشرةٍ سميكةٍ من الفلسفةِ

=

حوله وتحرم قتله أو أكله.

انظر عباس محمود العقاد: الله -كتاب في نشأة العقيدة الدينية ص١٣ وما بعدها، ط٨ دار المعارف بالقاهرة، ودار نهضة مصر بالفجالة، ضمن مشروع القراءة للجميع لعام ١٩٩٨م.

(١) يبدو أن الأستاذ العقاد يميل إلى ذلك الرأي القائل بالتطور في العقائد من التعددية إلى الوحدانية، عندما تحدث عن نشأة العقيدة عند الإنسان، في كتابه السابق؛ قائلاً ص١٣: «ترقى الإنسان في العقائد، كما ترقى في العلوم والصناعات».

(٢) راجع ول ديورانت: قصة الحضارة ١١: ٢٠٢ وما بعدها، ترجمة: محمد بدران، ط سنة ٢٠٠٢م، طبعة خاصة بمشروع القراءة للجميع (مكتبة الأسرة).

اليونانيةِ، منذ القرنِ الرابعِ للميلادِ؛ تلك القشرةُ التي غيَّرت من شكلِ الديانةِ، وبدَّلت من طبيعةِ النبوَّةِ ومهمَّةِ النبي. ودورُ الباحثينَ اليومَ هو إزالةُ هذه القشرةِ، وتوضيحُ مدى اختلافِ العقيدةِ الأصليةِ عمَّا هي عليه الآن.

ولقد نطقت الأناجيلُ بالطبيعةِ البشريةِ للمسيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأقرَّت بالوحدانيةِ المطلقةِ للهِ تعالى، على الرغمِ مما أصابَها من تحريفٍ بسببِ أنَها لم تُدوَّن إلّا بعد وفاةِ المسيحِ بزمنٍ طويلٍ، ومع ذلك بقي جزءٌ كبيرٌ من تلك الحقيقةِ التي تحظرُ الاعتقادِ بالتثليثِ.

ويمكنُ الإشارةُ إلى الخطوطِ العامَّةِ لهذه العقيدةِ أو لتلك الحقيقةِ، كما أوردتها الأناجيلُ، من خلالِ نصوصِ الكتابِ المقدَّسِ[1] التاليةِ:

١. جاءَ في الإصحاحِ العاشرِ من إنجيلِ متى، فقرة (٤١): «مَن يقبلُكم يقبلُني، ومَن يقبلُني يقبلُ الذي أرسلني». وجاءَ في الإصحاحِ التاسع عشرَ منه أيضاً فقرة (١٧): وإذا واحدٌ تقدَّمَ وقالَ له: «أيها المعلِّمُ الصَّالحُ، أيَّ صلاحٍ أعملُ لتكونَ ليَ الحياةُ الأبديةُ»؟ فقالَ له: «لماذا تدعوني صالحاً؟! ليس أحدٌ صالحاً إلّا واحدٌ وهو اللهُ». وفي الإصحاحِ السَّابعِ والعشرينَ مشهدٌ يُصوِّرُ فزعَ يسوع[2] من الموتِ، واستغاثَته باللهِ الخالقِ، قائلاً: «إيلي،

(١) اعتمدنا في إيراد النقول على كتاب العهد الجديد -الطبعة المعتمدة من الكنيسة المصرية- ط٦ سنة ١٩٩٩م، دار الكتاب المقدس بالقاهرة.

(٢) سُمي عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بيسوع Yeshu'a -أو يسوع الناصري-. ومعناه: معين يهوه. وقد حرف اليونان الاسم إلى Iesous، والرومان إلى Iesus. انظر: قصة الحضارة ١١: ٢١٣.

إيلي، لماذا شبَقتَني؟!»؛ أي: إلهي، إلهي، لماذا تتركني؟!

٢. وفي إنجيلِ مُرْقص، تَرِدُ نفسُ الاستغاثةِ في الإصحاحِ الخامس عشرَ فقرة (٣٥)، بلفظِ: «إلوِي إلوِي، لِمَ شَبقتني؟!». وفي الإصحاحِ الرابع عشرَ منه، يُصرِّحُ المسيحُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ببشريتهِ بعدَ العشاءِ الأخيرِ، وتلميحه بخيانةِ (يَهوذا الإسْخريوطي)[1] له، قائلاً: «إنَّ ابنَ الإنسانِ ماضٍ كما هو مكتوبٌ له، ولكن ويلٌ لذلك الرجلِ الذي به يُسَلَّمُ ابنُ الإنسانِ. كان خيراً لذلك الرجلِ لو لم يُولَد!». وفي الإصحاحِ الثالث عشرَ يُصرِّحُ يسوعُ بعدمِ عِلْمهِ بوقتِ قيامِ السَّاعةِ؛ قائلاً: «وأما ذلك اليومُ وتلك الساعةُ فلا يعلمُ بِهما أحدٌ، ولا الملائكةُ الذين في السماءِ ولا الابنُ، إلّا الآبُ»[2].

٣. وجاءَ في الإصحاحِ الثاني من إنجيلِ لوقا، فقرة (٤٠) -تحتَ عنوانِ: الصبيُّ يسوعُ يَمكُثُ في الهيكلِ-: «وكان الصبي -يسوع- ينمو ويتقوى بالروحِ، ممتلئاً حكمة، وكانت نعمة اللهِ عليه».

٤. وفي إنجيل يوحنا، جاءَ في الإصحاحِ الرابع عشرَ فقرة (٢٢): «الذي لا يُحبني لا يحفظ كلامي، والكلامُ الذي تسمعونَه ليس لي، بل للآبِ الذي أرسلني». وفي الإصحاحِ السابع عشرَ منه فقرة (٤): «وهذه هي الحياةُ الأبديةُ: أن يعرفوكَ أنت الإلهَ الحقيقيَّ وحدكَ، ويسوعَ المسيحَ الذي أرسلته».

---

(١) أحد تلاميذ المسيح الاثني عشر، وأسماؤهم وردت في الإصحاح العاشر من إنجيل متى.

(٢) يستخدم لفظ الآب هنا، للدلالة على معنى الربوبية، وسوف نتناول ذلك المعنى فيما بعد.

هـذا، بخـلافِ العديـدِ مـن الإشـاراتِ التـي وردت في الكتـابِ المقـدَّسِ وتشيرُ صراحةً أو ضِمنـًا إلى تلك الطبيعةِ البشريةِ للسَّيدِ المسيحِ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ.

وحتى العبارات التي تَنطقُ بلفظِ الربِّ صراحةً في وصفِه عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ؛ فإنَها لا تُفيد معنى الإلهِ الخالقِ الواهبِ للحياةِ، وإنَما تفيدُ معنى السَّيدِ المـُطاعِ في قومهِ؛ ذلك أنَّ أوائلَ المسيحيينَ بِحكمِ أنَهم عاشوا في فلسـطينَ تحـتَ حكـمٍ يونانيٍّ مُسيطرٍ بثقافتهِ، قد تأثروا إلى حَـدٍّ كبيرٍ بالثقافـةِ اليونانيـةِ؛ فاسـتخدموا كلمةَ (الرَّب) في جانبِ المسيحِ بمعناها الإغريقي (Kyrios)؛ أي: المـولى أو السَّيد، وليست بمعنى الإلهِ الخالقِ[1].

فالذي نعتمده من حقائق في هذه الدراسة نُحاجِجُ بها القومَ، هي مـا تنطِقُ بِها الأناجيلُ المعتمدةُ لدى الكنيسةِ، والنصُّ يُدلي بشـهادتهِ فيهـا دونَ حاجـةٍ إلى تأويلٍ أو تفسيرٍ.

هذا، ولـمَّا كانت دعوةُ السَّيدِ المسيحِ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ في أساسِها رسالةً إلى بنـي إسـرائيلَ فقـط، كمـا جـاءَ علـى لسـانِ صـاحبِها، ورواه متـى في الإصـحاحِ الخامس عشرَ من إنجيله فقرة (٢٥)، قائلاً:

«لم أُرْسَل إلّا إلى خِرافِ بيتِ إسرائيلَ الضَّالَّةِ»، وكما صرَّحَ بأنـه مـا جـاءَ ليُنكرَ الرسالاتِ السابقةَ، وإنَما جـاءَ ليكَمِّلَهـا؛ بقولـهِ في الإصـحاح الخـامس من إنجيل متى أيضـًا، فقـرة (١٨): «لا تظنُّـوا أني جِئـتُ لأَنقُـضَ النـاموسَ أو الأنبياءَ. ما جِئتُ لأَنقُضَ بل لأُكَمِّلَ».

---

(١) د. كامل سعفان: مسيحية بلا مسيح ص١٣، ط سنة ١٩٩٧م، دار الفضيلة بالقاهرة.

فهي لذلك كانت تُحارِبُ اتجاهينِ تأصَّلا عند اليهودِ؛ هما:

١- شغفُهم بالمادَّةِ وإهمالُهم الناحيةَ الروحيةَ فيهم.

٢- ادِّعاؤهم أنَهم شعبٌ مُختارٌ، وادِّعاءُ أحبارِهم أنَهم الصِّلةُ بين اللهِ والناسِ، وبِدونِهم لا تَتمُّ تلك الصِّلةُ بين الخالقِ والمخلوقِ[١].

وبالرغمِ من أنَّ التأصيلَ التاريخيَّ لتلك الأناجيلِ ما يَزالُ محلَّ شكٍّ كبيرٍ[٢]، من قبلِ العديدِ من المؤرِّخينَ والمفكِّرينَ المسيحيينَ أنفسِهم، فقد اجتهدَ بعضُهم في محاولةِ فكِّ الحظرِ المفروضِ عليها من زعماءِ الكنيسةِ،

---

(١) راجع د. أحمد شلبي: المسيحية ص٤١ -ضمن سلسلة مقارنة الأديان- ط٦ سنة ١٩٨٧م، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة.

(٢) الحق أن الأناجيل الأربعة المعتمدة لم تُبدل أو يُنتقص منها على مر العصور فقط، وإنما أيضًا احتوت على قصص وصور فاسدة لا يمكن أن تعد شاهدة على صدق الدعوة، وإن احتوت على بعض الحقيقة، فضلاً عن أنَها كتبت بعد وفاة المسيح بمدة طويلة:

- فأول إنجيل كتبه مرقص كان حوالي ٦٠- ٧٥م.

- ومتى الذي كان جامع ضرائب أو موظفًا صغيراً، لم يستطع التحرك مع المسيح في أسفاره العديدة.

- أما لوقا الذي كان طبيبًا لبولس ولم يقابل المسيح مثل بولس، فقد كتب إنجيله في مرحلة متأخرة.

- وكذلك يوحنا الذي كتب إنجيله حوالي سنة ١٠٠م، ظل الجدل حول إنجيله محتدمًا مدة قرنين من الزمان عما إذا كان يمكن قبوله كإنجيل معتمد يصف حياة المسيح، ومن ثم يدخل ضمن الكتب المقدسة أو لا، إلى أن اعتمدته الكنيسة مع بدايات القرن الرابع.

- راجع مؤلفي الأناجيل الأربعة: http://ar.wikipedia.org/wiki.

لكن كان يَتوجَّبُ عليهم أن يَلْجؤوا إلى مفرداتِ أو مصطلحاتِ الفلسفةِ اليونانيةِ، التي كانت شائعةً في عصرِ كتابةِ الأناجيلِ، لحلِّ أحاجي الألفاظِ والعباراتِ التي تجعلُ من الأقانيمِ[1] الثلاثةِ شيئًا واحداً، وتلك التي تجعلُ من الصليبِ المصنوعِ من الخشبِ أو المعدنِ كاشفًا للأسرارِ اللاهوتيةِ!

لكن، يبدو أنَّ المفكرينَ المسيحيينَ -وبخاصَّةٍ الأوربيونَ منهم- شيءٌ، ورجالَ الكنيسةِ وعوامَّ المسيحيةِ شيءٌ آخرَ؛ ذلك أنَّ المثقفَ المسيحيَّ -في الغالبِ- كلمَّا ازدادَ تعمُّقًا في دراسةِ الأناجيلِ ازدادَ بُعداً عنها؛ لِما يَظهرُ له فيها من تناقضاتٍ وتعقيداتٍ واستحالاتٍ عقليةٍ كثيرةٍ؛ بل وكان معها أقربَ إلى الدخول في دينٍ آخرَ، أو ربَّما كان أكثرَ ميلاً إلى الإلحادِ والشكِّ في الموروثِ الديني كلِّهِ.

وهذا الوضعُ المُضطربُ أو المأساويُّ! لحالةِ لمثقفِ المسيحيِّ مع الإنجيلِ، يختلفِ عما هو عليه مع المثقفِ المسلمِ الذي يزيدُ حبُّه للإسلامِ وإقبالُه عليه وتقديرُه له كُلَّما تعمَّقَ في دراستهِ وتأدَّبَ بأخلاقهِ ومبادئهِ.

(١) يعتقد الجمهور الأعظم من النصارى، أن الله واحد ذو أقانيم ثلاثة. والأقنوم (Hypostasis) لفظة يونانية تعني الشخص (Person)، وهذه الأقانيم أو الأشخاص الثلاثة هي:

- شخص أو أقنوم الآب، وهو الله من حيث الجوهر، والأصل من حيث الأقنوم.
- وشخص الابن، وهو الله من حيث الجوهر، والمولود من حيث الأقنوم.
- وشخص روح القدس، هو الله من حيث الجوهر، والمنبثق من حيث الأقنوم.

راجع معنى (أقنوم) ضمن أسئلة اللاهوت والإيمان والعقيدة، موقع القديس تاكلا: http://st-takla.org.

وعلى أيةِ حالٍ فإنَّ الاعتقادَ الذي كان سائداً في المسيحيةِ الأولى، هو أنَّ المسيحَ كلمةُ اللهِ -أي أنه وُجِدَ بكلمتهِ وأمرهِ لا غيرَ، من غيرِ واسطةِ أبٍ ولا نطفةٍ[1]-؛ وهذا معناه القريبُ أنه ليس كاملاً، وإن كان مملوءاً بالرغبةِ نحو الكمالِ. ومعناه أيضاً أنه من جوهرٍ مختلفٍ عن جوهرِ الآبِ، ولا يُشاركه في الوجودِ الحقيقيِّ أو في الأزلِ؛ فقد خَلا منه زمانٌ، رغمَ الاعتقادِ بأنه أولُ المخلوقاتِ وأرقاها..

والآريوسيةُ -كما سنرى- لم تفعل شيئاً سوى أنها حاولَت إنقاذَ ذلك الاعتقادِ أو المحافظةَ عليه وحراستهَ من محاولاتِ تشويههِ أو النيلِ منه، رغمَ أنَّ توحيدَ آريوس وأتباعهِ لم يكن خالصاً، أو لم يكن كامِلاً عندما نُقِلَ لنا، بل كانت به شوائبُ شِرْكيةٌ كثيرةٌ.

ذلك أنَّ طائفةَ الأريوسيةِ، كما نُقِل عنها، كانت تُنكر فكرةَ التنزيلِ الإلهيِّ؛ لاعتقادِها أنه ليس هناك صِلةٌ بين اللهِ والإنسانِ: فاللهُ -عندهم- بعيدٌ عن الإنسانِ بُعداً مُطلقاً، ومُستقلٌّ استقلالاً كاملاً عن الخليقةِ، وليس في مقدورِ الإنسانِ أن ينفذَ إلى سِرّهِ المُستغلقِ.

بالإضافةِ إلى اعتقادِهم أنَّ الابنَ لا يمكنُ أن تكونَ له أيةُ معرفةٍ جوهريةٍ عن الآبِ؛ لأنَّ الآبَ خفيٌّ -مستورٌ- عن كلِّ شيءٍ، والابنَ كلِمتهُ، والكلمةُ

(١) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري ١: ٥٩٣، ضبط وتصحيح: مصطفى حسين أحمد، ط٣ سنة ١٩٨٧م، دار الريان للتراث بالقاهرة، ودار الكتاب العربي ببيروت لبنان.

لا تستطيعُ أن ترى أباها الرؤيةَ الكاملةَ أو أن تعرفَه المعرفةَ التامَّةَ[١].

لكن على الأقلِّ لم تكن الآريوسيةُ تثليثًا بحالٍ من الأحوالِ، ولم تتعدَّ نظرتُها للمسيحِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الطبيعةَ البشريةَ له، مع تفاوتٍ في تقديسِها أو في تقديرِها لمكانتهِ من اللهِ تعالى. كما أقرَّت بأنَّ جوهرَ الآبِ يختلِفُ عن جوهرِ الابنِ، فضلاً عن أنَها هدمت نظريةَ الفِداءِ والكفَّارةِ بإنكارِها وجودَ أي اتحادٍ حقيقيٍّ بين اللاهوتِ والناسوتِ؛ وهذا ربَّما يكونُ كافيًا لاعتبارِها من جملةِ الفرَقِ المسيحيةِ الموحِّدَةِ[٢].

هذا، مع أهميةِ التأكيدِ على أنَّ التوحيدَ إذا قُيِّدَ بطائفةٍ أو بأحدٍ من الناسِ، فهو بحسبِ مَن يُضاف إليه، إذ لا توحيدَ على الحقيقةِ إلّا ما أرسلَ الله به رسلَه وأنزلَه في كُتبهِ؛ وهو التوحيدُ المطلقُ الذي يفرِدُ اللهَ تعالى بالخلْقِ والأمرِ، ويُوجّه النفوسَ له وحده بالعبادةِ والخضوعِ والتسليمِ المطلقِ.

الموحدون الأوائل في المسيحية:

الحقُّ أنَّ الاعتقادَ بلاهوتِ المسيحِ يُمثِّلُ حجرَ الزاويةِ في الإيمانِ المسيحيِّ منذ عقدِ مجمعِ نيقيةَ المسكوني الأول عام ٣٢٥م -وسنعرِضُ له

(١) انظر: د.رمسيس عوض: الهرطقة في الغرب ص٧٣، ط١ سنة ١٩٩٧م، دار سينا للنشر بالقاهرة، ومؤسسة الانتشار العربي بيروت لبنان.

(٢) ونعني بها الفرق المسيحية التي تعتقد بأن الله واحد لا شريك له في الخلق والعبادة، وأن المسيح هو عبدالله ورسوله، إنسان ذو طبيعة بشرية واحدة، مع الرفض التام لفكرة التثليث والصلب والفداء والتجسد ونحو ذلك مما تقرر فيما بعد نيقية.

في حينـهِ- وحتـى اليـومَ؛ ذلـك الاعتقـادُ الـذي قـدَّمت الكنيسـةُ في سـبيلِ المحافظةِ عليه تضحياتٍ كبيرةً، نالـت مـن سـمعتِها ونزاهتِها وقدسيتِها عنـد كثيـرٍ مـن المـؤمنين بِهـا، فضـلاً عـن غيـرِهم مـن البـاحثينَ في علـم اللاهـوتِ ومقارنةِ الأديانِ على وجهِ الخصوصِ.

فالمسيحيةُ في الحقيقةِ، لم تقضِ على الوثنيـةِ -كمـا كـان المـأمولُ منهـا- وإنَما أعادت العقلَ اليونـانيَّ والوثنيـةَ اليونانيـةَ إلـى الحيـاةِ في صـورةٍ جديـدةٍ، هي صورةُ لاهوتِ الكنيسةِ وطقوسِها؛ كما يَذكرُ مؤرِّخُ الحضـارةِ المعـروفُ (ول ديورانت)، قـائلاً: «ولمـَّا أن فتحـت المسيحيةُ رومـا، انتقـلَ إلـى الـدينِ الجديدِ بِناءُ الدينِ الوثني القديمِ؛ وانتقلَ إليه لقبُ الحبر الأعظم (Pontifex Meximus)، وعبادةُ الأمِ العُظمى، وعددٌ لا يُحصى من الأربابِ..»[(١)].

ونحن هنا لسنا في مجـالِ تقـويمِ الديانـةِ، أو البحـثِ عـن الأصـولِ الوثنيـةِ فيهـا، فقـد كفانـا أمـرَ ذلـك بـاحثونَ كُثُـرٌ؛ أشـارَ إلـى بعضِـهم ونقـلَ أقـوالَهم وحققها من مصادِرها المختلفةِ، العلاَّمةُ المرحومُ -بإذن الله تعـالى- محمـد بن طاهر التَّنِّير [ت ١٣٥٢هـ - ١٩٣٣م][(٢)]، في كتابهِ النافع: «العقائـدُ الوثنيـةُ

(١) قصة الحضارة ١١: ٤١٨.

(٢) هو: محمد طاهر بن عبد الوهاب بن سليم التنير، ولد في بيروت، وأصدر جريدة دعاها (المصور)، ورحل إلى سويسرا، ودرس في إحدى جامعاتها سنة واحدة، ثم عاد إلى بلده وأقام بقرية تسمى (عين عنُّوب)، ثم وظف في إدارة جريدة الشرق، ثم رحل إلى سورية وتوفي في مدينة تدمر عام ١٩٣٣م ودفن بها. من آثاره: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، وعلم الفلك والطبيعيات، والأنوار السنية والدر النضير بالاشتراك مع والده. انظر مقدمة =

في الديانةِ النصرانيةِ»[١].

لكننا فقط نشيرُ إلى أنَّ آباءَ الكنيسةِ الأولى[٢] كانوا يُصرِّونَ على وحدانيةِ اللهِ تعالى، ويَمقتُونَ أيةَ عقيدةٍ تدعو إلى التثليثِ أو التجسُّدِ أو الصَّلْبِ والفِداءِ ونحو ذلك.

فقد خرجَ من بينِ المسيحيينَ الأوائلِ رسوليِّونَ وعددٌ من القدِّيسينَ والعلماءِ، الذين حاولوا جهدَ طاقتِهم أن يعيشوا ويَتصرَّفوا مثلما كان يفعلُ المسيحُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وكثيرٌ منهم كان يعيشُ في شمالِ أفريقيا[٣].

وآباءُ الكنيسةِ الأوائلِ، يمكنُ تقسيمُهم إلى ثلاثِ مجموعاتٍ رئيسةٍ؛ وهي:

١- **الآباءُ الرسلُ**: ويُقصَدُ بِهم الآباءُ السَّبعونَ -الذين تعلَّموا في الغالبِ

=

لجنة محققي الكتاب عن نسخته الأولى بدون بيانات.

(١) طبع الكتاب في نسخته الأولى في ٥/ ٤/ ١٩١٢م الموافق ١٨ ربيع الثاني سنة ١٣٣٠هـ.

(٢) الكنيسة: اسم سرياني بمعنى (مجمع). والكلمة اليونانية المستخدمة في العهد الجديد هي كلمة (اكليزيا) التي تعني: مجمع المواطنين في بلاد اليونان، والتي كانت الحكومة تدعوهم فيها للتشريع أو أمور أخرى. وقد استعملت الكلمة نفسها للدلالة على مجمع المؤمنين بالمسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

- أما الكنيسة الأولى فقد أسسها القديس بطرس في مدينة أورشليم حوالي عام ٣٠م. راجع: قاموس الكتاب المقدس ص٧٨٨.

(٣) انظر: عيسى المسيح والتوحيد ص٧٩.

على رسلِ المسيحِ الاثني عشرَ[١] (TheTwelve Disciples)- أو أولئك الذين كانوا معاصرِينَ لهم؛ ومن ثمَّ حملوا منهم أو نقلوا عنهم التقاليدَ والتعاليمَ الرَّسوليةَ؛ من أمثالِ: القدِّيس مرقص الرسول الذي كرَّزَ في مصرَ ونُسِبت له كنيسةُ الإسكندريةِ[٢]، والقدِّيس يوسف القبرصي (برنابا) الذي قدَّمَ بولس إلى التلاميذِ بعدما كانوا يخافونَ سطوتَه عليهم، والقدِّيس لوقا الأنطاكي الذي كان طبيبًا لبولس، وهو صاحبُ الإنجيلِ المعروفِ باسمه، وسفر أعمالِ الرسلِ الذي خلَّدَ فيه أقوالَ ورسائلَ وتعاليمَ بولس.

٢- **آباءُ ما قبلَ مجمعِ نيقيةَ**: ويُقصد بهم الذين جاؤوا بعدَ الآباءِ الرسلِ، وقبلَ انعقادِ مجمعِ نيقيةَ المسكوني الأولِ عام ٣٢٥م؛ من أمثالِ: القدِّيس إيرانيوس [ت ٢٠٠م]، والقدِّيس ترتليان [ت ٢٢٠م]، والقدِّيس أوريجن السَّكندريّ أو أوريجانوس [ت ٢٤٥م]، والقدِّيس لوسيان [ت ٣١٢م]، والقدِّيس آريوس [ت ٣٣٦م].

٣- **آباء ما بعدَ مجمعِ نيقيةَ**: وهم كُثرٌ، ومعروفونَ بعدَ إقرارِ العقيدةِ الرسميةِ؛ من أمثالِ: الأسقف أغسطنيوس [ت ٤٣٠م، والأسقف يوسابيوس القيصري [ت ٣٣٩م] الذي يوصفُ بأنه أبو التاريخِ الكنسي؛ حيث كتبَ تاريخَ الكنيسةِ منذ ولادةِ المسيحِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وحتى عام ٣٢٤م -

(١) الرسل الاثنا عشر، ذكروا بالاسم في الإصحاح الخامس من إنجيل متى.

(٢) استعرض الشماس منسي القمص في كتابه (تاريخ الكنيسة القبطية) هذه المجموعات الثلاث لآباء الكنيسة الأوائل، انظر ص٧ وما بعدها، ط١ سنة ١٩٢٤م مكتبة اليقظة بالفجالة، مصر.

أي قبلَ عقد مجمع نيقيةَ بعامٍ واحدٍ-، والأسقف جيروم [ت ٤٢٠م] - ويُعرَفُ بالقديسِ إيرونيموس- الذي قامَ بترجمةِ العهدِ الجديدِ من اليونانيةِ إلى اللاتينيةِ، والتي عُرِفت ترجمتُه بالفولجاتا (*Latin Vulgate*) أو بالترجمةِ الشعبيةِ؛ وهي التي ظلت وحدها الترجمةَ الوحيدةَ والمعتمدةَ للكنيسةِ الكاثوليكيةِ حتى عصرِ النهضةِ. وكذلك الأسقف أمبروزو -أو أمبروسيون- أسقف ميلان [ت ٣٩٧م]، الذي كان له الدورُ الرئيسُ في تحوّلِ الإمبراطورِ قسطنطين العظيمِ إلى المسيحيةِ، وغيرهم.

هذا، ونكتفي هنا بتناولِ المجموعتينِ الأُوليَينِ من آباءِ الكنيسةِ، ونشيرُ فقط إلى أشهرِ الموحِّدينَ منهم، وإلى بعضِ تعاليمِهم بإيجازٍ غيرِ مخلٍّ؛ فيما يلي:

- **أولاً: الآباء الرسل:**

ونختارُ منهم على سبيلِ المثالِ:

- القدِّيسُ برنابا[1](*St Barnabas*): واسمه: يوسف القبرصي -كما ذكرنا- وهو، كما تذكر كتب النصارى، أحدُ تلاميذ المسيحِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

(١) هو الذي عرف التلاميذ بإيمان شاؤول (بولس الطرسوسي) بعد أن كانوا يخافونه لاضطهاده تلاميذ المسيح.

وهو في الأصل قبرصي من سبط لاوي، لم يسكن فلسطين إلا في أواخر عمره، اختلف مع بولس بسبب إصرار الأخير على عدم اشتراط الختان لمن يدخل المسيحية. توفي حوالي سنة ٦٠م.

- انظر: سفر أعمال الرسل ٤: ٣٦، ٩: ٢٦- ٢٧، ١١: ٢٣- ٢٤.

السبعينَ على الأقلِّ، وإن لم يكن من التلاميذِ الاثني عشرَ، وقد دعاه التلاميذُ: «برنابا»؛ أي ابن العزاءِ، أو ابن الوعظِ. وهو أيضًا خالُ القدِّيسِ مرقص الرسول.

وللقدِّيسِ برنابا إنجيلٌ معروفٌ باسمِ: إنجيلِ برنابا[1]، لم تعترف به الكنيسةُ أو لم تعترف به الطوائفُ المسيحيةُ؛ لكونهِ يتعارضُ مع المبادئ الدينيةِ والتاريخيةِ المقرَّرةِ لدى المسيحيةِ؛ من اعتبارِ أنَّ عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بشرٌ ورسولٌ لبني إسرائيلَ فقط، وأنه بَشَّرَ برسولٍ خاتَمٍ أعظمَ منه سيأتي من بعده إلى شعوبِ الأرضِ كافَّةً، وأنَّ وظيفةَ المسيحِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إنما هي أشبهُ بوظيفةِ (يوحنا المعمدان) -أو النبيّ يحي بن زكريا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- الذي تنبأَ بقدومِ مَن هو أعظمُ منه.

إذن، فالعقائدُ الأساسيةُ التي هي مَثارُ خلافٍ كبيرٍ بين المسلمينَ والنصارى، هي في إنجيلِ برنابا المذكورِ محلُّ اتفاقٍ تامٍّ مع عقائدِ المسلمينَ؛ حيث يشيرُ إلى أربعِ عقائدَ رئيسةٍ تتفقُ تمامَ الاتفاقِ مع العقيدةِ

---

(١) قام المؤرخ خليل سعادة بترجمته من الإنجليزية عن نسخة ترجمها القس (لوندال) من الإيطالية، ثم تولى فضيلة الشيخ رشيد رضا بنشرها عام ١٩٠٨م.

- ثم قام السيد سيف الله أحمد فاضل بتحقيقها ونشرها مرة أخرى عام ١٩٧٣م، مشفوعة بدراسة وافية حول وحدة الدين عند الأنبياء الثلاثة، وعقد فيها مقارنة ما بإنجيل برنابا بآي القرآن الكريم والحديث الشريف، مع توضيح أوجه الشبه والخلاف، والقطع بأن إنجيل برنابا لم يكن من وضع المسلمين كما يدعي أغلب المستشرقين.

- والطبعة التي اعتمدنا عليها هي، ط١ سنة ١٩٧٣م، دار القلم بالكويت.

الإسلاميةِ[١]؛ وهي:

- **أولاً**: اعتبارُ المسيحِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، عبداً للهِ ورسولاً منه إلى بني إسرائيلَ، وليس ربَّـًا، ولا ابنـًا، ولا ثالثَ ثلاثةٍ:

– فقد جاءَ فيه تحتَ عنوانِ «خوفُ يسوع وصلاتُه وتعزيةُ الملاكِ جبريلَ العجيبةُ»، ما نَصُّه: «.. وبعد أن صرفَ الليلَ كلَّه في الصَّلاةِ، صلَّى في الصَّباحِ قائلاً: يا رب إني عالمٌ أنَّ الكتَبةَ يبغضونني، والكهنةَ مُصمِّمُونَ على قتلي أنا عبدُك، لذلك أيها الربُّ الإلهُ القَدِيرُ الرَّحيمُ: اسمع برحمةٍ صلواتِ عبدكِ وأنقذني من حبائِلهم؛ لأنك تَعلمُ أنت خلاصي وأنتَ تعلمُ يا ربُ أني أنا عبدُك إيَّاك أطلبُ يا ربُّ..».

وواضحٌ أنَّ هذا النصَّ يثبتُ عبوديةَ المسيحِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ للهِ عزَّ وجلَّ.

– وفي نصٍّ آخرَ يُقرِّرُ أنه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ نبيٌّ مُرْسَلٌ إلى بني إسرائيلَ؛ حيث جاءَ تحتَ عنوانِ «كيف يجبُ على الإنسانِ أن يُحِبَّ الله»، ما نصُّهُ:

«.. أجابَ يسوعُ: كلُّ كلمةٍ من كلماتي صادقةٌ؛ لأنها ليست مِنِّي بل من اللهِ الذي أرسلني إلى بيتِ إسرائيلَ..».

– وفي نصٍّ آخرَ يُبدي فيه المسيحُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ استياءَه ممن سيدعونَه: إلهـًا أو ابنَ الإلهِ؛ حيث جاءَ في الفصلِ الثاني والخمسينَ، ما نصُّهُ: «الحقَّ أقولُ لكم مُتكلِّمـًا من القلْبِ: إني أقشعِرُّ؛ لأنَّ العالمَ سيدعوني إلهـًا، وعليَّ أن

(١) راجع عبد الحميد سرحان: العقائد الإسلامية وإنجيل برنابا ص١٥ وما بعدها، ط مكتبة الصحابة الإسلامية، السالمية – الكويت.

أقدِّمَ لأجلِ هذا حِسابًا لعمرِ اللهِ الذي نَفسي واقفةٌ في حضرتِهِ، إني رجلٌ كسائرِ الناسِ، على أني وإنْ أقامني اللهُ نبيًّا على بيتِ إسرائيلَ لأجلِ صحَّةِ الضعفاءِ وإصلاحِ الخُطاةِ، خادمُ اللهِ..».

- وفي الفصلِ الثالثِ والخمسينَ، نصٌّ يَلْعنُ فيه المسيحُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كلَّ من دعاه ابنًا للهِ تعالى: «ولمَّا رفعَ رأسَه قالَ: ليكنْ ملْعونًا كلُّ مَن يُدْرِجُ في أقوالي أني ابنُ اللهِ»(١).

- وفي الفصلِ الثالثِ والتسعينَ، وردَ نصٌّ للمسيحِ يتبرأُ فيه من كلِّ من يُخرجه عن طبيعتِهِ البشريةِ؛ حيث قالَ لمن دعاه: إلهًا، أو ابنَ إلهٍ، أو روحًا للقُدُسِ:

«أشهدُ أمامَ السَّماءِ، وأُشْهِدُ كلَّ شيءٍ على الأرضِ، أني بريءٌ من كلِّ ما قد قُلْتم؛ لأني إنسانٌ مولودٌ من امرأةٍ فانيةٍ بشريةٍ، وعُرْضةٌ لحُكمِ اللهِ، مُكابِدٌ شقاءَ الأكلِ والمنامِ وشقاءَ البردِ والحرِّ كسائرِ البشرِ..»(٢). ونحو ذلك من النصوصِ الكثيرةِ التي وردت فيه حولَ هذا المعنى(٣).

- **ثانيًا**: التبشيرُ بالنبيِّ محمدٍ ﷺ، وبِقُرْبِ قُدومِهِ، والتأكيدُ على أنه رسولٌ للعالمينَ وخاتمُ للأنبياءِ والمرسلينَ(٤):

---

(١) الفصل السادس والعشرون ص٧٠، والثالث والخمسون ص١٠٧.

(٢) الفصل الثالث والتسعون (أ) ص١٥٤، وانظر: الفصل الرابع والتسعين (أ) ص١٥٥.

(٣) راجع على سبيل المثال: الفصل السادس والعشرين بعد المائة، والفصل الثاني عشر بعد المائتين، والفصل العشرين بعد المائتين.

(٤) التبشير برسالة محمد ﷺ امتلأت بها صفحات إنجيل برنابا، في الفصول: الرابع والأربعين، =

- فقد جاءُ في الفصلِ الحادي والأربعينَ نصٌّ يُصرِّحُ باسم محمدٍ ﷺ:

«فلما التفت آدمُ رأى مكتوبـًا فـوقَ البـابِ "لا إلـه إلاَّ اللهُ، محمـدٌ رسـولُ اللهِ"، فبكى عند ذلك وقـالَ: "أيهـا الابـنُ، عَسـى اللهُ أن يُريـدَ أن تـأتي سـريعـًا، وتخلِّصنا من هذا الشقاءِ"».

- وفي الفصلِ الثالثِ والأربعينَ، ما نصُّهُ: «الحقَّ أقـولُ لكـم: إنَّ كـلَّ نبـيٍّ متى جاءَ فإنه يحملُ لأمةٍ واحدةٍ فقـط علامـةَ رحمـةِ اللهِ، ولـذلك لـم يتجـاوزْ كلامُهم الشعبَ الذي أُرسِلوا إليه، ولكنَّ رسولَ اللهِ متى جاءَ يُعطيه اللهُ ما هـو بمثابـةِ خـاتم يـدهِ: فيحمـلُ خلاصـًا ورحمـةً لأمـمِ الأرضِ الـذين يقبلـونَ تعليمَـه، وسيأتي بقـوَّةٍ علـى الظـالمينَ، ويُبِيـدُ عبـادةَ الأصـنامِ؛ بحيـث يُخـزي الشيطانَ؛ لأنـه هكـذا وعـدَ اللهُ إبـراهيمَ قـائلاً: "انظـر فـإني بنسـلِكَ أُبـارك كـلَّ قبائـلِ الأرضِ، وكمـا حطَّمـتَ يـا إبـراهيمُ الأصـنامَ تحطيمـًا، هكـذا سـيفعلُ نَسْلُكَ"».

- **ثالثـًا**: الإشـارةُ إلـى أنَّ الـذبيحَ الـذي أمـرَ اللهُ تعـالى نبيَّـه إبـراهيمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بذبحهِ، هـو إسـماعيلُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ولـيس إسـحاقَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ تصـديقـًا للقرآنِ الكريمِ:

- فقد جاءَ في الفصلِ الثالث عشرَ من إنجيلِ برنابا، ما نصُّه:

«فأجابَ الملاكُ جبريلُ: انْهض يا يسوع، واذكر إبـراهيمَ الـذي كـان يُريـد

=

والرابع والخمسين، والثاني والسبعين، والسابع والتسعين، والسادس والثلاثين بعد المائة، والحادي والتسعين بعد المائة، والثالث والتسعين بعد المائة، والعشرين بعد المائتين.

أن يُقدِّمَ ابنَه الوحيدَ (إسماعيلَ) ذبيحةً للهِ ليتمَّ كلماتِ اللهِ، فلمَّا لم تقو المدْيةُ على ذبحِ ابنهِ، قدَّمَ عملاً بكلِمتي كَبشًا..»[١].

- وجاءَ في الفصلِ الرابعِ والأربعينَ، ما نصُّه: «..حينئذٍ قالَ التلاميذُ: يا معلِّم! هكذا كُتِبَ في كتابِ موسى أنَّ العهدَ صنعَ بإسحاقَ. أجابَ يسوعُ متأوِّهًا: هذا هو المكتوبُ ولكنَّ موسى لم يكتبه، ولا يشوع، بل أحبارُنا الذين لا يخافونَ اللهَ. الحقَّ أقولُ لكم: إنكم إذا أعملتم النظرَ في كلامِ الملاكِ جبريلَ، تعلمونَ خُبثَ كَتبتِنا وفقهائِنا؛ لأنَّ الملاكَ قالَ: "يا إبراهيمُ سيعلمُ العالمُ كلُّه أن كيف يُحبُّكَ اللهُ، ولكن كيف يعلمُ العالمُ محبَّتَكَ للهِ حقًّا، يجبُ عليك أن تفعلَ شيئًا لأجلِ محبَّةِ اللهِ". أجابَ إبراهيمُ: "ها هو ذا عبدُ اللهِ مُستعِدٌّ أن يفعلَ كلَّ ما يُريدُ اللهُ"، فكلَّمَ اللهُ حينئذٍ إبراهيمَ قائلاً: "خذ ابنكَ بِكْرَك إسماعيلَ واصعد الجبلَ لتقدِّمه ذبيحةً"..»[٢].

- وفي الفصلِ الثاني والأربعينَ بعدَ المائةِ، ما ينُصُّ صراحةً على أنَّ خاتمَ الأنبياءِ والمرسلينَ محمداً ﷺ، سيكونُ من نسلِ إسماعيلَ الذبيحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وليس من نسلِ إسحاقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«وأنْكى من ذلك أنه -أي المسيحُ- يقولُ: إنَّ مُسيا (محمد) لا يأتي من نسلِ داودَ، كما قالَ لنا أحدُ تلاميذِهِ الأخصاء، بل يقولُ: إنه يأتي من نسلِ إسماعيلَ، وأنَّ الموعدَ صنعَ بإسماعيلَ لا بإسحقَ..»[٣].

(١) برنابا ص٥١.

(٢) برنابا ص٩٥.

(٣) برنابا ص٢١٦.

• **رابعًا**: التأكيدُ على أنَّ المسيحَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لم يُقتل، ولم يُصلب، وإنما الذي قُتِلَ وشُبِّه لهم هو (يهوذا الإسخريوطي) - الخائنُ- أحدُ حواريِّي المسيحِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:

- فقد جاءَ في الفصلِ التاسعِ والثلاثينَ بعد المائةِ، قولُه عن اليهودِ: «فَسيقومُ على رؤساءِ الكهنةِ وشيوخِ الشعبِ، وسيطلبونَ من الحاكمِ الروماني قتلي؛ لأنهم يخافونَ أن أغتصِبَ مُلْكَ إسرائيلَ، وعلاوةً على ذلك فإنَّ واحداً من تلاميذي يبيعُني ويُسْلِمُني كما بِيعَ يوسفُ إلى مِصرَ، ولكنَّ اللهَ العادِلَ سيوثقُه؛ كما يقولُ النبيُّ داود: "مَن نصبَ فَخًّا لأخيهِ وقعَ فيه"، ولكنَّ اللهَ سيُخلِّصنُي من أيديهم، وسينقلُني من العالمِ»[1].

- وفي الفصلِ الخامس عشرَ بعد المائتينِ: «ولمَّا دَنت الجنودُ مع يهوذا من المحلِّ الذي كان فيه يسوعُ، سمعَ يسوعُ دُنوَّ جمٍّ غفيرٍ، فلذلك انسحبَ إلى البيتِ خائفًا، وكان الأحدَ عشرَ نياماً، فلمَّا رأى اللهُ الخطرَ على عبدهِ أمرَ جبريلَ وميخائيلَ ورفائيلَ وأوريل سُفرَاءَه أن يأخذوا يسوعَ من العالمِ»[2].

- وكذلك جاءَ في الفصلِ الحادي والعشرينَ بعدَ المائتينِ على لسانِ يسوع، ما ينصُّ صراحةً على أنه لم يَمت على أيدي اليهودِ كما أُشِيعَ: «الحقَّ أقولُ لكم: إني لم أمت، بل يهوذا الخائن، احذروا؛ لأنَّ الشيطانَ سيُحاول

(١) برنابا ص٢١٢، ٢١٣.

(٢) برنابا ص٢٨٨.

جهدَه أن يخدعَكم»[١]، وغير ذلك.

- **ثانيـًا: آباء ما قبل مجمع نيقية:**

وهم رِجالٌ كُثُرٌ ومعروفونَ، جاؤوا بعدَ الآباءِ الرسلِ الأوائلِ، ابتداءً مِن القدِّيسينَ: إيرانيوس، وترتليان، وأوريجن، ولوسيان، وغيرِهم، وصولاً إلى القدِّيسِ بولس السيمساطي، وانتهاءً بالقدِّيسِ آريوس السكندريِّ؛ ونختارُ منهم:

١- القدِّيس إيرانيوس (*St Irenee*) أُسقف مدينةِ ليون: وهو أحدُ علماءِ القرْنِ الثاني للميلادِ، الذي قُتِلَ عام ٢٠٠م لتبنِّيهِ قضيَّةَ المسيحيينَ الذين اضطُهِدوا نتيجةَ عدمِ إيمانِهم بمذهبِ الكنيسةِ البولسيةِ، ومعارضتِهم لسلْطةِ البابا آنذاك.

وللقدِّيسِ إيرانيوس كتابٌ بعنوان: «ضد الهرطقة»؛ ذكرَ فيه أنَّ (يَهوذا الإسخريوطي) كان يَعرِفُ الحقيقةَ كما لم يعرفها أحدٌ غيرهُ؛ الأمر الذي جعلَ البعضَ يَتّهِمُ القدِّيسَ إيرانيوس بأنه يُبرِّئُ يَهوذا من تهمةِ الخيانةِ للمسيحِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ تلك التهمةُ التي رَوَّجت لها الكنيسةُ البولسيةُ لأكثرَ من ألفيْ عامٍ[٢].

---

(١) برنابا ص٢٩٧.

(٢) جوان فرشخ بجالي: تحقيق بعنوان (من يصدق إنجيل يهوذا؟)، مقال منشور في جريدة الأخبار اللبنانية في صفحة تراث وآثار، العدد رقم ٥٤٤ بتاريخ السبت ٧حزيران عام ٢٠٠٨م.

ولقد آمنَ إيرانيوس بإلهٍ واحدٍ، وأيَّدَ مبدأَ بشريةِ المسيحِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وانتقدَ بِشدَّةٍ شاؤولَ الطرسوسي -أو بولسَ الرسولَ (*The Apostle Paul*)- واعتبرَه مسؤولاً عن إدخالِ مذاهبِ الدياناتِ الوثنيةِ والفلسفةِ الأفلاطونيةِ إلى المسيحيةِ[١].

هذا، وقد تناولَ إيرانيوس في كتاباتهِ ورسائِلهِ قضيةَ خلْقِ آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من دونِ أبٍ ولا أمٍّ ويُسميه المسيحَ الأولَ، وخلْقِ المسيحِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من أمٍّ فقط ويُطلق عليه آدمَ الآخرَ، بل وعقدَ بينهما مقارنةً قريبةً مما وردَ في القرآنِ الكريمِ.

لكنه مع ذلك لم يكن -في نظرِ كثيرٍ من مُؤرِّخي المسيحيةِ- لاهوتيًّا خَلاَّقًا، أو على الأقلِ لم يكن مُجدِّداً ومُبدِعًا لأفكارٍ جديدةٍ، وإنما فقط استطاعَ المحافظةَ على ما ورثه من إيمانٍ صحيحٍ استلمه من الرسلِ الأوائلِ[٢].

٢- القدِّيس ترتليان ت ٢٢٠م، أو (ترتوليانوس)، أو باللاتينية (*Tertullianus*):

وهو أحدُ المُدافعينَ الأوائلَ من المسيحيينَ، وأَوَّلُ مَن كتبَ كتاباتٍ

---

(١) انظر كتاب: عيسى والتوحيد ص٧٩، ٨٠.

(٢) راجع د. القس حنا جرجس الخضري: تاريخ الفكر المسيحي - يسوع المسيح عبر الأجيال - المجلد الأول - جـ٣: ٤٤٢، ط١ سنة ١٩٨١م دار الثقافة، ودار الطباعة القومية بالفجالة.

مسيحيةً باللغةِ اللاتينيةِ.

وربّما اشتُهِرَ بهذا الاسمِ (ترتليان)؛ نظراً لصياغتهِ للثالوثِ المسيحيِّ - والذي يُسمى باللاتينية: (*Trinitas*)- صياغةً جديدةً بعيدةً عن معناه الوثني[١].

والقدِّيسُ ترتليان هو قرطاجيُّ الموطنِ يَتبعُ الكنيسةَ الإفريقيةَ، كان يُؤمِنُ بوحدانيةِ اللهِ، وكان يُطلِقُ على المسيحِ: مسيا[٢] اليهوديّ (*The Jewish Messiah*). ومن أقوالهِ: «إنَّ العامَّةَ تعتقِدُ أنَّ المسيحَ رجلٌ، وليسَ إله»[٣].

لكنَّ الكُتَّابَ المسيحيينَ لا يُشيرونَ إلى ذلك التحوَّلِ في حياةِ ترتليانَ، وإنما فقط يُعلِّلونَ ابتعادَه عن الكنيسةِ بأنه مرَّ بأزمةٍ معها خلالَ الأعوامِ (٢٠٣- ٢١٢م)؛ ابتعدَ على إثرِها شيئاً فشيئاً عن الكنيسةِ.

وبالطبعِ لا يتطرَّقونَ لذكرِ تفاصيلِ تلك الأزمةِ، وإنما فقط يذكرونَ أنَّ أفكارَه اتجهت نحو المونتانية (*Montanism*) -نِسبةً إلى مؤسسها

---

(١) راجع موسوعة المعرفة، على الرابط التالي:

http://www.marefa.org/index.php.

(٢) جاء في صفحة ٨٩٠ من قاموس الكتاب المقدس: «مِسِّيَّا: هي الصيغة العربية للكلمة اليونانية مِسِّيَّاس، المأخوذة من الكلمة الآرامية ماشاخا (Mashach) التي تعنى مسيح».

- وقد ذكرها إنجيل يوحنا ١: ٤٢، ٤: ٥٢.

(٣) انظر كتاب: عيسى والتوحيد ص٨٠.

مونتانيوس الذي انشقَّ عن الكنيسةِ- ذاتِ الصِّبغةِ التوحيديةِ، والتي تَترقَّبُ قدومَ مَسيحِ آخرِ الزمانِ!

٣- القدِّيس بولس السيمساطي أو السمسطائي *Paul Samosata* ت٢٦٨م، أُسقف كنيسةِ أنطاكية -كُبرى كنائسِ الشرْقِ في وقتهِ - ومؤسِّس الفرقةِ البوليانيةِ:

كان واحداً من أهمِّ المهرطقينَ[١] العقلانيينَ الذينَ أنكروا التثليثَ؛ حيث نادى بوحدانيةِ اللهِ، وبشريةِ المسيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقال: «إنَّ يسوعَ ليس سوى إنسانٍ لم يعرف الخطيئةَ منذ ولادتهِ؛ أي منذ أن تَمَّت معجزةُ اتحادِ الكلمةِ بالمسيحِ واستقرارِها فيه»[٢]. والمسيحُ في نظرِ بولس هذا، ينفرِدُ بالحِكمةِ التي هي صِفةٌ من صفاتِ اللهِ.

هذا، ويكفينا في هذا الصَّددِ ما أورده كتابُ (تاريخُ الكنيسة)[٣] -الذي

(١) الهرطقة (heresy) أو (heterodoxy): هي المروق أو الابتداع في الدين. وأصل الكلمة اليوناني بمعنى: الاختيار أو الخروج على مجموعة الأفكار الدينية التي يؤمن بها السواد الأعظم من الناس في مجتمع معين وزمن معلوم. والشخص الهرطوقي هو المبتدع أو المخالف للتعاليم الكنسية أيًّا كانت.

- راجع: قاموس الجيب للمصطلحات الدينية - مادة هرطقة - تأليف ونشر: شماس إكليريكي/ حشمت كمال، ط عام ١٩٩٩م، القاهرة.

(٢) انظر: الهرطقة في الغرب ص٦٢ (سابق).

(٣) راجع يوسابيوس القيصري: تاريخ الكنيسة ص٣٧٩ وما بعدها، تعريب القمص: مرقس داود، ط سنة ١٩٧٩م القاهرة الحديثة للطباعة - أحمد بهي الدين الخربوطلي - بالفجالة، القاهرة.

أَلَّفَه يوسابيوس القيصري ت٣٤٠م؛ وهو مؤرِّخٌ عاشَ في العصورِ الأولى للكنيسةِ- عن عقيدةِ (بولس) وما كان لمذهبهِ من صدىً واسعٍ لدى الأوساطِ الدينيةِ آنذاك.

فقد أوردَ الكتابُ عن بولس السيمساطي، أنه كان يَعتبرُ أنَّ المسيحَ مجرَّدُ إنسانٍ وُلِدَ كما يولَدُ الإنسانُ من أسفلَ -كما ذكرَ المؤلفُ- أي أنَّ مولدَه بدأَ من مريمَ.

ومن ثمَّ رفضَ الاعترافَ بأنَّ المسيحَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ نزلَ من السَّماءِ، أو أنَّ له وجوداً أزليًّا. كما أنكرَ الكلمةَ (بمعنى اللوجوس[١] *Logos*) التي وردت في إنجيل يوحنا؛ من حيثُ إنَّ لها كياناً مُستقلاً، أو إنَها الإلهُ مُتجسِّداً في شخصِ يسوع المولودِ من مريمَ.

وبالإضافةِ إلى ما ذكره (يوسابيوس) عن عقيدةِ بولس؛ فقد ذكرَ أيضاً (ساويرس بن المقفع) [ت٩٨٧م] -أسقفُ الأشمونين- أنَّ بولس السيمساطي كان يُنكِرُ القولَ بالبنوَّةِ والتجسُّدِ، ولا يَعترِفُ بأنَّ المسيحَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ نزلَ من السَّماءِ[٢].

---

(١) اللوجوس: من أشد الكلمات أهمية وأكثرها غموضاً، سواء في الفكر الديني أو في الفكر الفلسفي، فلها مدلولات مختلفة عند الفريقين، وبعض الفلاسفة والدينيين وجدوا فيها وسيلة لتفسير الاتفاق بين الفلسفة اليونانية والعقيدة المسيحية. راجع تعريف اللوجوس: http://arz.wikipedia.org.

(٢) انظر: تاريخ مصر من بدايات القرن الأول الميلادي حتى نهاية القرن العشرين، من خلال مخطوطة تاريخ البطاركة ١: ٢٧٢ وما بعدها، إعداد وتحقيق: عبد العزيز جمال الدين، =

٤- وأخيراً، القدِّيس أريوس السَّكندري ت٣٣٦م، مؤسِّس الفرقةِ الآريوسيةِ: الذي يُعتبَرُ أشهرَ دعاةِ التوحيدِ المُجرَّدِ في تاريخِ الديانةِ المسيحيةِ، وأكبرَ ناقدٍ وعالمٍ بالكنيسةِ البولسيةِ؛ ذلك الأُسقفُ الذي يُعَدُّ من وجهةِ النظرِ الأرثوذكسيةِ هرطقيًّا أو زنديقًا، شكَّلَ خطراً كبيراً على المسيحيةِ طوالَ القرونِ العشرةِ الأولى من تاريخِ الديانةِ.

كان القدِّيسُ آريوس قِسِّيسًا بالإسكندريةِ يومَ أعلنَ في إحدى مواعظهِ أنَّ كلمةَ اللهِ مخلوقةٌ ومُباينةٌ بالجوهرِ لذاتِ اللهِ؛ لأنَها عبارةٌ عن العقلِ الذي هو (المعلول) الأولُ، وهو أولُ ما خلقَ اللهُ[١].

إذن فخِلافُه مع الكنيسةِ، كان قائِمًا على أُطروحةٍ واحدةٍ: هي أنَّ يسوعَ المسيحَ كائنٌ بشريٌّ فانٍ، مُعلَّمٌ يُوحَى إليه، وليس إلهيًّا بأي معنى من المعاني[٢].

وبالرغمِ من أنَّ نشأته ليست معلومةً للباحثينَ بالقدْرِ الكافي، إلّا أنَّ الثابتَ لدى كثير من المؤرخين أنه ترأسَ كنيسةَ بوكاليس (*Baucalis*) في

=

ط١ سنة ٢٠٠٦م مكتبة مدبولي بالقاهرة.

- وراجع د. أسد رستم: كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى ١: ١٢٠، ط سنة ١٩٨٨م، المكتبة البولسية، بيروت لبنان.

(١) انظر ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص٨٠، ط سنة ١٩٥١م، المطبعة الكاثوليكية، بيروت.

(٢) راجع مقالة بعنوان «الآريوسيون»، في ويكيبيديا (الموسوعة الحرة) على الرابط التالي: http://ar.m.wikipedia.org/wiki.

الإسكندريةِ عام ٣١٨م؛ التي كانت من أقدمِ وأهمِّ الكنائسِ في المدينةِ[١].

والحقُّ أنَّ قِصَّةَ حياةِ القدِّيسِ آريوس، تتداخلُ مع قِصَّةِ حياةِ الإمبراطورِ الروماني قسطنطين؛ لدرجةِ أنه يَصْعُبُ علينا فهمُ الأولى دونَ معرفةِ الأخرى.

ولن تُفيدنا معرفةُ تفاصيلِ حياةِ الإمبراطورِ قسطنطينَ، وما إذا كان قد دخل في المسيحيةَ -كما يُشاع- أو لا.

لكنَّ الذي يَهمُّنا بالدرجةِ الأولى، هو معرفةُ: أنَّ الصِّراعَ الديني في عهدِهِ كان قد احتدمَ بين أتباعِ الكنيسةِ الرَّسوليةِ التي استمرَّت في الإيمانِ بإلهٍ واحدٍ، وبين أتباعِ الكنيسةِ البولسيةِ التي دعت إلى التثليثِ والتجسُّدِ والفِداءِ ونحو ذلك من العقائدِ، أو البدعِ التي أدخلها بولس الطرسوسيُّ على المسيحيةِ الأولى.

هذا الصِّراعُ الذي بدأ قبلَ مجيءِ الإمبراطورِ قسطنطين، واستمرَّ مدّةً من حكمِهِ، كادَ يُهدِّدُ أركانَ الإمبراطوريةِ الرومانيةِ الوثنيةِ، التي انتشرت فيها مسيحيةُ بولس بشكلٍ كبيرٍ، لولا أن ارتأى الإمبراطورُ جمعَ الناسِ تحتَ لافتةٍ واحدةٍ، أو مُسمًّىً دينيٍّ واحدٍ؛ فأعلنَ دخوله في المسيحيةِ بشكلِها الوثني، وبدأَ بعمليةِ تَسويقٍ لِفِكْرَةِ إجبارِ غيرِه على الدخول في مُعتقدِهِ الجديدِ!

ونتيجةً لذلك، أمرَ في عام ٣١٨م بقتلِ الأساقفةِ الذينَ لا يُقرِّونَ بذلك

(١) راجع كتاب: عيسى المسيح والتوحيد ص٨٥.

المعتقدِ الجديدِ، ومطاردةِ الذينَ يختلفونَ مع تعاليمِ مسيحيةِ روما التي يُريد قسطنطين أن ينشرَها في العالمِ.

وفي عامِ ٣٢٥م، عُقِدَ أوَّلُ مجمعٍ كنسيٍّ في مدينةِ نيقيةَ[١]، بأمرٍ من الإمبراطورِ قسطنطين نفسهِ الذي ترأَسَ جلساتِه؛ من أجلِ فرْضِ عقيدةِ (أثناسيوس) الرومانيةِ -وهي العقيدةُ الكاثوليكيةُ كما تقرَّرت فيما بعد- وسحقِ كلِّ مَن يُعارِضُها[٢].

أما آريوس، فكلُّ ما نَعرفه عن حياتهِ الأولى أنه من أصلٍ ليبيٍّ أو بربريٍّ، درسَ اللاهوتَ في مدرسةِ أنطاكيا على يدِ المعلِّمِ (لوقيانوس)، ثم جاءَ إلى الإسكندريةِ ورُسِّمَ أُسقفًا لكنيسةِ بوكاليس، كما ذكرنا من قبل.

وقد أجمعَ الكُتَّابُ على أنَّ القدِّيسَ آريوس، كان عالمًا ومُثقفًا كبيراً وواعظًا وزاهداً مُتقشِّفًا، استطاعَ أن يجذِبَ حولَه جماعةً من أهلِ الإسكندريةِ -وخاصةً من الرُّهبانِ والرَّاهباتِ- الذين وجدوا في أسلوبهِ الوعظيِّ والتعليميِّ، تجديداً وابتكاراً يختلفُ عن العِظاتِ التي تعوَّدوا سماعَها.

---

(١) نيقية: مدينة إغريقية قديمة، تقع على الساحل الغربي للأناضول على بحر مرمرة، وقد اختارها الإمبراطور مقراً للمجمع لكونها ميناءً يسهل الوصول إليه، ولقربها من عاصمة الإمبراطورية الشرقية (نيقوميديا) في آسيا الصغرى. راجع في تعريف مدينة نيقية: http://ar.wikipedia.org.

(٢) راجع ابن قرناس: مسيحية بولس وقسطنطين ص١٤٥، ط١ سنة ٢٠٠٨م، منشورات الجمل، بغداد.

هذا، ولقد هاجمَ القدِّيسُ آريوس عقيدةَ أزليةِ الابنِ وانبثاقِ جوهرهِ من الآبِ، وكان من جملةِ تعاليمهِ الداعيةِ إلى التوحيدِ، أو الخارجةِ عن تعاليمِ الكنيسةِ البولسيةِ؛ ما يلي:

١- أنَّ اللهَ هو إلهٌ واحدٌ غيرُ مولودٍ، أزليٌّ. أمَّا الابنُ فهو ليس أزليًّا؛ إذ إنه وُجِدَ وقتٌ لم يكنِ الابنُ موجوداً فيه.

٢- أنَّ الابنَ غير الأزليِّ وغير المنبثقِ من جوهرِ الآبِ، قد خرجَ من العدَمِ مثل كلِّ الخلائقِ الأخرى، بحسبِ قصْدِ اللهِ ومشيئتهِ.

٣- أنَّ المسيحَ الذي يَعبدُه المسيحيونَ، ليس إلهًا، ولا يمتلِكُ الصفاتِ الإلهيَّةَ المُطلَقةَ من العلمِ المحيطِ والقدْرةِ النافذةِ ونحو ذلك.

٤- أنَّ اللهَ خلقَ الكلمةَ (الابن) لأجلنا؛ لأنه عندما أرادَ أن يخلقنا، خلقَ كائنًا يُدعى الكلمةَ أو الحِكمةَ؛ لكي نكونَ على صورتهِ، فلو أرادَ ألاَّ يخلقنا، لأصبحَ وجودُ الابنِ مُستحيلاً.

فالابنُ مخلوقٌ مثل كلِّ الخلائقِ، مُتغيِّرٌ، غيرُ أزليٍّ، ليس كليَّ العلْمِ، ولقد كان حُرًّا في أن يَظلَّ صالِحًا كما خَرَجَ من بينِ يدي اللهِ، أو أن يَرْتدَّ إلى الشرِّ مثل الشَّيطانِ، غيرَ أنَّ اللهَ قد سبقَ وقرَّرَ بأن يَسْلُكَ الابن في طريقِ الصَّلاحِ[1].

وكان من نتيجةِ ذلك، أن وقعَ نزاعٌ كبيرٌ بين الآريوسيينَ وبين الكنيسةِ البولسيةِ آنذاك بقيادةِ الأسقفِ (ألكسندروس)، الذي شغلَ كرسيَّ

(١) انظر القس حنا جرجس الخضري: تاريخ الكنيسة ٤: ٦٢٠ (سابق).

البطريركيةِ عام ٣١٣م، بعدَ إعلانِ الإمبراطورِ قسطنطينَ منشورَ التسامحِ الدينيِّ المعروفِ بـ(منشور ميلان).

وقد كانَ النزاعُ على أَشُدِّهِ بين آريوس وألكسندروس، لدرجةِ أنَّ الأخيرَ جرَّدَ آريوس من وظيفتهِ الكنسيةِ، وطرَدَه من الكنيسةِ، ورفضَ استقبالَه أو الحديثَ إليه، حتى يعترفَ بخطيئتهِ ويُقرّ بذنبهِ ويُلِحّ في التوبةِ والضراعةِ من قولتهِ الشنيعة! التي ذكرَها في خُطبتهِ بحضْرةِ البطريَركِ على مسمعٍ من جميعِ الحاضرينَ؛ وهي: «إنَّ ابنَ اللهِ كانَ بعدَ أن لم يكن».

فتبادرَ لذهنِ البطريركِ في بادئِ الأمرِ، أنه يَقصدُ بهذا القولِ عن المسيحِ بالنسبةِ إلى ناسوتهِ المأخوذِ من العذراءِ! لكن تبيَّنَ له أنَّ معنى العبارةِ قد تردَّدَ كثيراً على لسانِ آريوس؛ مما جعلَ البطريركَ يرميه بالتجديفِ، ويُصدِرُ قراراً بحرمانهِ وقطعهِ من شركةِ الكنيسةِ، ويوقِّعُ على ذلك القرارِ هو ومَن كان معه من الأساقفةِ[1]!

(١) راجع: تاريخ الكنيسة القبطية ص١٣٧ (سابق).

المبحث الثاني

تأثير المجامع المسكونية في تقرير عقائد المسيحية

لمَّا أخذت كنيسةُ روما في عَهدِ قسطنطينَ صفةَ (الكاثوليكية)[1] -التي

(١) كلمة كاثوليك تعني: (الجامعة). والكاثوليكيون: هم أتباع الكنيسة الكاثوليكية التي مقرها الفاتيكان في روما، وهي أكبر الكنائس المسيحية، وأكثرها أتباعًا، ويترأسها (البابا) أسقف روما.

- وكلمة أورثوذكس تعني باليونانية: الرأي القويم، والإيمان المستقيم. والأرثوذكسيون: هم المسيحيون الشرقيون الذين انشقوا عن الكنيسة الكاثوليكية الرومانية عام ١٠٥٤م، وكونوا كنيسة مستقلة في القسطنطينية عرفت باسم الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية.

- أما الأقباط أو القِبط، فهم أكبر طائفة مسيحية في العالم العربي، ويتبعون كنيسة الإسكندرية التي انفصلت عن سائر الكنائس المسيحية منذ وقت مبكر، إثر مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١م، بسبب الخلاف حول طبيعة المسيح.

- وكلمة (قبط) هي تعريب للكلمة القبطية گِپْتياس، من اليونانية التي تعني مصري؛ من الاسم اليوناني لمصر. وكلمة قبط (*Gupt Gypt*) أطلقتها المدن اليونانية على الجالية المقدونية التي أرسلتها لتحكم مصر، ويقال أيضًا: إن كلمة قبط اشتقت من اسم الملك البطلمي أقبتوس (*Agyptius*) والذي يعرف أيضًا ببطليموس الثاني (*Potlomy II*)، وتم إطلاقها على سلالته تمييزاً لها من المصريين، وبعد ذلك تم إطلاقها على جميع يونانيين الأصل تمييزاً لهم من المصريين الأصليين.

- والبروتستانت: اسم يطلق على مجموعة الكنائس الغربية المنشقة عن الكنيسة الكاثوليكية، نتيجة لحركة الإصلاح التي تزعمها (لوثر) و(كالفن) في ألمانيا، وقد انشقت الكنيسة البروتستانتية عن الكنيسة الكاثوليكية في القرن السادس عشر، وتفرع منها العديد من الكنائس الأخرى، ومعنى كلمة (بروتستانت): المحتجون.

راجع: http://wateroflife.ahlamontada.net/t912-topic.

تَعني عالميةَ عبادةِ اللهِ[١]- وتضامنت أكثرَ فأكثرَ مع الحُكَّامِ الوثنيينَ وجنودِهم، وأُطلِقَ وقتَها على الكاثوليكيينَ وصفُ (المنشقِّينَ)، وأضحتِ الكاثوليكيةُ آنذاك مرادِفةً للوثنيةِ[٢].

عندئذٍ قامت عِدَّةُ حركاتٍ مُناوئةٍ لاتجاهِ الكاثوليكيةِ الوثنيِّ، لعلَّ أهمَّها هي الحركةُ الآريوسيةُ بما أحدثته من تصدُّعاتٍ في بنيةِ الفكرِ الكاثوليكيِّ -كما ذكرنا من قبل- مما عرَّضَ مستقبلَ الدولةِ الرومانيةِ لخطرِ الانقسامِ الطائفيِّ؛ ذلك أنَّ مستقبلَ الكنيسةِ في تلك المرحلةِ، كان يَدورُ حولَ ثلاثِ كلماتٍ خاصَّةٍ بطبيعةِ المسيحِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وعلاقتهِ باللهِ تعالى، احتدمَ حولَها الخِلافُ، وحَمِيَ وطيسُ النِقاشِ والجِدالِ بشأنِها؛ وهذه الكلماتُ الثلاثُ هي:

١- (*heteroousion*) التي تُعبِّرُ عن الموقفِ الآريوسيِّ؛ المؤمن بأنَّ جوهرَ الآبِ يختلِفُ عن جوهرِ الابنِ.

٢- (*homoiousion*) التي تُعبِّرُ عن الموقفِ شِبه الآريوسيِّ؛ الذي يؤمِنُ بأنَّ جوهرَ الابنِ يُشبه أو يُماثِلُ جوهرَ الابنِ، ولكنه لا يتطابقُ معه.

٣- (*homoosiom*) التي تُعبِّرُ عن الإيمانِ بتطابقِ جوهرِ الابنِ مع جوهرِ الآبِ.

هذه الفروقُ، التي كادت تعصِفُ بالكنيسةِ رغمَ شِدَّةِ دِقَّتِها -كما يذكرُ

(١) انظر: عيسى المسيح والتوحيد ص٩١.

(٢) السابق، نفس الصفحة.

د.رمسيس عوض[١]- تعتمِدُ على خِلافٍ قد يبدو يسيرًا للغايةِ في حروفِ هِجاء هذه الكلماتِ الثلاثِ!

ومِن هنا، أدركَ قسطنطين بذكائهِ وفطنتهِ السِّياسيةِ خطورةَ ذلك الأمرِ على إمبراطوريتهِ، وفكَّرَ في أنَّ توحيدَ الكنيسةِ على رأيٍ واحدٍ يجعلُها أداةً طيِّعَةً في يدهِ، خاصَّةً عندما يكونُ مركزُها في روما وليس في أورشليمَ.

ولمـَّا رفضَ أعضاءُ الكنيسةِ الرَّسوليةِ أن يتوافقوا مع هذه الرغباتِ، حاولَ قسطنطينُ إجبارَهم على الالتزام بمذهبِ بولس الطرسوسيّ بالقوَّةِ؛ مما تسبَّبَ ذلك في إشعالِ الثوراتِ المتتاليةِ التي كان أولُها ثورةَ البربرِ عام ٣١٦م -وكانت عقيدتُهم هي الإيمان بوحدانيةِ اللهِ تعالى ونبوَّةِ المسيحِ[٢]- في شمالِ إفريقيا، بقيادةِ رجلٍ يُدعى دوناتس (*Donatus*) أُسقفُ قرطاجنة [ت ٣٥٥م]، مروراً بثوراتِ آريوس، والآريوسيةِ فيما بعد؛ الأمر الذي مهَّدَ لإعلانِ بعضِ المراسيمِ التي لها طابعٌ سياسيٌّ وتدعو للتسامحِ الدينيِّ. كما مهَّدَ لعقدِ عدَّةِ مجامعَ مسكونيةٍ عالمية، تدعو إلى توحيدِ كلمةِ جميعِ الكنائسِ على مذهبٍ واحدٍ؛ لمحاولةِ رأبِ الصَّدْعِ، وترميمِ التصدُّعاتِ التي أصابت الإمبراطوريةَ الرومانيةَ وعرَّضتها لخطرِ الانقسامِ والتشرْذمِ!

- **منشور ميلان للتسامح الديني:**

في عام ٣١٣م أصدرَ قسطنطينُ منشوراً للتسامحِ الدينيِّ وحرِّيةِ الاعتقادِ،

---

(١) الهرطقة في الغرب ص٧٣ (سابق).

(٢) عيسى المسيح والتوحيد ص٨٧.

واعترفَ فيه بالمسيحيةِ كدِيانةٍ من الدياناتِ الرسميةِ للإمبراطوريةِ الرومانيةِ، بالإضافةِ لليهوديةِ. وقد نَعِمت الكنيسةُ بجوٍ من الحريةِ في ظلِّ هذا المرسومِ؛ مما ساعدَها على الانتشارِ والتمدُّدِ في العالمِ كلِّهِ، وخاصَّةً عندما أمرَ بهدْمِ المعابدِ الوثنيةِ وتشييدِ الكنائسِ مكانَها، بل وعندما أمرَ أيضاً بأن يُعادَ إلى المسيحيينَ ما انتُزِعَ من أملاكِهم في أثناءِ اضطهادِهم -من القرْنِ الأولِ وحتى القرْنِ الرابعِ - على يدِ الرُّومانِ الذين كانوا يسيطرونَ على معظمِ البلادِ التي انتشرت فيها المسيحيةُ[١].

وبصدورِ هذا المرسومِ، دخلت المسيحيةُ مرحلةً من الانفتاحِ على العالمِ، بعدما أُزيلت من أمامِها العقباتُ، وأضحى قسطنطينُ يَنظرُ إليها على أنَها الدِيانةُ التي يمكنُ أن تجمعَ طوائفَ الإمبراطوريةِ كلَّها، بعدَ إجراءِ عِدَّةِ تعديلاتٍ عليها تُغري الوثنيينَ والطوائفَ الأخرى بقبولِها؛ فأعلنَ في أعقابِ ذلك أنَّ المسيحيةَ هي الدينُ الرسميُّ للإمبراطوريةِ الرومانيةِ.

فقامت الكنائسُ الكُبرى بمهمَّةِ الدولةِ؛ مثل كنيسةِ القيامةِ في القدسِ، وكنيسةِ القدِّيس سمعان العموديّ بالقُرْبِ من حلَب، وكنيسةِ آيا صوفيا في القسطنطينيةِ[٢].

ومن ثمَّ تحددت العقيدةُ رسميًّا فيما يخصُّ سرَّ الثالوثِ الأقدسِ والتجسُّدِ ونحو ذلك في المجامعِ المسكونيةِ التي عُقِدت لهذا الأمرِ، والتي

(١) راجع: قصة الحضارة ١١: ٣٨٥.

(٢) راجع: http://ar.wikipedia.org/wiki.

كان لها دورٌ كبيرٌ في رسمِ ملاحِ الديانةِ الجديدةِ وتحديدِ شكلِ العقيدةِ الرسميةِ؛ كما يلي:

- **مجمع نيقية المسكوني الأول:**

ذكرنا أنَّ آريوسَ السَّكندريَّ تمَّ تجريدُهُ من كلِّ وظائفهِ الكنسيةِ، بسببِ تمسُّكهِ بعقيدةِ المسيحيةِ الأولى الداعيةِ إلى التوحيدِ. وذكرنا أيضاً أنَّ دعوةَ آريوس لم تكن هَرْطقةً أو بِدعةً، وإنما الذي أدخلَ البِدعَ والهرطقاتِ الكبرى في المسيحيةِ هو بولس الطرسوسي -العدو الألدُّ للمسيحِ وحواريهِ[١]- ذلك اليهوديُّ المُتحوِّلُ[٢]، الذي راحَ يُقرِّبُ فِكْرَةَ ألوهيةِ المسيحِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وعودتهِ بعد موتهِ إلى عقولِ السُّذَّجِ من تلاميذهِ؛ عندما شبَّهَ لهم ذلك بعودةِ أوزوريس (*Osiris*) -وهو إلهُ البعثِ والحياةِ ورئيسُ محكمةِ الموتى عند قدماءِ المصريينَ- وقيامتهِ بعد موتهِ؛ ليمنحَ الخلودَ للناسِ[٣]!

وقد صادفت هذه الفكرةُ البولسيةُ أرضاً خِصْبةً في عقولِ أولئك الذين كانت لهم معرفةٌ بالفلْسفاتِ والاتجاهاتِ التي سبقت المسيحيةَ، وساعدَ على ذلك أيضاً ما صادَفه المسيحيونَ الأوائلُ من اضطهاداتٍ كادت

---

(١) راجع سفر أعمال الرسل ٨: ٣.

(٢) راجع السابق ٢٢: ٣- ٥.

(٣) راجع: ياروسلاف تشرني: الديانة المصرية القديمة، تحت عنوان: عقيدة أوزوريس وتجدد الحياة ص١١٣ وما بعدها، ترجمة: د.أحمد قدري، ط١ سنة ١٩٩٦م، دار الشروق بالقاهرة.

تستأصِلُ شأفتَهم وتمحو آثارَهم، طوالَ أكثرَ من ثلاثةِ قرونٍ، وحتى إصدارِ مرسومِ ميلان الشهيرِ(١).

وكان من المأمولِ ألّا ينحازَ الإمبراطورُ قسطنطين إلى عقيدةٍ بعينِها - فضلاً عن أن يجعلَها العقيدةَ الرسميةَ للبلادِ- خاصَّةً بعد إصدارِه لذلك المرسومِ الداعي للتسامحِ الدينيِّ، وكان من المأمولِ أيضًا أن تُترَكَ للأفرادِ والجماعاتِ حرِّيةُ الاعتقادِ والتعبيرِ عما يعتقدونَه بالحجَّةِ والبرهانِ.

لكنَّ الذي حدثَ كان بخلافِ ذلك تمامًا؛ فقد مالَ الإمبراطورُ -بحكمِ عقيدتهِ الوثنيةِ السَّابقةِ- إلى الصِّياغةِ البولسيةِ للمسيحيةِ، عندما اشتدَّت الخصومةُ بين الجماعاتِ المسيحيةِ المختلفةِ حولَ طبيعةِ المسيحِ ومهمَّتهِ في الحياةِ، الأمر الذي أشعرَ قسطنطينَ بأنَّ أركانَ إمبراطوريتهِ معرَّضةٌ لخطرِ الانقسامِ والتفتيتِ.

فللحِفاظِ على وحدةِ الإمبراطوريةِ وتماسُكِها الداخليِّ، تنكَّرَ قسطنطينُ لما قطعه على نفسهِ من وعودٍ بحُرِّيةِ الاعتقادِ، وشجَّعَه على ذلك قساوسةُ الكنيسةِ البولسيةِ الذين كانوا في الواقعِ يُمَثِّلونَ فلسفةَ الإسكندريةِ أكثرَ من تمثيلِهم لمسيحيةِ المسيحِ!

لذلك؛ ارتأى الإمبراطورُ قسطنطينُ أن يجمعَ الناسَ على دينٍ واحدٍ، هو الدينُ المسيحيُّ في صورتهِ الجديدةِ المشبَّعةِ ببقايا التراثِ الوثني للآباءِ والأجدادِ، ودعا لعقدِ مجمعٍ عالميٍّ، أو على مستوى المسكونيةِ كلِّها، في

(١) راجع د.أحمد شلبي: المسيحية ص١٤٣.

مدينةِ نيقيةَ -كما أشرنا من قبل-؛ لإقرارِ تلك العقيدةِ التي رآها محقِّقةً لحُلمِ الوحدةِ؛ فحاولَ بشتَّى الطرقِ إجبارَ الجميعِ عليها، واعتبرَ المخالفَ فيها منبوذاً ومُطارَداً ومعرَّضاً للنفي والتشريدِ.

أسباب انعقاد مجمع نيقية:

مجمعُ نيقيةَ -كما ذكرنا- هو أولُ المجامعِ المسكونيةِ التي تَعترِفُ بِها الكنيسةُ القبطيةُ الأرثوذكسيةُ، انعقدَت أولى جلساتهِ في مايو -أو يونيو- من عام ٣٢٥م، وحضرَه ٣١٨ أُسقفاً من سائرِ أنحاءِ المسكونيةِ، وحضرَه آريوس وأتباعُه وعددٌ من فلاسفةِ وعلماءِ اللاهوتِ من الشرْقِ والغرْبِ، في مقابلةِ إسكندر أو ألكسندروس أسقفِ الإسكندريةِ في ذلك الوقتِ، ومارسيليوس، وأثناسيوس -وهو المجادلُ البارِعُ الذي كان إلى ذلك الوقتِ مجرَّدَ رئيسِ شمامسةِ كنيسةِ الإسكندرية- وقد اعترضَ عليه آريوس؛ لا لبراعتهِ في فنِ الجدلِ والإقناعِ وإلباسِ الباطلِ ثوبَ الحقِّ فحسب، وإنما أيضاً لأنه لعبَ دوراً حاسِماً في تغييرِ مجرى الأحداثِ؛ عندما اقترحَ أن تُضافَ كلمةُ: (مساوٍ في الجوهر) أو (ذو جوهرٍ واحدٍ) (*Homoousion*)؛ للتعبيرِ عن طبيعةِ المسيحِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وعلاقتهِ باللهِ تعالى، ذلك الاقتراحُ الذي تمَّ الاتفاقُ عليه بأغلبيةٍ كبيرةٍ، في مقابلةِ سبعةَ عشرَ مُعارِضاً من بين الحاضرينَ.

هذا، بالإضافةِ إلى حضورِ الإمبراطورِ قسطنطين نفسهِ، الذي -كما يُقال- تركَ الأطرافَ المُتنازِعةَ تتحاورُ في حضورِه بمنتهى الحريةِ، ودونَ أن

تكونَ له ولايةٌ، أو تأثيرٌ مباشِرٌ على أحدٍ من الحاضرينَ[١]!

وقد أسفرَ المجمعُ عن قانونٍ للإيمانِ، وعن قراراتٍ مُهمَّةٍ؛ اعترفت بها جميعُ كنائسِ العالمِ، من أرثوذكسيةٍ وكاثوليكيةٍ وبروتستانتيةٍ، كما اعترفت بذلك القانونِ النيقاويِّ الذي يُتلى في كلِّ كنيسةٍ إلى الآن.

قانون الإيمان وقرارات مجمع نيقية:

لم يهتم الآباءُ المجتمِعون في المجمعِ بتفنيدِ معتقداتِ آريوس وأتباعهِ، أو بردِّها إلى أصولِها المسيحيةِ الأولى، وإنما وجَّهوا كلَّ اهتمامِهم إلى الدفاعِ عن لاهوتِ المسيحِ وتدبيرهِ الخلاصيِّ، وإظهارِ آريوس وشيعتهِ في مظهرِ المخالفينَ في العقيدةِ الصحيحةِ.

وفي خِتام جلساتِ المجمعِ، انتُدِبَ ثلاثةٌ من أعضائهِ لوضعِ قانونٍ إيمانيٍّ مُلْزِمٍ، والذي تعتبره جميعُ كنائسِ العالمِ إلى اليومِ دستوراً لإيمانِها؛ وهم: ألكسندروس بابا الإسكندريةِ، وشَمَّاسُه أثناسيوس، وليونتيوس أسقفُ قيصريةِ إقليمِ الكبَّادوك[٢] بآسيا الصغرى أو تركيا الآن.

وقد كتبَ هؤلاءِ الآباءُ الثلاثةُ نَصَّ قانونِ الإيمانِ ومُقرَّراتهِ، بالصيغةِ

---

(١) راجع: الهرطقة في الغرب ص٧٤، وما بعدها، وانظر: تاريخ الكنيسة القبطية ص٢٥٦.

(٢) راجع القديس أثناسيوس الرسولي: دفاع عن قانون إيمان مجمع نيقية ص٥، إعداد وترجمة: القس أثناسيوس فهمي جورج، عن النص الإنجليزي الوارد في:
Aselect Library of Nicene and Post-Nicene Fathers of The Christian Church,second series,volume IV,1991,PP.149-172, Fdidted by Philp Schaff and Henry Wace.

التاليةِ:

«أُؤمِنُ بإلهٍ واحدٍ، آبٍ ضابطِ الكلِّ، خالقِ السَّماءِ والأرضِ، كلِّ ما يُرى وما لا يُرى. وبربٍّ واحدٍ يسوعِ المسيحِ، ابنِ اللهِ الوحيدِ، المولودِ من الآبِ قبلَ كلِّ الدهورِ، نورٍ من نورٍ، إلهٍ حقٍّ من إلهٍ حقٍّ، مولودٍ غيرِ مخلوقٍ، مُساوٍ للآبِ في الجوهرِ، الذي كان به كلُّ شيءٍ. الذي من أجلِنا نحن البشر، ومن أجلِ خلاصِنا نَزلَ من السَّماءِ، وتجسَّدَ من الروحِ القُدُسِ ومن مريمَ العذْراء وتأنَّسَ. وصُلِبَ عنَّا على عهدِ بيلاطسَ النبطي، وتألَّمَ وقُبِرَ، وقامَ في اليومِ الثالثِ على ما في الكُتُبِ، وصعدَ إلى السَّماءِ، وجلسَ عن يمينِ الآبِ، وأيضًا يأتي بمجدٍ لِيُدِينَ الأحياءَ والأمواتِ، الذي لا فناءَ لِمُلْكِهِ. وبالروحِ القُدُسِ، الربِّ المُحيِّ، المُنبَثِقِ من الآبِ، الذي هو مع الآبِ والابنِ مَسجودٌ له ومُمَجَّدٌ، الناطقِ بالأنبياءِ. وبكنيسةٍ واحدةٍ جامعةٍ مُقدَّسةٍ رسوليَّةٍ. وأعترفُ بِمعموديَّةٍ واحدةٍ لمغفرةِ الخطايا. وأترَجَّى قيامةَ الموتى، والحياةَ في الدهرِ الآتي. آمين»[1].

إذن، فأهمُّ القراراتِ التي أصدرَها المجمعُ المسْكوني النيقاويُّ، وتلك التي استُحدِثت فيما بعدُ؛ يمكنُ تلخيصُها فيما يلي[2]:

---

(١) انظر: نص دستور الإيمان النيقاوي، في نشرة (أبناء التجلي) الصادرة عن دير تجلي الرب، رام الله فلسطين، السنة الخامسة، العدد ٥٥، تموز ٢٠٠٢م.

(٢) راجع/ الرابط التالي: http://www.logon.org/arabic/S/p268.htm، أو الحروب بين الموحدين والثالوثيين في تاريخ الكنيسة.

١- أنَّ الذي يَترمَّلُ من الكهنةِ لا يتزوَّجُ مرَّةً أخرى[١].

٢- إقرارُ قانونِ الإيمانِ بصيغتهِ السَّابقةِ.

٣- إتلافُ جميعِ الكتاباتِ التي تقولُ بأنَّ للمسيحِ طبيعةً واحدةً هي الطبيعةُ البشريةُ.

٤- اعتمادُ أربعةِ كتبٍ مقدَّسةٍ (الأناجيلُ الأربعةُ المعروفةُ حاليًا) إضافةً لرسائلِ بولسَ، وبعضِ الرسائلِ الأخرى التي يحتويها العهدُ الجديدُ اليومَ، بعد سلسلةٍ من عملياتِ الحذفِ والإضافةِ والتعديلِ لما كانت عليه في زمنِ بولسَ؛ لكي تَتوافقَ مع العقيدةِ الجديدةِ التي أعلنها المجمعُ المُقدَّسُ.

٥- تَبنِّي المسيحيةِ الجديدةِ للعديدِ من المناسباتِ والأعيادِ الوثنيةِ؛ مثل:

- عيد الميلاد (الكريسماس) الذي أدخله آباءُ الكنيسةِ في المسيحيةِ، من أجلِ اجتذابِ الوثنيينَ للمسيحيةِ؛ عندما أعلنوا أنَّ اليومَ الأخيرَ من احتفالاتِ الوثنيينَ في روما القديمةِ بإله الزراعة (ساترون) -الذي يبدأُ من السَّابع عشرَ من ديسمبر وحتى الخامس والعشرين منه- هو اليومُ الذي يوافِقُ ميلادَ المسيحِ!

- شجرةُ الميلادِ: وهي أيضًا تقليدٌ وثنيٌّ، أدخلَه آباءُ الكنيسةِ في الديانةِ الجديدةِ من أجلِ اجتذابِ الوثنيينَ الأوروبيينَ الذين كانوا يعبدونَ الأشجارَ، ويجلبونَها إلى بيوتِهم، ويزينونَها كما تُزيَّنُ شجرةُ الميلادِ الحالية.

(١) انظر ابن قرناس: مسيحية بولس وقسطنطين ص١٤٥ وما بعدها (سابق).

• قيامُ يسوع: حيث كان الوثنيونَ القدماءُ في آسيا الوسطى، يؤمنونَ بإلهةٍ تُسمى سيبل (*Cybele*) -إلهةُ الطبيعةِ والإخصابِ- التي كانت عشيقةَ الإله آتيس (*Attis*)؛ وهو في زعمِهم إلهٌ مولودٌ من عذراءَ، ويقومُ من الموتِ مرَّةً في الفترةِ (٢٢- ٢٥ مارس) من كلِّ عامٍ.

فلما دخل الرومانُ في الديانةَ المسيحيةَ، نُسِبت القيامةُ إلى المسيحِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من أجلِ اجتذابِ الوثنيينَ للدخولِ في المسيحيةِ؛ وغدت الجمعةُ الحزينةُ هي التي صُلِبَ فيها المسيحُ، ويومُ الأحدِ هو يومُ قيامتِه من الموتِ!

٦- أُخِذت أسماءُ الأيامِ والشهورِ عند المسيحيينَ من أصولٍ وثنيةٍ في الغالبِ[١]:

• فالأحدُ (*Sunday*)، في اللغاتِ الأنجلو سكسونية، يُطلق على إلهِ الشمسِ (*sun*)، وفي اللغاتِ اللاتينيةِ (*Dominica*) أي يومُ الإلهِ.

لذلك جعلَه قسطنطين يومَ المسيحيةِ الأسبوعيّ المقدَّس.

• والاثنينُ (*Monday*)، في اللغاتِ الأنجلو سكسونيةِ يعني يومَ القمرِ (*monandaeg*)؛ أي: أنه شهرُ آلهةِ القمرِ، وفي اللغاتِ اللاتينيةِ كذلك (*Luna*).

• والثلاثاءُ (*Tuesday*)، أُطلِقَ على أحدِ آلهةِ الاسكندنافيينَ (*Tyr*)، وأخذَ اسمه في اللغةِ اللاتينيةِ من الرومانِ الذين أطلقوه على إلهِ الحربِ

(١) انظر السابق ص١٥٣، ١٥٤، وراجع د.أنيس فريحة: أسماء الأشهر والعدد والأيام وتفسير معانيها ص١٨ وما بعدها، ط١ سنة ١٩٨٨م جروس برس، طرابلس لبنان.

عندهم.

• والأربعاءُ (*Wednesday*)، أُطلِقَ في اللغاتِ الأنجلو سكسونيةِ على الإلهِ الاسكندنافيّ (*Woden*)، وأطلِقَ في اللغاتِ اللاتينيةِ على إلهِ التجارةِ واللصوصيةِ عند الرومانِ (*Mercury*).

• والخميسُ (*Thursday*)، أُطلِقَ في اللغاتِ الأنجلو سكسونيةِ على إلهٍ اسكندنافيٍّ يُسمَّى (*Thor*)، كما أُطلِقَ في اللغاتِ اللاتينيةِ على كبيرِ آلهةِ الرومانِ (*Jovis*) أو المشتري (*Jupiter*).

• والجمعةُ (*Friday*)، اسمٌ أُطلِقَ في اللغاتِ الأنجلو سكسونيةِ على إلهةٍ اسكندنافيةٍ تُسمَّى (*Frigg*)، في حين أُطلِقَ في اللغاتِ اللاتينيةِ على إلهِ الحبِّ عند الرومانِ (*veneris*)، أو الزهرة (*Venus*).

• والسَّبتُ (*Saturday*)، أُطلِقَ في اللغاتِ اللاتينيةِ على إلهِ الزراعةِ عند الرومانِ (*Saturni*)، أو زحل (*Saturn*).

وكذلك، أسماءُ أشهرِ السنةِ الميلاديةِ:

- فشهرُ يناير (*January*)، كان يُطلَقُ على إلهِ الأبوابِ والبداياتِ عندَ الرومانِ، يانوس (*Janus*).

- وفبراير (*February*)، هو شهرُ التكفيرِ عن الخطايا أو التطهيرِ عندَ الرومانِ، وقد أُطلِقَ على احتفالاتِ الطهارةِ (*Februa*).

- ومارس (*March*)، هو شهرُ إلهِ الحربِ (*Maryis*)عندَ الرومانِ.

- وإبريل (*April*)، هو شهرُ الخصوبةِ؛ لأنه جاءَ من اللفظِ اللاتيني

(*Aprilis*) الذي يعني الخصوبةَ.

- ومايو (*May*)، أُطلِقَ على آلهةِ النموِ عندَ الرومانِ (*Maia*).

- ويونيو (*June*)، هو شهرُ نضوجِ المحاصيلِ الزراعيةِ، وقد أطلقَ على إلهةِ الزواجِ عند الرومانِ (*June*)، التي هي زوجةُ الإلهِ (*Jovis*)، أو المشتري (*Jupiter*).

- ويوليو (*July*)، اسمٌ أُطلِقَ على الإمبراطورِ الروماني يوليوس قيصر (*Julius Caesar*).

- وأغسطس (*August*)، اسمٌ أطلِقَ على الإمبراطورِ الروماني أَوكتيفيوس أوغسطوس قيصر (*Octavius Augustus Caesar*).

- وسبتمبر (*September*)، كان يُعتَبرُ في السابقِ الشهرَ السابعَ؛ لذلك فهو مأخوذٌ من الكلمةِ اللاتينيةِ (*septem*)التي تعني: السَّابع.

- وأكتوبر (*October*)، كان يعتبرُ في السابقِ الشهرَ الثامنَ؛ لذلك فهو مأخوذٌ من جذرِ كلمةٍ لاتينيةٍ تعني: ثمانية (*octo*).

- ونوفمبر (*November*)، كان يعتبرُ الشهرَ التاسعَ؛ وهو مأخوذٌ من كلمةٍ لاتينيةٍ تعني: التاسعَ، وهي (*novem*).

- وديسمبر (*December*)، قديماً كان هو الشهرَ العاشرَ؛ ولذلك جاءَ اسمُه من كلمةٍ لاتينيةٍ تعني: العاشرَ، وهي (*decem*).

هذا هو مجمعُ نيقيةَ المكسونيُّ الأولُ، والقراراتُ التي صدرت عنه، وهو لذلك يُعَدُّ أخطرَ وأشهرَ مجمعٍ مسكوني أو عالميٍّ في تاريخِ المسيحيةِ؛ نظراً

لملابساتِه التاريخيةِ والضَّجَّةِ الإعلاميةِ الهائلةِ التي صاحبت انعقادَه، فضلاً عن رعايةِ الإمبراطورِ له، واهتمامهِ به، وبما يسفرُ عنه من قراراتٍ يتمنَّاها في صالحِ وحدةِ الإمبراطوريةِ.

والحقُّ أنَّ هذا المجمعَ لم ينجح تماماً في حسمِ الخلافاتِ الدائرةِ بين الأصوليينَ الأرثوذكس، وبين آريوس وأتباعِه ومن سارَ على نهجِ التوحيدِ للكنيسةِ الأولى.

لذلك، لم تنته المجامعُ المقدَّسةُ من الانعقادِ -لغرضٍ أو لآخرَ- بعد مجمعِ نيقيةَ، بل توالت المجامعُ المسكونيةُ؛ لإكمالِ ذلك القانونِ الإيماني، أو لتعديلِ بعض بنودهِ:

- فقد عُقِدَ المجمعُ المسكوني الثاني، أو ما يُعرف بمجمعِ القسطنطينيةِ الأولِ في عام ٣٨١م؛ لتعديلِ قانونِ الإيمانِ المسيحيِّ بحيثُ أصبحَ يَنصُّ على الإيمانِ بوجودِ ثلاثةِ آلهةٍ؛ هم: الآبُ، وابنهُ المولودُ الذي لم يُخلق، والروحُ القُدُسُ الذي انبثقَ من الآبِ.

وذلك كان بسببِ ما أثارَه القديسُ مكدونيوس -بطريرك القسطنطينية- حولَ طبيعةِ الروحِ القدسِ، وإنكاره لأن تكونَ ذات طبيعةٍ إلهيةٍ[١].

ثم عُقِدَ مجمعٌ ثانٍ في القسطنطينيةِ عام ٤٤٩م؛ لفحصِ وتأكيدِ قراراتِ المجمعِ السَّابقِ؛ فجاءت قراراتُه مؤيدةً لما أصدرَه الأولُ[٢].

---

(١) راجع: تاريخ الكنيسة القبطية ص٢٦٣.

(٢) راجع: الهرطقة في الغرب ص٨٨.

• وعُقِدَ مجمعُ أفسيس الأول عام ٤٣١م؛ لمناقشةِ بطريرك القسطنطينيةِ (نسطور)؛ الذي أنكرَ لاهوتَ المسيحِ، وأنكرَ أن يكونَ للإلهِ أمٌّ بشريةٌ.

لكنَّ المجمعَ أقرَّ بأنَّ للمسيحِ طبيعةً ومشيئةً إلهيةً واحدةً، وأنَّ أمَّه عذراءُ ولدته كإلهٍ؛ وبالتالي يجبُ أن تُدعى أمَّ الإلهِ!

وكان من نتيجةِ ذلك أن أعلنت كنيسةُ القسطنطينيةِ انشقاقَها عن كنيسةِ روما، وأصبحَ هناك عقيدتانِ حولَ طبيعةِ المسيحِ:

١- عقيدةُ كنيسةِ روما التي تؤمِنُ بأنَّ المسيحَ إلهٌ، وأمَّه هي أمُّ الإلهِ؛ تلك العقيدةُ التي عُرِفت فيما بعدُ بالكاثوليكيةِ.

٢- عقيدةُ كنيسةِ القسطنطينيةِ التي تؤمنُ بأنَّ المسيحَ إنسانٌ إلهٌ، وُلِدَ من امرأةٍ، وليكونَ أداةً للقدرةِ الإلهيةِ؛ تلك العقيدةُ التي عُرِفت فيما بعد بالأرثوذكسيةِ.

• وعُقِدَ مجمعُ أفسيسِ الثاني عام ٤٤٩م، الذي أسفرَ عن قراراتٍ، أهمُّها: الإعلانُ بأنَّ للمسيحِ طبيعتينِ: واحدةٌ منها إلهيةٌ، والأخرى بشريةٌ، وقد امتزجتا معًا، وبالتالي فجسدُه ليس مساوِيًا لأجسادِ البشر.

• وعُقِدَ مجمعُ خلقيدونية عام ٤٥١م - ذلك المجمعُ الذي يحتلُّ من حيث الأهميةُ المرتبةَ الثانيةَ بعدَ مجمعِ نيقيةَ عام ٣٢٥م، والمعروفُ في تاريخِ الكنيسةِ بالمجمعِ المسكوني الرابعِ - في عهدِ الإمبراطورِ (مركيانوس)؛ للنظرِ والردِّ على أسقفٍ يُسمَّى (أوطاخى)؛ وهو رئيسُ ديرٍ في القسطنطينيةِ يضمُّ أكثرَ من ثلاثمائةِ راهبٍ.

وقد تبنَّى ذلك الرجلُ الدعوةَ إلى أنَّ للمسيحِ طبيعةً واحدةً هي الطبيعةُ البشريةُ فقط، وإن ادَّعى أنَّ جَسَده يختلِفُ في جوهرِهِ عن أجسادِ بقيَّةِ البشرِ[١]!

إلاَّ أنه استطاعَ أن يجذِبَ إليه عدداً كبيراً من الأتباعِ والمؤمنينَ بالطبيعةِ الواحدةِ للمسيحِ؛ والذين عُرِفوا في تاريخِ المسيحيةِ بالأوطاخيةِ (*Eutychianism*).

وبعد سبعِ جلساتٍ مُتتاليات، لم يحضر (أوطاخى) منها إلّا الجلْسةَ الأخيرةَ فقط، انتهى المجمعُ بأعضائِهِ الستمائةَ والثلاثينَ إلى قراراتٍ تُدِينُ أوطاخي والأوطاخيةَ، وأعلنَ أنَّ للمسيحِ طبيعتينِ مختلفتينِ ومتحدتينِ، بدونِ اختلاطٍ أو تغييرٍ أو انقسامٍ أو انفصالٍ، فضلاً عن سنِّهِ لقوانينَ أخرى تخصُّ الأمورَ الكنسية.

هذه هي المجامعُ الأربعةُ المشهورةُ في تاريخِ الكنيسةِ، والتي عُقِدَت على مستوىً عالميٍّ -أو على مستوى المسكونيةِ كُلِّها[٢]- وجميعُها كان ذا

---

(١) راجع: مسيحية بولس وقسطنطين ص١٥٧، والهرطقة في الغرب ص٨٧.

(٢) عقد مجمع مسكوني خامس أطلق عليه مجمع القسطنطينية الخامس عام ٥٥٣م، للنظر في آراء تخالف قرارات المجامع السابقة، وكان ذلك على عهد الإمبراطور (يوستينياتوس)، وكان عدد أعضاء المجمع ١٦٥ أسقفًا، ويترأسهم (أفتيشيوس) البطريرك المسكوني. وقد انتهى المجمع تأكيد قرارات مجمع خلقيدونية، ورفض كل المعتقدات المخالفة له. - راجع:

http://www.almohales.org/news.php?id_subcat=856&id_maincat=12.

تأثيرٍ كبيرٍ في تقريرِ عقائدِ المسيحيينَ. لكن يظلُّ مجمعُ نيقيةَ الأولُ الذي عُقِدَ سنة ٣٢٥م = الأكثرَ خطورةً وتأثيراً من بين كلِّ المجامعِ التاليةِ، سواءٌ التي كانت على مستوىً مسكونيٍّ أو تلك التي كانت محدودةَ الانتشارِ، أو كان لها طابعٌ محليٌّ.

وكلُّها في الواقعِ، كانت للحفاظِ على ما أكَّدَه مجمعُ نيقيةَ الأولُ؛ ولم تختلِف عنه إلا في إقرارِ بعضِ التفاصيلِ الجزئيةِ لبعضِ القضايا التي لا تَمسُّ جوهرَ الدستورِ النيقاوي.

وعلى الطرفِ المقابلِ، ومما يَدلُّ على قوَّةِ الآريوسيةِ وانتشارِها الكبيرِ بين طوائفَ عديدةٍ من المسيحيينَ ورجالِ الإكليروس[١] - سواءٌ في حياةِ مؤسسِها أو بعدَ وفاتِهِ[٢]- أنَّ الآريوسيينَ أنفسَهم -بعد وفاةِ آريوس عام ٣٣٦م- كان لهم عِدَّةُ مجامعَ كنسيَّةٍ؛ للنظرِ في قراراتِ المجامعِ المخالفةِ

(١) الإكليروس clergy: كلمة يونانية، يقصد بها النظام الكهنوتي الخاص بالكنائس أو الرتب الكهنوتية أو رجال الدين المسيحي الذين يحملون صوت الشعب إلى الله حسبما يعتقدون.

- راجع: http://ar.wikipedia.org/wiki.

وأول ظهور لهذا المصطلح كان في القرن الثالث الميلادي. وقد وضعت له درجات مختلفة، من أساقفة وكهنة وشمامسة وحتى منصب البابا أو البطريرك. والإكليريكي هو أحد رجال الإكليروس. وتتفق الكنيسة الكاثوليكية مع الكنيسة الأرثوذكسية في درجات هذا النظام، إلا أن البابا في الكاثوليكية يتمتع بسلطات أعلى. أما البروتستانت فلا يعترفون إلا بدرجتين فقط من درجات هذا النظام هما: القس والشماس.

(٢) راجع أسد رستم: كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى ١: ٢٢٣ وما بعدها.

للعقيدةِ الآريوسيةِ، أو لعزلِ الأساقفةِ الداعينَ لألوهيةِ المسيحِ.

فقد عقدَ الآريوسيونَ مجمعَ (قيساريةَ) عام ٣٣٤م، ومجمع (صور) عام ٣٣٥م لعزلِ (أثناسيوس) وتجريدهِ من منصبِ البابويةِ؛ وذلك بسببِ دورهِ في مجمعِ نيقيةَ. وقد تمَّ نفيُه إلى فرنسا بناءً على رغبةِ الآريوسيينَ.

كما عقدوا مجمعًا آخرَ في أنطاكيا عام ٣٤١م، حضرَه سبعُةٌ وتسعونَ أسقفًا آريوسيًّا، وقرَّروا فيه بعضَ المبادئ التي تتفقُ مع معتقداتِهم.

ولمـَّا أعادَ الإمبراطورُ الرومانيُّ القدِّيسَ (أثناسيوس) مرَّةً أخرى إلى كرسي البابويةِ، ثارَ الآريوسيونَ على قرارِ الإمبراطورِ، وعقدوا مجمعًا آخرَ في مدينةِ آرلس (*Arles*) بفرنسا عام ٣٥٣م، قرَّروا فيه عزلَ أثناسيوس.

وتوالت المجامعُ المناوئةُ لقراراتِ مجمعِ نيقةَ، والمؤيدةُ للآريوسيةِ والفكرِ التوحيدي في المسيحيةِ؛ كما حدث في مجمعِ «ميلانو» عام ٣٥٥م، ومجمعِ «سلوقيا» عام ٣٥٩م، ومجمع «أنطاكية» عام ٣٦١م، وغير ذلك.

والحقُّ أنَّ القرنَ الرابعَ الميلاديَّ، لم يكن وحدَه القرنَ الذي صِيغت فيه قوانينُ الإيمانِ، كما قد يظنُّ البعضُ؛ فهناك ملاحظةٌ دقيقةٌ أشارَ إليها أحدُ الباحثينَ المسيحيينَ، تحت عنوان: عصرُ قوانينِ الإيمانِ[1]؛ وهي أنَّ معظمَ المؤرِّخينَ يعتبرونَ القرنَ الرابعَ للميلادِ هو عصر (المجامع الكنسية) التي صاغت الإيمانَ المسيحيَّ. واعتبرَ ذلك خطأً شائِعًا، ينطوي على جهلٍ

(١) جورج حبيب بباوي: المعمودية في الكنيسة الواحدة الجامعة الرسولية - دراسة للعقيدة والطقس في القرون الخمسة الأولى - ص٩٨، ط سنة ٢٠٠٧م، الدراسات القبطية والأرثوذكسية.

بمسألتينِ؛ هما:

- **الأولى**: أنَّ أسلوبَ المجامعِ يُعدُّ أسلوباً رعائيًّا قديماً، لحلِّ المشاكلِ الرعائيةِ، ووضعِ القوانينِ التي تتصلُ بالعلاقةِ بين الكنيسةِ ومسؤوليتها تجاهَ رعاياها. وهذا واضحٌ بشكلٍ كبيرٍ في قوانينِ الرسلِ ورسائلِهم المختلفةِ؛ فالمجامعُ قديمةٌ قِدمَ الكنيسةِ نفسِها.

- **الثانيةُ**: أنَّ البعضَ يتجاهلُ الحقبة ما بين (١٩٥ - ٢٩٥م)؛ وهي الحقبة التي لم يكتفِ فيها الآباءُ بنشرِ كتبٍ لمحاربةِ الهرطقاتِ، وإنما عَقدت فيها الكنيسةُ مجامعَ مهمَّةً سبقت مجمعَ نيقيةَ للردِّ على (المونتانية)[١]، وثلاثةَ مجامعَ أخرى في الحقبة من ٢٦٤م إلى ٢٩٦م للردِّ على (بولس السيمسطائي) الذي أنكرَ لاهوتَ المسيحِ، وغير ذلك[٢].

لكن على أيةِ حالٍ، وبغضِّ الطرْفِ عمَّا إذا كانت هذه الإشارةُ صحيحةً أو غيرَ صحيحةٍ، فقد بات مؤكَّداً أنَّ كثرةَ المجامعِ الكنسيةِ في القرنِ الرابعِ - وما قبلَه وما بعدَه- ليست دليلاً على محاربةِ رجالِ الكنيسةِ للبدعِ والهرطقاتِ، التي -في زعمهم- تُقوِّضُ العقيدةَ الصحيحةَ التي ألقاها المسيحُ إلى بولس الرسولِ، وإنما هي دليلٌ قاطِعٌ على اضطرابِ العقيدةِ البولسيةِ وعدمِ تماسُكِها أمامَ براهينِ العقلِ ونِداءِ الفطرةِ السليمةِ.

---

(١) المونتانية: هي حركة مسيحية مبكرة، ظهرت في منصف القرن الثاني للميلاد، وتنسب إلى رجل يسمى (مونتانوس) الذي كان وثنياً ثم تحول للمسيحية. ينسب إليها القديس (ترتليان). راجع تعريف المونتانية: *http://ar.wikipedia.org/wiki*.

(٢) راجع: تاريخ الكنيسة ٧: ٢٧ وما بعدها.

المبحث الثالث

عقائد النصارى الموحدين في ضوء الفكر الإسلامي

يَنبغي التأكيدُ أولاً على أنَّ التوحيدَ الحقيقيَّ، هو فقط ما جاءت به الكتبُ السَّماويةُ ونطقت به رسلُ اللهِ وأنبياؤه الكِرامُ من لدن آدمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وحتَّى خاتمِ الأنبياءِ والمرْسلينَ محمدٍ ﷺ؛ وهو الإيمانُ بأنَّ اللهَ تعالى واحدٌ لا شريكَ له في ذاتهِ وصفاتهِ وأفعالهِ، وإليه وحده تتوجَّه العبادةُ، وتُرْفَعُ أَكُفُّ الضَّراعةِ.. وهذا هو التوحيدُ المطلَقُ.

أما إذا قُيِّدَ التوحيدُ بأحدٍ من الناسِ أو بطائفةٍ ما؛ كأن يُقال مثلاً: توحيدُ آريوس أو ترتليان، أو توحيدُ المونتانيةِ أو النسطوريةِ، ونحو ذلك؛ فهو عندئذٍ ليس توحيداً مُطلقاً على الحقيقةِ، ولكنه توحيدٌ مُقيَّدٌ بذلك الشخصِ أو بتلك الطائفةِ، وهو لذلك لا يخلو من شوائبِ الشِّرْكِ، وربّما لا يخلو أيضاً من بعضِ المتناقضاتِ العقليةِ.

صحيحٌ أنه قد ظهرَ في تاريخِ المسيحيةِ رِجالٌ كُثُرٌ، حملوا أفكاراً تُعَدُّ خَرْقاً لما استقرَّت عليه الكنيسةُ بعدَ مجمعِ نيقيةَ المسكوني الأولِ، وكان لها تأثيرٌ كبيرٌ في العديدِ من الطوائفِ والفرقِ المسيحيةِ، لكن لم تتبلْور أفكارُهم في صورةِ توحيدٍ مُطلَقٍ؛ بسببِ أنَها لم تُستلْهم مُباشرةً من معينِ السَّماءِ النقيِّ، أو رُبَّما بسببِ الحيلولةِ بينهم وبينَ الدينِ الصحيحِ الذي جاءَ به المسيحُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

والحديثُ عن الموحدينَ من النصارى، لا يعني سوى الفِرْقةِ أو الفرَقِ

التي تعتقدُ أنَّ اللهَ واحدٌ، وأنَّ المسيحَ رسولٌ فقط، وترفضُ التثليثَ والتجسُّدَ والفِداءَ. ومن ثمَّ تختلفُ عن باقي فرقِ النصارى القائلينَ بالتثليثِ والبنوَّةِ ونحو ذلك من العقائدِ التي تقرَّرت في مجمعِ نيقيةَ عام ٣٢٥م، والمجامعِ اللاحقةِ عليه؛ والتي أشرنا إليها في المبحثِ السَّابقِ.

هؤلاءِ الموحِّدونَ لا يمكنُ مساواتُهم بغيرِهم من طوائفِ النصارى؛ ذلك أنَّ القرآنَ الكريمَ قد حكمَ بالكفرِ على المؤلِّهينَ للمسيحِ والقائلينَ بالتثليثِ، في الوقتِ الذي ذكرَ فيه مقالةَ الحواريينَ بأنهم مسلمونَ، وبيَّنَ أنَّ أولئك الموحِّدينَ الأوائلَ من أتباعِ المسيحِ هم الطائفةُ التي آمنت مِن بني إسرائيلَ؛ كما في قولهِ تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴾ [الصف: ١٤]. وقولهِ تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَى مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٥٢ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٥٣ ﴾ [آل عمران: ٥٢ - ٥٣].

وهؤلاءِ هم موحِّدو النصارى، الذين اتبعوا المسيحَ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ في إسلامِ العقيدةِ للهِ، الذي هو دينُ كلِّ الأنبياءِ، وكانوا خاضعينَ لشريعةِ موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وظلُّوا على ذلك، ولم يتأثَّروا بما أدخلَه بولس الطرسوسيُّ على المسيحيةِ من بدعٍ وضلالاتٍ، وإنما حاربوه وحاربوا معتقداتِه كُلَّها وحذَّروا منها، واضطُّهِدوا في سبيلِ نشرِ العقيدةِ الصحيحةِ التي ورِثوها عن أنبياءِ اللهِ

تعالى، وثبتَ بعضُهم على هذا الإيمانِ إلى البعثةِ المحمديةِ، وبعضُهم خلطَ عملاً صالحًا بآخرَ سَيئًا، فتسلَّلَت إلى عقيدتهِ بعضُ شوائبِ الشِّرْكِ!

وقد تعرَّضَ تاريخُهم لعملياتٍ كثيرةٍ من التشويهِ والطمسِ، مما جعلَ بعضَ الباحثينَ يخلطونَ - من دونِ قصدٍ في الغالبِ - بين أولئكَ الموحدينَ وبين بعضِ الفرقِ المنشقَّةِ عن الكنيسةِ الرومانيةِ، التي تُسمِّي جميعَ المنشقينَ عنها هراطقةً[1]!

فالكنيسةُ الكاثوليكيةُ الملْكانيةُ -التي تَعتقِدُ أنَّ المسيحَ قديمٌ أزليٌّ، وأنَّ مريمَ عليها السَّلامُ إنما ولدت إلهًا أزليًّا، وأنَّ القتلَ والصلْبَ قد وقعَ على الناسوتِ واللاهوتِ معًا- تعمَّدت وصفَ فرقِ النسطوريةِ واليعقوبيةِ[2] بالفرقِ التوحيديةِ؛ بغرضِ إخراجِهم من الدِيانةِ النصرانيةِ وتكفيرِهم عندَ العامَّةِ! مع أنَّ النسطوريينَ يؤمنونَ بالتثليثِ، لكنهم يُنكرونَ أن تكونَ مريمُ والدةَ الإلهِ، وإنما يعتقدونَ أنَها والدةُ الناسوتِ وليس اللاهوت، وأنَّ القتلَ والصلْبَ إنما وقعَ على المسيحِ من جِهةِ ناسوتهِ فقط، لا من جهةِ لاهوتهِ!!

---

(١) د.سفر الحوالي: مقالة بعنوان (الموحدون من النصارى - واقعهم ومعاناتهم)، ص٢.

(٢) النسطورية: أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمان المأمون، وتصرف في الأناجيل برأيه متأثراً بالمعتزلة.

واليعقوبية: ينسبون إلى يعقوب البرذعاني الذي كان راهبًا بالقسطنطينية؛ وهم يقولون بالأقانيم الثلاثة، لكنهم يقولون إن الكلمة انقلبت لحمًا ودمًا؛ فصار الإله هو المسيح.

- راجع التعريف بالنسطورية واليعقوبية في كتاب الملل والنحل للشهرستاني ص٢٦٨، ٢٧٠. تحقيق: أمير علي مهنا وآخر، ط٦، سنة ١٩٩٧م، دار المعرفة، بيروت لبنان.

واليعقوبيةُ مع إيمانِهم بالتثليثِ أيضاً، يُنكرونَ أن يكونَ للمسيحِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ طبيعتانِ، وإنَما يقولون بالطبيعةِ الواحدةِ وهي الإلهية، وأنَّ جوهرَ الإنسانِ فيه صارَ إلهيَّاً بعد امتزاجهِ بجوهرِ اللهِ، وأنَّ الكلمةَ لم تأخذ من مريمَ -عليها السلامُ- شيئاً، وإنما مرَّت بِها كما يَمرُّ الماءُ بالميزابِ! بل منهم من قال: إنَّ المسيحَ هو اللهُ تعالى[1]!!

ومن هنا، كان الخلْطُ، أو الخطأُ الذي وقعَ فيه بعضُ الباحثينَ الذين اعتقدوا أنَّ ما أشاعته الكنيسةُ الرومانيةُ حولَ هذه الفرقِ، أو ما جعلته توحيداً على سبيلِ التهمةِ والنِكايةِ والتشنيعِ، هو التوحيدُ الخالصُ الذي عليه أوائلُ الموحِّدينَ من النصارى.

أما نِسبةُ التوحيدِ إلى بولس السيمساطي- مؤسس الفرقةِ البوليانيةِ- أو آريوس السَّكندريِّ -مؤسس الفرقةِ الآريوسية- فهي أقربُ إلى الصَّوابِ والدِّقَّةِ؛ لأنَّ ما نُسِبَ إليهما في المراجعِ المسيحيةِ هو إنكارُ لاهوتِ المسيحِ؛ وهذا يكفي لقلَّةِ المصادرِ عنهم.

وأتباعُ هؤلاءِ الموحِّدينَ هم مَن نتوجَّه إليهم بالحديثِ في هذه الدراسةِ؛ فربما يكونُ بعضُهم أو بعضُ منسوبيهم الآنَ لم تَصلْه دعوةُ الإسلامِ؛ لبعدهِ عن بيئتهِ الأولى، أو ربّما تكونُ وصلته الدعوةُ لكن بصورةٍ مشوَّهةٍ لم يستطع معها تبيُّنَ وجهِ الصوابِ فيها، أو قد تكونُ وصلته بصورةٍ سليمةٍ ولكنه لم يتمكَّن من استيعابِ مفرداتِها لصعوبةِ اللغةِ المستخدمةِ فيها أو

(١) انظر الشهرستاني: السابق ١: ٢٦٦- ٢٧٢.

لسوءِ الدعايةِ والعَرْضِ أو لغيرِ ذلك من الأسبابِ.

ولعلَّ هؤلاءِ الموحِّدينَ، هم المعنيونَ في حديثِ النبيِّ ﷺ، الذي رواه عياضُ بن حمّار المجاشعي؛ بقولهِ: «إنَّ الله نظرَ إلى أهلِ الأرضِ فمقتهم، عجميهم وعربيهم، إلاَّ بقايا من أهل الكتابِ..»[1].

أو لعلَّهم القِلَّةُ المؤمنةُ من أهلِ الكتابِ الذين أشارَ إليهم القرآنُ الكريمُ في أكثرَ من موضعٍ، وظلُّوا على إيمانِهم الأولِ قبلَ أن تُسيَّسَ المسيحيةُ وتعبرَ نَهرَ الأردنِ؛ لتُصبِحَ ديانةً عالميةً، وليست ديانةً محليةً لبني إسرائيلَ فقط؛ كما جاءَ على لسانِ المسيحِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

الإسلام وعقائد موحدي النصارى:

ذكرنا فيما سبقَ أنَّ طوائفَ الموحِّدينَ الحقيقيينَ من النصارى، هم الذين أنكروا لاهوتَ المسيحِ، واعتقدوا بشريتَه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وآمنوا به فقط كنبيٍّ مُرْسَلٍ إلى بني إسرائيلَ، وليس إلهًا ولا ابنَ إلهٍ، وليست له صفةٌ تزيدُ على ذلك.

وهذا القدْرُ -من وجِهةِ نظري- كافٍ في الحكمِ بإسلامِ هذه الطوائفِ، أو الحكمِ عليهم بأنهم صحيحو العقيدةِ ومسلمو التوجُّهِ للهِ الواحدِ الأحدِ. ويبدو أنَّ أكثرَ من أدركَ منهم الإسلامَ سارعَ باعتناقهِ، لما يعلمه من أسسِ العقيدةِ الصحيحةِ التي نادى بِها أنبياءُ اللهِ تعالى، ولما يعتقده من أنَّ

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ص١٨٥، وذكره ابن تيمية في مجموع الفتاوى رقم ١٨ ص٢٩٢ وصححه الألباني في صحيح الجامع تحت رقم ٢٨٦٥.

الأناجيلَ قد أقرَّت مجتمعةً بثلاثِ قضايا مهمَّةٍ[١]؛ وهي:

- الأولى: أنَّ اللهَ واحدٌ لا شريكَ له؛ حيث جاءَ على لسانِ المسيحِ: «أنَّ أباكم واحدٌ الذي في السَّماواتِ»[٢]، وقوله: «الربُّ إلهُنا واحدٌ وليس آخر سواه»[٣].

- الثانيةُ: أنَّ المسيحَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ رسولُ اللهِ، وليس أكثرَ من رسولٍ؛ كما جاء في إنجيلِ متى: «هذا يسوعُ النبيُّ الذي من ناصرةِ الجليلِ»[٤]، وفي يوحنا: «وأنا إنسانٌ قد كلَّمَكم بالحقِّ الذي سمعَه من اللهِ»[٥]، وفي لوقا: «قد خرجَ نبيٌّ عظيمٌ»[٦].

- الثالثةُ: أنَّ المسيحَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ رسولٌ لبني إسرائيلَ فقط؛ حيث ذكرَ إنجيلُ متى أنَّ المسيحَ عندما حدَّدَ الحواريينَ الاثني عشرَ، أوصاهم قائلاً: «إلى طريقِ أممٍ لا تمضوا، وإلى مدينةٍ للسَّامريينَ لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحرِيّ إلى خِرافِ بني إسرائيلَ الضَّالَّةِ»[٧].

أما من لم تبلغْه دعوةُ الإسلامِ على وجهٍ صحيحٍ، أو بلغته بالصورةِ

---

(١) راجع د. أحمد شلبي: المسيحية ص٢٩٠، سابق.

(٢) متى، الإصحاح ٢٣: ٨.

(٣) مرقص، الإصحاح ١٢: ٣٠، ٣١.

(٤) متى، الإصحاح ٢١: ١١.

(٥) يوحنا، الإصحاح ٨: ٤٠.

(٦) لوقا، الإصحاح ٧: ١٦.

(٧) متى، الإصحاح ١٠: ٥، ٦.

المنفِّرَةِ التي أشاعتها الكنيسةُ عنه وعن رسولهِ ﷺ، أو بلغته بأيةِ صورةٍ أخرى غيرِ صحيحةٍ، ولم يستطع التجاوبَ معها على أي نحوٍ؛ فبقي على عقيدتهِ الأولى المنكرةِ للاهوتِ المسيحِ، والمقرّةِ في الوقتِ نفسهِ بالوحدانيةِ المطلقةِ للهِ تعالى؛ فإنَّ هؤلاء يعاملون معاملة أهل الفترة، يمتحنهم الله يوم القيامة، فمن أطاع فهو من أهل الجنة، ومن عصى فهو من أهل النار(١).

أما مَن أدركَ من أولئك الموحِّدينَ دعوةَ الإسلامِ، ومِن ثَمَّ عُرِضت عليه بشكلٍ صحيحٍ، واستوعبها تمامَ الاستيعابِ، واستطاعَ التجاوب معها بِما يُسقِطُ له أيَّ عُذرٍ، ثمَّ لم يؤمن بِها وظلَّ متمسِّكًا بما لديهِ من عقائدَ -هي صحيحةٌ في جملتِها- فهو وإن كان قريبًا من الإسلامِ، إلّا أنه يظلُّ جاحِداً لما جاءَ به محمدٌ ﷺ؛ إذ كان من المفترضِ أن يكونَ أولَ من يتبعُ النبيَّ ﷺ في عقيدتهِ التي هي عقيدةُ المسيحِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وجميعِ الأنبياءِ من قبلهِ؛ لأنَّ العقائدَ الأساسيةَ للإسلامِ هي عقائدُ كلِّ دينٍ سماويٍّ(٢).

- **أوجه الخلاف بين عقيدة الإسلام وعقائد موحدي النصارى:**

الإسلامُ يلتقي مع أولئك الموحِّدينَ من النصارى في الإقرارِ بالوحدانيةِ المطلقةِ للهِ تعالى، كما ذكرنا، لكن تَبقى هناك اختلافاتٌ دقيقةٌ بين الفريقينِ في بعضِ التفاصيلِ الجزئيةِ التي لا تَمسُّ جوهرَ التوحيدِ؛ يمكنُ حصْرُها في

(١) انظر: طريق الهجرتين ص٥٨٧، ٥٧٠.

(٢) راجع: الشيخ محمود شلتوت: الإسلام عقيدة وشريعة ص٤٤، ط١٨ سنة ٢٠٠١م، دار الشروق بالقاهرة.

النِقاطِ الثلاثةِ التاليةِ[١]:

أولاً: الخِلافُ حولَ **ولادةِ المسيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ من عَذراءَ**؛ حيث يُجمع المسلمونَ على أنَّ المسيحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وُلِدَ من مريمَ -عليها السَّلامُ- وهي عذراءُ لم يقرَبْها رجلٌ؛ وهذا ثابتٌ بنصِّ القرآنِ الكريمِ في أكثرَ من موضعٍ، كما في قولِهِ تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٤٧]، وقولِهِ تعالى: ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٠]، وقولِهِ تعالى: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩١].

والإحصانُ في الآيةِ الأخيرةِ: إشارةٌ إلى أنَّ المعاشرةَ الجنسيةَ لم تقع قطُّ، بشأنِ الحملِ بالمسيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

أما موحِّدو النصارى، وهم مَن ذكرنا مِن أتباعِ البوليانيينَ والآريوسيينَ، فقد اعتقدوا أنَّ وِلادةَ المسيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ كانت عن علاقةٍ طبيعيةٍ بين مريمَ -عليها السَّلامُ- وزوجٍ لها؛ سواءٌ أكانَ يوسفَ النجَّار أم رجلاً آخرَ.

والحقُّ أنَّ القولَ بولادتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ من عذراءَ، اقترنَ أو تزامنَ مع نشاطِ القائلينَ بتأليهِهِ؛ فلعلَّ الخوفَ من استثمارِ القولِ بتأليهِ السَّيدِ المسيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ على أوسعِ نطاقٍ، هو الذي نفَّرَ الموحدينَ من الإقرارِ بأنه وُلِدَ من عذراءَ.

---

(١) راجع: حسني يوسف الأطير: عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية ص٢٣٤، وما بعدها، ط١ سنة ١٩٨٥م، دار الأنصار بالقاهرة.

أو لعلَّ هؤلاء الموحدينَ لم يكن لديهم نصٌّ صَرِيحٌ يَثقونَ به في هذه القضيةِ؛ خاصَّةً وأنَّ جميعَ الأناجيلِ الحاليةِ، وما أُلحِقَ بِها من كتبٍ ورسائلَ، كانت تخلو من الإشارةِ إلى أَنَّ المسيحَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قالَ بولادتهِ من عذراءَ؛ إذ الإقرارُ بولادةِ المسيحِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من عذراءَ على أنه عقيدةٌ أساسيةٍ من عقائدِ الكنيسةِ لم يتمّ قبلَ سنةِ ١٥٠م.

وهذا يعني أنَّ الكنيسةَ رُبَّما احتاجت إلى بعضِ الوقتِ كي تُهيئَ وجدانَ الشعبِ وعقلَه لتقبُّلِ عقيدةِ الميلادِ من عذراءَ (*Virgin Birth*)؛ كما ذكرَ د.وليم إدي -أحدُ مفسِّري الإنجيلِ- قائلاً: «إنَّ سِرَّ ولادةِ فادينا من عذراءَ لم يُفهم دفعةً واحدةً، بل بالتدريجِ؛ ولذلك كانت الحاجةُ إلى ما يَدرأُ عنه شوائبَ العارِ مُدَّةَ بقاءِ ذلك السِّرِ مكتوماً؛ فكان الاحتياجُ شديداً إلى حِجابِ الزيجةِ المكرَّمةِ»[(١)]!!

ثانياً: الخِلافُ في **كونِ المسيحِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كَلِمةً إلهيةً**؛ حيث صرَّحَ القرآنُ الكريمُ في أكثرَ مِن موضعٍ، أنَّ المسيحَ ابنَ مريمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ (كلمةٌ) من الله.

لكن هناك أمرانِ في هذا الصَّدَدِ ينبغي الإشارةُ إليهما؛ وهما:

- الأولُ: أنه لم يُنسب إلى المسيحِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في كلامهِ أنه (كلمة)؛ وهذا يعني أنَّ الوحيَ لم يَرد بذلك الأمرِ، ومن ثمَّ لم يَتلقَّاها أحدٌ من التلاميذِ عنه، خبراً كان أو تعليماً واعتقاداً.

---

(١) د. وليم إدي: الكنز الجليل في تفسير الإنجيل - شرح بشارة متى - ١: ١٢- ١٦، الصادر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، بيروت سنة ١٩٧٣م.

• الثاني: أنَّ القرآنَ الكريمَ عند حديثِهِ عن المسيحِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ذكرَ (كلمة) بدونِ أداةِ التعريفِ؛ ليؤكِّدَ بهذا التنكيرِ على كونهِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مجرَّدَ (كلمة) من كلماتٍ كثيرةٍ، ولم يستخدم أداةَ التعريفِ قطُّ في لفظِ الكلمةِ عند اقترانِها بالمسيحِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

والمعلومُ أنَّ لفظَ (كلمة)، يأتي في القرآنِ بمعانٍ كثيرةٍ؛ فعلى سبيلِ المثالِ:

تأتي (كلمة) في معنى اللفظِ والقولِ: ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥].

وتأتي في معنى الوعدِ: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٧١].

وتأتي في معنى العقيدةِ والتعليمِ؛ كما في قولهِ تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٨]، وقولهِ تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وتأتي في معنى الحكمِ والقضاءِ؛ كما في قولهِ تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١١٥]، وقولهِ: ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ٣٣]، وقولهِ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٩].

- وتأتي في معنى النُّظُم والنواميسِ الكونيةِ؛ كما في قولهِ تعالى ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ٣٤].

وواضحٌ من تلك المعاني السَّابقةِ للفظِ (كلمة)، أنَها جميعاً لا تُعطي معنى الألوهيةِ على الإطلاقِ، ولا تَصلُحُ في اللغةِ أيضاً -مجازاً أو حقيقةً- لأن تكونَ اسماً لكائنٍ إلهيٍّ مولودٍ، أو ما شابه ذلك.

أما عندما يَستخدِمُ القرآنُ الكريمُ لفظَ (كلمة)، في حقِّ المسيحِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فإنما يستخدِمُها بمعنى (الخلق) فقط؛ ليكونَ المسيحُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كلمةً من اللهِ؛ أي: مخلوقاً حسبَ قانونٍ إلهيٍّ خاصٍّ به وحدَه، لا يَشترِكُ فيه أحدٌ غيرهُ من بني جِنسهِ.

وهذا بالطبعِ لا يستوجِبُ إيثاراً له بأفضليةٍ أو كمالٍ على غيرهِ من الرسلِ السَّابقينَ عليه، بل إنَّ مثلَه في الخلْقِ كمثلِ آدمَ؛ كِلاهما له ناموسٌ مُختلِفٌ في الخلْقِ اقتضى إيجادَه على النحوِ الذي أرادَه اللهُ تعالى، دونَ تفاضُلٍ بينهما في عمليةِ الخلْقِ؛ أو دونَ أن يكونَ لابنِ المرأةِ فضلٌ على ابنِ الترابِ[1]!

إذن، فالمسيحُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في الإسلامِ -كما في المسيحيةِ الأولى- هو كلمةٌ من اللهِ، بمعنى أنه مخلوقٌ حسبَ ناموسٍ إلهيٍّ خاصٍّ؛ إظهاراً للقدرةِ المطلقةِ للهِ تعالى وسلطانهِ على النواميسِ كلِّها، ووَفقَ حِكمتهِ تعالى التي لا تُدرَك ولا تُحَدُّ.

---

(١) راجع حسني الأطير: عقائد النصارى الموحدين ص٢٤١.

أما مفهومُ الكلمةِ في المسيحيةِ البولسيةِ، فإنَها تُستَعملُ بصيغةِ المذكرِ للدلالةِ على المسيحِ الذي يزعمون أنه ظهرَ مُتكلِّماً ومُعلِناً عن نفسهِ بأنه اللهُ[١]. وقد أوضحنا سابقاً أنَّ الآريوسيينَ والبوليانيين وغيرَهم من الموحِّدينَ، أنكروا جميعاً أن تكونَ الكلمةُ إلهاً أو ابناً للإلهِ[٢].

ولا شكَّ أنَّ عقيدةَ الإسلامِ في خلْقِ المسيحِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، تَتوافقُ تَماماً مع ما ذهبَ إليه موحِّدو النصارى؛ الذين أنكروا كونَ الكلمةِ -أو اللوجوس[٣]- الإلهَ الذي تجسَّدَ، بالمعنى الواردِ في أولِ فقرةٍ من إنجيلِ يوحنا، تحتَ عنوانِ (الكلمةُ صارَ جسداً)؛ التي تقولُ: «في البَدْءِ كانَ الكَلِمَةُ، والكَلِمةُ كانَ عندَ اللهِ، وكانَ الكَلِمَةُ اللهَ»[٤].

(١) راجع قاموس الكتاب المقدس ص٧٨٥، مادة (كلمة)، ط دار كنائس الشرق الأدنى.

(٢) راجع د.رمسيس عوض: الهرطقة في الغرب ص٧٣، وانظر: تاريخ الفكر المسيحي ٤: ٦٢٠.

(٣) اللوجوس هو الكلمة الإلهية عند فلاسفة اليونان الأقدمين، لكنها في تصور آباء الكنيسة تعني التساوي التام بين الله واللوجوس الذي هو ابن الله. فالكلمة أو اللوجوس هو عند الكنيسة كائنٌ أبديٌّ فوق كل علة وكلمة؛ لأنهم يعتقدون أنه لا توجد كلمة قبل اللوجوس.

- راجع د.عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة ٢: ٣٧١، ط١ سنة ١٩٨٤م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت لبنان.

- وانظر القديس جريجوريوس الناطق بالإلهيات،: ثيئوفانيا ميلاد المسيح - أو أنشودة الميلاد - نصوص آبائية رقم (٧٠)، ص١٥، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية بالقاهرة.

(٤) إنجيل يوحنا، الإصحاح الأول: ١، وانظر د.محمد علي زهران: إنجيل يوحنا في الميزان =

والحقُّ أنَّ الاعتقادَ السائدَ في الكنائسِ الأرثوذكسيةِ غيرِ الخلقيدونية، من بعدِ عام ٤٥١م إلى اليومِ - وهي الكنائسُ السّريانيةُ والأرمنيةُ والأثيوبيةُ والهنديةُ - أنَّ السَّيدَ المسيحَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هو الكلمةُ المُتجسِّدُ، الذي له لاهوتٌ كاملٌ وناسوتٌ كاملٌ، ولاهوتُه مختلطٌ بناسوتهِ اختلاطًا دائِمًا، وأنَّ باتحادِ الطبيعتينِ داخلَ رحمِ السيدةِ مريمَ -عليها السَّلامُ- تكوَّنت منهما طبيعةٌ واحدةٌ هي طبيعةُ اللهِ الكلمةِ المُتجسِّدِ؛ وهذه الكنائسُ عُرفت باسم: أصحابُ الطبيعةِ الواحدةِ (*Monophysites*).

في حين أن جميع الكنائسِ الخلقيدونيةِ الكاثوليكيةِ، والرومانيةِ -أو الروم الأرثوذكس- والكنائسِ البروتستانتية = تؤمنُ بطبيعتينِ للمسيحِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ لذلك تُعرف هذه الكنائسُ باسمِ: (أصحابُ الطبيعتين)[1]!

وكِلا الأمرينِ -الاعتقادُ بالطبيعةِ الإلهيةِ الواحدةِ أو بالطبيعتينِ معًا- تمَّ رَفضُهما من قبلِ موحِّدى النصارى، ومن ثمَّ فلا خِلافَ بين الإسلامِ وبين هؤلاءِ الموحِّدينَ حولَ المعتقدِ الصحيحِ في مريمَ -عليها السَّلامُ- وفي المعنى الصحيحِ لمفهومِ الكلمةِ الذي يخلو تمامًا من الإشارةِ إلى معنى الإلهِ أو ابنِ الإلهِ.

إلّا أنَّ الخِلافَ قد يبدو في استخدامِ لفظِ الكلمةِ ذاتِها؛ ذلك أنَّ تعاليمَ

=

ص١٧٦، ط١ سنة ١٩٩٢م، دار الأرقم بالزقازيق.

(١) راجع الأنبا شنودة الثالث: طبيعة المسيح ص٣ وما بعدها، ط١ سنة ١٩٩١م، نشر الكلية الإكليريكية للأقباطِ الأرثوذكس، القاهرة.

آريوس الخاصةَ بشخصِ المسيحِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فيها قَدْرٌ كبيرٌ من المغالاةِ في الوصفِ.

فعلى الرَّغم من اعتقادِ آريوس بأنَّ المسيحَ الذي تتعبَّدُه الكنيسةُ ليس إلهاً، ولا يمتَلِكُ الصِّفاتِ الإلهيةَ المطلقةَ، إلاَّ أنه نادى بأنَّ اللهَ خلقَ الكلمةَ (الابن) لأجلِنا؛ لأنه عندما أرادَ أن يخلقنا خلقَ كائناً يُدعى الكلمةَ، ومنحه مجداً إلهياً ارتفعَ به فوقَ سائرِ الخلائقِ، وأعطاه كلَّ سُلْطانٍ إلهيٍّ؛ ليكونَ ربَّاً لمجدِ اللهِ الآبِ في الأرضِ والسَّماءِ!

فتعاليمُ آريوس الكريستولوجية (*Christological*) أو الخاصَّةُ بشخصِ المسيحِ في مجملِها تَنصبُّ على أنَّ المسيحَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هو ابنٌ بالتبنِّي، وليس ابناً شرعياً يرِثُ والدَه في الجوهرِ والصِّفاتِ[1]!

على أنَّ الاعتقادَ بأفضليةِ المسيحِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ على سائرِ الخلْقِ، وبأنَّ اللهَ تعالى اختصَّه بشيءٍ من السّموِّ والعظمةِ والقُدْرةِ على الإتيانِ بخوارقِ العاداتِ، لا يَمسُّ جوهرَ التوحيدِ الآريوسيِّ، ولا يُبعِدُه كثيراً عن المعتقدِ الصحيحِ للمسلمينَ؛ هذا بفرضِ أنَّ أقوالَ آريوس وتعاليمَه في هذا الصَّدَدِ قد تعرَّضت لكثيرٍ من عملياتِ التشويهِ والتزويرِ.

بالإضافةِ إلى أنَّ كتبَ آريوس وأتباعِه كلَّها تمَّ حرقُها والتخلُّصُ منها، بعد إقرارِ قانونِ الإيمانِ الكنسيِّ في مجمعِ نيقيةَ، وبأمرٍ مباشرٍ من السلْطةِ الزمنيةِ آنذاك.

---

(١) راجع: تاريخ الفكر المسيحي ٤: ٦٢٠ - ٦٣٥.

ثالثـًا: الخِـلافُ في **قضـيةِ صَـلْبِ المسـيحِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ**؛ حيـث أشـارَ القـرآنُ الكريمُ إلى أنَّ اليهـودَ ادَّعـوا قتـلَ المسـيحِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وصـلْبَه، وردَّ عليـهم بـأنَّ ذلك لم يحدث في حقِّهِ أبداً، وأنَّ الأمرَ لا يعدو أن يكونَ قد شُبِّه لهم.

وبالطبعِ لم يتهمهم القرآنُ بالكذبِ في دعـواهم، وإنَما وضَّـحَ لهـم الأمرَ على وجهـهِ الصـحيحِ، وأكَّـدَ أنّهـم لـم يكونـوا على دِرايـةٍ كافيـةٍ بِملابسـاتِ الحادثةِ على حقيقتِها التي وقعت عليها؛ وهي أنَّ المسيحَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ شُـبِّه لهـم في صورةِ الرجلِ الذي قتلوه وصلبوه..

والحقُّ أنَّ القرآنَ الكريمَ لا يحفلُ كثيراً بقضيةِ موتِ نبيٍّ من الأنبيـاءِ، ولا يَتطرَّقُ لذكرِ تفاصيلِ كيفيةِ الوفاةِ، ومـا إلـى ذلـك، سـواءٌ قُتِلَ أو مـاتَ حتـفَ أنفهِ؛ لأنَّها ليست قضيةً كونيةً أو عقديّةً كـبرى يُمكـن أن تسـترعى الانتبـاهَ، أو أن تستدعي الذِكرَ والتنويهَ بها وتِلاوتَها والتعبُّدَ بِها على مرِّ الليالي والأزمانِ.

لكن في حالةِ السَّيدِ المسيحِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فـإنَّ الوضـعَ مختلـفٌ تمامـاً، وقـد كان من الممكنِ أن يُغفلَ القرآنُ الكريمُ ذِكرَ تفاصيلِها لولا أنَّها تَمسُّ جـوهرَ العقيدةِ بشكلٍ أساسيٍّ، ولولا أنَّها أحدثت لغطـاً كبيراً بين اليهودِ والنصارى، وما زالت تُحدِثُ ذلك اللغطَ؛ فكان مـن الضـروريِّ الوقـوفُ عنـدها وتجليَـةُ حقيقتِها كاملةً.

وقد عرفنا أنَّ الكنيسةَ قـد اتخـذت مـن الادعـاءِ بمـوتِ المسـيحِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ علـى الصـليبِ، أساسـاً للقـولِ بألوهيتـهِ؛ كمـا يـذكرُ البروفيسـور جـوردن مولتمان في كتابهِ (الإلهُ المصـلوب)، قـائلاً: «إنَّ وفـاةَ عيسـى علـى الصـليبِ، هي عصبُ كلِّ العقيدةِ المسيحيةِ. وكـلُّ النظريـاتِ المسـيحيةِ عـن اللهِ، وعـن

الخليقةِ، وعن الخطيئةِ، وعن الموتِ، تستمِدُّ محورَها من المسيحِ المصلوبِ. وكلُّ النظرياتِ عن التاريخِ، وعن الكنيسةِ، وعن الإيمانِ وعن التطهُّرِ، وعن المستقبلِ، وعن الأملِ، إنّما تَنبعُ من المسيحِ المصلوبِ»[١]!

وهذا يعني أنَّ انتفاءَ الصَّلْبِ انتفاءٌ للمسيحيةِ ذاتِها؛ لذلك فغالبيةُ الطوائفِ المسيحيةِ -وبخاصَّةٍ الأرثوذكسيةُ- تُقدِّسُ الصليبَ، بل وتجعلُ له عِيداً يُطلَقُ عليه (عيدُ الصليبِ)[٢]. وأكثرُ المسيحيينَ يَشِمونَ صورةَ الصليبَ على أيديهم ويُعلِّقونَه في أعناقِهم وعلى كنائِسِهم، ويتباركونَ به في حِلِّهم وترحالِهم[٣].

والحقُّ أنَّ عقيدةَ الصلْبِ والفِداءِ لها آثارٌ سلبيةٌ كبيرةٌ على الدينِ ذاتِهِ،

---

(١) أحمد ديدات: مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء ص١٠، ترجمة: علي الجوهري، ط سنة ١٩٨٩م، دار الفضيلة بالقاهرة.

(٢) تحتفل الكنيسة الشرقية في اليوم العاشر من شهر برمهات، والكنيسة الغربية في اليوم الثالث من شهر مايو من كل عام، بظهور الصليب المقدس على يد القديسة (هلانه) والدة الإمبراطور قسطنطين، سنة ٣٢٦م، حيث يعتقدون أن الصليب ظل مطموراً بفعل اليهود تحت تل من القمامة، إلى أن كُشف للقديسة هيلانه بعد دخولها في المسيحية، التي استطاعت أن تميزه من بين ثلاثة صلبان، فأقامت على المغارة التي اكتشفت فيه الصليب كنيسة القيامة المعروفة في أورشليم، وأرسلت إلى القديس أثناسيوس -بطريرك الإسكندرية آنذاك- فجاء ودشنَ الكنيسةَ في احتفال عظيم سنة ٣٢٨م.
- راجع أعياد النصارى: http://www.iid-alraid.de/arabisch.

(٣) انظر الأنبا شنودة الثالث: اللاهوت المقارن - الجزء الأول - ص٢٠، ط٢ سنة ١٩٩٢م، نشر الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس بالقاهرة.

وعلى المسيحيينَ أنفسِهم؛ تتمثلُ في الاضطرابِ الفكري والنفسيِّ الناتجَينِ عن تصوّرِ إلهٍ مصلوبٍ، هو ابنٌ وحيدٌ للإلهِ، وفي الوقتِ ذاتهِ يَدفعُ به الإلهُ الآبُ للقتلِ والصلْبِ من أجلِ افتداءِ البشرِ وخلاصِهم!! وهذا بِلا شكٍّ سببٌ رئيسٌ من أسبابِ انتشارِ الإلحادِ، ونفورِ الناسِ من الدينِ؛ إذ كيف يَرضى العقلاءُ بعبادةِ ربٍّ ظالمٍ، أو ربٍّ مصلوبٍ[(١)]؟!!

أما موحِّدو النصارى، وإن لم يرتضوا هذا الاعتقادَ من ذلك المنطلقِ العقليِّ، إلاَّ أنه لم يُؤثر عنهم رفضُهم لفكرةِ القتلِ والصلْبِ في حدِّ ذاتِها؛ لأنَّ القتلَ كان بمثابةِ العقوبةِ المُقرَّرَةِ لكلِّ مَن يُحكَمُ عليه بالكفرِ أو الخروجِ على الديانةِ اليهوديةِ.

كما أنَّ التعليقَ على الصليبِ عندهم، كان من الأمورِ التي تَستلْزِمُ اللعنةَ؛ كما وردَ في التوراةِ: «وإذا كان على إنسانٍ خطيئةٌ حقُها الموتُ فقتل وعلقته على خشبةٍ، فلا تبت جثتُه على الخشبةِ، بل تدفنها في ذلك اليوم؛ لأنَّ المعلَّقَ ملعونٌ من الله»[(٢)].

ولا ريبَ في أنَّ المسيحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يُنظَرُ إليه في المجتمعِ اليهوديِّ على أنه كافرٌ يَستحِقُّ القتلَ واللعنةَ الأبديةَ. لكنَّ النصارى اعتبروا ذلك نوعًا من التكريمِ لشخصهِ، باعتبارهِ مُخلِّصًا، وفاديًا بجسدهِ كلَّ أصحابِ الخطايا والآثامِ من البشرِ؛ لذلك استحقَّ في التاريخِ المسيحيِّ ذلك الوضعَ المتميزَ،

(١) د.منقذ السقار: هل افتدانا المسيح على الصليب؟ ص١٣، ١٤، ط١ سنة ٢٠٠٧م بالقاهرة.

(٢) سفر التثنية، الإصحاح ٢٢: ٢١، ط سنة ١٩٨٩م، بيروت.

وتلك الصورةَ الذهنيةَ المتفرِّدةَ.

والقرآنُ الكريمُ عندما تناولَ هذه العقيدةَ، ذكرَ أنَّ عِلْمَ النصارى بحقيقةِ مسألة القتلِ والصَّلْبِ، هو عِلْمٌ ظنيٌّ وغيرُ مؤكَّدٍ لهم؛ قال تعالى:

﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴾ [النساء: ١٥٧].

والمعلومُ أنَّ كثيراً من النصارى اختلفوا في مسألةِ القتلِ والصَّلْبِ، بدليلِ أنَّ ثلاثةً من الأناجيلِ المعتمدةِ لدى الكنيسةِ (متى، ومرقص، ولوقا) قد ذكرت في هذه الحادثةِ أنَّ التلاميذَ عندَ القبضِ على المسيحِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فرّوا وتركوه وحيداً.

ومعنى ذلك أنَّ أحداً من حواريهِ، أو من المقرَّبين منه، لم يُعاين حالةَ القبضَ عليه أو محاكمتَه، أو مشهدَ رفعهِ على الصليبِ، أو موته ودفنه، أو حالةَ قيامهِ من القبرِ.

وإنما الذي شاهدَ الصلْبَ -كما تروي هذه الأناجيلُ- مجموعةٌ من النِساءِ؛ كُنَّ يَنظُرنَّ من بعيدٍ، وبالتالي تناقلَ الناسُ الخبرَ عن هؤلاءِ النسْوَةِ!

أما رِواياتُ إنجيلِ يوحنا[1]، بأنَّ التلميذَ الذي يُحبُّه المسيحُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كان حاضِراً في المحاكمةِ ووقتَ الصلْبِ، وأنَّ أمَّ المسيحِ أيضاً كانت حاضرةً؛ فهي رواياتٌ يَنقصُها الدليلُ القاطعُ، خاصَّةً وأنَها جاءت مخالِفةً

(١) الإصحاح ١٨: ١٥- ١٧، والإصحاح ١٩: ١٩، والإصحاح ٢٠: ١- ٦.

لرواياتِ الأناجيلِ الثلاثةِ الأخرى.

هذا، فضلاً عن أنَّ إنجيلَ يوحنا يُعَدُّ أقلَّ الأناجيلِ نصيباً من الصِّحةِ والقبولِ، وعليه اعتراضاتٌ كثيرةٌ من مؤرِّخي المسيحيةِ[١]، وخِلافٌ واسعٌ حولَ شخصيةِ كاتبهِ[٢]!

ولعلَّ موحِّدي النصارى، لم يكن لهم من سبيلٍ سوى تَصديقِ تلك الرواياتِ الشائعةِ في ذلك الوقتِ، وإن كان اعتقادُهم مُنصبًّا على إنكارِ كونِ المسيحِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قُتِلَ أو صُلِبَ من أجلِ افتداءِ البشرِ وخلاصِهم.

أما مسألةُ تصديقِهم بقتلهِ وصلْبهِ، أو عَدمُ تصديقِهم بذلك؛ فهي في حدِّ ذاتِها لا تُمثِّلُ في الحقيقةِ مُعضِلةً كبيرةً لديهم، بل لعلَّهم كانوا أقربَ إلى تصديقِها، من مُنطَلَقِ أنّ المسيحَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إنما جاءَ بِما يجعلُه في عرْفِ أولئك اليهودِ المنكرينَ لدعوتهِ مُستحقًّا للقتلِ والصلْبِ.

إذن، فالمسألةُ بهذا الشَّكْلِ والتوصيفِ هي محلُّ اتفاقٍ تامٍّ في أصلِ الاعتقادِ بين الإسلامِ وموحِّدي النصارى، وإن لم يستطع النصارى الموحدونَ إثباتَ خُرافةِ قصَّةِ الصَّلْبِ والقتلِ، كما بيَّنَها الإسلامُ.

---

(١) راجع د.أحمد شلبي: المسيحية ص٢٠٨ وما بعدها.

(٢) انظر: أبحاث المؤتمر الكتابي السادس، الذي نظمته الرابطة الكتابية بإقليم الشرق الأوسط في سيدة البير، جل الديب، لبنان في الفترة من ٢٤ - ٣٠ كانون ثان من عام ١٩٩٩م؛ تحت عنوان: (الكلمة صار بشراً، دراسات في إنجيل يوحنا). على الرابط: *http://www.create-answer.com*.

خاتِمةٌ في نتائجِ البحثِ

تلك هي عقيدةُ التوحيدِ عندَ أوائلِ النصارى؛ إنَّها العقيدةُ التي بدأت في التاريخِ المسيحيِّ -كمذهبٍ لاهوتيٍّ- بدايةً مُبكِّرةً جدًّا؛ إذ إنَّها تَسبِقُ عقيدةَ التثليثِ بعشراتِ السنينَ، ومِن ثَمَّ تعكِسُ بدِقَّةٍ التعاليمَ المسيحيةَ الأولى حولَ طبيعةِ اللهِ.

وهذا يعني -كما بيَّنا- أنَّ التثليثَ الذي قرَّرَه المجتمِعونَ في مجمعِ نيقيةَ الأولِ كعقيدةٍ مُلْزِمةٍ للكنيسةِ، في بدايةِ القرْنِ الرابعِ للميلادِ، يُعتبَرُ انحرافًا عن الأصلِ الأولِ، أو عن العقيدةِ الصحيحةِ التي جاءَ بِها السَّيدُ المسيحُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ومَن قبله من الأنبياءِ والرسلِ الكِرام.

ولا ريبَ في أنَّ آريوس ومَن سبقَه من أوائلِ الموحِّدينَ، كانوا في حقيقةِ الأمرِ يُحاربونَ في معركةٍ غيرِ مُتكافئةٍ؛ عندما حاولوا إنقاذَ ما تَبقَّى من عقيدةِ التوحيدِ التي بُدِّدَت في مجمعِ نيقيةَ وما تلاه من مجامعَ كنسيةٍ أخرى!

فإذا كان بولس السيمساطي، وآريوس، وغيرُهما من أوائلِ الموحِّدينَ، قد عُرِفوا في التاريخِ المسيحيِّ عن طريقِ أعدائِهم ومُخالِفِيهم الذين اعتبروهم جميعًا (مهرْطقين)، فمن الطبيعيِّ أن يتعرَّضوا لمحاولاتٍ كثيرةٍ من التشويهِ والدِّعاياتِ المُضلِّلَةِ، وأن تتعرَّضَ تعاليمُهم ومؤلَّفاتُهم لسلْسلةٍ من عملياتِ التحويرِ أو التزويرِ أو الطمْسِ.

لذلك، يَنبغي ألاَّ نلتفِتَ كثيراً إلى تضارُبِ الأخبارِ والأقوالِ حولَ عقائدِ أولئك الموحِّدينَ؛ إذ يكفينا أنّهم أعلنوا منذ البدايةِ تَمسُّكَهم بالمسيحيةِ

الأولى، وجاهروا بإيمانِهم باللهِ الواحدِ الأحدِ، بل وهتفوا بأنَّ المسيحَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مُجرَّدُ إنسانٍ مخلوقٍ، غير أزليٍّ، ليس به جزءٌ لاهوتيٌّ، وإن صاحبته النعمةُ والعنايةُ الإلهيةُ؛ وهذا يكفي جِدًّا للحُكمِ عليهم بأنَّهم مسلِمو العقيدةِ، ومن جملةِ الموحِّدينَ.

هذا، ويبدو أنَّ تلك العقائدَ المصطدِمةَ مع الفطرةِ وقواعدِ العقلِ والمنطقِ التي أقرَّتَها المجامعُ الكنسيةُ المدعومةُ من السلْطةِ الزمنيةِ الحاكمةِ، كانت سببًا مُهمًّا في قيامِ عِدَّةِ حركاتٍ إصلاحيةٍ للكنيسةِ الكاثوليكيةِ في الغربِ؛ لعلَّ أهمَّها:

- حركةُ الإصلاحِ الديني البروتستاني، على يدِ أحدِ القساوسةِ الألمانِ (مارتن لوثر) [ت ١٥١٧م] في القرنِ السَّادسِ عشرَ للميلادِ.

كما كانت تلك العقائدُ سببًا قويًّا في انتشارِ عدَّةِ حركاتٍ ودعواتٍ توحيديةٍ وإصلاحيةٍ في جميعِ أنحاءِ العالمِ المسيحيِّ، بعدَ أقلَّ من نصفِ قرْنٍ من قيامِ حركةِ الإصلاحِ الديني البروتستاني؛ مِنها على سبيلِ المثالِ:

- الحركةُ المُضادَّةُ للتثليثِ، التي انتشرت في شمالِ إيطاليا خلالَ المدة من (١٥١٧م - ١٥٥٣م).

- والحركةُ المعاديةُ للتثليثِ في بولندا، التي ظهرت في منتصفِ القرْنِ السَّادسِ عشرَ. ومن قبلها (جماعةُ الليبراليينَ البولنديينَ)؛ التي أصدرت في عامِ ١٦٠٥م إعلانًا تقولُ فيه: «إنَّ اللهَ واحدٌ في ذاتِهِ. والمسيح إنسانٌ حقيقيٌّ، ولكنه ليس مجرَّدَ إنسانٍ. وإنَّ روحَ القدسِ ليس أقنومًا، لكنه قُدْرةُ اللهِ».

ثم أنكرَت الخطيئةَ الأصليةَ الأولى، أو خطيئةَ آدم المتوارثةَ كما هو الاعتقادُ السَّائدُ في المسيحيةِ.

كذلك، وصلَ الأمرُ بالموحِّدينَ في أوروبا إلى حَدٍّ أن كان لهم في دولةِ المجرِ حاكمٌ موحِّدٌ؛ هو (جون سيجسموند) الذي حكمَ المجرَ في المدة (١٥٤١ - ١٥٧٠م) وهو ما يزالُ طِفلاً، بعد وفاةِ والدهِ (يانوش زابوليا).

وقد عُرِف (جون سيجسموند) بتسامحهِ الدينيِّ، وبتشجيعهِ للحوارِ والمناظراتِ بين التوحيديينَ الكاثوليك واللوثريينَ والكالفنيينَ.

كما عُرِفَ عن المُحققِ البريطاني جون بيدل (*John Biddle*) [١٦١٥ - ١٦٦٢م]، بأنه (أبو مذهبِ التوحيدِ) في إنجلترا؛ حيث قامَ بنشاطٍ إصلاحيٍّ كبيرٍ في بريطانيا العُظمى، ونشرَ عِدَّةَ رسائلَ في التوحيدِ وإبطالِ عقيدةِ التثليثِ وألوهيةِ المسيحِ، الأمر الذي عرَّضَه وأتباعَه للاضطهادِ والسّجنِ عدَّةَ مرَّاتٍ إلى أن ماتَ وهو سجينٌ، وبَقِيت أفكارُه الإصلاحيةُ ذاتَ تأثيرٍ كبيرٍ في الكثيرِ من مُتحرِّري الفكرِ في أوروبا؛ من أمثالِ: عالم الفيزياءِ الشهيرِ إسحق نيوتن (*Issac Newton*)، وعالم الاجتماعِ المعروفِ جون لوك (*John Lock*)، وغيرِهما ممن كان له أثرٌ كبيرٌ في النهضةِ الأوروبيةِ الحديثةِ[١].

وفي أمريكا أيضًا، ظهرت عِدَّةُ حركاتٍ توحيديةٍ على يدِ الليبراليينَ، في

(١) راجع أشهر القساوسة المسيحية الموحدة، على الرابط التالي:
http://www.ebnmaryam.com.

القرنِ الثامنَ عشرَ في ولايةِ بوسطن؛ وكلُّهم كانوا آريوسيينَ في الأصلِ؛ من أمثالِ الدكتور تشالرز شاونستي [١٧٠٥ - ١٧٨٧م] راعي كنيسةِ بوسطن، والدكتور يوناثان ميهيو الذي ناضلَ بِشدَّةٍ ضدَّ عقيدةِ التثليثِ.

كما تكوَّنت جمعيةُ التوحيدِ الأمريكيِّ عام ١٨٢٥م، وأُنشئت مدرستانِ لتخريجِ رجالِ دينٍ لنشرِ عقيدةِ التوحيدِ وتعاليمِ آريوسَ؛ إحداها في شيكاغو، والأخرى في بركلي -بكاليفورنيا- وغير ذلك الكثير(١).

هذا، أما عن واجبِنا -نحن المسلمينَ- تِجاهَ هؤلاءِ الموحدينَ من النصارى، فهو ليس فقط تفقُّدُ أماكنِ وجودِهم، وإنما التواصلُ الدائِمُ معهم، ومَدُّ يدِ العونِ لهم بقدرِ المُستطاعِ، ومحاورتُهم بِما يَستهدِفُ إظهارَ الحقائقِ وتقريبَ وجهاتِ النظرِ على أساسِ القدْرِ المشتركِ والمُتفقِ عليه في مسائلِ العقيدةِ بين الجميعِ.

واللهُ تعالى وليُّ التوفيق والسَّدادِ.

كتبه/ د. عبد البديع محمد عبد الله

أستاذ العقيدة والأديان المساعد بقسم
الدراسات الإسلامية - كلية العلوم والآداب
بالخفجي - جامعة حفر الباطن

(١) راجع: م. أحمد عبد الوهاب: طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون ص٣٩ وما بعدها، ط سنة ١٩٨٠م، مكتبة وهبة بالقاهرة.

قائمةُ المصادرِ والمراجع

(أسماءُ المؤلِّفين مرتبةٌ ترتيبًا أبجديًا بعد حذفِ التعريفِ والكنيةِ)

- **أولاً: القرآن الكريم.**

- **ثانيًا: الكتاب المقدس**، الطبعة المعتمدة من الكنيسة المصرية، ط٦ سنة ١٩٩٩م، دار الكتاب المقدس بالقاهرة.

- **ثالثًا: المصادر والمراجع:**

١- **أثناسيوس الرسولي** (القديس): **دفاع عن قانون إيمان مجمع نيقية**. إعداد وترجمة: القس أثناسيوس فهمي جورج، عن النص الإنجليزي الوارد في:

Aselect Library of Nicene and Post-Nicene Fathers of The Christian Church, second series, volume IV, 1991, PP.149-172, Fdidted by Philp Schaff and Henry Wace.

٢- **أحمد ديدات** (العلامة): **مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء**. ترجمة: علي الجوهري، ط سنة ١٩٨٩م، دار الفضيلة بالقاهرة.

٣- **أحمد شلبي** (الدكتور): **المسيحية** - ضمن سلسلة مقارنة الأديان - ط٦ سنة ١٩٨٧م، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة.

٤- **أحمد عبد الوهاب** (مهندس): **طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون**. ط سنة ١٩٨٠م، مكتبة وهبة بالقاهرة.

٥- **أسد رستم** (الدكتور): **كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى**. ط سنة ١٩٨٨م، المكتبة البولسية، بيروت لبنان.

٦- **إنجيل برنابا**: ترجمة المؤرخ خليل سعادة. ط١ سنة ١٩٧٣م، دار القلم بالكويت.

٧- **جريجوريوس** (القديس الناطق بالإلهيات): **ثيئوفانيا ميلاد المسيح - أو أنشودة الميلاد** - نصوص آبائية، ط المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية - مؤسسة أنطونيوس - القاهرة.

٨ - **جوان فرشخ بجالي**: «**مَن يصدق إنجيل يهوذا؟**»، مقال منشور في جريدة الأخبار اللبنانية - صفحة تراث وآثار - العدد رقم ٥٤٤، بتاريخ: السبت ٧ حزيران عام ٢٠٠٨م.

٩- **جورج حبيب بباوي**: **المعمودية في الكنيسة الواحدة الجامعة الرسولية** - دراسة للعقيدة والطقس في القون الخمسة الأولى - ط سنة ٢٠٠٧م، الدراسات القبطية والأرثوذكسية.

١٠- **حسني يوسف الأطير**: **عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية**. ط١ سنة ١٩٨٥م، دار الأنصار بالقاهرة.

١١- **حشمت كمال** (شماس إكليريكي): **قاموس الجيب للمصطلحات الدينية**. نشر سنة ١٩٩٩م، القاهرة.

١٢- **حنا جرجس الخضري** (الدكتور القس): **تاريخ الفكر المسيحي - يسوع المسيح عبر الأجيال** - ط١ سنة ١٩٨١م، دار الثقافة، ودار الطباعة القومية بالفجالة.

١٣- **رمسيس عوض** (الدكتور): **الهرطقة في الغرب**. ط١ سنة ١٩٩٧م، دار سينا للنشر ومؤسسة الانتشار العربي، بيروت لبنان.

١٤- **الزمخشري** (أبو القاسم محمود بن عمر ت ٥٢٨هـ): **الكشاف عن غوامض التنزيل**. ضبط: مصطفى حسين أحمد، ط سنة ١٩٦٦م، دار الريان بالقاهرة.

١٥- **ساويرس بن المقفع، أسقف أشمون ت ٩٨٧م (الأنبا): تاريخ البطاركة**. تحقيق: عبد العزيز جمال الدين، ط١ سنة ٢٠٠٦م، مكتبة مدبولي بالقاهرة.٠٠

١٦- **شنودة الثالث ت ٢٠١٢م** (الأنبا): **طبيعة المسيح**. ط١ سنة ١٩٩١م، نشر الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس بالقاهرة.

١٧- **شنودة الثالث ت ٢٠١٢م** (الأنبا): **اللاهوت المقارن** - الجزء الأول - ط٢ سنة ١٩٩٢م، نشر الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس بالقاهرة.

١٨- **الشهرستاني** (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم ت ٥٤٨هـ): **الملل والنحل**. تحقيق: أمير علي مهنا، وعلي حسن فاعور، ط٦ سنة ١٩٩٧م، دار المعرفة، بيروت لبنان.

١٩-طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم الجوزية، ت: عمر بن محمود أبو عمر، الناشر: دار ابن القيم – الرياض، ط الأولى , ١٤٢٥

٢٠- **عباس محمود العقاد: الله - كتاب في نشأة العقيدة الإلهية** - ط٨ دار المعارف بالقاهرة.

٢١- **عبد الحميد سرحان: العقائد الإسلامية وإنجيل برنابا**. ط مكتبة الصحابة الإسلامية، السالمية، الكويت.

٢٢- **عبد الرحمن بدوي** (الدكتور): **موسوعة الفلسفة**. ط١ سنة ١٩٨٤م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت لبنان.

٢٣- **ابن العبري** (أبو الفرج بن هارون الملطي، المعروف بابن العبري ت ١٢٨٦م): **تاريخ مختصر الدول**. ط سنة ١٩٥١م، المطبعة الكاثوليكية، بيروت لبنان.

٢٤- **ابن قرناس** (أو ابن فرناس): **مسيحية بولس وقسطنطين**. ط١ سنة ٢٠٠٨م، منشورات الجمل، بغداد.

٢٥- **كامل سعفان** (الدكتور): **مسيحية بلا مسيح**. ط سنة ١٩٩٧م، دار الفضيلة بالقاهرة.

٢٦- **محمد أبو زهرة** (الشيخ): **محاضرات في النصرانية**. ط سنة ١٩٦٦م، دار الفكر العربي.

٢٧- **محمد طاهر التنير**: **العقائد الوثنية في الديانة النصرانية**. ط١ سنة ١٩١٢م.

٢٨- **محمد عطا الرحيم**: **عيسى المسيح والتوحيد**. ترجمة: عادل حامد، ط١ سنة ٢٠٠١م، نشر مركز الحضارة العربية بالقاهرة.

٢٩- **محمد علي زهران** (الدكتور): **إنجيل يوحنا في الميزان**. ط١ سنة ١٩٩٢م، دار الأرقم بالزقازيق.

٣٠- **محمود شلتوت** (الإمام الأكبر): **الإسلام عقيدة وشريعة**. ط١٨ سنة ٢٠٠١م، دار الشروق بالقاهرة.

٣١- **منسى القمص** (الشماس): **تاريخ الكنيسة القبطية**. ط١ سنة ١٩٢٤م، مكتبة اليقظة بالفجالة، مصر.

٣٢- **منقذ السقار** (الدكتور): **هل افتدانا المسيح على الصليب؟** ط١ سنة ٢٠٠٧م، القاهرة.

٣٣- **نشرة أبناء التجلي**، الصادرة عن دير تجلي الرب، رام الله فلسطين، السنة الخامسة، العدد ٥٥ تموز ٢٠٠٢م.

٣٤- **ول ديورانت: قصة الحضارة**. ترجمة: محمد بدران، ط سنة ٢٠٠٢م، طبعة خاصة بمشروع القراءة للجميع، مكتبة الأسرة.

٣٥- **وليم إدي** (الدكتور): **الكنز الجليل في تفسير الإنجيل - شرح بشارة متى** - الصادر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، سنة ١٩٧٣م، بيروت لبنان.

٣٦- **ياروسلاف تشرني: الديانة المصرية القديمة**. ترجمة: د.أحمد قدري، ط١ سنة ١٩٩٦م دار الشروق بالقاهرة.

٣٧- **يوسابيوس القيصري: تاريخ الكنيسة**. تعريب القمص: مرقس داود، ط سنة ١٩٧٩م القاهرة.

فهرس الموضوعات

ملخص البحث ٣٨٧
المقدمة ٣٩٣
المبحث الأول: حقيقة التوحيد في المسيحية قبل مجمع نيقية..... ٣٩٨
الموحدون الأوائل في المسيحية..... ٤٠٦
المبحث الثاني: تأثير المجامع المسكونية في تقرير عقائد المسيحية..... ٤٢٧
المبحث الثالث: عقائد النصارى الموحدين في ضوء الفكر الإسلامي ٤٤٦
الإسلام وعقائد موحدي النصارى ٤٥٠
خاتمة في نتائجِ البحثِ ٤٦٥
قائمة المصادر والمراجع ٤٦٩
فهرس الموضوعات..... ٤٧٤

علل الإبادة في الشرائع والمعتقدات اليهودية وموقف الإسلام منها

د. محمد عبد الدايم علي سليمان الجندي

أستاذ العقيدة والأديان والمذاهب المشارك بقسم الدراسات الإسلامية - كلية الآداب - جامعة الملك فيصل بالأحساء، وفي قسم الأديان والمذاهب - كلية الدعوة الإسلامية، جامعة الأزهر بالقاهرة

ملخص البحث

يهتف العالم الإسلامي اليوم بالسلام مع اليهود، واليهود يتلاعبون - كما تلاعبوا مع رسول الله من قبل - بالسلام، فالسلام - لا يزيد - في وجهة نظرهم عن كونه هدنة لاستئناف عمليات الإبادة بصورة أبشع من سابقتها، والعالم يستأنف السلام مع اليهود ظنا منه بأنه عملية ممكنة، ولكن الحقيقة مرة، فقد كشف الله حقيقتهم وعداءهم للمسلمين، وكشفت كتبهم ومصادرهم المقدسة علل الإبادة لديهم، وأنها عقيدة وشريعة مقدسة عندهم؛ مما يحسم المسألة بجدارة حول استحالة قبول اليهود للسلام، لأن قتل المسلم قربة للرب حسب ما جاء في كتبهم المقدسة.

ولليهود قائمة طويلة من جرائم الإبادة في حق البشر قدموها لربهم الذي أمرهم بذلك، فأزهقوا الأرواح طاعة له، وسفكوا الدماء تقربا إليه، وامتدت دوامة العنف على مدى القرن العشرين بكامله واشتدت ويلاته مع إطلالة القرن الجديد، وقد اعتمد اليهود منهج القتل وسفك الدماء وارتكاب المجازر البشعة، وقصدوا من ذلك إلى تفريغ الأرض من أصحابها والاستيلاء عليها، بل استحكم هذا المنهج واستعمل اليهود كل أنواع الأسلحة ضد المدنيين العزل في فلسطين؛ فقد استعملوا الطائرات المروحية والدبابات والصواريخ، ولم يتورعوا حتى عن استهداف الأطفال أو النساء أو الشيوخ، فالكل عندهم سواء، لا فرق بين مدافع عن حقه وبين طفل ولا شيخ ولا امرأة، وما أكثر مجازرهم ضد إخواننا في الأرض المباركة فلسطين.

ولـم يتركـوا النـاس أحـرارًا حتـى في أداء العبـادة في المسـجد الأقصـى، حيث جرى العكس، وأقفل اليهود بعساكرهم أبواب الأقصى وساحاته، وأخـذوا يصـولون ويجولـون ويسـيِّرون الـدوريات الراجلـة المسـلحة في أرجائه، وينشرون الخوف والرعب بين المصلين، ويتحرشون بهم، ويعتدون عليهم، حتى أصبح الأقصى في بعض الأحيان ساحة حرب حقيقية تطلق فيها النيران الكثيفة على المصلين العزَّل الذين لا يجدون سوى الحجر للدفاع عن أنفسهم وأقصاهم، وتحصد فيها الأرواح الطاهرة، وتسفك فيها الدماء الزكية، وما أكثر مجازرهم، وما أكثر ضحاياهم، فلن ينسى التاريخ مذبحة الأقصى الأولى ٨/ ١٠/ ١٩٩٠م حين أمطروا المصلين بزخات من الرصاص، ولن يغفل التاريخ عن مذبحة دير ياسين ١٩٤٨م حين هاجم اليهود قرية دير ياسين، ذاك الهجوم الذي أدي إلى سقوط عدد كبير من القتلى؛ جلهم من النساء والأطفال والشيوخ، كما وقعت خلاله حوادث اغتصاب وتمثيل وبقر لبطون الحوامل وتفجير للمنازل.

والذي يسعى الباحث إلى عرضه في ثنايا دراسته؛ هو بيان علل الإبادة اليهودية، وكشف حقيقتها المجردة من معاني الإنسانية، وكيف قلبها اليهود لطقوس وتشريعات وعقائد دينية، وقد صدر الباحث دراسته بعنوان: «**علل الإبادة في الشرائع والمعتقدات اليهودية وموقف الإسلام منها**».

د. محمد عبد الدايم علي الجندي

elgendy1175@yahoo.com

Reasons for Extermination in the Jewish Legislations and Beliefs, and Islam's Position Regarding it

Dr. Mohammed Abdul Dayem Ali Suleiman Mohammed al-Jundi

Assistant Professor of Theology, Religions and Schools of Thought, the Faculty of Arts, University of King Faisal in al-Ahsa, in the Department of Religions and Schools of Thought.

Abstract

All praise is due to Allah alone and may Allah exalt the mention and send blessings to the one who there is no prophet after.

Having said so:

The title of this research is (Reasons for Extermination in the Jewish Legislations and Beliefs and Islam's Position regarding it).

This research contains an introduction, preface and two main chapters and a conclusion.

***The first chapter**: Extermination in Judaism is a belief and a legislation. This chapter contains three topics:*

The first topic: The foundations in the Judaic faith for committing exterminations.

The second topic: The philosophy of racism that is related to extermination in the Judaic legislation.

The third topic: Practical examples of their assaults on human souls.

***The second chapter**: The position of Islam regarding exterminations and the spilling of blood. This chapter contains two topics:*

The first topic: The general ruling for killing and exterminations in Islam.

The second topic: The ruling regarding the Moslem killing a Non-Moslem.

May Allah exalt the mention and send blessings on our Prophet Muhammad, his family and companions.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الواحد بألوهيته، الأزلي بأوليته، الأبدي بآخريته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين...

وبعد،

فإن العالم الإسلامي اليوم يهتف بالسلام مع اليهود، واليهود يتلاعبون - كما تلاعبوا مع رسول الله من قبل- بالسلام، فالسلام لا يزيد في وجهة نظرهم عن كونه هدنة لاستئناف عمليات الإبادة بصورة أبشع من سابقتها، والعالم يستأنف السلام مع اليهود ظنًّا منه بأنه عملية ممكنة، ولكن الحقيقة مرة؛ فقد كشف الله حقيقتهم وعداءهم للمسلمين، وكشفت كتبهم ومصادرهم المقدسة علل الإبادة لديهم، وأنها عقيدة وشريعة مقدسة عندهم؛ مما يحسم المسألة بجدارة حول استحالة قبول اليهود للسلام؛ لأن قتل المسلم قربة للرب حسب ما جاء في كتبهم المقدسة.

ولليهود قائمة طويلة من جرائم الإبادة في حق البشر قدموها لربهم الذي أمرهم بذلك، فأزهقوا الأرواح طاعة له، وسفكوا الدماء تقربًا إليه، وامتدت دوامة العنف على مدى القرن العشرين بكامله واشتدت ويلاته مع إطلالة القرن الجديد، وقد اعتمد اليهود منهج القتل وسفك الدماء وارتكاب المجازر البشعة، وقصدوا من ذلك إلى تفريغ الأرض من أصحابها والاستيلاء عليها، بل استحكم هذا المنهج واستعمل اليهود كل

أنواع الأسلحة ضد المدنيين العزل في فلسطين؛ فقد استعملوا الطائرات المروحية والدبابات والصواريخ، ولم يتورعوا حتى عن استهداف الأطفال أو النساء أو الشيوخ، فالكل عندهم سواء، لا فرق بين مدافع عن حقه وبين طفل أو شيخ أو امرأة، وما أكثر مجازرهم ضد إخواننا في الأرض المباركة فلسطين.

ولم يتركوا الناس أحرارًا حتى في أداء العبادة في المسجد الأقصى، حيث جرى العكس، وأقفل اليهود بعساكرهم أبواب الأقصى وساحاته، وأخذوا يصولون ويجولون ويسيِّرون الدوريات الراجلة المسلحة في أرجائه، وينشرون الخوف والرعب بين المصلين، ويتحرشون بهم، ويعتدون عليهم، حتى أصبح الأقصى في بعض الأحيان ساحة حرب حقيقية تطلق فيها النيران الكثيفة على المصلين العزَّل الذين لا يجدون سوى الحجر للدفاع عن أنفسهم وأقصاهم، وتحصد فيها الأرواح الطاهرة، وتسفك فيها الدماء الزكية، وما أكثر مجازرهم، وما أكثر ضحاياهم، فلن ينسى التاريخ مذبحة الأقصى الأولى ٨/ ١٠/ ١٩٩٠م حين أمطروا المصلين بزخات من الرصاص، ولن يغفل التاريخ عن مذبحة دير ياسين ١٩٤٨م حين هاجم اليهود قرية دير ياسين، ذاك الهجوم الذي أدى إلى سقوط عدد كبير من القتلى، جلُّهم من النساء والأطفال والشيوخ، كما وقعت خلاله حوادث اغتصاب وتمثيل وبقر لبطون الحوامل وتفجير للمنازل.

كما لن ينسى التاريخ مذبحة كفر قاسم عام ١٩٥٦م، ومذبحة صبرا وشاتيلا عام ١٩٨٢م، وقد قتل فيها قرابة ثلاثة آلاف شخص أغلبهم من

النساء والأطفال والشيوخ، ومذبحة المسجد الإبراهيمي عام ١٩٩٤م، وغير ذلك من صور الإبادة الجماعية، ناهيك عن التفنن في الاغتيالات والتصفيات.

والذي يسعى الباحث إلى عرضه في ثنايا دراسته؛ هو بيان علل الإبادة اليهودية، وكشف حقيقتها المجردة من معاني الإنسانية، وكيف قلبها اليهود لطقوس وتشريعات وعقائد دينية، وقد صدر الباحث دراسته بعنوان: «**علل الإبادة في الشرائع والمعتقدات اليهودية وموقف الإسلام منها**».

أهمية البحث:

إن السمة التي تتفرد بها علل الإبادة اليهودية؛ هي صياغة تشخيص للنفسية اليهودية حول تصميمها على الإبادة، مما يجعل فهم تطبيقاتها وإسقاطها على جميع التصاريف الذئبية اليهودية ضرورة ملحة للتعرف على الملامح الأساسية لها والدور المحوري الذي يجب اتخاذه تجاه هذه الإبادة الوحشية، وبالتالي وضع الاستراتيجيات المناسبة للتحولات والتحديات المترتبة على كيفية مواجهتها، وتتلخص أهمية الموضوع فيما يلي:

١ - **الأهمية العلمية**: حيث فهم علل الإبادة لدى اليهود، والتي تستلزم عمق البحث فيها، فهي تفتقر إلى دراسة علمية أشد تخصصًا.

٢ - **الأهمية العملية**: حيث بيان علل الإبادة والمجازر اليهودية وصلتها بالتدين اليهودي، ولفت ناظر المسلمين إلى مماطلة اليهود وتلاعبهم باسم السلام والمصالحة، وكشف حقيقة نواياهم في تحقيق أوامر الرب -حسب

زعمهم- بإبادة المسلمين وعدائهم لهم، وحسم مسألة الاتفاقيات اليهودية لثبوت فشلها بسبب تعارضها مع التشريعات والمعتقدات اليهودية.

٣ - **الأهمية المستقبلية**: وتعد هذه الأهمية من الضرورة بمكان، فالواقع المعاصر يحتاج إلى التركيز على ضرورة التعامل بالعقيدة السليمة ضد العقيدة الهزيلة، مع تدارك مفهوم الحرب العقدية التي محاها التاريخ الغازي من ذاكرة الأمة، في وقت لا يزال فيه الأعداء يقودونها شعواء، مما يعيد صياغة صورة الأمة المسلمة في هيئة قوية متطورة تنعكس من بنائها الأصيل الذي أرساه رسول الله ﷺ.

الدراسات السابقة: تعد هذه الدراسة جديدة في توجيه دراسات علمية سابقة نحو فكرتها، فجل الدراسات السابقة يرتكز على جرائم اليهود فقط دون بيان كونها مبررة تبريرًا عقديًّا وتشريعيًّا، وقد تناول كثير من الكتّاب جرائم اليهود بإطلاق في دراساتهم، والتي منها:

١- جورجي كنعان، العنصرية اليهودية، (ط. دار النهار للنشر- ط. أولى ١٩٨٣).

٢- خليل السواحري وسمير سمعان، التوجهات العنصرية في مناهج التعليم الإسرائيلية، (من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سنة ٢٠٠٤ م).

٣- صابر طعيمة، التاريخ اليهودي العام، (دار الجليل: بيروت ط.ثالثة ١٩٩١م).

٤- أسعد رزوق-التلمود والصهيونية - (ط.منظمة التحرير الفلسطينية

- مركز الأبحاث- د.ت).

٥- أحمد ايبش، التلمود كتاب اليهود المقدس، تاريخه وتعاليمه ومقتطفات من نصوصه، تقديم سهيل زكار، (ط. دار قتيبة، د.ت).

٦- عبد الوهاب المسيري، البروتكولات واليهودية الصهيونية، (ط. دار الشروق، ط. ثالثة سنة ٢٠٠٣).

٧- عبد الوهاب المسيري، الصهيونية والعنف من بداية الاستيطان إلى انتفاضة الأقصى، (ط. دار الشروق، ط. ثانية سنة ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢ م).

٨- عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، (القاهرة: دار الشروق،)١٩٩٩،

٩- ياسين سويد، التاريخ العسكري لبني إسرائيل من خلال كتابهم المقدس، (شركة المطبوعات للتوزيع والنشر،ط. ثانية، بيروت، ١٩٩٨).

١٠-كامل سعفان، اليهود تاريخًا وعقيدة، (القاهرة: ط.دار الاعتصام، ١٩٨٨م)

١١-العماد مصطفى طلاس، فطير صهيون، (ط. دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر- ط. ثانية ١٩٨٦م).

منهج البحث: سلك الباحث في دراسته المنهج التاريخي التحليلي الوصفي.

خطة البحث: يتكون البحث من: مقدمة، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة:

المقدمة وفيها أهمية البحث ومنهجه وخطته.

التمهيد وفيه تحديد المفاهيم والمقتضيات التأصيلية.

الفصل الأول: الإبادة في اليهودية عقيدة وشريعة، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الجذور العقدية للإبادة في الفكر اليهودي.

المبحث الثاني: الفلسفة العنصرية للإبادة في الشريعة اليهودية.

المبحث الثالث: نماذج تطبيقية من الاعتداء على النفس الإنسانية.

الفصل الثاني: موقف الإسلام من الإبادة والدماء، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: حكم القتل والإبادة عمومًا في الإسلام.

المبحث الثاني: حكم قتل المسلم لغير المسلم في الإسلام.

الخاتمة وفيها: أهم النتائج والتوصيات.

التمهيد

تحديد المفاهيم والمقتضيات التأصيلية

من مقتضيات البحث العلمي بيان مفهوم مصطلحاته والتعريف بمضامينها، وفيما يلي بيان ذلك:

أولًا: حول المفاهيم:

أولًا: (علل): جمع (علة) وهي في اللغة: (الحُجة)[١]، وفي المعجم الوسيط: «تبيين علة الشيء وما يستدل به من العلة على المعلول، يسمى برهانًا»[٢].

والعلة اصطلاحًا: «الوصف الذي علق عليه الحكم ويسمى الباعث»[٣].

ثانيًا: (الإبادة): من «بَادَ يَبِيدُ بَيْدًا؛ إذا هلك، وأَباده الله؛ أَي: أَهلكه»[٤]،

---

(١) أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري، المصباح المنير،(ط. المكتبة العصرية) صـ٢٢٠.

(٢) إبراهيم مصطفى - أحمد الزيات - حامد عبد القادر - محمد النجار، المعجم الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية (ط. دار الدعوة، د. ت) جـ ٢، صـ ٦٢٣.

(٣) محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، أصول الفقه المسمى إجابة السائل شرح بغية الآمل، تحقيق: القاضي حسين بن أحمد السياغي والدكتور حسن محمد مقبولي الأهدل (ط. مؤسسة الرسالة – بيروت، ط.أولى، سنة ١٩٨٦م)، صـ ١٨٣.

(٤) محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، لسان العرب، (ط. دار صادر – بيروت، ط. أولى، د.ت) جـ ٣، صـ ٩٧.

وهـذا المعنـى هـو المقصـود في البحـث، إذ يقصـد الباحـث إلـى بيـان علـل الإهلاك اليهودية للبشرية وللحرث والنسل.

ثانيًا: مصادر الشرائع والمعتقدات اليهودية

ترتكـز أهميـة مصـادر العقيـدة والشـريعة اليهوديـة، بتجاوزهـا الصـارخ للمغزى الديني لها بكثير؛ إذ إن ما تتضمنه هذه المصادر في ثناياها لا يقتصـر علـى تعـاليم الـدين اليهـودي فحسـب، بـل يتسـع ليشـمل الـتراث التـاريخي والثقافي والاجتماعي لشعب يهود.

وتتفـاوت رؤى اليهـود في النصـوص المقدسـة في معـانٍ متباينـة، فالفئـات المغاليـة المتشـددة في التـديّن تعتـبر هـذه النصـوص دليـلًا روحيًّـا واجتماعيًّـا وأخلاقيًّا وعمليًّا في الحيـاة اليوميـة، في حـين تعتبرهـا الفئـات العلمانيـة ذخـرًا تاريخيًا وحضاريًا يمكن أن تجري بشأنه أبحاث ودراسات تمحيصية نقدية.

وترتكز التشريعات والمعتقدات اليهودية في مصدرين رئيسين؛ وهما:

أولًا: الكتاب المقدس (العهد القديم):

ويشمل (الكتاب المقدس): «الأسفار الخمسة (توراة)، والأنبياء (نفيئيم) والكتب المدوّنة (ختوفيم)، ويشمل أيضًا تسعة عشر سفرًا، معظمهـا بالعبريـة، ومع ذلك فإن أجزاء كبيـرة مـن الـ(ختوفيم) وردت بالآراميـة، وقـد تـم تأليفهـا خـلال مئـات السـنين – منـذ الحقبـة التي سـبقت دخـول بنـي إسـرائيل لأرض فلسطين (القرن الـثالث عشر ق.م)، حتى بعد عودة اليهود من بابل إلى مملكـة

يهودا وأورشليم (القرن السادس ق. م)»[١].

وتشمل أسفار الأنبياء في طياتها نصوصًا تاريخية تمتد على طول الفترة الواقعة بين الاستيطان اليهودي في أرض فلسطين وطردهم إلى بابل، كما تشمل العظات الأخلاقية والدينية للأنبياء، مثل:

(أرميا، وأشعيا، وحزقيال)، وتتمثل هذه النصوص في قطع شعرية دينية وعادية، وقطع أدبية وكتابات تاريخية.

و«كان في القرن الأول قبل الميلاد تقريبًا ثلاث مدونات للنص العبري في التوراة على الأقل، وكان هناك اتّجاه إلى تدوين نص واحد، لكن ذلك لم يتم إلا في القرن الأول بعد الميلاد، ومع هذا فإن أقدم نص عبري يرجع عهده إلى القرن التاسع بعد الميلاد، وثم نصان باليونانية يرجعان إلى القرن الرابع الميلادي، أحدهما بمكتبة الفاتيكان، والآخر بالمتحف البريطاني، أما المدونات الآرامية والسريانية فغير كاملة»[٢].

ثانيًا: التلمود:

التلمود هو أداة التوجيه للفكر السياسي اليهودي، و«هو المصدر الثاني

---

(١) كراس لوزارة الخارجية الإسرائيلية صدرت في أيار ١٩٩٨م. (انظر: موقع جريدة يديعوت أحرونوت الإسرائيلية على شبكة المعلومات العالمية «الإنترنت» www.arabynet.com).

(٢) كامل سعفان، اليهود تاريخًا وعقيدة، (القاهرة: ط. دار الاعتصام، سنة ١٩٨٨م)، صـ١٨١.

للتشريع اليهودي، والمصدر الأول للسياسة الصهيونية، وللتلمود أهمية كبيرة في العقيدة اليهودية، فلا إيمان لليهودي بدون معرفة أحكام التلمود، على أساس أن هذا الكتاب يحوي أهم التعاليم التي يحترمها اليهود، أو يجدون فيها خلاصهم»[١].

ويرجع اشتقاق كلمة التلمود إلى الجذر العبري «(لامد)، ويعني: الدراسة والتعلم كما في عبارة (تلمود توراه)، أي: (دراسة الشريعة)، ويعود كل من كلمة (تلمود) العبرية وكلمة (تلميذ) العربية إلى أصل سامي واحد»[٢].

كما يعني لفظ التلمود: «التعليم أو الشريعة الشفوية، ولم يكن الشُّرّاح يطلقون هذا اللفظ على المشناه، أما الآن فأصبح التلمود يعني المشناه والجماراه معًا، والمشناه، أي: المتن في التلمود البابلي، وهي بعينها مشناه التلمود الفلسطيني، ولا يختلف التلمودان إلا في الجماراه أو الشروح، فهي في التلمود البابلي ثلاثة أمثالها في التلمود الفلسطيني»[٣].

والتلمود هو: «تفسير الحاخامات للشريعة المكتوبة (التوراة)، وهو مقدس لدى اليهود، باعتبار أن كلمات علماء التلمود كان يوحي بها الروح

---

(١) المرجع السابق، صـ١٩٦.

(٢) عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، (القاهرة: دار الشروق،)١٩٩٩، جـ٥، صـ١٢٥.

(٣) إبراهيم خليل (سابقًا: القس إبراهيم خليل فليبس)، إسرائيل والتلمود «دراسة تحليلية»، (ط.دار المنار، د.ت)، صـ٣١.

القدس نفسه، والشريعة الشفوية مساوية في المنزلة للشريعة المكتوبة، والتلمود مصنَّف للأحكام الشرعية أو مجموعة القوانين الفقهية اليهودية، وسجل للمناقشات التي دارت في الحلقات التلمودية الفقهية اليهودية حول المواضيع القانونية (هالاخاه) والوعظية (أجاده)، وقد أصبح التلمود مرادفًا للتعليم القائم على أساس الشريعة الشفوية (السماعية)»[١].

وقد ارتبطت الجماعات اليهودية بالتلمود، حيث «تعلقت الجماعات اليهودية في إيمانها بتعاليم التلمود وتقديرها المفرط للقائمين على أمره، ولقد عمل الحاخامات من اليهود على إذكاء روح الحماسة والتعلق العاطفي والديني عند الجماعات اليهودية. يقول أحد الحاخامات: اعلم أن أقوال الحاخامات أفضل من أقوال الأنبياء، وقد قال أحد الحاخامات أيضًا: إن من يقرأ التوراة بدون المشناه والجماراه فليس له إله»[٢].

قال موسى بن ميمون[٣](١١٣٥-١٢٠٤م): «من لا يؤمن بإلهية التلمود

---

(١) عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مرجع سابق، جـ٥، صـ١٢٥.

(٢) صابر طعيمة، التاريخ اليهودي العام، (دار الجليل: بيروت ط.ثالثة ١٩٩١م)، جـ٢، صـ١١١، بتصرف.

(٣) موسى بن عبد الله بن ميمون القرطبي، وُلد في قرطبة لأسرة من القضاة والعلماء اليهود. وعُرف أيضًا باسم (رمبم)، وهي الحروف الأولى من اسمه. كان من الأقوال المأثورة بين اليهود عنه: «لم يظهر رجل كموسى من أيام موسى إلى موسى»، انظر: عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مرجع سابق، جـ٣، صـ٣٦٧-٣٧٠.

فلا نصيب له في الجنة»[١].

«ومن الأخبار التي احتواها التلمود من قداسة وعظمة الحاخامات اليهود، أن تعاليم الحاخامات لا يمكن نقضها ولا تغييرها ولو بأمر الله، وقد وقع الاختلاف يومًا بين الله وبين علماء اليهود في مسألة، وبعد أن طال الجدل تقررت إحالة المشكلة إلى أحد الحاخامات الربيين، واضطر الله أن يعترف بخطئه بعد حكم الحاخام المذكور!»[٢].

يقول الرابي مناحم (وهو من كبار الحاخامات): «إن الله [سبحانه وتنزه عن ذلك] يستشير الحاخامات على الأرض عندما توجه مسألة عويصة لا يمكن حلها في السماء، وإنه يجب الالتفات إلى أقوال الحاخامات أكثر من الالتفات إلى شريعة موسى»[٣].

(١) تقي الدين المقريزي، تاريخ اليهود وآثارهم في مصر، دراسة وتحقيق: عبد المجيد دياب، (دار الفضيلة: القاهرة)، ١٩٩٧م، صـ٢٨

(٢) نفس المصدر السابق، ص١١١.

(٣) نفس المصدر، ص١١١-١١٢.

الفصل الأول
الإبادة في اليهودية
عقيدة وشريعة

تقديم:

في محاولة لتقصي جذور القتل وإراقة الدماء داخل التكوين العام للشخصية اليهودية الإسرائيلية، انتهيت إلى تحديد عدد من الأصول التي تفاعلت فكونت عدة طبقات متراكمة؛ امتزجت كل منها بالأخرى، بحيث يصعب تصور أن إحداها أو بعضها قد انتهى مفعولها أو ضعفت آثرها، فهي التي عملت على خلق وتثبيت الروح العدوانية لدى الشخصية اليهودية، وقد صنفت هذه الأصول إلى جذور عقائدية تراثية أو عنصرية.

وقد ركز اليهود في تطبيق شريعة القتل على غير اليهود، وخصوصًا المسلمين، وهذا ما نصت عليه كتبهم المقدسة، لذا كان من الأفضل التعمق في مسببات الظواهر الإجرامية التي يمارسونها ضد غير اليهود قبل مد يد السلام لليهود، والتي يتوقف عندها العالم اليوم منبهرًا حائرًا، وهذه الظواهر ثوابت عقدية، وتوجيهات ربانية -حسب زعمهم- كما سيأتي في طي البحث ومضمونه، لذا يجب على المسلمين أن يضعوا ذلك في الاعتبار قبل طرح مبادرات السلام؛ لأن فلسفة السلام التي يريدها اليهود لا تلبي إلا مصالح اليهود فقط.

ومما يزيد من شحنات التبلد تجاه جرائم اليهود هو ذلك الغبن

بعقيدتهم، والذي أدى إلى العبث بحقوق المسلم، وقصر النظر في التعاطي مع قضاياه، مما يمهد للعنف المضاد الذي لا يمكن السيطرة على تعبيراته عندما يتغذى من الإحباط والشعور بالظلم وانعدام العدالة والإنصاف وانتفاء المحاسبة.

وواقع اليهود وتاريخهم بمثابة تفسير لنصوص اليهود المقدسة التي تثيب على القتل، وتحرم من لا يقتل من الأجر والمثوبة.

والمسلم اليوم بحاجة إلى أن يميز بين العقيدة اليهودية ودعوى المصالحة والسلام الذي يوهمه ببصيص الشعور بالاطمئنان، في حنين لعالم آمن من نسج الخيال، ما يجعله أقرب للحلم منه للواقع.

إن شريعة الإبادة اليهودية تعد تمييزًا لليهود من الرب -حسب زعمهم-، وهذا ما سنتناوله بالبيان في هذا الفصل من خلال العقيدة والشريعة اليهودية.

المبحث الأول
الجذور العقدية للإبادة
في الفكر اليهودي

إن لجرائم اليهود في الإطاحة بالإنسانية تأصيلًا إيمانيًّا في عقيدتهم المحرفة، تستأصل من خلاله الضروريات الخمس وهي: «حفظ الدين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل»[(١)]، والأدبيات المعتمدة والركيزة

(١) الإمام إبراهيم الشاطبي -الموافقات - تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان – (ط. دار ابن عفان – ط.أولى ١٤١٧هـ) جـ٢صـ١٧، ١٨.

المقدسة عند اليهود، والتي من خلالها قرروا إبادة النفس الإنسانية من غير اليهود؛ تستمد جذورها من مصدرين أساسين؛ المصدر الأول: التوراة والتلمود، والمصدر الثاني: الوثائق السياسية الصهيونية المتمثلة في المؤتمرات الصهيونية منذ المؤتمر الأول عام ١٨٩٧ حتى الآن[١].

وقد تداعت أدبياتهم الإرهابية المقدسة على النفس الإنسانية غير اليهودية من واقع أن اليهود هم شعب الله المختار، وأن التحريف الأهوائي للعهد القديم، وصناعة التلمود هما اللذان أفاضا بهذه الروح العدوانية والدمار والإبادة، ثم ينسبون ذلك كله للرب زيفًا وافتراءً عليه، مما يضفي صبغة القداسة على الجريمة والقتل لديهم.

وتتجلى شراهة القضاء على النفس الإنسانية في تأصيل العقيدة اليهودية فيما يلي:

أولا: التصوير اليهودي للإله بين العدوانية والإبادة وسفك الدماء:

يدعي اليهود في توراتهم أن الله يطلب بالدم، وأنه يدعوهم إلى جمع الذهب والفضة والنحاس والحديد، ففي سفر المزامير، يقول: «رنّموا للرب الساكن في صهيون، أخبروا بين الشعب بأفعاله؛ لأنه مطالب بالدماء»[٢]، وفي التكوين: «وأهلكوا جميع ما في المدينة من رجل وامرأة وطفل وشيخ، حتى

(١) محمد نمر الخطيب، حقيقة اليهود والمطامع الصهيونية، (ط.دار مكتبة الحياة، ط. أولى، بيروت، ١٩٦٩) صـ١٦.

(٢) سفر المزامير: ص: ١١-١٢.

البقر والحمير بحد السيف، واحرقوا المدينة وجميع ما فيها بالنار، إلا الذهب والفضة وآنية النحاس والحديد، فاجعلوها في خزائن بيت الرب»[١].

وقد ورد في التوراة أن الإله يأمر شعبه بقتل جميع الذكور في المدن البعيدة عن أرض الميعاد، أما سكان هذه الأرض نفسها فمصيرهم الإبادة ذكورًا كانوا أم إناثًا أم أطفالًا، جاء في سفر التثنية: «حين تقترب من مدينة لكي تحاربها... فلا تستبقِ منهم نسمة واحدة»[٢].

وهو رب -في عقيدتهم- لا يعرف الرحمة بالإنسان أو الحيوان، ففي سفر الخروج: «فحدث في نصف الليل أن الرب ضرب كل بكر في أرض مصر، من بكر فرعون الجالس على كرسيه إلى بكر الأسير الذي في السجن، وكل بكر بهيمة»[٣].

ويا له من إله حروب يقود الجيوش، ويحارب ويقاتل، ويلاحق ويطارد، ويدل عليه ما ورد في التثنية: «الرب يطرد من أمامك شعوبًا أكبر وأعظم منك»[٤]، وفي سفر زكريا: «فيخرج الرب ويحارب تلك الأمم في يوم حربه يوم القتال»[٥].

---

(١) سفر التكوين: ص: ١٧.

(٢) سفر التثنية:٢/ ١٠.

(٣) سفر الخروج: ١٢/ ٢٩.

(٤) سفر التثنية: ٤/ ٣٨.

(٥) سفر زكريا:١٤/ ٣-٥، وانظر: سفر التثنية: ٢٠-٤، وسفر المزامير:٢٤/ ١٠-١٦، وسفر حزقيال:٢٨-٢٩.

وهذا الإله لا يكتفي بأمرهم بقتال أعدائهم ويخرج معهم، لا... بل يهددهم إن لم يتبعوا أمره، فيقول: «فإن لم تتبعوا أوامري بالقتل والإبسال، فيكون أني كما نويت أن أصنع بهم أصنع بكم»[١].

لذلك حذر الحاخام الإسرائيلي (أيوجين بوروفيتز) حين تحدث عن حرب ١٩٦٧م عن أنها لا تهدد دولة (إسرائيل) فحسب، وإنما تهدد الإله نفسه[٢]، وإذا كان الإله بتلك الصورة القاسية العدوانية؛ فلا عجب أن يكون الأنبياء كذلك، وهذا ما جاءت به كتب اليهود المقدسة.

ثانيا: قتل الأنبياء عقيدة توراتية (أوامر إلهية):

في حكايات الكتاب المقدس اليهودي ما لا يحصى من أمثلة الإبادة والقتل التي أمر بها الأنبياء أممهم، ومنها على سبيل الإجمال لا الحصر، حينما انتصر جند موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ على المديانيين وجاؤوا بالسبايا والغنائم، سخط عليهم موسى عليه السلام؛ لأنهم لم يبيدوا الأطفال والنساء، وقال لهم: «فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال وكل امرأة عَرَفت رجلًا بمضاجعة ذكر اقتلوها، لكن جميع الأطفال من النساء اللواتي لم يعرفن مضاجعة ذكر أبقوهن لكم حيات»[٣].

---

(١) سفر العدد:٣٣/ ٥٦.

(٢) مقالة بعنوان: العقيدة اليهودية-الجوانب العدوانية، بقلم: د. عبد الوهاب المسيري، صحيفة الاتحاد الإماراتية ٢٩/ ١/ ٢٠٠٥.

(٣) سفر العدد: ٣١/ ١٧-١٨.

وبالفعل نفذ الأجناد وصية موسى كما في سفر العدد: «سبى بنو إسرائيل نساء مديان وأطفالهم ونهبوا بهائمهم ومواشيهم، وأحرقوا جميع مساكنهم ومدنهم وجميع حصونهم بالنار وأخذوا كل الغنيمة وكل النهب من الناس والبهائم»(١).

ومن ذلك أيضًا ما أمر به (يوشع بن نون) بعد أن تمكن من دخول (أريحا)، وضع أسس التعامل مع أهل المدينة: «وحرّموا كل ما في المدينة من رجل وامرأة، من طفل وشيخ، حتى البقر والغنم والحمير، بحد السيف»(٢)، والتحريم في المعنى اليهودي هو إبادة كل شيء في مدينة مهزومة، أو إهلاكها، أو تخريبها تخريبًا تامًا(٣).

وينسبون إلى نبي الله داود عَلَيْهِ السَّلَامُ أفظع الجرائم؛ ففي صموئيل: «أخرج الشعب الذي فيها ووضعهم تحت مناشير ونوارج حديد، وفؤوس من حديد، وأمرّهم في أتون الآجر، وهكذا صنع بجميع مدن بني عمون، ثم رجع داود وجميع الشعب إلى أورشليم»(٤).

ثالثا: أنفس الأنبياء في مجازر اليهود (عقيدة يهودية):

لم يسلم أنبياء بني إسرائيل من عدوان اليهود، فقد سجلت كتبهم

---

(١) سفر العدد: ٣٣..

(٢) سفر يشوع: ٦/ ٢١.

(٣) شريعة الحرب عند اليهود: صـ ٢٠٦.

(٤) سفر صموئيل الثاني: ١٢/ ٣١.

المقدسة ذلك، وكأنه مفخرة لهم -أخزاهم الله تعالى-، وقد أخبر الله عن ذلك في آيات قرآنية كريمة؛ منها قوله تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧].

ومن نصوصهم في ذلك ما جاء في النبي (إرميا) من ذكر محاولات عديدة لقتله؛ ففي سفر (إرميا): «وكان لما فرغ إرميا من التكلم بما أوصاه الرب أن يكلم كل الشعب به أن الكهنة والأنبياء أمسكوه قائلين: تموت موتًا»[(١)]، وبذلك يظهر جليًّا أن قتل الأنبياء ترنيمة مقدسة في عقائد اليهود المقدسة.

رابعا: الفطير الدموي المقدس (طقس يهودي):

تراكمت ثقافات العنف والدم ومقولاتها عند اليهود، حتى دخلت طقوسهم وشعائرهم، والمقصود بالفطير المقدس هنا: ذلك الفطير الممزوج بدم بشري من دم (الجوييم)[(٢)]، وللفطير الدموي عيد عند اليهود يسمى: (عيد الفصح)، أو (عيد الخبز الفطير)، أو (عيد العبور)، ويبدأ عشية يوم الرابع عشر من شهر أبريل[(٣)]، وتذكر المصادر التاريخية أن عيد الفصح

(١) سفر إرميا: ٢٦/ ٩.

(٢) الجوييم: صيغة الجمع للكلمة العبرية (جوى) التي تعني شعب، وقد انتقلت إلى العربية بمعنى غوغاء أو دهماء، وكانت هذه الكلمة تطلق في البداية على اليهود وغير اليهود، ولكنها بعد ذلك أطلقت على غير اليهود، ومن هنا كان المصطلح العربي (الأغيار)، انظر: عبد الوهاب المسيري في الصهيونية والعنف من بداية الاستيطان إلى انتفاضة الأقصى، (ط. دار الشروق، ط. ثانية سنة ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢ م) صـ ٢٩.

(٣) أحمد أيبش، التلمود كتاب اليهود المقدس، تاريخه وتعاليمه ومقتطفات من نصوصه، =

هو عيد ذكرى خلاص بني إسرائيل من فرعون وخروجهم من مصر سالمين[١]، وكان اليهود قديمًا يعيشون حياة رغيدة في مصر أيام نبي الله يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ومع تعاقب الملوك على مصر بعد وفاة يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ تغير حالهم من العزة والكرامة إلى الذل والمهانة، لاسيما أيام فرعون مصر[٢] الذي اضطهد اليهود واستعبدهم، فأرسل الله موسى وهارون إلى فرعون وقومه لدعوتهم للإيمان بالله، ورفع العذاب عن بني إسرائيل، فكذب فرعون وقومه موسى وهارون، فأمر الله موسى وقومه بالخروج من مصر، فخرج موسى ببني إسرائيل من مصر بعد أن ذاقوا الذل والعبودية والوثنية سنوات مديدة، وفسدت عقائدهم وظهر تواكلهم وتخاذلهم وعصيانهم لأمر الله تعالى، وقد ورد ذلك مطولًا في سفر الخروج:

«فقال الرب إني قد رأيت مذلة شعبي الذي في مصر، وسمعت صراخهم من أجل مسخريهم. إني علمت أوجاعهم، فنزلت لأنقذهم من أيدي المصريين وأصعدهم من تلك الأرض إلى أرض جيدة وواسعة إلى أرض تفيض لبنًا وعسلًا»[٣]، فالرب يخاطب موسى لينقذهم من الذل بعد أن دوى

=

تقديم سهيل زكار، (ط. دار قتيبة، د.ت) صـ ٣٦٦.

(١) نفس المصدر والصفحة.

(٢) قال تعالى في ذلك: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٤٩].

(٣) سفر الخروج ٣/ ٨-٩.

صراخهم في البرية.

وفي الخروج أيضًا: «والآن هو ذا صراخ بني إسرائيل قد أتى إلي، ورأيت أيضًا الضيقة التي يضايقهم بها المصريون، فالآن هلم فأرسلك إلى فرعون وتخرج شعبي بني إسرائيل من مصر»(١).

لذا اتخذ اليهود لهذا الحدث عيدًا، وأمروا بذبح قرابين لهذا العيد، وهو أمر طبيعي، وجعل اليهود الاحتفال به مقرونًا بالفطير المقدس الممزوج بدم البشر كجزء من ثقافة العنف والإرهاب اليهودي، فقد ورد في التلمود ضرورة ذبح الآدميين من غير بني إسرائيل وتقديمهم قربانًا للرب (يهوه)، ومزج دمائهم بعجين الفطائر المقدسة التي يتناولونها في أعيادهم ومناسباتهم الدينية، ويفضل أن يكون الضحايا من الأطفال دون سن العاشرة، وتستنزف دماء الضحية بقطع شرايين الذراع أو بوضعها في البرميل، ويتم أيضًا تناول جزء من لحم الضحية والباقي يحرق؛ لأن رب التوراة ينتعش لرائحة الشواء البشري!!!، ويسمي اليهود هذا العيد بعيد الفصح في التوراة، وأشارت التوراة إليه في سفر الخروج بقوله:

«وقال موسى للشعب اذكروا هذا اليوم الذي فيه خرجتم من مصر من بيت العبودية، فإنه بيد قوية، أخرجكم الرب من هنا ولا يؤكل خمير، اليوم أنتم خارجون في شهر أبيب ويكون متى أدخلك الرب أرض الكنعانيين والحثيين والأموريين والحويين واليبوسيين التي حلف لآبائك أن يعطيك

(١) سفر الخروج ٣/ ١٠- ١١.

أرضًا تفيض لبنًا وعسلًا أنك تصنع هذه الخدمة في هذا الشهر. سبعة أيام تأكل فطيرًا وفي اليوم السابع عيد للرب. فطير يؤكل السبعة الأيام ولا يرى عندك مختمر ولا يرى عندك خمير في جميع تخومك. وتخبر ابنك في ذلك اليوم قائلًا: من أجل ما صنع إلي الرب حين أخرجني من مصر. ويكون لك علامة على يدك وتذكارًا بين عينيك؛ لكي تكون شريعة الرب في فمك؛ لأنه بيد قوية أخرجك الرب من مصر. فتحفظ هذه الفريضة في وقتها من سنة إلى سنة»[١].

وقد ورد في التوراة أن بني إسرائيل كانوا عبيدًا للمصريين فتمردوا عليهم، ففي الخروج: «فلما أخبر ملك مصر أن الشعب قد هرب تغير قلب فرعون وعبيده على الشعب، فقالوا: ماذا فعلنا حتى أطلقنا إسرائيل من خدمتنا»[٢]، لذلك يعزو كثير من اليهود أهمية وطنية إلى عيد الفصح، إلى جانب أهميته الدينية، ويعتبرونه عيد الحرية أو عيد نشوء الشعب اليهودي.

ولو راجعنا عدد الجرائم التي ارتكبها اليهود في حق البشر من أجل صناعة فطيرة الدم؛ وجدناه كبيرًا، ولنا أن نتخيل كم من الضحايا تراق دماؤهم في عيد أو اثنين من كل عام وفي كل مكان يتواجدون فيه وعبر تاريخهم، ومن أشهى الدماء التي يحرصون عليها دم المسيحي، وخصوصًا في الفطير المقدس، وقتل المسيحي في التشريع اليهودي من الأمور الواجب

(١) سفر الخروج: ١٣/ ٣-١٠.

(٢) سفر الخروج: ١٤/ ٥.

تنفيذها[١].

ولا يزال حتى الآن الدم المسيحي مطلوبًا لحاخامات اليهود من أجل فطيرهم؛ حيث يقوم الحاخامات وأتباعهم بذبح المسيحيين لأخذ دمائهم، وتسليمها للحاخام الأكبر؛ كي يعجنها في فطير العيد، ثم يقدم هذه الفطائر لأتقياء اليهود ليلتهموها في عيدهم، وبهذا يرضى عنهم إلههم ويباركهم، وقد حدث ما يؤكد ذلك، «ففي السادس من نوفمبر سنة ١٨٤٠م، اختفى الراهب الكاثوليكي (توما)، وهو من الرعايا الإيطاليين بدمشق، واختفى خادمه أيضًا، وأعلن الرهبان الكاثوليك أن اليهود ذبحوا أخاهم (توما)، وعثر على جثته، وقد قطعت بصورة غير مألوفة لإخراج الدم منها، واعترف حلاق يهودي أنه هو الذي ذبح الراهب (توما)، وأقر بأن كل الذي جرى إنما يتمشى مع ما جاء في التلمود عن ضرورة عجن الفطير بدم مسيحي أو مسلم، كما اعترف بأنه قتل الخادم أيضًا، وبعدها بيوم عثر اليونانيون على واحد منهم في إحدى الجزر مشنوقًا بعد تصفية دمه»[٢].

ولعيد الفطير جرائم لا حد لها عند اليهود؛ «لأنهم جسدوا فيه حقدهم التاريخي واعتبروا أنهم حققوا ما يريده يهوه وأمنّوا لأنفسهم الخلاص الأبدي من الهلاك»[٣]، واليهود يطلبون الدم البشري من أجل فطيرهم،

---

(١) أدوين رايت: التضليل الصهيوني البشع، صـ٤٨.

(٢) كامل سعفان (الدكتور) اليهود تاريخ وعقيدة، (ط. دار الاعتصام، د.ت) صـ٢٢٢.

(٣) ندرة اليازجي: «رد على التوراة»- دمشق ١٩٧٢ -ص٣٧.

«حيث يقوم الحاخامات بالاتفاق مع مجرمين محترفين من التابعين لديانتهم بذبح غير اليهود من البشر لأخذ دمائهم، وقد بلغ إجرامهم على حد حكاية أحد مؤرخيهم[١]: أنهم كانوا لا يكتفون بشرب دم ضحاياهم ومزجها بعجين الفطائر، بل يأكلون كذلك قطعًا من لحومهم»[٢].

انظر الشكل التالي لسفرة الفطير الدموي[٣]:

وفيه يظهر الخبز الدموي على مائدتهم؛ كمشهد حي يثبت جرائهم، ويظهر عوار تشريعاتهم.

---

(١) المؤرخ اليهودي «يوسيفوس المتوفى سنة ١٩٩٥م» انظر: كامل سعفان (الدكتور) اليهود تاريخ وعقيدة، صـ ٢٢٢.

(٢) نفس المصدر والصفحة.

(٣) مائدة «ليل هسيدر» - العشاء الاحتفالي عشية عيد الفصح اليهودي، انظر الشكل في الموسوعة الحرة وكيبيديا على الشبكة العنكبوتية «الإنترنت».

المبحث الثاني
الفلسفة العنصرية للإبادة
في الشريعة اليهودية

تقوم فلسفة اليهود في التعامل مع (الجوييم) على العنصرية والتمييز الخلقي، فالنفس اليهودية هي الجديرة بالأمن والاستقرار والسلام، وعلى الخدم من الأغيار أن يعملوا على تحقيق ذلك لليهودي، أما أنفس الغرباء فلا اعتبار لها، فهي شريرة ويجب على اليهود إبادتها.

إن هذه الفلسفة العنصرية راسخة في العقلية اليهودية، وإن مئات النصوص التوراتية تحض على كراهية الآخر واستعباده والإيمان بأنه ما خلق إلا لخدمة اليهود، وهذه النصوص ليست أساطير وخيالات، وإنما هي مناهج تدرس في المدارس الدينية والعلمانية في إسرائيل على السواء، حيث تؤكد المادة الأولى من أهداف التعليم الديني اليهودي ضرورة ذلك[1]، ثم لا يستحيي هؤلاء المجرمون ومؤيدوهم في الغرب أن يشنوا الحملات الإعلامية المزورة على دين الإسلام، ويربطوا بينه وبين الإرهاب والوحشية، والمطالع في العهد القديم يجد جذور هذه الفلسفة في العقلية اليهودية.

وهذه النظرة هي الركيزة الأساسية لفكرة الاعتداء على النفس غير اليهودية، ومنها تنطلق دافعية إبادة الأمم غير اليهودية، وفيما يلي نبين صلة

---

(١) يراجع في بيان ذلك مفصلًا: خليل السواجري، التربية العنصرية في الكيان الصهيوني، (ط. الكاتب العربي، د. ت) عدد ٥٣ صـ ٢١٩.

العنصرية اليهودية بالجريمة:

أولا: فكرة الحلولية والشعب المختار وتبرير الإبادة:

تنبعث الفوقية العنصرية من فكرة الحلولية والشعب المختار المستقاة من أدبيات اليهود المقدسة، وترتب عليها ثلاثة مصطلحات مترابطة غير منفصمة؛ وهي: اليهودية والصهيونية والإسرائيلية، فالتوراة تعتبر الشعب العبراني (شعب الله المختار) وسائر الشعوب (غرباء)، وهذا المصطلح، شعب الله المختار؛ وجد له تعبيرًا في صور وأشكال ومظاهر عدة، وعلى كل الصعد السياسية والثقافية والاقتصادية، وحتى الاختراعات والاكتشافات العلمية كانت تهدف إلى إبراز الفوقية والتفرد اليهودي بلا منازع.

ويدعي التلمود «أن روح الإله من روح الشعب اليهودي، كما أن الابن جزء من أمه؛ لذا فمن يعتدي على يهودي فهو كمن يعتدي على العزة الإلهية، ومن يعادي جماعة (إسرائيل) أو يكرهها فإنه يعادي الإله ويكرهه»[(١)]، ويبدو في هذه النظرة الحلولية المتطرفة «التمييز الحاد والقاطع بين اليهود كشعب مختار مقدس يحل فيه الإله من جهة والشعوب الأخرى التي تقع خارج دائرة التقديس من جهة أخرى»[(٢)].

والتلمود يصور الإله على أنه «متعصب بشكل كامل لشعبه المختار، لذا

---

(١) من مقالة بعنوان: العقيدة اليهودية-الجوانب العدوانية، بقلم: د. عبد الوهاب المسيري، صحيفة الاتحاد الإماراتية ٢٩/ ١/ ٢٠٠٥.

(٢) عبد الوهاب المسيري في الصهيونية والعنف من بداية الاستيطان إلى انتفاضة الأقصى، صـ ٢٩.

فهو يعبر عن ندمه على تركه اليهود في تعاسة وشقاء، حتى إنه يبكي ويلطم، ويمضي وقتًا طويلًا من الليل يزأر كالأسد»[١].

وقد استغل اليهود نصوصًا وردت في العهد القديم في خدمة فكرتهم هذه، منها على سبيل المثال: «والآن إن امتثلتم أوامري وحفظتم عهدي، فإنكم تكونون لي خاصة من جميع شعوب الأرض؛ لأن شعوب الأرض لي»[٢].

ومنها أيضًا: «لأنك شعب مقدس للرب إلهك، وإياك اصطفى الرب إلهك أن تكون له أمة خاصة من جميع الأمم التي على وجه الأرض»[٣].

وهذا الاختيار يعطيهم هذه النظرة الدونية لغيرهم، بل واعتبار الشعوب الأخرى في أدنى درك من الحقارة والتدني، ويصفونهم بنعوت ضد معاني الشرف والإنسانية، فيرونهم خلقوا فقط ليكونوا عبيدًا لبني إسرائيل.

وقد ترتب على ذلك عنصرية تمنحهم الضوء الأخضر للقتل وإزهاق الأنفس، بل تجعل غير اليهود خدمًا وأنفسًا رخيصة تستحق الذل والمهانة والإبادة، جاء في سفر أشعياء: «ويقف الأجانب ويرعون غنمكم ويكون بنو الغريب حراثيكم، أما أنتم فتُدعون كهنة الرب تُسمَون خدام إلهنا، تأكلون ثروة الأمم وعلى مجدهم تتأمَرون»[٤].

وفي سفر ميخا: «قومي ودوسي يا بنت صهيون؛ لأني أجعل قرنك حديدًا

---

(١) عبد الوهاب المسيري، البروتكولات واليهودية الصهيونية، (ط. دار الشروق، ط. ثالثة سنة ٢٠٠٣) صـ ٤٩.

(٢) سفر الخروج ١٩/ ٥: ٦.

(٣) سفر التثنية: ٧/ ٦.

(٤) سفر أشعياء: ٦١/ ٥: ٦.

وأظلافك أجعلها نحاسًا فتسحقين شعوبًا كثيرين»[١].

وورد في أشعياء إذلال غير اليهود، يقول: «ويكون الملوك حاضنيك وسيداتهم مرضعاتك، بالوجه إلى الأرض يسجدون لك، ويلحسون غبار رجليك، فتعلمين أني أنا الرب الذي لا يخزى منتظروه..... وأنا أُخاصم مُخَاصمكِ وأخلصُ أَولاَدك، وأَطْعِمُ ظَالِمِيكِ لَحمَ أَنفسِهِمْ ويسْكَرونَ بِدمِهِمْ»[٢].

لقد ارتفعت مكانة اليهودي لدرجة تعلو فوق مستوى الإنسانية، وهي عنصرية مقدسة لها أصول تشريعية في كتبهم، «وهي سبب رئيس في التحرك المقدس للقتل والدمار في واقع اليهود وماضيهم، ومن أمثلة انعكاس هذه النظرة على الواقع، ما جاء في تصريحات الحاخام (عوفاديا يوسف) العنصرية التي أدلى بها في أواخر نيسان ٢٠٠١م، ووصف فيها العرب بأنهم أولاد أفاعٍ، وأن الله ندم لأنه خلقهم، وبالتالي فإن من الواجب قتلهم»[٣].

وقد بلغت عنصريتهم إلى حد تحريم زواج اليهودي من أهل الديانات الأخرى، بل وتحريم العيش معهم والاختلاط بهم، فها (عزرا) يمنع بني إسرائيل أن يتزوجوا من بنات الشعوب المجاورة، يقول:

«إِن الأَرْضَ التِي تَدْخلونَ لِتَمتَلكوهَا هِيَ أرض متنجسَة بِنَجَاسة شُعُوبِ الأَرَاضِي بِرجاسَاتِهِمِ الَتِي ملؤوها بِهَا مِن جهة إِلَى جهة بِنَجَاسَتِهِمْ. والآن

(١) ميخا: ٤/ ١٢.

(٢) أشعيا: ٤٩/ ٢٣-٢٦.

(٣) خليل السواحري وسمير سمعان، التوجهات العنصرية في مناهج التعليم الإسرائيلية، (من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سنة ٢٠٠٤ م) صـ ٧.

فَلاَ تعطُوا بَنَاتِكُم لِبَنِيهِم وَلاَ تأخذوا بناتِهِم لِبَنِيكم ولاَ تَطلبُوا سَلاَمَتَهم وَخَيرَهم إِلَى الأَبد لِتَتَشدَّدُوا وتَأكلوا خَيْرَ الأَرْضِ وَتورِثوا بَنِيكمْ إِياهَا إِلَى الأَبَدِ. وبعد كل مَا جَاءَ عَلَيْنَا لأَجْلِ أَعْمَالِنَا الرديئَة وَآثَامنا العَظِيمَةِ - لأَنكَ قَد جَازَيتَنا يَا إِلَهَنَا أَقَل مِنْ آثَامِنَا وأَعْطَيتَنا نَجاة كَهَذِهِ أَفَنَعُودُ وَنَتَعَدى وَصَايَاكَ وَنُصَاهِرُ شُعُوبَ هَذِهِ الرَّجَاسَاتِ، أَمَا تَسْخَطُ عَلَيْنَا حتى تفنينا فَلاَ تَكون بقية ولاَ نَجاة»[١].

واليهودي الورع «يشكر الله لأنه لم يجعله غير يهودي، والفقرة الختامية في الصلاة اليومية، والتي تتلى أيضًا في قداس رأس السنة تبدأ بما يلي: يجب أن نحمد الرب لأنه لم يجعلنا مثل أمم الأرض؛ لأنهم ينحنون للعبث والعدم، ويصلون لإله لا يقدم العون»[٢] وبما إن هذا النص يتجدد مع الزمان والمكان حسب رؤية اليهود الآن واعتقادهم في نصوصهم، فهو يقدح في الله تعالى الذي يعبده المسلمون الآن، وتلك النظرة طالت كل أصحاب الديانات بما فيهم أهل القبلة.

وقد أسقط اليهود تشريعاتهم العنصرية هذه على مناهج التدريس للطلبة اليهود في المدارس والمؤسسات اليهودية الصرفة، «وقد أدى تدريس التوراة بطريقة غير نقدية إلى تشكل اتجاهات التعصب المختلفة، خصوصًا فكرة (الشعب المختار) وسموِّ الشريعة الموسوية، ودراسة أفعال الإبادة الجماعية التي مارسها الأبطال التوراتيون»[٣].

(١) عزرا: ٩/ ١٢-١٤.

(٢) إسرائيل شاحاك، التاريخ اليهودي، الديانة اليهودية وطأة ثلاثة آلاف سنة، ترجمة: صلاح علي سوداح، (ط. دار بيسان، بيروت، لبنان، د.ت) صـ ١٤٢.

(٣) خليل السواحري وسمير سمعان، التوجهات العنصرية في مناهج التعليم الإسرائيلية، صـ١٦.

ثانيا: النظرة التلمودية والتوراتية للأغيار ومشروعية إبادتهم:

إنّ روايات الثأر والانتقام والاعتداء والقتل تطغى على كلّ ما يرد في النصوص التوراتية والتلمودية، وهي لا تخلو من الغدر والخيانة والحضّ على الاستعلاء والعدوان والتسّلط وضرورة التوّجس من الأغيار (غير اليهود) والتّرفع عنهم واستحقارهم، «فاليهود هم البشر وجميع الأمم حيوانات يجب نحرهم، والنحر غير الذبح، فالذَّبح يتطلب التبريك، أمّا النّحر فلا يحتاج إلى تبريك، لأنّ الأمم لا يحتاجون إلى التبريك، ولما كان التلمود يحوي تيارًا قويًّا معاديًا للأغيار قررت الرقابة والحكومة الغربية حذف بعض الفقرات التي تظهر عداءً متطرفًا للأغيار»(١).

«وعليه فالرؤية التوراتية والتلمودية للأغيار ترى أنّ بني إسرائيل هم البشر وحدهم، أمّا ما عداهم من جميع الأمم فإنّهم من أصناف البهائم والحيوانات، ولا يجوز لليهودي أن يسكن في بيت واحد مع أحد من الأمم، ويجب على اليهودي أن يجتهد بإخراج الساكن معه من الأمم الأخرى؛ لأنّ بيوت الأمم الأخرى تشبه خان الحيوانات وليس لهم اسم مسكن على الإطلاق»(٢).

وقد بلغ استحقارهم للأغيار إلى درجة إباحة مصّ اليهودي لدمائهم، وسرقتهم، وأن يشهد بالزّور عليهم، وأن يقتلهم، أو يكذب عليهم، أو يغدر بهم، أو يغصبهم أو ينتقم منهم أو يشتهي نساءهم أو بيوتهم، أما المحرمات التي نجدها في أسفارهم، فهي تخصّ بني إسرائيل وحدهم؛ ومنها مثلًا ما

(١) عبد الوهاب المسيري، البروتكولات واليهودية الصهيونية، صـ ٤٩.

(٢) العماد مصطفى طلاس، فطير صهيون، (ط. دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر- ط. ثانية ١٩٨٦م)صـ ١٥٣.

جاء في سفر الخروج:

«لا تشهد على قريبك شهادة زور، ولا تشته بيت قريبك، لا تشته امرأة قريبك ولا أمته ولا ثوره ولا حماره»[١]، وفي التثنية: «لا تقرض أخاك بربا، للأجنبي تقرض بربا، لكن لأخيك لا تقرض بربا»[٢]»[٣].

بمثل هذه النصوص يضيق اليهود النطاق الدلالي لبعض كلمات، مثل (أخيك) و(قريبك)، وأصبحت تشير إلى اليهود وتستبعد الآخرين، فإن كان هناك نهي عن سرقة أو قتل فذلك خاص باليهود فقط.

أما النهي عن القتل الوارد في وصايا موسى، والذي قال فيه الرب: «لا تقتل»[٤]، فمعناه عدم جواز قتل الإسرائيلي لأخيه، وتأكيدًا لهذه النظرية يرددون: «إن ولدًا أجنبيًّا شتامًا وعابدًا للأصنام قتل غير يهودي، وضاجع امرأته يتبرأ إذا اتبع الدين اليهودي، بعد ارتكابه كل هذه الموبقات، ولكن إذا قتل يهوديًّا، ثم انتحل الدين اليهودي، فإنه يظل دائمًا آثمًا وإعدامه واجب»[٥].

وهم يعتبرون شعوب الأرض أشرارًا، ويعتبرون الإحسان إليهم خطيئة، يقول التلمود: «كل خير يصنعه أبناء إسرائيل، وجميع الإحسانات التي

(١) سفر الخروج ٢٠/ ١٦ - ١٧.

(٢) سفر التثنية ٥/ ٢١.

(٣) دكتور جورجي كنعان، العنصرية اليهودية، (ط. دار النهار للنشر- ط. أولى ١٩٨٣) صـ ٥٤- ٥٥.

(٤) سفر التثنية: ٥/ ١٧ .

(٥) محمد عبد الرحمن عوض، الخلاص من الخطيئة في مفهوم اليهودية والمسيحية والإسلام، (ط. دار البشير، القاهرة، د.ت) صـ ٩.

يوزعونها على الأغيار، والمحبة التي يستعملونها نحوهم، هذه كلها خطايا على اليهود»[١].

وتصل بهم الوحشية إلى أبعد من هذا؛ إذ نجدها في التوراة منسوبة للذات الإلهية، لذلك فلا غضاضة يشعر بها الإسرائيليون وهم يرتكبون ما يرتكبون الآن في فلسطين ولبنان، يقول عهدهم القديم: «كل من وجد يطعن بالسيف، وتحطم أطفالهم أمام عيونهم وتنهب بيوتهم وتفضح نساؤهم»[٢].

ويتابع الرب قائلًا: «فأقوم عليهم؛ يقول رب الجنود، وأقطع من بابل اسمًا وبقية ونسلًا وذرية؛ يقول الرب»[٣].

مما سبق نعلم مدى النظرة المتدنية لليهود نحو غيرهم، حتى أنهم أباحوا هتك أعراضهم وقتلهم والتعالي عليهم و«وفي التلمود دعوة صريحة إلى قتل الغريب حتى لو كان من أحسن الناس خُلُقًا»[٤].

فحسن الخلق لا يعنيهم، المهم عندهم هو إراقة الدماء، وقتل الأبرياء.

---

(١) المصدر السابق، صـ ١٠.

(٢) أشعيا:١٣/ ١٥-١٦.

(٣) أشعيا: ١٤/ ٢٢.

(٤) عبد الوهاب المسيري، الصهيونية والعنف من بداية الاستيطان إلى الانتفاضة، دار الشوق القاهرة، ٢٠٠١، ط.أولى، د. ت)، صـ٣٠.

المبحث الثالث
نماذج تطبيقية من الاعتداء
على النفس الإنسانية

اكتملت الصياغة العدوانية بمباركة النصوص الكتابية المقدسة، حتى لم يعد للنفس الإنسانية حرمة ولا وزنًا، وسنأخذ بساعد الجد في سرد بعض الوثائق السياسية الصهيونية، الدالة على مدى الوحشية واللاإنسانية التي انتهجها اليهود عبر تاريخهم الطويل في تعاملهم مع الشعوب والأمم الأخرى، ولا يرى اليهود للنفس وزنًا في سبيل تحقيق بناء دولتهم وإزالة عقدتهم النفسية التي ترتبت على الذل والشتات الذي لاقوه على طول التاريخ، فلا حرج في القتل إذا كان هو الحل لتلك المشكلة المعقدة.

ولمطالعة نماذج من فلسفاتهم المقدسة في القضاء على النوع الإنساني غير اليهودي، لا بد من معاينة تاريخ الانحراف اليهودي، والآليات التي نجحت في صياغة جميع مفرداته في إطار عقدي مغاير تمامًا لكل ما جاء به موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من قيم سماوية، وتبعه في ذلك أوصياؤه من أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام.

والكفر المتواصل ينتج أجيالًا كافرة تكون بؤرة للانحراف والضلال والرذائل المستمرة، هذا ما حدث لليهود، وقد أنزل الله عليهم غضبه وعقابه المتواصل، فلم يزدهم ذلك إلا ضلالًا وكفرًا، وتشكلت من جراء ذلك في نفوسهم جملة من العقد النفسية التي تدفعهم إلى الإمعان في الانحراف، وقد تكفي الواحدة من رذائلهم في إهلاك أمة كاملة، ومن أبرز الرذائل التي

اعتاد عليها بنو إسرائيل: حب عبادة الأوثان، الاستعلاء والتكبر، الحقد على الآخرين واحتقارهم، الجبن والغدر، حب الملذات الحسية والأموال، قسوة القلب، الإصرار على الانحراف، حب الغش والتزوير والتدليس... الخ.

وتاريخ اليهود منعكس عن ألوان العذاب التي ذاقوها بسبب أعمالهم الخبيثة، ولم ينس التاريخ «إرسال أسرى يهود إلى مسارح روما لتفترسهم الأسود على المسرح لتسلية المتفرجين، وأرسل بعضهم لعرضهم في مهرجانات النصر الرومانية، وبعضهم بيع إلى المصريين كعبيد، وبيع الأطفال في سوق النخاسة ومات من الأسرى ١١ ألف بسبب الجوع في معسكر الأسر، وتم إحراق أورشليم ثم تدمير أبنيتها ثم حرثها حتى سويت بالأرض»[(١)].

وآخر مذبحة كبيرة جرت لليهود في أورشليم في عهد الإمبراطور الروماني «هادريان الذي أراد أن يبني مدينة جديدة مكان أورشليم على الطراز الروماني باسم (إيليا كابيتولا) مما أثار غضب اليهود، فأعلنوا ثورتهم على الرومان عام ١٣١م، وفي سنة ١٣٢م عمت الثورة أرجاء البلاد اليهودية بقيادة (باركوزبا) اليهودي ودمر الثوار اليهود الفرقة العسكرية الرومانية ٢٢، فكان رد الجيش الروماني قاسيًا، حيث دمروا ٩٨٥ قرية وأبادوا أهلها ودمروا ٥٠ قلعة، ثم احتلوا المملكة، وعقب الحرب شيد (هادريان) نصبًا

(١) ياسين سويد، التاريخ العسكري لبني إسرائيل من خلال كتابهم المقدس، (شركة المطبوعات للتوزيع والنشر،ط. ثانية، بيروت، ١٩٩٨) ج٢، صـ١٠٠ وما بعدها..

للوثن الروماني (جوبيتر) مكان الهيكل اليهودي المقدس، ومنذ سنة ١٣٢م اختفى الوجود السياسي لليهود تمامًا، وتحوّل من بقي منهم إلى شتات في أوربا ومصر وجزيرة العرب، ولم يعد بالإمكان تطبيق أي نظرية عرقية على الشتات اليهودية في أوساط اجتماعية مختلفة»[١].

وتاريخ اليهود الأسود مليء بتلك الصور التي وضعت اليهود في الوحل والذل، فأرادوا أن يقيموا دولتهم لسد هذا النقص، وعلاج عقدة الذل في تاريخهم؛ لذلك سارعوا إلى بناء دولة لليهود إسراع العطاش إلى مواردها.

ويعتقد اليهود -وفق ما ورد في التوراة- أن دولة اليهود لها حدود لا بد من وضعها بالدم والهدم، ولم تتفق التوراة في مضمونها على حدود معينة ثابتة، ولكنها متناقضة، يقول الكاتب اليهودي (إسرائيل شاحاك) في ذلك:

«لا شك أن العديد من اليهود يفضلون تأجيل الغزو حتى تصبح إسرائيل أقوى مما هي عليه الآن، وقيد التداول الآن نسخ عديدة متناقضة للحدود التوراتية لأرض إسرائيل، التي تعتبرها إسرائيل أرض الدولة اليهودية، وأبعد النسخ مدى تشمل المناطق التالية: جنوبًا كل سيناء، وجزءًا كبيرًا من شمال مصر حتى ضواحي القاهرة، وقطعة كبيرة من السعودية، وكل الكويت، وقطعة من العراق، وكل لبنان وسوريا وجزءًا كبيرًا من تركيا، وقد نشر اليهود العديد من المقالات والأطالس على هذا الأساس؛ لأنها تعتبر ذلك

(١) نفس المصدر صـ١٠٠ وما بعدها، وانظر، تفسير سفر زكريا، كنيسة السيدة العذراء بالفجالة (ط. دار الكتاب المقدس، د. ت) صـ ٥٠.

أمرًا مقدسًا لا بد أن ينجح ما دام الرب يريده»[١].

وفيما يلي نسوق بعضًا من نماذج التأصيل المقدس عند اليهود للإبادة الجماعية والقتل في البلدان الإسلامية، مدعومًا بالنصوص التوراتية المؤلبة للبغي على كثير من البلدان الإسلامية بمسمياتها، والتي تنبي عن مدى ما يكنه الغدر الإسرائيلي من مشاعر متأججة بالكراهية تجاه جميع البلاد التي آوتهم وعاشوا في ظلها وأكلوا من خيراتها، وهى نصوص ومشاهد تدعو للغثيان:

أولا: إبادة فلسطين بين توجيه الرب وتطبيق الآلة اليهودية:

تكلمت التوراة عن فلسطين، وتكلمت آلة اليهود الفتاكة لتعلن الطاعة لنصوص العهد القديم، فمثلًا ورد في نصوصه توجيه غارته على سكان القدس الشريف:

«وقال لأولئك في سمعي اعبروا في المدينة وراءه واضربوا. لا تشفق أعينكم ولا تعفوا. الشيخ والشاب والعذراء والطفل والنساء اقتلوا للهلاك»[٢]، ويكيد بفلسطين، فيقول:

«بسبب اليوم الآتي لهلاك كل الفلسطينيين لينقرض من صور وصيدا كل

(١) إسرائيل شاحاك، التاريخ اليهودي، الديانة اليهودية وطأة ثلاثة آلاف سنة، ترجمة: صلاح علي سوداح، صـ ٢٠.

(٢) حزقيال ٩/ ٥-٦.

بقية تعين، لأن الرب يهلك الفلسطينيين بقية جزيرة كفتور»[١].

وإن الواقع المعاصر يثبت تأصيل الإبادة المقدسة فـ«مذابح أدمت عقد التاريخ، كمذبحة بلدة الشيخ سنة ١٩٤٧م، ومذبحة دير ياسين سنة ١٩٤٨م، ومذبحة قبية سنة ١٩٥٣م، ومذبحة صبرا وشاتيلا سنة ١٩٨٢م، ومذبحة المسجد الإبراهيمي سنة ١٩٩٤م، ومذبحة قانا سنة ١٩٩٦م، ومذبحة المسجد الأقصى سنة ٢٠٠٠م، ومذبحة غزة سنة ٢٠٠٢م، ومذبحة غزة سنة ٢٠٠٨م، و٢٠٠٩م،كلها مذابح إرهابية إجرامية دمرت البنية التحتية لفلسطين، وأراقت دماء مئات الآلاف من القتلى»[٢]، ناهيك عن عشرات النصوص التي تشعل قلوب اليهود بالكراهية والدموية والإرهاب.

إنه إرهاب بكل المقاييس يشرف عليه إلههم الذي صنعه هواهم، إنه دائمًا يوصي بخراب فلسطين، ففي (أشعياء) أنه: «مد يده على البحر أرعد ممالك. أمر الرب عن جهة كنعان أن تخرب حصونها»[٣].

إذن هي زوبعة دمار وقتل وخراب؛ قائدها -في زعمهم- رب إسرائيل،

---

(١) إرميا: ٤٧/ ٤.

(٢) عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي، الإرهاب العالمي من يصنعه ومن يمنعه (القاهرة، مكتبة الإيمان ط أولى، سنة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م) صـ ٩٠ وما بعدها باختصار، وانظر: هيئة الموسوعة الفلسطينية، الموسوعة الفلسطينية، (ط. دار ابن رشد، ط.أولى، بيروت، ١٩٩٠م) جـ ٢ صـ ٤٤٨/ ٤٥٨ باختصار، وانظر: إيلان بابيه، التطهير العرقي في فلسطين، ترجمة: غازي الصولاني، (ط. مؤسسة الدراسات الفلسطينية – طـ أولى يوليو ٢٠٠٧ م) صـ ٢٧.

(٣) أشعيا:٢٣/ ١١.

وجنودها هم جنود الرب؛ وهو ما يضفي على هذه الحروب هالة من القداسة والشرعية، ما أدى إلى تواصل نزيف الدم بتواصل اليهود لمنظومتهم الإجرامية، وقد ترجم عنه ما حدث -وما يزال- في فلسطين من مذابح أدمت عقد التاريخ.

إن القوة هي لغة الحوار التي لا يؤمن اليهود إلا بها، يقول (ديفد بن غوريون) أوّل رئيس وزراء لدولة إسرائيل: «إن العالم المعاصر لا يحترم شيئًا غير القوة... بقوة السلاح، وليس بفضل قرارات رسمية سيتم حل المسألة الفلسطينية»(١).

ولم تنج مصر وسوريا والأردن من هذا السطو على النفس الإنسانية، ففي سنة ١٩٦٧م أغار اليهود على هذه البلاد، فسقط فيها ألف قتيلٍ مصري، وستة آلاف قتيلٍ أردني، وألف قتيل سوري، وكلها تحت رعاية الربِّ وتنفيذًا للحرب المقدسةٍ حسب عقيدتهم.

يقول الكاتب (أدوين رايت) متسائلًا: «فهل يقبل اليهود أنفسهم بما سجله التاريخ من جرائم حاخاماتهم ضد البشرية، وبما يحوي تلمودهم من أوامر إجرامية ضد اليهود أنفسهم والعالم؟ أعتقد أنه على اليهود أينما وُجدوا أن يحاكموا حاخاماتهم على جرائمهم التي تسبب لهم كره الأمم وكره كل أصحاب الديانات السماوية والأرضية وحتى الملحدين الذين لا دين لهم أيضًا»(٢).

---

(١) نبيل هادي، أمراء الإرهاب، دار الفارابي - بيروت، ص١٦٠.

(٢) أدوين رايت: «التضليل الصهيوني البشع» - ترجمة إبراهيم الراهب-منشورات الصمود العربي ١٩٨٥، ص١٤.

ثانيا: دمشق «سطور دموية» في الكتاب المقدس:

لم تنج سوريا من ويلات يهود، وقد رأى اليهود ضرورة محو دمشق من خارطة الحياة بجميع السبل، ومهما كلف الأمر، فتلك طاعة للرب وموعدة منه، وما أكثر المشارب اليهودية التي تغذي أغصان العداء بدماء الدمار والإبادة، «وحين تكون المؤامرة ضد الإسلام والمسلمين تجد تحالفًا طبيعيًّا بين اليهود والقوى الأخرى لإنجاح المؤامرة»[١] يقول أشعيا: «وحيّ من جهة دمشق. هو ذا دمشق تزال من بين المدن وتكون رجمة ردم»[٢].

وفي أرمياء: «خزيت حماة وأرفاد قد ذابوا؛ لأنهم قد سمعوا خبرًا رديئًا، في البحر لا يستطيع الهدوء. ارتخت دمشق والتعنت للهرب»[٣].

وهناك أمثلة عديدة من جرائم استنزاف الدم المسيحي تلبية للفرائض التلمودية، وأشهرها كما ذكرنا «ما فعله جماعة من اليهود العرب حين ذبحوا الأب توما وخادمه إبراهيم في دمشق في٥ فبراير عام ١٨٤٠م واستنزفوا دمهما وملئوه وعبئوه في القارورات، ثم أعطوه للحاخام الأكبر في دمشق الذي قام بعجنه مع السميد، وأنجز الفطير المقدس ووزعه على أتقياء اليهود»[٤].

---

(١) عبد الله التل: الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام، (ط. المكتب الإسلامي، ط. ثانية، د.ت) صـ ١٩٥.

(٢) أشعياء: ١٧/ ١.

(٣) أرميا: ٤٩/ ٢٣-٢٤.

(٤) هشام الصفدي: «تاريخ الشرق القديم» – سوريا – ج١ – ١٩٧٦ – ص١٣٩-١٤٣.

وفي دوامة الأحداث الجسام التي خطط لها اليهود، وعملوا على تنفيذها في مكر ودهاء وعمل دائب في الظلام، بعيدًا عن الأنوار الكاشفة، ومع الظفر الذي حققوه في العالم لقسط كبير من أهدافهم، يومًا بعد يوم يثبت للعالم مدى خبث اليهود على المسلمين، إنهم صنعوا لهم أياديَ خفية في كل مكان ليمثلوهم وهم خلف ستار المكر والدهاء يتوارون، وما واقع سوريا الآن ببعيد.

ثالثا: توعد الرب لعمّان:

توعد الرب عمّان قائلًا: «يقول الرب واسمع في ربة بني عمون جلبة حرب، وتصير تلًا خربًا، وتحرق بناتها بالنار فيرث إسرائيل الذين ورثوه؛ يقول الرب»(١).

وما تلك إلا مشاهد قليلة من صور كثيرة، فتكوين النفسية اليهودية في ظل العقد التاريخية التي عاشوها مليء بالعدوان وحب الإبادة والبغي، وقد تكونت التركيبة النفسية والفكرية لدى الشخصية اليهودية تكوينًا مليئًا بالأزمات النفسية، وكتابات العهد القديم زاخرة بالأقوال التي تدل على تلك الحالات النفسية، وواقع الأمة الآن في ظل المخططات اليهودية مليء بتلك الانعكاسات المعقدة في ظل الأزمات والعقد النفسية التاريخية لليهود.

---

(١) ارميا:٤٩/ ٢.

الفصل الثاني

موقف الإسلام من الإبادة والدماء

لا شك أن الإسلام كرم الإنسان تكريمًا كبيرًا، وخلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته، وسخر له ما في السماوات وما في الأرض جميعًا منه، وكفل له حقوقًا، وسن له شرائع تؤهله للخلافة في الأرض فقد «جاءت آيات الوصايا العشر بمنهج إنساني متكامل فيه صيانة الإنسان وحفظه، قال تعالى:

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢) وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٥٣)﴾ [الأنعام:١٥١-١٥٣]، تلك الوصايا الجامعة أبواب الخير الموصدة أبواب الشر، والمذيلة بهذا التبيين والتعريف ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾[الأنعام: ١٥٣]»[1].

---

(١) محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (ط. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان – سنة =

ووصية القرآن بتحريم القتل لا تتعارض مع أية آية أخرى في القرآن الكريم، بخلاف وصية الكتاب المقدس (لا تقتل)[١] وغيرها كقول الرب لقايين (قابيل):

«صوت دم أخيك صارخ من الأرض»[٢]، وقوله لداود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ النبي المحبوب لديه: «قد سفكت دمًا كثيرًا وعملت حروبًا عظيمة، فلا تبني بيتًا لاسمي»[٣]، فهي تتعارض مع نصوص كثيرة في ثناياه تأمر بقتل النفس الإنسانية كما ذكرنا على طول البحث، وفي المبحثين التاليين سيبين الباحث موقف الإسلام من القتل والإبادة عمومًا، وموقفه من قتل غير المسلم على وجه الخصوص؛ إبرازًا لعظمته، وبيانًا لشمولية نظرته في تحريم القتل وإراقة الدماء على عمومها دون تخصيص لمسلم أو غير مسلم، فالنفس الإنسانية على عمومها لها حرمتها وكرامتها في الإسلام.

المبحث الأول

حكم القتل والإبادة -عمومًا- في الإسلام

من منطلق تشريعي أقام الإسلام منهجه في تحريم الإبادة الدماء وتجريمهما، حيث شرع النظام العقابي الإسلامي حدودًا رادعة للفساد والخراب والقتل، وضبطها بضوابط وحدود، والحكمة من هذه الضوابط

=

١٤١٥هـ- ١٩٩٥ م) جـ٩، صـ ٩٥.

(١) التثنية: ٥/ ١٧.

(٢) التكوين: ٤/ ١١.

(٣) الأيام الأول: ٢٢/ ٨.

والعقوبات المحافظة على النفوس وصيانة الدماء، والحرص على عدم استشراء الاعتداء على النفوس، «حيث إن من سولت له نفسه قتل بريء من إخوانه تذكر أن قتله لأخيه يؤدي إلى قتل نفسه، وأنه بقضائه على أخيه يقضي على نفسه، وأنه لو أقدم على قتل أخيه تنتهي حياته هو وتطوى صفحاته، فيمتنع عن الإقدام على القتل، فبذلك يُحيي نفسه ونفس من أراد قتله وينتشر بذلك الأمن في النفوس»[(١)].

ولم يك تعنيف الإسلام وتوعده للمفسد الباغي عبثًا، بل هو أقوى حل لوقف انتشار الجريمة والفوضى، فالقتل يفتح باب الكيد والغل في المجتمعات ما يسوق البشرية إلى تغيير ملامح الحياة من الإنسانية إلى حياة الوحوش الضارية مع فرائسها في الغابة، يقول الإمام ابن تيمية: «قال العلماء: إن أولياء المقتول تغلي قلوبهم بالغيظ، حتى يؤثروا أن يُقتل القاتل وأولياؤه، وربما لم يرضوا بقتل القاتل، بل يقتلون الكثير من أصحاب القاتل، كسيد القبيلة، ومقدم الطائفة، فيكون القاتل قد اعتدى في الابتداء، وتعدى هؤلاء في الاستيفاء، كما كان يفعله أهل الجاهلية الخارجون عن الشريعة في هذه الأوقات من الأعراب والبادية وغيرهم، فيفضي إلى الفتن والعداوات العظيمة، وسبب ذلك خروجهم عن سنن العدل الذي هو القصاص في القتلى، فكتب الله علينا القصاص في القتلى، وأخبر أن فيه حياة، فإنه يحقن دم غير القاتل من أولياء الرجلين، وأيضًا فإذا علم من يريد

(١) علي كرار، القصاص في النفس في الفقه الإسلامي (ط.دار الاتحاد العربي للطباعة. ١٤٠١هـ) صـ١٢.

القتل أنه يقتل كَفّ عن القتل»[١].

وتتسع دائرة صيانة النوع البشري ووقايته وحفظ بقائه وتكريمه على سائر عناصر المنظومة الكونية، وحفظ دمه من أن يهراق بدون حق، ويأتي تحذير الإسلام من القتل من عدة محاور:

المحور الأول: النهي عن فوضوية القتل:

صرح الله بتحريم قتل النفس عمومًا فقال: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ﴾ [الإسراء: ٣٣]، و«معلومة حالة العرب في الجاهلية من التسرع إلى قتل النفوس، فكان حفظ النفوس من أعظم القواعد الكلية للشريعة الإسلامية، ولذلك كان النهي عن قتل النفس من أهم الوصايا التي أوصى بها الإسلام أتباعه في هذه الآيات الجامعة»[٢].

ولما أشرق الإسلام بشمسه قضى على همجية الجاهلية العمياء المتمثلة في انقضاض القتلة والبغاة وقطاع الطرق على أفراد المجتمع حينها انقضاض البزاة على فرائسها، و«معلوم حالة العرب في الجاهلية من التسرع إلى قتل النفوس، فكان حفظ النفوس من أعظم القواعد الكلية للشريعة

---

(١) أحمد بن تيمية، السياسة الشرعية.(المطبعة السلفية، القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ) صـ ٧٣ باختصار يسير.

(٢) محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، (ط.مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط. أولى، سنة ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م)جـ ١٤، صـ ٧٣.

الإسلامية، ولذلك كان النهي عن قتل النفس من أهم الوصايا التي أوصى بها الإسلام أتباعه في هذه الآيات الجامعة، وهذه هي الوصية التاسعة»[1] التي نهى الله تعالى فيها عن قتل البنات ووأدها، ناهيك عن الأنواع الأخرى والألوان المتعددة من القتل، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٣١]، وقال تعالى: ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴾ [الأنعام: ١٤٠].

فحين بعث النبي ﷺ، كان القتل فاشيًا في أهل الجاهلية، يزهقون الأرواح عدوانًا وظلمًا، وتثور بينهم الحروب الطاحنة التي يروح ضحيتها الكثير من النفوس البريئة عند أتفه الأسباب، فعمل ﷺ على القضاء على ذلك، وأكد ما جاء في كتاب الله من النهي على القتل والعدوان على النفس المعصومة، منددًا ﷺ غاية التنديد بمن يرتكب ذلك، مبينًا ما توعد الله به مَن أقدَمَ على إزهاق روح المعصوم بغير حق من شديد العقاب وسوء الحال والمآل، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يا رسول الله! وما هنَّ؟ قال: الشرك بالله، والسِّحر، وقتل النفس التي حرَّم الله إلاَّ بالحقِّ، وأكل الرِّبا، وأكل مال اليتيم، والتولِّي يوم

(١) محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، (مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان – الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م) جـ ١٤، صـ ٧٣.

الزَّحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات»[١].

وقتل النفس هنا دون تخصيص بآلة بعينها أو وسيلة معينة، سواء كان «بالخنق أو بالنخع أو بالجرح، الذي يؤدي إلى الموت، أو بالإلقاء إلى التهلكة»[٢].

المحور الثاني: اعتبر الإسلام قتل النفس الواحدة عدوانًا على البشرية كلها:

جعل الإسلام قتل النفس البشرية من دون موجب؛ عدوان على حياة الإنسان، قال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾ [المائدة: ٣٢-٣٣].

---

(١) أخرجه مسلم (أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري) الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بَيَانِ الْكَبَائِرِ وَأَكْبَرِهَا (ط. دار الجيل بيروت - بيروت، د.ت) جـ ١، صـ ٦٤.

(٢) أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة، البحر المديد (ط. دار الكتب العلمية - بيروت، طبعة الثانية/ ٢٠٠٢ م - ١٤٢٣هـ) جـ ٢، صـ ٥٢.

أي: «من قتل نفسًا بغير سبب، واستحل قتلها بلا سبب ولا جناية، فكأنما قتل الناس جميعًا؛ لأنه لا فرق عنده بين نفس ونفس»(١).

«وفي هذا بيان أن قتل النفس بغير حق جرم فظيع، كفظاعة قتل الناس كلهم، ومعنى التشبيه في قوله: ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ حث جميع الأمة على تعقب قاتل النفس وأخذه أينما ثقف والامتناع من إيوائه أو الستر عليه، كل مخاطب على حسب مقدرته وبقدر بسطة يده في الأرض، من ولاة الأمور إلى عامة الناس، فالمقصود من ذلك التشبيه تهويل القتل وليس المقصود أنه قد قتل الناس جميعًا»(٢).

قال البيضاوي في ذلك: «من حيث إنه هتك حرمة الدماء وسن القتل وجرّأ الناس عليه، والمقصود منه تعظيم قتل النفس وإحيائها في القلوب ترهيبًا عن التعرض له وترغيبًا في المحاماة عليها»(٣).

وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾: «لأن ترك النفس حية دون اعتداء عليها؛ يستلزم بقاء النفوس حية حتى تموت الموت

---

(١) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، جـ ٣، صـ ٩٢.

(٢) محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م) جـ ٥، صـ ٨٦ باختصار.

(٣) ناصر الدين أبي سعيد عبد الله محمد الشيرازي البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (ط. دار الفكر، بيروت – لبنان، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م) جـ ٢، صـ ٣١٩.

المقدر عليها في آجالها، وكذلك قتل النفس بغير حق يستلزم أن يكثر القتل ويفشو، فربما أفنى البشرية جميعها»[١].

وحق البقاء في الإسلام يتساوى فيه الناس جميعًا، لا فرق بين شريف وضيع، وبين عالم وجاهل، وبين عاقل ومجنون، وبين بالغ وصبي، وبين ذكر أو أنثى، وبين مسلم وذمي، وأن أي اعتداء لإزهاق حياة إنسان وبغض النظر عن ماهية ذلك الإنسان.

المحور الثالث: حرمان القاتل من دخول الجنة:

إن القاتل في الإسلام لا يلج الجنة، فعن جندب بن عبد الله قال: «إن أول ما ينتن من الإنسان بطنه فمن استطاع أن لا يأكل إلا طيبًا فليفعل، ومن استطاع أن لا يحال بينه وبين الجنة بملء كف من دم أهراقه فليفعل»[٢]، فما أعظم شريعة الإسلام في سماحته وأمنه الذي كفل به بقاء الإنسان الذي سوّده بالخلافة في الأرض على سائر الكائنات.

ولم لا ؟! وحق الحياة في الشريعة الإسلامية حق مقدس يستند إلى تكريم الإنسان، وينطلق من مبدأ حرمة هذه الحياة وحفظها من كل اعتداء يمكن أن يقع عليها، لذلك كان قتل النفس من أبشع الجرائم.

---

(١) أخرجه البخاري (محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي) كتاب الديات، باب قول الله تعالى (ومن أحياها)، المائدة ٣٢، جـ٦، صـ٢٥١٨.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأحكام، باب من شاق شق الله عليه، جـ٦، صـ ٢٦١٥.

المحور الرابع: قتل النفس البشرية من أكبر الكبائر:

القتل من أكبر الكبائر في الإسلام، فعن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «أكبر الكبائر الإشراك بالله، وقتل النفس، وعقوق الوالدين، وقول الزور، أو قال: وشهادة الزور»(١)، ومن هنا كان النهي الصارم في الإسلام عن اقتراف تلك الجريمة.

المحور الخامس: براءة الإسلام من حامل السلاح لقتل الأنفس:

تبرأ رسول الله ﷺ من حامل السلاح لقتل الناس وترويعهم، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ النبي ﷺ قَالَ: «مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلاَحَ فَلَيْسَ مِنَّا»(٢)، والحديث يثبت شناعة جريمة القتل في والترويع الإسلام.

المحور السادس: الدماء أول موارد القضاء يوم القيامة:

لشناعة حرمة الدماء كانت أول ما يقضى فيه يوم القيامة، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي) كتاب الديات، باب قول الله تعالى (ومن أحياها)، المائدة ٣٢، جـ٦، صـ٢٥١٩.

(٢) أخرجه مسلم (أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري) الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب قَوْلِ النبي ﷺ: «مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلاَحَ فَلَيْسَ مِنَّا»، جـ١، صـ٦٩

(٣) أخرجه مسلم (أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري)، الجامع

وبعد هذا السرد القليل لبعض ما ورد في القرآن والسنة عن قتل النفس عمومًا؛ يظهر جليًّا مدى حرمة قتل النفس البشرية عمومًا، إلا بضوابط معينة وضعتها الشريعة الإسلامية.

المبحث الثاني
حكم قتل المسلم لغير المسلم في الإسلام

حرم الإسلام قتل الكافر المعاهد أو الذمي الذي يعيش تحت نفوذ الحكومة الإسلامية، ومن ارتكبه فقد ارتكب إثمًا عظيمًا، حتى أن الله حرم عليه الجنة؛ حفاظًا على أمن المجتمع، فعن ابْن عَمْرٍو، قَالَ النبي ﷺ:

«مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا، لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا»(١)، وهذا كناية عن عدم دخول من قتل معاهدًا الجنة.

ومن هذا المنطلق حدد الإسلام علاقات الأمة الإسلامية بالآخَرين في صيانة دمائهم وعصمتها على أساس رادع لا يسمح للخروج عليه، وهو ما

=

الصحيح المسمى صحيح مسلم، كتاب القسامة، باب الْمُجَازَاةِ بِالدِّمَاءِ فِي الآخِرَةِ وَأَنَّهَا أَوَّلُ مَا يُقْضَى فِيهِ بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (دار الجيل بيروت، بيروت، د.ت) جـ ٥، صـ ١٠٧.

(١) أخرجه البخاري، راجع: شرح صحيح البخاري - لابن بطال (أبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي) تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم، كتاب الجزية، باب: إِثْم مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا بِغَيرِ جُرمٍ، (ط. مكتبة الرشد - السعودية/ الرياض - الطبعة: الثانية ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م)جـ ١، صـ ٣٤١.

أشار إليه القرآن بقوله تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة: ٨].

وعليه فالإسلام دين الرحمة والأمن وتقدير الإنسانية بمفهومها الأصيل، وهو دين يدعو إلى التعايش السلمي، وإلى صون الحق الإنساني فلا عنفوان ولا استبداد ولا قتل، كما كفل حياة للآخر تقوم على البر والمرحمة وحسن العلاقة، دون ربط لهذا الحق بدين أو اعتقاد أو عرق أو لون كما في اليهودية.

ولا يأتي الإسلام بالإبادة والقتل إلا للضرورة القصوى وقمع الاعتداء ورد الظلم والانتصار للمظلومين ولضمان انتشار دعوة دين الرحمة والسلام، وإنه يمنع الظلم والعدوان والعنف والطغيان على الخلق جميعًا، وفي هذه المنهجية العادلة قال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ [البقرة: ١٩٠ - ١٩٤].

إن الإسلام يحرم المسلم إن قتل معاهدًا من دخول الجنة، فعن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قتل معاهدًا في غير

كنهه حرم الله عليه الجنة»[١].

ومعنى (كنهه) -بضم الكاف مع سكون النون- أي: «حقيقته التي يحل معها قتله، فإن كنه الشيء حقيقته، وذلك حيث لا أمان له ولا عهد، وقد حرم الله عليه الجنة، لأنه بالعهد صار محرم الدم، فلما هتك حرمته المحرمة حرم الله عليه جنته»[٢].

وروى علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ أنه قال: «الْمُؤْمِنُونَ تَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ، وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ، وَيَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ، أَلاَ لاَ يُقْتَلُ مُؤْمِنٌ بِكَافِرٍ وَلاَ ذُو عَهْدٍ فِي عَهْدِهِ، مَنْ أَحْدَثَ حَدَثًا فَعَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَحْدَثَ حَدَثًا أَوْ آوَى مُحْدِثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»[٣].

بل اتسعت رحمة الإسلام في حقن دماء أولاد الكفار المحاربين ونسائهم، وتحريم التمثيل بقتلاهم في الجملة؛ عدلًا منه ورحمة، وذلك مفقود في الشرائع والمعتقدات اليهودية جملة وتفصيلاً، وإن إراقة دماء غير

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه وصححه الألباني، انظر صحيح الترغيب والترهيب لمحمد ناصر الدين الألباني، (مكتبة المعارف – الرياض، الطبعة: الخامسة) جـ ٢، صـ ٣٨١.

(٢) محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِعِ الصَّغِيرِ، تحقيق: محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم (ط. مكتبة دار السلام، الرياض ط. أولى، سنة ١٤٣٢هـ - ٢٠١١ م) جـ ١٠، صـ ٣٤١.

(٣) أخرجه ابو داود في سننه وصححه الألباني، راجع سنن أبي داود، (سليمان بن الأشعث السجستاني) كتاب الديات، باب أَيُقَادُ الْمُسْلِمُ بِالْكَافِرِ (ط.دار الكتاب العربي - بيروت) جـ ٤، صـ ٣٠٣.

المسلم جديرة في شريعتنا الإسلامية بأن تحرم مسلمًا من الجنة، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «ألا من قتل نفسًا معاهدة لها ذمة الله وذمة رسوله، فقد أخفر ذمة الله، فلا يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفًا»[(١)]،«وهذا الحديث سِيق لبيان حِرمَةِ قتله، لا لأجل القِصاص»[(٢)].

قال الشوكاني: «المعاهد هو الرجل من أهل دار الحرب يدخل إلى دار الإسلام بأمان فيحرم على المسلمين قتله بلا خلاف بين أهل الإسلام حتى يرجع إلى مأمنه، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ [التوبة: ٦]، وقوله: «لم يرح رائحة الجنة» بفتح الأول من (يَرح)، وأصله: راح الشيء؛ أي: وجد ريحه، ولم يرحه أي: لم يجد ريحه، ورائحة الجنة: نسميها الطيب؛ لأنه إذا لم يشم نسيمها وهو يوجد من مسيرة أربعين عامًا لم يدخلها. قوله: «فقد أخفر ذمة الله» بالخاء والفاء والراء أي: نقض عهده وغدر، وهو يشتمل على تشديد الوعيد على قاتل المعاهد؛ لدلالته على تخليده في النار وعدم

(١) رواه ابن ماجه والترمذي وصححه انظر: نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار محمد بن علي بن محمد الشوكاني، باب ما جاء لا يقتل مسلم بكافر والتشديد في قتل الذمي وما جاء في الحر بالعبد،(ط. إدارة الطباعة المنيرية، د.ت) جـ ٧، صـ ٩٦.

(٢) محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي ثم الديوبندي، فيض الباري على صحيح البخاري، تحقيق: محمد بدر عالم الميرتهي (ط. دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط.أولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ م) جـ ١، صـ ٢٩٧.

خروجه عنها وتحريم الجنة عليه»[١].

وبذلك كفل الشرع حماية غير المسلمين حماية كاملة؛ حماهم في أنفسهم وأولادهم وأموالهم، ففي ظلِّ التشريع الإسلامي حظي غير المسلم في المجتمع المسلم بما لم يحظَ به في تشريعات اليهود، بل ولا في أي دين أو قانون آخر، فقاعدة العَلاقة بين المسلم وغير المسلم محكومة بقوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨].

وقد حدَّدت هذه الآية الأساس الأخلاقي والقانوني الذي يجب أن يُعامِل به المسلمون غيرهم، وهو البرُّ والقسط لكل مَن لم يناصبهم العداء، وهو أساس لم نره في الشرائع والمعتقدات اليهودية مع المسلم، وقد جاء ذلك تطبيقًا عمليًّا في كتاب النبي ﷺ لأهل نجران، حيث جاء فيه: «ولنجران وحسبها جوار الله وذمة محمد النبي على أنفسهم وملتهم وأرضهم وأموالهم وغائبهم وشاهدهم وعشيرتهم وتبعهم، وأن لا يغيروا مما كانوا عليه، ولا يغير حق من حقوقهم ولا ملتهم ولا يغير أسقف من أسقفيته ولا راهب من رهبانيته»[٢].

وتسير المنظومة التاريخية ممزوجة بعدم البغي على أنفس غير المسلمين أو قتلهم، دون تعطيل لهذا النظام المتناسق المتشابك، ففي فتوح

(١) المصدر السابق، جـ٧، صـ٩٦.

(٢) ابن القيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق: شعيب الأرناؤوط (ط. مؤسسة الرسالة، الطبعة الرابعة عشر، ١٤٠٧ – ١٩٨٦م) جـ٣، صـ٥٤٧.

البلدان كإيران وبلاد ما وراء النهر لم يقتل مسلم غير مسلم، إلا إذا بغى عليه، وقد نصت معاهدة «حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع أهل الذمة على إعطائهم الأمان على أنفسهم وأموالهم وأرواحهم، ولا يغيرون على ملة، ولا يحال بينهم وبين شرائعهم ولهم المنعة»(١).

وموقف الإسلام من قتل الآخر وإراقة دمه؛ يعد رسالة إلى العالم عامة وإلى اليهود خاصة؛ ليعلمهم كيف تكون الحياة كريمة، وكيف ضمن الإسلام مفهوم الإنسانية، فإذا كان هذا الوعيد الشديد في قتل آحاد المعاهدين والذميين والمستأمنين، فكيف بنسف بيوتهم وعماراتهم، وهدمها على رؤوسهم، وقتل من فيها من النساء والصبيان!؟ مع أن قتل هؤلاء من الكفار المحاربين حرام لا يجوز بإجماع العلماء إلا لضرورة، فكيف بنساء المعصومين من الذميين والمعاهدين والمستأمنين وأطفالهم؟ وهل هذا إلا محادة لله تعالى ولرسوله ﷺ، وغدر في العهود، ونقض للعقود، وارتكاب لجريمة من أكبر الجرائم، ومظلمة من أعظم المظالم؟! هذا غيض من فيض مما ورد في هذا الشأن، ونتلوه ببيان عقوبة الإسلام العاجلة في الدنيا لمن قتل نفسًا بغير حق.

وصلى الله وسلّم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وكتبه الراجي عفو ربه: الدكتور/ محمد عبد الدايم علي سليمان محمد

(١) أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم، الخراج،(ط. دار المعرفة، بيروت) صـ ١٤٦، وانظر: حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية، في العهد النبوي والخلافة الراشدة، (ط القاهرة سنة ١٩٤١م) وثيقة رقم ٣٣٢، صـ ٢٤٦.

الجندي.

أستاذ العقيدة والأديان والمذاهب المشارك بقسم الدراسات الإسلامية – كلية الآداب – جامعة الملك فيصل بالإحساء، وفي قسم الأديان والمذاهب – كلية الدعوة الإسلامية جامعة الأزهر بالقاهرة.

إيميل: elgendy1175@yahoo.com

جوال/ ٠٠٩٦٦٥٠٢٦٣٢٧١١

فجر الجمعة، الموافق ١٦ ربيع الأول لسنة ١٤٣٦هـ

الخـــاتمة

من خلال التطواف العلمي السابق؛ يظهر لنا جليًّا ما لجرائم اليهود في الإطاحة بالإنسانية من تأصيل إيماني في العقيدة اليهودية المحرفة، تستأصل من خلاله الضروريات الخمس، فقد تراكمت ثقافات العنف والدم ومقولاتها عند اليهود، ومن خلال ما سبق نصل إلى عدة نتائج وتوصيات:

أولا: أهـــم النتائج:

أولا: مدى بشاعة التصوير اليهودي للإله وعدم تنزيهه؛ حيث صوره اليهود بين العدوانية والإبادة وسفك الدماء.

ثانيا: أن الإبادة لغير اليهود من صميم العقيدة والشريعة اليهودية وليست أمورًا عارضة من صنيع المتطرفين -كما يدعون- وإنما هي إبادة مبررة وقرابين للرب.

ثالثا: أن فكرة الحلولية والشعب المختار والعنصرية عامل رئيس أيضًا في تبرير الإبادة لغير اليهود في العقيدة والشريعة اليهودية.

رابعا: مدى بشاعة النظرة العدوانية التلمودية والتوراتية المقدسة للأغيار ومشروعية إبادتهم.

خامسا: أن إبادة فلسطين ودمشق وعمون وغير ذلك من توجيه الرب، وما تطبيق الآلة اليهودية إلا اتباع لتعاليمه.

سادسا: استحالة إقامة السلام مع اليهود؛ فالنقض من طرفهم مقدس، والسلام اليهودي لا يتجاوز مفهوم الهدنة للمزيد من الإبادة.

سابعا: وضوح منهج الإسلام وموقفه الصريح من إراقة الدماء البشرية على اختلاف أجناسها ومعتقدات أصحابها، ومدى التحذير الإلهي من ذلك.

ثانيا: أهم التوصيات:

أولا: ضرورة استحضار الفطنة لمواجهة الدهاء اليهودي إثر عمليات الإبادة الجماعية التي يمارسونها ضد المسلمين، والاستعداد لمواجهة عدوانهم المتزايد يومًا تلو يوم على دوافع عقدية وبواعث تشريعية.

ثانيا: عقد ندوات ومؤتمرات عالمية يستدعى فيها كل أصحاب الديانات والنحل لكشف حقيقة الوجه اليهودي الدامي.

ثالثا: تلقين الجيل الجديد لحقيقة اليهود؛ منعًا لانزلاقهم في مصائدهم الفكرية والعقدية التي تسرق هويتهم، وتمحو عقيدتهم.

وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

أهـم المصـادر

أولا: القرآن الكريم.

٢ - إبراهيم خليل أحمد (سابقًا: القس إبراهيم خليل فليبس)، إسرائيل والتلمود «دراسة تحليلية»، (دار المنار، د.ت).

٣ - إبراهيم الشاطبي، الموافقات، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، (ط. دار ابن عفان – ط.أولى ١٤١٧هـ).

٤ - ابن بطال (أبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي)، شرح صحيح البخاري، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، (ط. مكتبة الرشد - السعودية/ الرياض - الطبعة: الثانية ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م).

٥ - ابن ماجه (محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني) سنن ابن ماجه، بتحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (ط. دار الفكر – بيروت، د.ت).

٦ - أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل، تحقيق: محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش (ط. دار طيبة للنشر والتوزيع، طبعة: الرابعة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧ م)

٧ - أبو داود، (سليمان بن الأشعث السجستاني)، سنن أبي داود، (ط.دار الكتاب العربي - بيروت).

٨ - أحمد إيبش، التلمود كتاب اليهود المقدس، تاريخه وتعاليمه ومقتطفات من نصوصه، تقديم سهيل زكار، (ط. دار قتيبة، د.ت).

٩ـ أحمد بن تيمية، السياسة الشرعية، (المطبعة السلفية، القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ).

١٠ - أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة، البحر المديد، (ط. دار الكتب العلمية - بيروت، طبعة الثانية/ ٢٠٠٢ م - ١٤٢٣هـ).

١١ - أدوين رايت: «التضليل الصهيوني البشع»، - ترجمة إبراهيم الراهب، منشورات الصمود العربي سنة , ١٩٨٥

١٢ - إسرائيل شاحاك، التاريخ اليهودي، الديانة اليهودية وطأة ثلاثة آلاف سنة، ترجمة: صلاح علي سوداح، (ط. دار بيسان، بيروت، لبنان، د.ت).

١٣ - أسعد رزوق، التلمود والصهيونية، (ط.منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الأبحاث- د.ت).

١٤ - البخاري (محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي)، الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: مصطفى ديب البغا، (ط.دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ – ١٩٨٧م).

١٥. تقي الدين المقريزي، تاريخ اليهود وآثارهم في مصر، دراسة وتحقيق: عبد المجيد دياب، (دار الفضيلة: القاهرة)، ١٩٩٧م،

١٦ - جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، (مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية،ط.خامسة،١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م).

١٧ - جورجي كنعان، العنصرية اليهودية، (ط. دار النهار للنشر- ط. أولى ١٩٨٣).

١٨ - خليل السواحري وسمير سمعان، التوجهات العنصرية في مناهج

التعليم الإسرائيلية، (من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سنة ٢٠٠٤ م).

١٩ - صابر طعيمة، التاريخ اليهودي العام، (دار الجليل: بيروت ط.ثالثة ١٩٩١م).

٢٠ - عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، الدر المنثور، (ط.دار الفكر - بيروت، ١٩٩٣)

٢١ - عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، (ط. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت، د.ت).

٢٢ - عبد الله التل، الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام، (ط. المكتب الإسلامي، ط. ثانية، د.ت).

٢٣ - عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي، الإرهاب العالمي من يصنعه ومن يمنعه (القاهرة، مكتبة الإيمان ط أولى، سنة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م).

٢٤ - عبد الوهاب المسيري، البروتكولات واليهودية الصهيونية، (ط. دار الشروق، ط. ثالثة سنة ٢٠٠٣).

٢٥ - عبد الوهاب المسيري، الصهيونية والعنف من بداية الاستيطان إلى انتفاضة الأقصى، (ط. دار الشروق، ط. ثانية سنة ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢ م).

٢٦ - عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، (القاهرة: دار الشروق) ١٩٩٩.

٢٧ - علي كرار، القصاص في النفس في الفقه الإسلامي (ط.دار الاتحاد

العربي للطباعة. ١٤٠١هـ)

٢٨ - العماد مصطفى طلاس، فطير صهيون، (ط. دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر- ط. ثانية ١٩٨٦م).

٢٩ - قطب، سيد قطب، في ظلال القرآن، (القاهرة، ط. دار الشروق، ط. الخامسة والعشرون، سنة ١٤١٧هـ -١٩٩٦م).

٣٠ - كامل سعفان، اليهود تاريخًا وعقيدة، (القاهرة: ط. دار الاعتصام، ١٩٨٨م).

٣١ - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، (ط. دار الدعوة، د.ت).

٣٢ - محمد أبو زهرة، العقوبة في الفقه الإسلامي، (ط. دار الفكر العربي. بيروت، د.ت).

٣٣ - محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (ط. دار الفكر).

٣٤ - محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م).

٣٥ - محمد عبد الرحمن عوض، الخلاص من الخطيئة في مفهوم اليهودية والمسيحية والإسلام، (ط. دار البشير، القاهرة، د.ت).

٣٦ـ محمد بن محمد الغزالي، المستصفى في علم الأصول (دار الكتب العلمية، بيروت، ط أولى سنة ١٤١٣هـ).

٣٧ - محمد بن علي بن محمد الشوكاني، نيل الأوطار من أحاديث سيد

الأخيار شرح منتقى الأخبار (ط. إدارة الطباعة المنيرية، د.ت).

٣٨ - محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، لسان العرب، (ط. دار صادر – بيروت، ط. أولى، د.ت).

٣٩ - محمد الميداني، مجمع الأمثال (ط. مطبعة السنة المحمدية، سنة ١٣٧٤هـ).

٤٠ - محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الترغيب والترهيب، (مكتبة المعارف – الرياض، الطبعة: الخامسة).

٤٠ - محمد نمر الخطيب، حقيقة اليهود والمطامع الصهيونية، (ط.دار مكتبة الحياة، ط. أولى، بيروت، ١٩٦٩).

٤١ - محيي الدين أبو زكريا يحيى النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، (ط. دار الخير، سنة ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م).

٤٢ - مسلم (أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري)، الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، (ط. دار الجيل بيروت - دار الأفاق الجديدة - بيروت - د.ت).

٤٣ - ندرة اليازجي، رد على التوراة، دمشق ١٩٧٢.

٤٤ - ياسين سويد، التاريخ العسكري لبني إسرائيل من خلال كتابهم المقدس، (شركة المطبوعات للتوزيع والنشر،ط. ثانية، بيروت، ١٩٩٨).

فهرس الموضوعات

ملخص البحث ٤٧٧
المقدمة..... ٤٨١
التمهيد: تحديد المفاهيم والمقتضيات التأصيلية ٤٨٧
الفصل الأول: الإبادة في اليهودية عقيدة وشريعة ٤٩٣
تقـديم: ٤٩٣
المبحث الأول: الجذور العقدية للإبادة في الفكر اليهودي ٤٩٤
أولا: التصوير اليهودي للإله بين العدوانية والإبادة وسفك الدماء ٤٩٥
ثانيا: قتل الأنبياء عقيدة توراتية (أوامر إلهية) ٤٩٧
ثالثا: أنفس الأنبياء في مجازر اليهود (عقيدة يهودية) ٤٩٨
رابعا: الفطير الدموي المقدس (طقس يهودي) ٤٩٩
المبحث الثاني: الفلسفة العنصرية للإبادة في الشريعة اليهـودية ٥٠٥
أولا: فكرة الحلولية والشعب المختار وتبرير الإبادة ٥٠٦
ثانيا: النظرة التلمودية والتوراتية للأغيار ومشروعية إبادتهم.... ٥١٠
المبحث الثالث: نماذج تطبيقية من الاعتداء على النفس الإنسانية .. ٥١٣
أولا: إبادة فلسطين بين توجيه الرب وتطبيق الآلة اليهودية..... ٥١٦
ثانيا: دمشق «سطور دموية» في الكتاب المقدس ٥١٩
ثالثا: توعد الرب لعمّان ٥٢٠
الفصل الثاني: موقف الإسلام من الإبادة والدماء ٥٢١
المبحث الأول: حكم القــتل والإبادة -عمومًا- في الإسلام..... ٥٢٢

المحور الأول: النهي عن فوضوية القتل ٥٢٤
المحور الثاني: اعتبر الإسلام قتل النفس الواحدة
عدوانًا على البشرية كلها ٥٢٦
المحور الثالث: حرمان القاتل من دخول الجنة ٥٢٨
المحور الرابع: قتل النفس البشرية من أكبر الكبائر ٥٢٩
المحور الخامس: براءة الإسلام من حامل السلاح لقتل الأنفس..... ٥٢٩
المحور السادس: الدماء أول موارد القضاء يوم القيامة ٥٢٩
المبحث الثاني: حكم قتل المسلم لغير المسلم في الإسلام ٥٣٠
الخاتمة ٥٣٧
أهم المصادر..... ٥٣٩
فهرس الموضوعات ٥٤٤

Contents

۞ ***The Issue of Hulul al-Hawadith (Changes Taking Place in God's Essence) in the Light of Salafs Methodology***

Dr. Khalid bin Abdul-Aziz Muhammad al-Saif..... **11**

۞***Permissible Questions in Issues related to the Creed***

Dr. Abu Baker Salem El Chahal..... **51**

۞***The Creedal Issues Related to the Black Stone***

Dr. Fahd bin Mosa al-Fayiz..... **157**

۞***The Methodology of Ahl us-Sunnah wal-Jama'ah Regarding the Major Imamate***

Dr. Ayed bin Obaid bin Sahlan al-Anzi..... **223**

۞***Al-Qahtani and his Appearance in the End of Time***

Dr. Sa'd bin Abdullah al-Majid..... **327**

۞***The Creeds of the Unitarian Christians. An Analytical Study of Christian Unitarianism until the Ecumenical Council of Nicaea, 325 A.D***

Dr. Abdul-Badi' Muhammad Abdullah Muhammad Salim..... **385**

۞***Reasons for Extermination in the Jewish Legislations and Beliefs, and Islam's Position Regarding it***

Dr. Mohammed Abdul Dayem Ali al-Jundi..... **475**

Material published in the Journal expresses the opinions of its author(s).

JOURNAL OF
THEOLOGICAL STUDIES

Editorial Board

Editor in Chief:
Prof. Saleh Mohammed Al-Aqil

Managing Editor:
Dr. Bader Muqbil Al-Dhafeeri

Editors:
Prof. Yousef Mohammed Al-Saeed
Prof. Abdulqader Mohammad Ata Soufi
Prof. Sami Ali Mohammed Al-Qaliti
Dr. Mohammed BaKarim Mohammed BaAbdullah

Journal Secretary:
Gazmend Omar Mehmeti

G. *Header: size 12 font bold*
H. *Title: size 18 font bold*
I. *Subtitles: size 16 font bold*

13. *Three copies of the final draft must be submitted: two on separate CDs in addition to one hard copy.*
14. *The Journal does not guarantee that any manuscript, accepted for publication or not, will be returned to its author.*
15. *The author shall be given three copies of the issue in which his research is published as well as fifteen offprints.*

Publishing Guidelines:

Material submitted for publication in the Journal must adhere to the following guidelines:

1. *It cannot have been published or submitted for publication elsewhere.*
2. *The material must be exclusively for the Journal.*
3. *It must be original, unique, and contribute to knowledge.*
4. *It must adhere to the standards and methodology of academic research and be written in Arabic.*
5. *The research must be within the scope of the Journal's specialty.*
6. *The material submitted cannot be part of prior published research, or a section of one's thesis or dissertation.*
7. *The manuscript must be typed and submitted on a CD.*
8. *The manuscript should not be more than one hundred (100) pages or less than ten (10). However, the editorial board reserves the right to make exceptions where necessary.*
9. *An abstract not exceeding half a page should precede the article.*
10. *The manuscript should be accompanied by a brief biography of the author, stating his or her occupation, contact information, and most important academic works.*
11. *The author must submit five copies of the manuscript.*
12. *Manuscripts should be submitted using the following format:*
    - *A. Microsoft Word XP or a similar program*
    - *B. Lotus Linotype font*
    - *C. Quranic verses should be written as follows:*

      ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ [المائدة: ٣]

    - *D. Page size: 12 x 20cm*
    - *E. Text: size 16 font*
    - *F. Footnotes: size 12 font*

About the Journal

The Journal of Theological Studies is a refereed, academic periodical published by the Saudi Academic Association for the Study of Theology, Religions, Sects, and Ideologies, which is under the supervision of the Islamic University of Madinah. The journal aims to publish research and academic studies specific to the fields of Islamic creed, comparative religion, heresiology, and ideological trends.

An expert board comprising several university professors is responsible for editing the journal. Manuscripts are accepted for publication following approval by two specialists. The journal was first published in Muharram 1430 (January 2009) with subsequent issues being published semiannually.

Correspondence

All correspondence should be addressed to the managing editor:

Mobile: **+966.55.253.4282**

Phone: **+966.14.847.1155**

Fax: **+966.14.847.3076**

Email: **aqeedaamm@gmail.com**

بسم الله الرحمن الرحيم

All rights reserved
for the Journal of
Theological Studies

ISSN: 1658-516X

Kingdom of Saudi Arabia
Ministry of Education
Islamic University of Madinah
Faculty of Islamic Preaching and Theology
Saudi Academic Association
for the Study of
Theology, Religions, Sects & Ideologies

JOURNAL OF
THEOLOGICAL STUDIES

A Refereed Academic Journal

Volume 8 • Number 17

Rajab 1437 – April 2016